ملامح المشروع الإسلامي

في الربع الثاني من القرن الخامس عشر الهجري

رؤية استشرافية

فهرس الكتاب



الإهـــداء

إنّ المنّ والفضل لله تعالى ثم لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران:164)، ولو تأملنا واستطلعنا رؤى المسلمين التجديدية في القرن الرابع عشر الهجري والذي شهد سقوط الخلافة الإسلامية فلن نجد رؤية تجديدية[1] كتلك التي طرحها الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى، فقد استنبط وتقدم للأمة المسلمة بمسطرة عصرية للنهوض شملت ركائز الإسلام ومعالمه، ثم إنه سعى لتطبيق ما رآه فوفق أيما توفيق حتى كاد أن يضع أغلب مفردات مسطرته النظرية قيد التجريب وكان من ذلك النجاح إعادة بناء جيل النهضة المستقل والذي تولى قيادة المشروع الإسلامي المعاصر في أحلك أزمانه وهي مرحلة التأسيس، ولما حان وقت الاختبار الأول لأخطر مقولاته وهو اعتماد الجهاد في سبيل الله كأحد أركان المشروع كان الجواب ما رأى الصليبيون وأذنابهم اليهود لا ما سمعوا، بينما هم يقطفون ثمار النجاح الأولى لإسقاطهم الخلافة الإسلامية.

فإلى الإمام حسن البنا أهدي هذا البحث وإلى كل من بذل وجاهد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة من هم في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس أفرادا كانوا أم جماعات رجالا ونساء وأطفالا والذين كتب الله على أيديهم وأيدي إخوانهم الأفغان من قبل بدء الانقلاب في معادلة الغثائية بين المسلمين فتقدموا للموت وتركوا الدنيا وراءهم وإلى مشايخي الكرام وأساتذتي وإلى أحرار المسلمين وأبطالهم سائلا المولى عز وجل أن يكون عملا خالصا لوجهه الكريم.

---

(1) ارجع إن شئت لكتاب: حول أساسيات المشروع الإسلامي لنهضة الأمة، د.عبدالحميد الغزالي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر،1999م.





المقدمة

المفردات:

- عودة جديدة مظفرة
- أهداف الكتاب
- لمن أكتـــــب؟
- وبعـــــــد..



المقدمة

إن الحمدلله تعالى والصلاة والسلام على رسول الهدى محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد وقفت على معالم كثيرة في هذا الكوكب الأزرق السابح في طيات الكون وأنواره ولطالما أدهشتني قدرة الخالق الجبار سبحانه في تكامل صنعه وبديع خلقه، ومما حيرني أكثر من غيره في تلك المنظومة من الخلق صاحب الجرم الصغير وصاحب العقل الكبير، وكيف وهبه اللطيف الخبير القدرة على التصور وإدراك كنه العوالم التي لم يرها ولم يقف على عتباتها، وكيف انطلقت بالإنسان تصوراته فطفق يذرع الكون خيالا بعد أن ذرع الأرض واكتشف قممها وقيعانها، وقد تساءل الناس عن آثار من سبقهم وتلهفوا لمعرفة تفاصيلها فدلهم الله سبحانه عليها: ﴿وَيَسۡأَلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا﴾ (الكهف:83)

وفي المنهج القرآني ما يدعو وبوضوح إلى توظيف الاستقراء لأحوال الأمم لفهم المستقبل وطبيعة تحدياته وفي هذا يقول الرب تباركت أسماؤه: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (العنكبوت:20)

وعندما وقفت على أحد معالم الإبداع الرباني وهي صخرة عتيدة يتشظى الموج على أقدامها لآلاف السنين دون أن تلين لها قناة أو تنحني لها هامة وهي صخرة (الروشة) على الساحل اللبناني قلت كم من أشرعة لاحظتها عيون هذه الصخرة وكم من موجات البشر غمرت سواحلها ثم انحسرت وكيف تحولت رمقات عيون الحالمين في أعماق الأمم إلى هدير للفاتحين من بعد؟ فقلت سبحان رب العالمين.

● عودة جديدة مظفرة

وإذا كان للبشر خلال حقب التاريخ ما يدفعهم ويحرك جامح تصوراتهم لكي يتجاوزوا حدود أقطار السماوات والأرض ويتحكموا في غيرهم من البشر ويستولوا على ثروات الشعوب في مسيرة طاغوتية من الاستعباد والظلم فإن للمسلمين في ما أنزله لهم ربهم من الحق وفي

ما تركه لهم سابقوهم من تاريخ الفتح والتمكين الرحيم لدافع وأي دافع نحو تجديد ما اندرس من الحق وتوصيل العدل الذي باتت تتطلع إليه البشرية في المشرق والمغرب، ولكن الأمم لا تأخذ من أمة تتمطى كسلا في السياسة والجهاد والاقتصاد والعلوم وغيرها وحاشا أمة الإسلام أن تستمر على هذا الحال.

وإذا كانت البشرية قد تمكنت في القرن العشرين الميلادي من أن تحدث تلك التحولات الهائلة في طرائق عيشها المادية وفي توظيف القدرات العقلية للبشر حتى غدت الأرض قرية واحدة فإنها وفي نفس الوقت قد أوقعها الكفر والإلحاد في تناقض حاد بين منجزاتها تلك وبين وهدتها في الروح والخلق وليس من أمة مرشحة للعب دور الإنقاذ والبناء معا كالأمة المسلمة بعد أن جرب العالم طويلا أنانية الغرب وماديته وإلحاد الشرق وجبروته، وإن الضغوط التي تسلطها أمم النصارى على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها والدعم اللامحدود الذي تقدمه لربيبتها اليهودية لن يؤخر المسلمين عن قيامهم بمهمة الإنقاذ تلك بل إن طاقات المسلمين لتتشحذ وآمالهم لتتسع حتى ليخيل للمراقب أنه لا توجد أمة حية على ظهر هذا الكوكب غير أمة المسلمين فقضيتهم الأولى باتت تشغل العالم بأسره ومساهمتهم المباشرة في إسقاط أكبر دولة ملحدة عرفها التاريخ لا ينكرها أحد وحراكهم الجهادي والسياسي والدعوي لم يقف عند شعب محدد من شعوبهم وإنما امتد من جزيرة مندناو في المشرق إلى البوسنة في قلب أوروبا غربا ومن نيجيريا جنوبا إلى تركستان الشرقية شمالا، وهذه التحولات سواء كانت في العالم كله أو كانت في واقع المسلمين فإنها تنذر بواقع جديد ينبغي لقادة الحركات الإسلامية أن يسهموا في صنعه والتأثير في اتجاهاته.

وإن الباحث والمتأمل في سنن التدافع البشري وسنن الأداء الإنساني والتي أنبأنا بها المولى تبارك وتعالى في كتابه الكريم وكذا ما ورد في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم في أبواب الفتن ووصف المراحل التي سوف تمر بها أمة الإسلام ليجد في ذلك نورا وأي نور والذي لو وظفناه في رؤيتنا للواقع المرير والمستقبل القريب والبعيد لنجونا بإذن الله القدير.

ومع وجود المنهج الإلهي بين أيدينا ووقوع التحولات الهائلة خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين والتي غيرت من التوازنات البشرية السائدة فلا يزال قادة المشروع الإسلامي المفترضين - على فضلهم- والذين يقفون على رأس مختلف الاجتهادات الإسلامية المعاصرة من جماعات وحركات إسلامية ومستقلين تبدوا إشاراتهم غير مشجعة كثيرا بتحديد أسس التعامل والاستثمار للتحولات لصالح التغيير الإسلامي فهم بانتظار تحول ما لكي يبدءوا في

التعامل مع الواقع فما الذي يمنعهم من ذلك؟ وبالتأمل الدقيق لأحوال الأمة والجماعات الإسلامية نجد أن الدفع المبارك الذي قادته الجماعات الإسلامية نحو التطبيق الإسلامي قد أدى إلى تقدم المسلمين نحو ساحات لم يلامسوها من قبل في مجالات الدعوة والسياسة والجهاد مما أفزع قادة الكفرة في العالم وعلى رأسهم اليهود والنصارى فبدءوا برسم استراتيجياتهم المضادة واتخذوا من حرب الإسلام والمسلمين مسارا أساسيا للارتقاء بهيمنتهم الكونية الجديدة فهل سيتعامل المسلمون مع هذا التحول والتغيير بنفس معطيات ومستلزمات النظريات الاجتهادية السائدة السابقة؟ مع العلم بأن الفراغ المرحلي هذا يعتبر أمرا طبيعيا في التحولات الأممية حتى تستجمع الأمة المسلمة رؤيتها الجديدة للتعامل مع هذه التحولات ولكن بعض المهددات الداخلية في صفوف المسلمين تلقي بظلالها على المستقبل القريب ومن ذلك بعد الشقة بين الاجتهادات الإسلامية التي تقود المسلمين وتنازعها فيما بينها فقد أدى ذلك إلى تردد يطبع السواد الأعظم من المسلمين في قبولهم بتلك الاجتهادات لما يرون من خلاف وقلة إجماع بين الدعاة مما يقتضي سرعة العمل على سد الفراغ وحلحلة الجمود الذي يكمن في المنطقة العليا من المشروع الإسلامي وهي منطقة الاجتهاد والنظرية والذي انعكس بدوره على كافة مسارات العمل الإسلامي.

وإني لأسأل الله العليم الحكيم أن يعينني في هذا البحث على المساهمة في تحديد ملامح الرؤية الكلية للأداء الإسلامي المعاصر أو بعض تلك الملامح على أقل تقدير خاصة فيما يتعلق بالخيارات الجديدة التي ينبغي أن تتضمنها النقلة الجديدة في المشروع الإسلامي للتعامل مع المستجدات الكونية بعد أن تزاحمت في إطار المشروع الإسلامي الأنوار والظلمات معا، وأن أتمكن من تلمس الصور الواقعية في ساحات الأمة المسلمة وما استجد من تطورات وتحديد علاقة تلك التطورات بسنن الصراع والتدافع التي دلنا عليها رب العالمين في كتابه الكريم ودلنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته قولا وعملا فنتبع ولا نبتدع وننقل العلم الذي توارثته أجيال المسلمين من الدعاة عن علمائهم فإن أسوأ ما يمكن أن يقع فيه المتصدي لهذه العملية الدقيقة هو القول بالرأي دون أن يستند على أثارة من علم أو خبر أو تتبع للآثار التطبيقية الميدانية لمسارات المشروع الإسلامي فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عَنْ عُرْوَةَ قَالَ حَجَّ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ فَحَدَّثْتُ بِهِ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو حَجَّ بَعْدُ فَقَالَتْ يَا ابْنَ أُخْتِي انْطَلِقْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَاسْتَثْبِتْ لِي مِنْهُ الَّذِي حَدَّثْتَنِي عَنْهُ فَجِئْتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَحَدَّثَنِي بِهِ كَنَحْوِ مَا حَدَّثَنِي فَأَتَيْتُ

عَائِشَةَ فَأَخْبَرْتُهَا فَعَجِبَتْ فَقَالَتْ وَاللَّه لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو.(إنتهى) فأعوذ بالله أن ألتحق بالجهال الذين يفتون برأيهم فيُضلون ويضلون.

ولا يستهدف هذا البحث تقديم اجتهاد جديد إذ أن صاحبه أقل من أن يتمكن من ذلك ولا يستهدف ترجيح اجتهاد إسلامي معاصر على آخر ولكنه يستهدف التركيز على محاولة فهم طبيعة المرحلة التي تكاملت نذرها ومتابعة الآثار التطبيقية للمشروع الإسلامي وما ينبغي حدوثه من استجابات لدى قيادات المشروع الإسلامي وتحديد المسارات الدقيقة تجاه تلك النذر والتعامل معها خاصة في ظل الفراغ والتنازع الشديد بين الاجتهادات الدعوية المختلفة على ساحة المسلمين.

● أهداف الكتاب

إنها ليست خطبة حماسية أخرى تضاف إلى الوثائق الإسلامية ولا مجرد حلم للبؤساء بل إنها ملامح خطة إستراتيجية تعيد قراءة التحولات العالمية الكبرى وتقف على الزلازل الدولية بغية رؤية الفرص المتاحة فيها لدفع المشروع الإسلامي في مراحله المتقدمة لا أن تعيد تفصيل المشروع الإسلامي ونحته حتى يتناسب مع تلك التحولات والبون شاسع بين الرؤيتين، وهي إستراتيجية لا تبدأ من الصفر بل تبني على ما تم إنجازه ولا تتجاهل الدروس الكبرى بل توظفها ولا تعترف بالثوابت التي قدسها المستضعفون نتيجة طول عهدهم بالمراحل الاستضعافية بل تلتزم بثوابت الكتاب والسنة وهي لا تكرر مقولة بني إسرائيل المهزومة: إن فيها قوما جبارين. بل تلهج بقول الصحب الكرام رضي الله عنهم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيما﴾ (الأحزاب:22)

وإن هذا الكتاب الذي أقدمه بين يدي القارئ الكريم ليستهدف ما يلي:

■ الهدف الأول : محاولة إعادة قراءة الحالة الإسلامية المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة ونورهما المبين بغية التوصل إلى المخرج من الفتن التي تضرب الأمة شرقا وغربا وعدم القبول بالرؤى الترجيحية والعقلية المجردة والمرتبطة بدورها باتجاه واحد في تقدير الموقف العام وهو اتجاه التعامل مع الواقع سواء كان

ذلك الواقع واقعا جزئيا في البقاع المختلفة أو كان واقعا دوليا يفرض الفتنة على المسلمين، فقد ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها ستكون فتن» قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» أخرجه الترمذي في *سننه*: (2908).

■ الهدف الثاني : تحديد نقاط التوقف والجمود الحالية في مسارات المشروع الإسلامي وتأمل حدود وخيارات النظريات التغيرية في مجال النهضة والتمكين والتي سادت بين الحركات الإسلامية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين لعل ذلك التأمل أن يهدينا إلى تحديد دقيق لاتجاهات التغيير المتاحة في المرحلة التالية.

■ الهدف الثالث : اكتشاف العلاقة العملية بين مفردات المشروع الإسلامي والجهاد في فلسطين وتحديد البدائل المتاحة لحلحلة الجمود الذي يكتنف مسار ذلك الجهاد حيث تمكن المجاهدون وعموم الشعب الفلسطيني من إحداث تحول هائل في مسار النهضة المعاصرة للمسلمين عبر الإبداع الجهادي بتحريك أخطر مساحة يستقر عليها المشروع الصهيو أمريكي في العالم الإسلامي ولكن هذا التحريك وبعد مضي العقد والنصف فإنه يقف اليوم معزولا عن المسلمين ومهددا بالوأد، وعليه فإن الرؤية المبسوطة في هذا الكتاب فيما يخص إنقاذ المسجد الأقصى إنما تتركز على كيفية الاستثمار المتبادل في الإنقاذ ما بين المسجد ومسار المشروع الإسلامي في حلقات التدافع.

■ الهدف الرابع : استثمار التنوع والتعددية في مناهج وتطبيقات الحركات والجماعات الإسلامية المعاصرة ومقارنة تلك المناهج والتطبيقات بعضها ببعض لعل ذلك يعين في وضع تصور مشترك يوظف إيجابيات تلك المناهج ويخفف من

تناقضاتها ويركز على جمع الطاقات ووضعها في ميدان المعركة الحقيقي الذي يستهدف الإسلام والمسلمين.

- الهدف الخامس: استثمار حالة التغيير التي تعم العالم والتبدل في النظام الدولي وما نتج عنه من استهداف مباشر من قبل أمريكا للعالم الإسلامي وما هي البدائل الإستراتيجية التي يمكن اعتمادها للتعامل مع حالة التغيير تلك والفراغات التي نجمت عنها والتي يمكن أن تتيح للمسلمين فرصا تاريخية نادرة.

- الهدف السادس: دراسة البدائل الممكنة لوقف النزيف في خسارة أو ضعف نتائج الأعمال الكبرى التي حاولتها الأمة ودخلتها الجماعات الإسلامية بثقلها سواء كانت تلك التجارب سياسية أم جهادية كالأداء السياسي في تركيا أو كالصراع الذي خاضه المسلمون في أفغانستان أو كالصراع المركزي في فلسطين والذي تطور في العقد الأخير من القرن العشرين باتجاه إسلامي.

- الهدف السابع: توضيح أبعاد الخارطة العامة للمشروع الإسلامي التي تتشكل في واقع المسلمين وعلاقة أجزاء تلك الخارطة ببعضها فهناك محاولات النهوض السياسية والتي تخضع لرؤى متفقة ومختلفة كالتجربة الإسلامية في تركيا والتجربة الإسلامية في باكستان وهناك الجهاد في فلسطين والفلبين وكشمير وهناك الأداء الدعوي والمؤسسي في أوروبا فما علاقة تلك الأجزاء ببعضها؟

• لمن أكتب؟

أكتب في الأساس لقادة الحركات والجماعات الإسلامية والدعاة والعلماء في مشارق الأرض ومغاربها الذين أنيطت بهم أمانة الدعوة والجهاد إسهاما ومحاولة لرسم الصورة الكلية في ساحة العمل الإسلامي أو بعضا منها على أقل تقدير وتنبيها إلى أهم الأخطار التي تكتنف المسيرة الإسلامية المعاصرة ودعوة لتكامل الرؤى والاجتهادات بدلا من تضاربها المفضي للتنازع والفشل.

وأكتب هذا الكلمات كهدية خاصة للأجيال المستجدة من أبناء الأمة الملتزمين الغيورين

على دينهم رجالا ونساء ومن قيادات العمل الإسلامي المرتقبة دون إنقاص من فضل السابقين وجهودهم المباركة، وما ذلك إلا لأهمية توارث الأجيال للعلم والتجربة ولأن تعويل الأمم إنما يكون على أجيالها المتجددة لكي تواصل تلك الأجيال الإبداع والتجديد والارتياد وتحمل تبعات المراحل المتوالية.

كما أكتب لأحرار الأمة والنابهين فيها والمتطلعين للنصر أو الشهادة والذين لن تنقطع جحافلهم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فلم تعد مسألة التمكين والعمل من أجلها قاصرة على العاملين في سلك الحركات الإسلامية -على فضلهم وسبقهم- فقد عمت هذه الروح مجتمعات المسلمين في كل مكان وهاهم القادمون الجدد يتأهلون للالتحاق بالركب ويتطلعون لكل أفق ويرمقون كل ساح.

● وبعـــد:

فمما أعانني على هذه الدراسة بعد توفيق الرب عز وجل الاقتراب الميداني من التجارب الإسلامية المختلفة وملامسة الأزمات التي ضربت الأمة بدء من أفغانستان في مراحلها الأولى والأخيرة وكذا أزمات عقد التسعينيات من الصومال إلى البوسنة إلى كوسوفو والشيشان والمواقع التي تمثل لب الصراع من المحيط إلى الخليج في الوطن العربي كالعراق وغيرها.

وقد حاولت في بحثي المتواضع هذا أن أتجاوز في تلمسي للحقائق والمستقبل نطاق رؤية المدرسة أو الجماعة الواحدة قدر الاستطاعة فإن من معطلات الأداء البحثي في واقع الدعوة الإسلامية المعاصرة الالتزام الحرفي بمقولات المدارس الدعوية لدى أكثر المساهمين برؤاهم واطروحاتهم فانغلق الأداء الإسلامي وتعصب كل لرأيه واجتهاده وحلت فساد ذات البين التي سماها رسولنا صلى الله عليه وسلم الحالقة فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قال قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: » أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ: قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ«.رواه أبو داوود

وقد استفدت كثيرا من علم التخطيط الاستراتيجي المعاصر والذي يعتبر أحد أهم الأسلحة التخطيطية والإدارية الكلية المستخدمة من قبل أعداء المسلمين لضمان استمرارية السيطرة على مقدرات المسلمين، وقد حاولت جهدي أن أوظف أهم مفردات علم التخطيط

الاستراتيجي في بسط وعرض هذا الكتاب فجزى الله خيرا من دلني عليه وشجعني على تعلمه.

ولعلي أقرر هنا بأن ما ورد في هذا الكتاب من رؤى وإن تأثرت بأداء واجتهادات المدارس الإسلامية عموما ومدرسة الإخوان المسلمين خاصة التي ترعرعت فيها ونهلت من معينها وتعلمت على يد شيوخها وعشت تجاربها منذ عام 1974م ولله الحمد والمنة، فإنها تمثل آراء كاتبها ورؤيته الخاصة فما كان فيها من صواب فهو من الرحمن وأحمده على ذلك وما كان من زلل أو شطط فهو من نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله تعالى من ذلك.

الشارقة - الإمارات العربية المتحدة
في 20 من رمضان 1423 للهجرة [1]
الموافق 2002/11/24 للميـــلاد

(1) كان ذلك البدء بوضع الكتاب وأما الانتهاء منه فقد تم في أواخر جمادي الأولى 1424للهجرة.:





الفصـــل الأول

التمهـــيد

المفردات:

- بين يدي الكتاب !
- طبيعة التحدي؟
- ماهيّــة المشروع الإسلامي؟
- حرب المصطلحات !

• بين يدي الكتاب!

وليأذن لي الأخوة القراء ببيان بعض الملاحظات حول الكتاب لتضييق الفجوة التي يمكن أن تنشأ نتيجة ملامسة أفكار الكتاب مساحات بالغة الحساسية والتعقيد في الساحة الإسلامية والساحة الدولية، وأما الملاحظات فهي كالتالي:

- إن من أهم الأسباب التي جعلتني أرجح نشر هذه الأفكار وجمعها في رؤية استراتيجية وصول التحديات والتهديد داخل الأمة المسلمة وخارجها إلى نقطة لا تجدي معها الممارسات المنغلقة والرؤى المحدودة فقد طال الوقت على التجارب الإسلامية وهي تحدث نفسها بصوت خفيض ورؤية داخلية.
- وإذا لم يحرك اتجاه اليهود المتعجل لهدم المسجد الأقصى كوامن الثورة فينا ولم يعجل ذلك ببحثنا عن القواسم المشتركة بيننا فمتى متى؟
- كما أن الاستراتيجية العالمية الموحدة والتي يعمل وفقها أساطين اليهود والنصارى من الأمريكان لا يمكن التعامل معها أبدا بالرؤى المجزأة في أوساط المسلمين.
- وهل يليق بالدعاة ومن نصبوا أنفسهم لمهمة الريادة والتوجيه أن يتلهوا بواقعهم القطري – على أهميته– أو أن تلتهي كل جماعة إسلامية بنفسها وداخل أسوارها العالية الوهمية والعدو يعيث في الأمة فسادا شرقا وغربا؟
- وإذا لم تتمكن هذه الرؤية من توفير الطموح الإسلامي ولم تلامس التكامل المأمول فإن في إثارة المعنيين من أصحاب الرؤى وأهل الحل والعقد للتعجل بسد هذه الثغرة لفائدة وأي فائدة.
- وقد يعجب البعض من مستوى الصراحة والوضوح في هذا الطرح والذي قد يكون مضرا في بعض نواحيه فما الذي دفع إليه؟ إنه الاختلاط والغموض الشديد والذي يقتضي وضوحا لا لبس فيه وإلا أدى نصف الوضوح إلى غموض أكثر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة:159)
- ومن المبادئ المجمع عليها بين المتخصصين في التخطيط الاستراتيجي أنه كلما كبرت شريحة المتفهمين للأبعاد الاستراتيجية المتوخاة في أي وسط سياسي أو ثقافي أو تقني كلما كانت النتائج أفضل.
- وقد يكون من الصعب للوهلة الأولى التوافق مع ما ذهب إليه كاتب هذه السطور من رؤى فلعلها تكون خمائر يعوزها الوقت للتشكل وظهور الفائدة.

- مع العلم بأن ما ورد في الكتاب لم يكن إبداعا متفردا من الكاتب وإنما هو جمع للصور المتقطعة ونسج لما توافر على الساحة الإسلامية أصلا من إبداعات مباركة وجهود حثيثة متواصلة.
- وأرجو أن لا يؤدي الاختلاف حول بعض ما ورد من أفكار ورؤى في هذا الكتاب إلى إهمال بقية الخير فيه.
- كما أرجو أن لا يتم الحكم على الكتاب من خلال أجزائه وسطوره المتناثرة وأطمع بفرصة تقويمية دقيقة عند المنصفين لفصول الكتاب ومفرداته.
- ولعل من أهم ما ينبغي ملاحظته عند المقارنة بين النظرية والتطبيق وجود فراغ طبيعي بينهما حيث يدخل عامل الوقت وعامل تقدم النظرية على الواقع وعامل الطموح فلا نغتال النظرية بحجة بعدها عن الواقع فهناك متسع دائم للمقاربة ومن وجد في العالم واقعا ثابتا فليبحث له عن نظرية ثابتة توافقه.
- ومما قد يساعد في تفهم أفضل لهذه الرؤى أن صاحبها لم يدع إلى بدعة ولم يدع إلى إضافة جماعة جديدة على الجماعات الموجودة ولم يهدم أساس أي جماعة عاملة في أوساط المسلمين ولم يقدم نفسه للمغانم والله تعالى أعلم بالسرائر.
- وهي دعوة لعقول الدعاة وأبناء الأمة أن ترتاد المواقع الخشنة بعد أن اعتادت العقول والنفوس دهرا على ارتياد نواعم الفكر والعيش.
- وأخيرا أرجو أن لا تحول الانتماءات والمدارس المختلفة في الصف الإسلامي دون استثمار كل أو بعض مفردات هذا البحث.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل،،،

● طبيعة التحدي؟

إن من أهم ما تتسم به المرحلة الحالية في تاريخ المسلمين سمة الرمادية وانغلاق بعض أهم مفاصلها إذ وصل مستوى الانغلاق إلى الدرجة التي حار فيها القادة والحكماء فلم يعد الطريق بينا ولا بدائل العمل واضحة المعالم فيسهل الاختيار فيما بينها وقد زاد من تعقد المرحلة خضوع الواقع العملي لظلال التنازع في الميدان النظري بين الاجتهادات الإسلامية المختلفة يضاف إلى ذلك محاولات الأعداء الواسعة للتدخل في صياغة العقل المسلم عبر خطط ماكرة من محاولات التأثير والإيحاءات المستمرة والتي تستخدم لها أكثر الوسائل تطورا كمراكز البحوث والدراسات والمؤتمرات وتوظيف القدرات العقلية ثم استخدام القنوات

الفضائية والإذاعات والفنون وعليه فإن سبر أغوار ذلك الانغلاق بغية فكه أصبح واجبا ملحا خاصة في هذه المرحلة الانتقالية والتي سجلت فيها الدعوة الإسلامية تطورا مباركا في وقت أذن الله عز وجل فيه بتحولات هامة في العالم ونحن نعلم بأن سنن الكون تمضي نحو وراثة الأرض للمؤمنين: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص:5)

وتتعرض الساحة الإسلامية في ظل هذه المرحلة لسباقين وتحديين، أما التحدي الأول فهو في مجال الفكر والعلم والنظرية وأما التحدي الثاني فهو في مجال التطبيق والنواحي العملية وأعتقد بأن الخسائر في التحديات التطبيقية يمكن أن تكون محتملة ذلك أن الأمم تحتاج في مسارات نهضتها إلى التجارب والفشل والنجاح معا لكن الخسائر الناجمة عن التحدي الأول أي في مجال النظرية لا يمكن احتمالها حيث ستكون النتائج وخيمة وطويلة الأمد وهو الذي يفسر حاجة الأمة إلى التجديد وما التجديد إلا في مجال النظرية والاجتهاد إذ أن الدين كامل لا مجال للتغيير فيه، ولكن لا يعني هذا أن يتأخر الدعاة عن تحديد الاختيارات في المجال النظري والعلمي ظنا منهم أن ذلك سوف ينقذ الموقف ولكنه التقدم الدقيق والحاسم في الوقت المناسب ولو لم يثبت أبو بكر الصديق رضي الله عنه في معركة الفهم وأولويات التطبيق وذلك بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لكان تطبيق الإسلام في مهب الريح ولو لم يثبت رجال من الأمة كالإمام أحمد بن حنبل وغيره في تاريخها المجيد فيذبوا عنها غائلة التغيير والتبديل لما وصلنا هذا الدين ناصعا وافرا.

ومن الأمثلة المعاصرة التي خضعت فيها الأمة للتحديين معا نموذج فلسطين فقد كان بإمكان المسلمين تحمل المعارك المتجددة والدفع بالشهداء بعد الشهداء وذلك منذ أن وطئت أقدام الصليبيين الجدد أرض المقدسات لكن لم يكن بالإمكان أبدا تحمل الخسارة الهائلة لو أن زمام المعركة والمبادرة بقي بيد المنحرفين عن الطريق القويم من أبناء الأمة الذين تابعوا الفكر القومي والشيوعي ذلك أن بيعهم للقضية على أساس الدنيا وارد تماما فكان أكبر إنقاذ تحقق لمسيرة هذه المعركة هو دخول الصادقين الملتزمين إليها من أوسع الأبواب فطاب الجهاد وطاب الاستشهاد ولا خوف من طول المعركة مادامت الأمانة العلمية فيها بيد رجالها الحقيقيين.

وأما النموذج الثاني والذي يمثل خسارة وفاجعة في مجال الاجتهاد والنظر فهو ما حصل في الجزائر إبان سقوط العهد الشيوعي فيها فإن عدم قدرة الدعاة وأصحاب المدارس

الإسلامية المختلفة فيها على الاتفاق حول ما يصلح للمرحلة من اجتهاد وخطة قد أدى إلى إجهاض أكبر تحول معاصر نحو التطبيق الإسلامي فطاشت الاجتهادات وغرقت البلاد ولم تعد المعارك الميدانية تجدي نفعا في ظل ذلك الخلاف وسال الدم المسلم غزيرا في ظل الظلامية الشديدة التي أجاد فيها أعداء الأمة اللعب والكر والفر.

والأمثلة كثيرة ولكن الواجب المحتم يقضي بضرورة السعي الدؤوب لمحاصرة التناقض الحاد ومنع الفشل في تقريب الفهم ثم الدفع نحو الاتفاق على ما يصلح للمرحلة من مسطرة الاجتهاد والتي يمكن أن تسع جميع العاملين للإسلام بشرط تحديد المواقع التي يجب على الجميع أن يدعمها ويقترب منها قولا وعملا ومن خلال اختيار وفرز دقيق للخيارات لا أن تترك الأمة بلا قرار وبلا مسؤولية.

• ماهية المشروع الإسلامي؟

إن بقاء الاجتهادات الإسلامية المعاصرة في مسارات متوازية ومتضاربة أحيانا أخرى قد أدى إلى ضعف محاولات الدفع داخل الأمة المسلمة لإحداث تحول حقيقي في واقع المسلمين وعليه فإن النجاح الحقيقي في المرحلة القادمة أن تتوصل أغلب قيادات الحركات الإسلامية إلى رؤية مشتركة للتعامل مع التحديات المستجدة وإن توزعت أعمال الحركات الإسلامية المختلفة على مساحات متفرقة وهذا الاتفاق المأمول ليس مجرد حلم وردي لا مجال لتحققه في الواقع وإنما هو أمل له نصيب وافر من المعطيات العلمية والعملية فمن المعطيات قيام هذا الدين على الوحدة والجماعة فكيف يأمل المسلمون بالنصر وهم مقيمون على التنازع. ومن تلك المعطيات تاريخ الدعوة الإسلامية المعاصر وما أنتجه ذلك التاريخ من واقع معاش تمثل في أداء جهادي مبارك كالجهاد في أفغانستان والجهاد في فلسطين وغيرها وما خاضته الحركات الإسلامية من معارك سياسية وما بثته من تأثير إيماني وتربوي عميق في الأجيال فإن ذلك الجهد قد أدى إلى صياغة عقول ونفوس المسلمين نحو اتجاهات محددة ثم يأتي بعد ذلك عامل آخر مهم سيقود بدوره إلى اتفاق في صياغة رؤى المسلمين والذي يتمثل في الضغوط التي يمارسها الكفار بشتى ألوانهم على المسلمين كفعل النصارى الغربيين بقيادة أمريكا وكفعل اليهود في الأرض المقدسة وكفعل الروس والهندوس والبوذ وغيرهم ولكن هذا التدافع لا يمكن استثمار آثاره بلا تصور عملي يحدد الغايات والمراحل ويجيب على أهم التساؤلات ومن هذا المنطلق ولدت رؤى الإصلاح في أذهان علماء المسلمين منذ حدوث أخطر تحول

حقيقي في واقع المسلمين وهو سقوط الخلافة الإسلامية وقد تراوحت تلك الرؤى بين مسارين رئيسيين أما المسار الأول: فشمل الرؤى التي توقفت عند بعض مفردات الإصلاح في واقع المسلمين فهي إما أن تكون قد ركزت على شؤون الحكم أو شؤون المجتمع أو شؤون الفرد أو تناولت البناء العقدي والإيماني أوالتأصيل الشرعي والتجديد الفقهي أو التربية والتزكية، دون أن تجيب تلك الرؤى على مجمل الأزمة الضاربة في واقع الأمة أو تحدد مساحة التحرك وكيفية الأداء حتى يصل المسلمون إلى استعادة موقعهم الذي أراده الله تعالى لهم في الكون.

وأما المسار الثاني: فقد شمل الرؤى التي تحدثت عن أداء واسع وشامل وفي كل الاتجاهات ورسمت مشروعا محددا للنهضة ورسمت أهداف المشروع الكبرى فلم تترك مفردة من مفردات الإسلام الأساسية إلا واعتمدتها في أسسها النظرية وقد شملت وعالجت تلك الرؤية مفردة البناء العقدي والإيماني ومفردة الحكم والسياسة وشؤونهما ومفردة البناء الاجتماعي والفردي، كما تعرضت تلك الرؤية لنقد الواقع وطرق التعامل معه واعتمدت التدرج في الإعداد والإصلاح كسياسة أصيلة وسعت لتحديد الوسائل العملية لإعداد وتنشئة الجيل كما أنها استثمرت الناتج الإنساني في مجال العلوم والإدارة ووظفت كل ذلك في سبيل النهضة وإن من أهم نتاج هذه الرؤية هو تطوير الاجتهاد والإجابة الشرعية على أهم التطورات في واقع المسلمين، ولعل أبلغ الرؤى تعبيرا عن تلك الموازين والمعالم سابقة الذكر تتمثل في الرؤية التي طرحها مؤسس الإخوان المسلمين في مصر عام 1928م الإمام حسن البنا، ثم أتى متساوقا مع تلك الرؤية وتلك المعالم رؤى الإمام أبي الأعلى المودودي في شبه القارة الهندية، فتمكنت تلك المدرستان من بسط مظلتي التأثير على جناحي العالم الإسلامي شرقيه وغربيه فقامتا بمواجهة المد الشيوعي والمد القومي العنصري وأسهمتا إسهاما مباشرا في صناعة التحولات الإيجابية على مستوى المسلمين في العالم كله وكان من أبلغ المشاريع التي تعاونت عليه الرؤيتان معا في الميدان العملي هو دعمهما وتشجيعهما للجهاد في أفغانستان طوال عقد الثمانينات من القرن العشرين وكذلك دعم الوجود الدعوي الإسلامي في أوروبا وأمريكا.

وأما المشاريع الأخرى والتي وصفت بالنهضوية زورا وبهتانا كالوطنية والقومية والاشتراكية تلك التي تربعت على رؤوس الأمة أكثر من نصف قرن ولا زالت والتي أهملت البعد العقدي للأمة وبضعت الأمة إلى أقوام متناحرة لا يمثل الدين فيها إلا غلالة رقيقة لا علاقة له بالتقدم والتأخر أو تلك التي وظفت الدين توظيفا داعما للملك وتابعا له والتي لم تسمح للأمة أن تنمو نموا حقيقيا اقتصاديا كان أو غيره فقد كان دور تلك المشاريع معطلا لمسيرة النهضة الإسلامية الحقيقية وذلك بما استوردته من عقائد فاسدة وبما أعطته من

ولاء كامل للشرق والغرب وبما وأدته من أحلام المسلمين ووحدتهم فهي تذكر بالغساسنة والمناذرة قبيل الفتح الإسلامي، حيث جاءت تلك المشاريع متساوقة مع الأوضاع العالمية وتابعة لها وما سقوط جزائر بومدين ولا سودان نميري ولا عراق صدام ولا إندونيسا سوهارتو ولا لبنان فرنجيه ولا صومال بري ولا تونس بورقيبه ولا يمن عبدالفتاح اسماعيل إلا أمثلة محدودة على سقوط تلك المشاريع وفشلها.

وتمثل التجارب التطبيقية التي نتجت عن الاجتهادات الإسلامية والرؤى التي سادت الأمة خلال القرن العشرين الميلادي أحد أهم المؤشرات لفهم طبيعة التغيرات التي نتجت عن تلك الرؤى وعن الدفع بالمشروع الإسلامي في واقع المسلمين ومن ثم رؤية المستقبل القريب والبعيد وتحديد طبيعة المراحل المتبقية من عمر المشروع وتحقيق غاياته الكبرى.

وعليه فقد تحددت أبعاد المشروع الإسلامي نظريا وعمليا خلال النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي بل وافتتح المسلمون قرنهم الخامس عشر بالمضي نحو تفعيل أوضح لرؤاهم المعاصرة في المشروع مما مكنهم من أن يضعوا مرتكزاته الرئيسة على الأرض من خلال عدة مسارات في مجالي الاجتهاد والتطبيق والتي مثلت أغلب الاتجاهات الإسلامية أو كانت قاسما مشتركا بين أكثريتهم وهي مدرسة الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية وجماعة أربكان في تركيا والمدرسة السلفية والمدرسة الصوفية وبعض الجهود الحكومية التي ساندت تلك الرؤى وقد تمثلت مسارات الاجتهاد والتطبيق في الصور التالية:

- التركيز على بناء الجيل المسلم عقيدة وخلقا وسلوكا وتوسيع دائرة هذا البناء واستثمار الميادين المختلفة خاصة الجامعات والمدارس مع تقبل المزاحمة من قبل بقية الأفكار والعقائد المناقضة للإسلام دون الدخول معها في صراع مباشر.
- المطالبة السلمية والعلمية بضرورة العودة إلى الإسلام في كل مناحي الحياة خاصة التطبيق الدستوري والقانوني والترحيب بأي اقتراب وتزحزح نحو هذا المطلب من قبل المسؤولين وتشجيعه والصبر على الضغوط المختلفة التي مارستها أجهزة الدول والأحزاب العلمانية لصد ومنع هذا التوجه.
- إقرار المسؤولين والحكام على ما هم عليه من تغلب وسيطرة منعا للفتنة وأملا في التحول نحو التطبيق الإسلامي أو بعضا منه على أقل تقدير.
- الإفتاء بعدم جواز الخروج على الحكام سدا للذرائع وحقنا لدماء المسلمين.
- الإقرار باستقلال الدول الإسلامية وإجازة المرجعية الوطنية فيها والاعتماد على هامش

ذلك الاستقلال المتاح لها ضمن المعادلة الدولية والمطالبة بتفعيل مرتكزات الأداء الوطني من ولاء واحترام حقوق المواطن ومساواة وتنمية اقتصادية واجتماعية.

- إقرار مبدأ الديموقراطية والالتزام بالقانون والمطالبة بوضع الديموقراطية موضع التنفيذ لتحقيق الأداء الإسلامي من خلالها.
- إقرار مبدأ التدرج في الإصلاح وتطبيق الإسلام في شتى مناحي الحياة ودعوة الأجيال من الدعاة للصبر والاحتمال.
- تحميل الحكام في العالم الإسلامي مسؤولية استرداد حقوق المسلمين المغتصبة وعلى رأسها المقدسات في فلسطين والصبر على الأخذ والرد والجدل الذي لم ينته فصولا في جامعة الدول العربية وفي رابطة العالم الإسلامي وغيرها مع اعتبار كل الحركات الإسلامية لموضوع فلسطين خطا أحمر لا يمكن تجاوزه مهما كانت الأسباب.
- إقرار مبدأ المنافسة واستخدام الضغوط السلمية وحقوق التجمع والتعبير التي سادت الأرض فضلا عن إقرار الإسلام بها للمطالبة بالحقوق والدفع بالتأثير الإسلامي في المجتمعات المسلمة.
- الالتزام بالقوانين والأعراف الدولية في التعامل بين الأمم والدول والثناء على ما وافق الإسلام منها من تعاون على الخير واعتبار الأمم المتحدة مرجعا حقيقيا لرفع المظالم وصون الحقوق.
- إقرار مبدأ الحوار بالحسنى مع كل الاتجاهات المناقضة للإسلام حتى القابعة منها بين ظهراني المسلمين والتي لم توفر شيئا للإضرار بالمسلمين وإفساد بيئاتهم كالشيوعيين الذين أفسدوا اليمن الجنوبي دهرا.
- الإقرار بمبدأ المواطنة والمساواة في الحقوق بغض النظر عن الانتماءات والعقائد.
- الإفتاء بضرورة تعايش الأقليات المسلمة في الأوساط الكافرة مع مطالبتها بحقوقها القانونية والوطنية مساواة بالأغلبية ودعوة الأقليات للصبر على أذى الكفرة.
- التجاوز عما أصاب الدعاة في العالم الإسلامي من أذى وقتل وتشريد وفتح الباب للأمل وعدم السماح بالوقوع في دائرة اليأس.
- تجديد مبدأ رد الظلم والاعتداء من قبل الكفرة على بلاد المسلمين في جهاد واضح لا لبس فيه ودعم المسلمين الذين يتعرضون للأذى بكل أشكال الدعم وعليه انطلقت ملحمة الجهاد المعاصر في أفغانستان ثم في فلسطين وغيرها.
- لم ير الدعاة ضيرا في التلاقي على مصالح مشتركة في المسيرة الجهادية المعاصرة كما كان الأمر في حرب المسلمين للملحدين السوفييت عندما غضت أمريكا الطرف وسمحت لبعض العتاد أن يصل للمجاهدين دون أن يعطي المسلمون الدنية في دينهم وكان ما

تحملوه من الشهداء الذين زادوا على المليون والنصف لم يكافئه ولم يقابله أي بذل من قبل النصارى الذين وقفوا موقف المتفرج.

- التأكيد على البعد الحضاري في دين الإسلام بما يحمله من قيم وتاريخ مجيد واستثمار الانفراج الكبير والتواصل العالمي بين شعوب الأرض والذي ساد طوال العقود الثلاثة في نهاية القرن العشرين للدفع بالدعوة الإسلامية إلى أطراف الأرض والعناية بتجمعات المسلمين القابعين بين ظهراني تلك الشعوب وتأهيلهم حتى يعطوا الصورة التي تليق بالدين الإسلامي ومظاهر الالتزام به.

فكيف سارت السفينة أو سفن العالم الإسلامي طوال العقود الماضية وفي ظل تلك الاجتهادات ومحاولات التطبيق وكيف قابل حكام العالم الإسلامي تلك المواقف والمطالبات؟ وللإنصاف فإن الصورة الكلية لم تكن كلها في الإطار الاجتهادي الذي تقدم وصفه فقد مارس بعض الدعاة أفرادا وجماعات أدوارا خارج ذلك الإطار وهكذا هي الأمم في أدوار نشأتها وتفاعلها خاصة إذا لاحظنا الضغوط وسياسة الحجب التي مورست ضد العمل الإسلامي خلال نفس العقود التي تطورت فيها تلك الرؤى والاجتهادات ودخول الفكر الشيوعي وتوابعه في ساحة المسلمين.

ويأتي هذا الكتاب لكي يتوقف عند الصورة الكلية بغية تجلية الموقف وكشف مخبوء المستقبل قدر المستطاع والذي لا يعلمه إلا الله العليم الخبير.

● حرب المصطلحات !

تعتبر المصطلحات المستخدمة في المجالات الشرعية والفكرية والسياسية والإعلامية على ساحة المسلمين من أكبر المعوقات لنهضتهم والتقائهم على كلمة سواء حيث أورثهم التعامل التلقائي بالمصطلحات دون مناقشة لمحتوياتها قابلية للتمحور والعصبية والاستجابة للتأثير ولا يخفى كيف تؤثر تلك القابلية فتؤدي إلى انغلاق الأداء العلمي والتمحيص الشرعي الأمر الذي جاءت به التوجيهات الربانية واضحة وحاسمة كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة:104) وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ

فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ (النساء:94) وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات:6).

وقد أسهمت عوامل داخلية وعوامل خارجية كثيرة في زيادة الآثار السلبية للتعامل بالمصطلحات بين المسلمين مما يقتضي عملا دؤوبا وتمحيصا مستمرا للمصطلحات في جميع المجالات حتى لا تصاب النهضة الإسلامية المعاصرة في مقاتل وليس في مقتل واحد.

ولا تتيح المساحة الزمنية ولا العلمية فرصة كافية في هذا الكتاب لتجلية الموقف بكل أبعاده وإنما هي الإشارات وتسليط الأضواء لعل ذلك أن يسهم في تحرير مواقع الخلاف في ساحة المصطلحات ويعين على تفهم مقاصد وأهداف البحث.

ولإنعاش الذاكرة الإسلامية في هذا المجال فقد خاضت الحركات الإسلامية المعاصرة وعلماء المسلمين حربين هامتين في مجال المصطلحات فهزموا في الحرب الأولى وانتصروا في الحرب الثانية أما الحرب الأولى فقد كانت إبان الهجمة الصليبية بقيادة الإنجليز والفرنسيين على العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين والتي توجت بشطب الخلافة الإسلامية وسقوط المقدسات في أيديهم ثم تسليمها في وقت لاحق لليهود وفي تلك الحرب الاصطلاحية كان المطلب النصراني واليهودي والشيوعي رأس الشريعة الإسلامية وتحطيم كل ما يتعلق بها من مصطلحات وقد خاض الدعاة حربا ضروسا انتصب فيها عدد من العمالقة والرجال من علماء الأمة من أمثال أحمد محمد شاكر صاحب كتاب أباطيل وأسمار وكمالك بن نبي ومحمد رشيد رضا وغيرهم كثير ولكن شدة الموجه وعتوها واغترار سواد المسلمين بمعطيات النهضة المادية والتكنلوجية للنصارى ثم بسيطرة النصارى على النظم السياسية والتوجيه في العالم الإسلامي إضافة إلى عوامل أخرى فقد أدى ذلك كله إلى هزيمة وقتية وظاهرية في تلك المعركة حيث سادت المصطلحات التحررية والقومية والعلمانية دهرا ثم جاء وقت التصحيح في المعركة الثانية التي نشبت في نهاية الستينيات وطوال السبعينيات من القرن العشرين حيث تصدى الأبطال من جديد كالشهيد سيد قطب رحمه الله وأعلام تلك المرحلة كالمودودي ومحمد الغزالي ويوسف القرضاوي وأنور الجندي وغيرهم كثير فردوا الحق إلى نصابه وأعليت رايات المصطلحات الإسلامية بمفاهيمها الصحيحة وسقطت وتشوهت وديست مصطلحات الشيوعية والقومية والبعثية وما أشبه وتأسست النهضة الإسلامية بأبعادها الدعوية والسياسية والجهادية التي عمت العالم في الثمانينيات بناء على ذلك النجاح والانتصار، واليوم ترتفع ألسنة المعركة الثالثة التي

تحتاج إلى رجالها وقادتها والذين لن تبخل بهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع العلم بأن المعركة الحالية تسهم فيها عقول وأدوات متناسبة مع المرحلة الصليبية الجديدة التي تقودها أمريكا والتي جددت عزمها على رد المسلمين إلى الحظيرة بعد أن حاول بعضهم الخروج منها وقد جندت أمريكا في سبيل ذلك ميزانياتها واستنفرت كل طاقاتها الظاهرة والخفية لأداء هذه المهمة مما يستوجب على قادة الحركات الإسلامية وعلماء الأمة أن يولوا هذه الساحة وهي ساحة المصطلحات الأهمية التي تستحقها وحتى يمكن إدارة بقية المعارك تأسيسا على الأداء المتقدم في هذه الساحة.

ويمكننا تقسيم ساحة المعركة الاصطلاحية إلى ساحتين ساحة خارجية وساحة داخلية أما الساحة الخارجية فهي الساحة التي تواجه فيها الأمة المسلمة أعدائها الظاهرين وطابورهم الخامس وتتقابل فيها المصطلحات المستوردة والمدسوسة مع المصطلحات الإسلامية وأما الساحة الداخلية فهي الساحة التي تتواجه وتتقابل فيها المصطلحات الإسلامية وتعارض بعضها بعضا نتيجة لتفرق الاجتهادات الإسلامية المعاصرة وتنازعها في الفهم والتطبيق.

وسوف أتوقف عند كل ساحة لاستعراض طبيعة المعركة وأبعادها.

ففي الساحة الأولى والتي تتقابل فيها المصطلحات الإسلامية السائدة مع المصطلحات القادمة من الغرب الصليبي الماكر قديمها وجديدها والتي تهدف إلى إحداث خلخلة كبرى في قناعات وأفهام المسلمين فيسهل اختراق صفوفهم عبر تلك المصطلحات ويقبلوا حينئذ بالإملاءات الجديدة في أوساطهم ويرضوا بتجديد الخدمة في البلاط الهرقلي الجديد ويتخلوا عن آمالهم الإسلامية فيتسنى لأمريكا أن تلاحق وتقتل أبطال المسلمين دون أن يرف للمسلمين جفن أو يخفق لهم خافق وهم يرون الموحدين يرسفون في قيودهم من جوانتينامو إلى أفغانستان وتسيل دماؤهم غزيرة في القدس والشيشان وغيرها بدعوى محاربة الإرهاب حتى صدق كثير من المسلمين أن أمريكا الصليبية هي راعية السلم في العالم فهم يصدقون مصطلحاتها ويكذبون أعينهم.

ومن أهم المصطلحات المستخدمة في هذه المعركة والساحة هي:

مصطلح الإرهاب-مصطلح تجفيف منابع الإرهاب- مصطلح العنف يقابله مصطلح السلم - مصطلح الديموقراطية - مصطلح الشورى - مصطلح الولاء - مصطلح العولمة - مصطلح النظام الدولي- مصطلح الإسلام السياسي - مصطلح التنمية - مصطلح المجتمع

الدولي - مصطلح القانون الدولي - مصطلح الواقعية السياسية - مصطلح السلم - مصطلح المصلحة الوطنية - مصطلح الانفتاح على الأمم أو تفاهم الشعوب - مصطلح روح الشباب والمغامرة - مصطلح الفنون والثقافات - مصطلح السياحة - مصطلح رجال الأعمال - مصطلح حوار الأديان - مصطلح حوار الحضارات يقابله صراع الحضارات - مصطلح المؤامرة - مصطلح الشفافية وغيرها من المصطلحات.

ويمكن رصد الاستخدام والتوظيف الصليبي التالي للمصطلحات في ساحات المسلمين:

- توظيف المصطلحات توظيفا دائما وإبقاء أثرها مستمرا في العقل الباطن للشعوب المسلمة.
- توظيف المصطلحات توظيفا مزدوجا بحيث تؤدي دور الرهبة ودور الرغبة في آن واحد فمن يخاف أن يوصف بالإرهاب فهو سيحاول التودد لكي يحقق موقفه السلمي.
- تحقق اليأس في الساحة المسلمة من إمكانية فعل شيء في المرحلة الحالية والاكتفاء بالانتظار.
- القبول بالحد الأدنى الذي يتيحه الغرب من التطبيقات المأمولة ومنها الديموقراطية المقننة أمريكيا والتنافس في ظلها وبالتالي تحقيق الشرعية السياسية للأنظمة المعينة ولسادتها من الأمريكان.
- التنصل من كل الآمال والإنجازات الإسلامية التي تحققت في العقدين الماضين على مستوى الدعوة والسياسة والجهاد.
- تنافس بعض الإسلاميين الموسومين بمصطلح الاعتدال لإرضاء أمريكا أو سكوتها عنهم على أقل تقدير دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن أي مخرج.
- فتح كل مجالات الأمة التربوية والتعليمية والإعلامية أمام أمريكا لكي تعيث فيها فسادا تحت مصطلح تجفيف منابع الإرهاب.
- ممارسة الضغوط المختلفة على عقلية المسلمين للقبول باتجاه واحد فقط فيما يتعلق بالخيارات المتاحة للعلاقة بين الشرق والغرب وهو حوار الحضارات السلمي أما عندما يتعلق الأمر بتعامل الغرب مع المسلمين فالأمر مفتوح على مصراعيه لهم لتجريب كل شيء على الساحة المسلمة ومن اليورانيوم المنضب إلى الأسلحة المجهولة دوليا ولا تثريب عليهم فهذه طبيعتهم وتلك طبيعتنا!
- أن يتم تدجين الأجيال الجديدة وامتصاصها امتصاصا كاملا من الساحات الإسلامية بحيث لا يكون لها وجود عند الهزات الكبرى القادمة ومنها تقدم اليهود نحو المسجد

الأقصى لإزالته وإحلال الهيكل المزعوم مكانه.

- قابلية المصطلحات للمرونة وبالتالي استيعاب كل ما ترغب أمريكا بإدخاله تحت ظلال تلك المصطلحات كالإرهاب الذي توسع استخدامه لكي يطال كل أشكال الأداء الإسلامي حتى الأعمال الخيرية فهي إما أن تلغى وإما أن تؤمم على الطريقة الشيوعية الأمريكية الجديدة.
- وقوع المسلمين تحت معادلة الاستقطاب الاصطلاحي الحاد وهو أن يتم فرض التصورات التي تريدها أمريكا وأذنابها على العقلية المسلمة من خلال حتمية وقوع المسلم في طرفي معادلة الاستقطاب فمن لا يقر بحوار الحضارات مثلا فهو بالضرورة يؤمن بصراع الحضارات وهو مصطلح محارب على كل الأصعدة فتتربع أمريكا في كفة الهيمنة وفرض الصراع ويقبع المسلمون في كفة الحوار التي لا يوجد فيها من يحاورهم أصلا وهكذا في معادلة الإرهاب والسلم فكل مسلم متهم بالإرهاب حتى تثبت براءته والبراءة هنا هي أن يجعل مقياس أمريكا وأذنابها مقياسه في فهم الموقف وليس شيئا آخر!
- قابلية المصطلحات الأمريكية لاستيعاب طوابير من سقط العلمانيين والقوميين والشيوعيين للخدمة وتوظيف كل الخبرات السابقة في هذا المجال والسوق كبيرة وما على السيد الأمريكي إلا الإشارة بيده أو بعينه.
- فتح الباب على مصراعيه للتلبيس على المسلمين ولتعايش السمات الإسلامية الظاهرة والسمات الجاهلية جنبا إلى جنب فالخمر والقمار والزنا والربا الفاحش وكل أشكال الفجور مع قبول بعض الظواهر التخديرية من الحجاب واللحى والمساجد وحفظ القرآن الكريم وحتى صورة جورج بوش تظهر وفي الخلفية امرأة مسلمة محجبة.

ثم تأتي الساحة الثانية وهي الساحة الداخلية والتي تصطرع فيها المصطلحات الإسلامية وتقابل بعضها بعضا نتيجة لتفرق الاجتهادات الإسلامية المعاصرة وتنازعها في الفهم والتطبيق.

ومن تلك المصطلحات:

-مصطلح الولاء والبراء - مصطلح العقيدة - مصطلح التوحيد-مصطلح الفرقة الناجية -مصطلح الجهاد -مصطلح العلم الشرعي -مصطلح الجماعات الإسلامية - مصطلح المذهبية -مصطلح السياسة - مصطلح طاعة أولي الأمر -مصطلح الفتنة وغيرها من المصطلحات.

ومع أن الدلالات الشرعية للمصطلحات واضحة ودقيقة المعالم وذلك من خلال ما اعتمده علماء المسلمين في القديم والحديث ولكن خضوع الاستخدام الاصطلاحي لضغوط الواقع المتردي للمسلمين وظروف تنافس الجماعات الإسلامية السلبي قد وظف المصطلحات توظيفا أضر بالمسيرة الإسلامية في بعض الأحيان مما يقتضي معه إعادة النظر في الاستخدام التلقائي للمصطلحات ومراجعة الإيحاءات الاصطلاحية لها بما تحمله من آثار سلبية على النفسية والعقلية المسلمة.

ويمكننا أن نرصد الآثار السلبية التالية لهذا الاصطراع الاصطلاحي على الساحة الإسلامية:

- خطورة تقسيم الساحة السنية إلى أجزاء جديدة والتي يمكن أن تذهب إلى عدم الالتقاء لا سمح الله على المدى البعيد.
- إعطاء الأعداء الفرصة لتوظيف الخلاف باتجاه إضعاف الإجماع السني والذي يمثل الأغلبية الساحقة للأمة المسلمة.
- التشويش الشديد الذي يجد فيه المسلمون أنفسهم نتيجة لهذا الخلاف.
- الاستخدام الدعائي للمصطلحات لدى الجماعات المختلفة مما يزيد الفرقة ويؤصل للخلاف.
- تطور الخلاف الاصطلاحي إلى درجة نزع الشرعية الكاملة عن بعض الجماعات الإسلامية من قبل البعض الآخر.
- الاشتغال عن المعارك الحقيقية في واقع الأمة بالمعارك البينية.
- إحداث مواجهة وتقابل بين المصطلحات الإسلامية بدلا من تكاملها.
- تحول بعض المصطلحات إلى شارات ورايات خاصة ببعض التجمعات الإسلامية وحرمان الآخرين منها.
- التعقيد في فهم الإسلام بدلا من يسر الفهم والمطالبة بالاحتكام إلى دلالات الألفاظ بدلا من التسليم والطاعة والانقياد لأصول الإسلام.
- تبعثر المرجعية الإسلامية نتيجة للاستقطاب والصراع.

إلى غير ذلك من السلبيات الناشئة عن الاختلاف حول المصطلحات.

وهذا الخلاف مرشح لإفساد النهضة المعاصرة للمسلمين إذا لم يتم تدارك الموقف من قبل قيادات الحركات والجماعات الإسلامية وعلماء المسلمين فتنزع فتائل التفجر من تلك المصطلحات ويخفف من التلوين الذي يصاحب الأخذ والرد حولها.

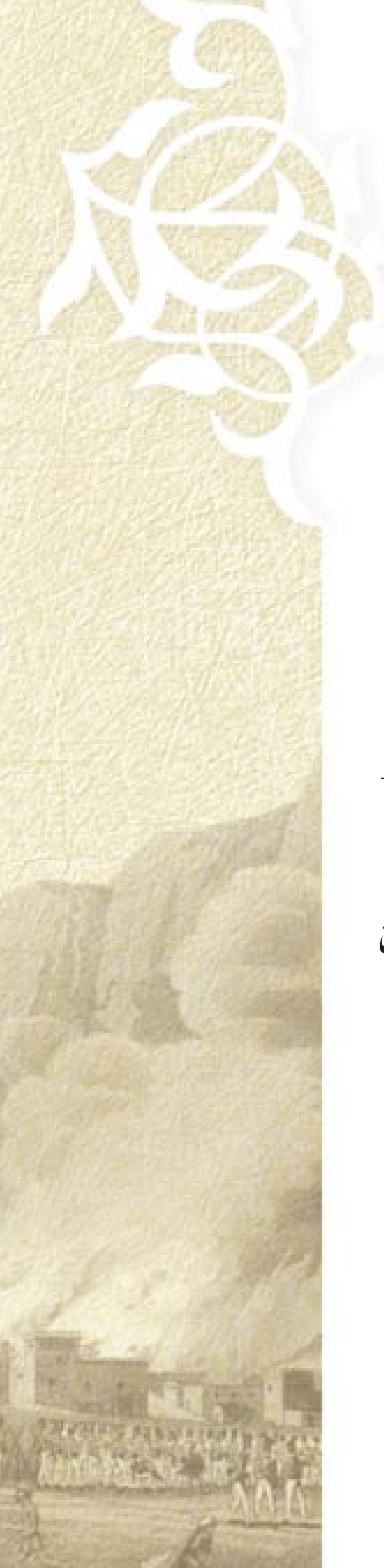
الخطوط العامة لعلاج ظاهرة حرب المصطلحات والتخفيف من آثارها السلبية:

- رد الأمر إلى الله ورسوله فهذا هو مرجع المؤمنين وبالتالي يحرر موضع النزاع بهذا الرد الأولي المبدئي وتخلص المصطلحات مما لحق بها من رؤى البشر وانعكاس تجاربهم عليها وأن تسمى الأشياء بمسمياتها التي سماها بها الله عز وجل وأن لا يتحسس البعض من استخدام المصطلحات كما وردت في الشرع كإطلاق اسم الكفار على اليهود والنصارى وأن جهاد الكفار واجب بتحقق شروطه.
- ضرورة الانتباه إلى خطورة التحول من الأخوة الإسلامية إلى الوقوع في البأس الشديد بين المؤمنين نتيجة للاختلاف حول المصطلحات ومضامينها.
- ضرورة الانتباه إلى خطورة احتكار الفهم الكلي والمرجعي من قبل بعض الجماعات الإسلامية في مسائل الدين والدنيا.
- عدم الاختلاف والتنازع على المصطلحات ومحاولة الاستحواذ عليها من قبل البعض أو الهروب منها لدى البعض الآخر كما يحدث في مصطلح الجهاد الذي كاد أن ينغلق على جماعات بعينها وكاد البعض الآخر أن يهرب منه ويتبرأ منه.
- و في حال مراوحة المصطلح بين أكثر من فهم ومن معنى فإن المعول حينئذ يكون على مضامين هذا المصطلح.
- ضرورة العمل على تحرير عقول الأمة من أسر الإيحاءات المغلوطة للمصطلحات وما لحق بها من اختلاط وتذبذب، سواء جاءت تلك الإيحاءات من جانب العدو وهي تأتي غالبا بسوء نية وبلا شك أو جاءت وأفرزت من واقع الأمة بسوء فهم أو بسبب الصراع الحزبي ونشر كل فريق لاجتهاده في الأمة ومغالبة.
- ينبغي تعليم الأمة وأجيال الحركة الإسلامية عدم الهروب من المصطلحات وإنما مواجهتها وتفكيكها، فإن من الأصول المستخدمة في حرب المصطلحات هو الهجوم المباغت والمتنوع والذي يفقد الخصم على استجماع قوته فيهرب، فمثلا عندما تم إطلاق بعض المصطلحات على الحركة الإسلامية في ستينيات القرن المنصرم كمصطلح الانتهازية والعمالة لأمريكا والرجعية والوصول للحكم وما أشبه فإن الجماهير ولت هاربة وتركت الحركة الإسلامية لمصيرها خاصة عندما استخدمت بعض الأنظمة السياسية صورا من القمع ضد الحركات الإسلامية.
- ضرورة أن يتكون للأمة وعي خاص ودقيق يحصنها ضد التقام المصطلحات وقبولها كما هي فإن المصطلح يتم تجهيزه تجهيزا خاصا لدى الذين يطلقونه ويزودونه بمؤثرات خاصة، فما لم يكن المتلقي له محصنا ضده فإنه غالبا ما يستسلم لإيحاءاته، كما حصل

في استخدام أمريكا لمصطلح الإرهاب إبان أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتداعيات التي صاحبت ذلك الحدث فلولا أن الله تعالى أدرك الأمة بجهاد المجاهدين في فلسطين فأفسدوا على أمريكا استثمارها الكلي لهذا المصطلح لكان أثر التوظيف الأمريكي بالغ السوء في الأمة.

- العمل الجاد على استرجاع المصطلحات الإسلامية من الذين يحاولون سرقتها واستعمالها في غير موضعها ومن أمثلة ذلك ما شاع من استثمار بعض المصطلحات كالولاء والذي هو في الاستخدام الإسلامي الدقيق ولاء المسلم لله ولرسوله وللمؤمنين فيستخدمه الساسة للتأكيد على تحصيل ولاء المسلمين للحالات المعيبة المنقوصة الاستقلال على امتداد العالم الإسلامي والتي ما زادت المسلمين إلا وهنا وضعفا وفقرا وفسادا.
- الحذر من التوظيف النفاقي للمصطلحات فإن المنافقين ونتيجة لتموضعهم في الأمة يكونون من أقدر الفئات على توظيف المصطلحات فيؤدي ذلك إلى اختلاف المؤمنين وتنازعهم كما حصل قبيل معركة أحد عندما اختلف الصحابة رضوان الله عليهم حول رفض أو قبول موقف رأس النفاق عبدالله بن أبي بن سلول عندما انخذل بكتيبته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان تعليم الله عز وجل للمؤمنين بأنه ما كان لهم أن يختلفوا حول الموقف أبدا فنزل قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ (النساء:88). وتأمل في قوله عز وجل «فمالكم» فقد اقتضى التعليم والتوضيح أن يرتفع اللفظ إلى درجة التقريع للمؤمنين على مسألة اختلافهم حول المنافقين قبل تصحيح أحد الموقفين والله عز وجل أعلم بمراده.





الفصل الثاني

المشروع الإسلامي في القرن العشرين الميلادي

المفردات:

- أولا: المسلمون بين مشاريع الكفر العالمية
- ثانيا: مسار المشروع الإسلامي خلال القرن
- ثالثا: النتائج الكبرى للقرن العشرين في واقع المسلمين



لقد مثل القرن العشرين الميلادي بالنسبة للمسلمين غاية الضعف والإقصاء عن شؤون البشر وذلك منذ أن جاء هذا الدين للكون أول مرة حيث أحكم النصارى واليهود وغيرهم من ملل الكفر سيطرتهم على الأرض وغدت بلاد المسلمين عمقا مستباحا بكل مقدراتها البشرية والمادية ومن عجيب ما تحقق في هذا القرن اعتقاد المسلمين بالرغم مما أصابهم أنهم يشتركون ويتقاسمون الإنجازات مع بقية البشر تلك التي تحققت في مجال العلوم والسياسة والاجتماع والتكنولوجيا فإذا بحصيلة القرن تدل على عكس ذلك تماما فرياح التنمية لم تعرف طريقها إليهم والاستقرار السياسي والديموقراطي لم يذوقوا طعمه البتة والسلم الدولي لم يكن يعنيهم تماما فقد مالت عليهم الأمم الكافرة في كل بقاع الأرض والأهم من ذلك أنهم خسروا مرجعيتهم الدولية كأمة لها معالمها ودينها وخسروا مقدساتهم وانقضى القرن العشرين واحتفل النصارى بدخول قرنهم الجديد واحتفل معهم كثير من المسلمين نتيجة للحالة النفسية المهيمنة عليهم وقناعتهم بأنهم كغيرهم من البشر أيضا تجمعهم المرجعيات الدولية والقانون الدولي ولكن القرن الجديد يفتتح بزيادة معدل الأذى الموجه للمسلمين دون غيرهم فالهندوس يستمتعون بوضع مميز واحترام نصراني ويهودي وبوذي مشترك وكذا بقية الشعوب الكافرة ووحدهم المسلمين في نيجيريا وإندونيسيا والهند والعراق وغيرهم تسلط عليهم استراتيجية التغيير والتقطيع لأوصال أراضيهم فهل خرج المسلمون من القرن العشرين بأيد خاوية؟ وهل سيبقى المسلمون أرضا مستباحة في بقية العقود من قرنهم الخامس عشر الهجري؟ وهل ستبقى مقدساتهم رهنا لرغبات ومزاج السيد الأمريكي وربيبه اليهودي؟ وهل للمسلمين علاقة مباشرة بما جرى من تحولات في نهاية القرن العشرين؟ وهل هم مؤهلين للعب أدوار هامة وخطيرة في القرن الواحد والعشرين؟

هذا ما سأحاول الإجابة عليه في هذا الفصل بإذن الله تعالى وذلك من خلال استعراض ما يلي:

أولا: المسلمون بين مشاريع الكفر العالمية.

ثانيا: مسار المشروع الإسلامي خلال القرن.

ثالثا: النتائج الكبرى للقرن العشرين في واقع المسلمين.

● أولا: المسلمون بين مشاريع الكفر العالمية

إن التحولات التي شهدتها الأمة المسلمة في القرن العشرين يمكن أن تشبه بعملية تقاذف اللاعبين للكرة وذلك طوال القرن العشرين وقد مرت تلك التحولات بخمس مراحل واضحة ومحددة المعالم وهي:

المرحلة الأولى:

مرحلة الإجهاز على الخلافة الإسلامية منذ بداية القرن وحتى سقوط الخلافة الإسلامية عام 1923م.

المرحلة الثانية :

مرحلة التحول الأولى في النظام الدولي منذ بداية العشرينيات وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية.

المرحلة الثالثة :

مرحلة الحرب الباردة منذ 1945 وحتى سقوط الاتحاد السوفيتي عام 1990م.

المرحلة الرابعة :

مرحلة التحول الثانية في النظام الدولي منذ 1991 وحتى 2001م.

المرحلة الخامسة :

مرحلة الإمبراطورية الأمريكية منذ 2001 وحتى يومنا هذا.

وسوف أشرح أهم الملامح لكل مرحلة من تلك المراحل الأربع.

ملامح المرحلة الأولى:
مرحلة الإجهاز على الخلافة الإسلامية
منذ بداية القرن وحتى سقوط الخلافة الإسلامية عام 1923م

وفي هذه المرحلة يمكننا أن نلاحظ الملامح التالية:

- كان نظام الخلافة الإسلامية قد وصل إلى أدنى مراحله من الانحطاط والنخر الداخلي

وتفكك الأوصال سواء بالتحولات التي شهدتها عاصمة الخلافة من مؤامرات داخلية وتغلغل للجمعيات المفسدة التي يسيطر عليها اليهود والنصارى أو بالتناقض بين الشعوب المسلمة وصعود الروح القومية أو بالعجز المادي والاقتصادي وضعف السيطرة على الملك الشاسع.

- كان اختيار المسلمين في التحاقهم بمحاور الصراع العالمي يتم على هامش ذلك الصراع دون أن يملك المسلمون أرضية ورؤية مستقلة تؤهلهم لفرض شروطهم فكان انتصار أي طرف من أطراف الكفر المتنافسة عالميا يهدد موقف المسلمين بغض النظر عن ماهية تلك التحالفات.
- كانت أطراف بلاد المسلمين وبعض بلاد القلب الإسلامي قد وقعت تحت هيمنة وسيطرة أمم النصارى كمصر وإندونيسيا وماليزيا وشبه القارة الهندية وأجزاء كبيرة من إفريقيا وأطراف الجزيرة العربية وغيرها.
- وضع الإنجليز ومن والاهم من النصارى واليهود مسألة إلغاء التأثير العالمي للمسلمين ضمن أجندتهم في الصراع الدولي الناشب وأطلقوا على تلك المسألة (الرجل المريض) مما مكنهم من تحقيق هدفين كبيرين في آن واحد وهو إبعاد المسلمين عن التأثير الدولي وتحقيق السيطرة الدولية لهم ولحلفائهم، وهو نفس ما تفعله أمريكا في هذه المرحلة ولكن باتجاه منع التأثير الإسلامي الصاعد في العالم.
- كانت عملية صناعة الأبطال الوهميين للمسلمين تتم بدقة بالغة وفي مواقع مختلفة من العالم الإسلامي ولم يكن لكثير من أجيال ذلك الوقت من التأهيل ما يمكنهم من فهم حقيقة ما يجري خاصة مع ملاحقة العلماء المخلصين ومنع تأثيرهم على العامة والخاصة وكان من أهم الأبطال الذين صنعوا في ذلك الوقت أتاتورك اليهودي ليتسلم زمام السيطرة في عاصمة الخلافة.
- قاد الإنجليز وفي ظلهم الفرنسيون بوضع وتنفيذ استراتيجية تمزيق الأمة المسلمة والسيطرة على ثرواتها وبما يكفل عمل تلك الاستراتيجية لفترة طويلة من الزمن.
- كان من أهم معالم الاستراتيجية الصليبية تلك هو التركيز على البعد القومي في تفتيت المسلمين وتقسيم كل قوم إلى وحدات أصغر وترتيب النظم السياسية التي ستحكم المسلمين نيابة عن الصليبيين.
- وكانت أخطر مسألة في تلك الاستراتيجية هو إيكال عملية الهيمنة على المقدسات لليهود بدلا من النصارى حتى تنصرف أنظار المسلمين وتركز على اليهود وتنسى النصارى وبالمقابل يتمكن النصارى من الهيمنة الكلية ويتظاهروا بالتفهم لقضايا المسلمين السياسية التي بدأت تعصف بالعالم الإسلامي في كل مكان بينما هي من صناعة

الإنجليز بالمقام الأول سواء في كشمير أو في فلسطين أو في اليمن الجنوبي وغيرها.

- قام الإنجليز والنصارى عموما بدعم المشروع اليهودي بكل مقوماته ومستلزماته العسكرية والسياسية والسكانية وقد عطلت الحرب العالمية الثانية وضع المشروع اليهودي قيد التنفيذ.
- ساهم الصراع بين أمم النصارى على مختلف نحلها في صناعة الواقع الدولي وتشكيل اتجاهاته بل إن النظام الدولي الذي أخذ في التشكل في ذلك الوقت إنما نهض من خلال ذلك الصراع سواء كان ذلك الصراع بين أتباع الكنيسة الشرقية وأتباع الكنيسة الغربية حيث أتاح الدعم الذي تلقاه الشيوعيين بالقضاء على آخر معاقل الكنيسة الشرقية في روسيا أو بالصراع الذي نشب داخل الكنيسة الغربية بين البروتستانت والكاثوليك والذي هبت رياحه من اتجاهات مختلفة عندما أقصيت هولندا نهائيا عن مستعمراتها الشرقية وإسبانيا عن مستعمراها في أمريكا الجنوبية وعندما استعر الصراع بين الفرنسيين والإنجليز على مواقع مختلفة من العالم.
- عمل الإنجليز والفرنسيون بكل ما أوتوا من طاقة لوضع التغيير الثقافي عند المسلمين موقع التنفيذ عبر وسائل كثيرة من إرسال البعثات والحملات التبشيرية وتأسيس الأحزاب وانتقاء النوابغ من أبناء الأمة وتدريسهم في الغرب وعبر تأسيس الجامعات وإصدار المجلات وترجمة كتب الغرب وإرسال الرحالة والمستكشفين يجوبون بلاد المسلمين وغير ذلك من الوسائل.

ملامح المرحلة الثانية:
مرحلة التحول الأولى في النظام الدولي
منذ بداية العشرينيات وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية

وفي هذه المرحلة يمكننا أن نلاحظ الملامح التالية:

- تزايدت الوعود بمنح المسلمين استقلالهم من إندونيسيا إلى المغرب واستخدمت لذلك الوسائل المختلفة من المراسلات السياسية إلى المؤتمرات وغيرها.
- تصاعدت حدة التحولات الدولية وتشكلت المحاور العالمية وبدت نذر الحروب تعم العالم.
- فرض الإنجليز والفرنسيون سيطرتهم الكلية على معظم بلاد المسلمين.
- خاض المسلمون حروب تحرير في مواقع مختلفة من العالم مما أسهم في تشكيل المرحلة التالية من تاريخهم.
- العالم يتفرج على وقوع بلاد آسيا الوسطى والقوقاز تحت أيدي الشيوعيين والذين قتلوا في عهد ستالين وحده ما يقرب من أحد عشر مليون مسلم.

- بدأت نذر تشكل الأحزاب القومية والشيوعية تحت إشراف الإنجليز والفرنسيين وذلك في مختلف بلاد المسلمين.
- بدأت نذر تشكل الحكومات الجديدة في بلاد المسلمين والتي تم رعايتها نصرانيا في مختلف المواقع.
- يدخل الأمريكان عهد التمدد الدولي
- تقع الحرب العالمية الثانية من وتمثل بلاد المسلمين أحد المسارح الهامة للصراع الدولي خاصة شمال إفريقيا وجنوب شرق آسيا.

ملامح المرحلة الثالثة:

مرحلة الحرب الباردة منذ 1945 وحتى سقوط الاتحاد السوفيتي عام 1990م

وفي هذه المرحلة يمكننا أن نلاحظ الملامح التالية:

- تم تشكل النظام الدولي الجديد والذي تنتهي مرجعيته إلى النصارى في أغلبه وإلى الشيوعيين في شقه الثاني وبهذا التوزيع يكون المسلمون أكبر الخاسرين وعلى كل الأصعدة حيث توزع العالم الإسلامي على الخمسة الكبار فكان نصيب النصارى شقي العالم الإسلامي الشرقي والغربي بينما كان الشق الشمالي من نصيب الشيوعيين فتحكم الكفرة في هذه الأمة تحكما مطلقا فعينوا قادتها ورسموا دساتيرها وأسسوا جيوشها ولكن تحت مسميات أخرى كالثورة والتحرر من الاستعمار والوطنية وغيرها من الشعارات.
- تكفل الشيوعيون في الاتحاد السوفيتي والصين بقمع المسلمين وحركات تحررهم ومطالبهم بحقوقهم بينما ترك النصارى تلك المهمة للنظم السياسية التي أنشئوها في المشرق والمغرب.
- تسابق الشرق والغرب على افتتاح مرحلة التوازن الدولي تلك بمنح اليهود حق اغتصاب مقدسات المسلمين في فلسطين عام 1948م.
- دشنت هيئة الأمم المتحدة عهدها بقرارات حاسمة في منح فلسطين لليهود وتثبيت ذلك الوجود وأعطت ظهرها للمسلمين ولم تثبت لهم حقا في مقدساتهم وحتى القرارات الهزيلة التي صدرت في هذا الشأن لم تلق طريقها للتطبيق البتة.
- لم يتمكن المسلمون طوال هذه المرحلة وحتى انهيار الأمم المتحدة على يد ربيبتها أمريكا من أن يثبتوا حقا لهم عبر هذه الهيئة بل لقد زادتهم قراراتها بلاء إلى بلائهم في كشمير وفي البوسنة وغيرها.
- اكتشف الصليبيون حقيقة وجود المشروع الإسلامي وبوادر النهضة الإسلامية عندما كاد

أن يتعثر المشروع اليهودي الوليد بثبات المجاهدين من أبناء الحركة الإسلامية والذين اخترقوا المسرحية الهزلية والصراخ القومي عند العرب بعمل ميداني مباشرعام 1948م.

- شهدت هذه المرحلة ضرب وتصفية بؤر النهضة الإسلامية الأولى واستمرت تلك التصفية قرابة عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن كما حصل في مصر وغيرها وتم تجديدها في عقد الثمانينيات في مواقع مختلفة من العالم.
- أسس النصارى جيوش العالم الإسلامي واعتنوا بقادتها عبر نوادي كبار الضباط والتي لا يمكن دخولها إلا عبر بوابة الخمور والزنا وتشكلت أنوية الجنرالات الذين ينتهي الأمر إليهم فتجدهم في إندونيسيا كما تجدهم في الباكستان كما تجدهم في تركيا وغيرها، مع تحديد مهمة هذه الجيوش بضبط الوضع الداخلي لا أكثر.
- قام الصليبيون ببناء وترتيب شؤون أجهزة الأمن وتسليمها للقرامطة الجدد في واقع المسلمين المعاصر ممن يتلذذون بإيذاء المسلمين وتعذيبهم، وقد بذل النصارى جهودا كبيرة في سبيل إعداد قيادات تلك الأجهزة وتربيتهم وتسليمهم مقاليدها، وقد وصل الأمر بأهمية هذه الأجهزة في النظام السياسي الذي أنشأه الصليبيون إلى درجة أن يكون هذا الجهاز مستقلا عن الحاكم نفسه فله صلاحياته التي يمكن أن تتجاوز الحاكم، وتم وضع عقيدة خاصة بتلك الأجهزة وعلى رأس قائمة تلك العقيدة: حرب ومعاداة الدعاة من المسلمين وتشويه سمعتهم، ومن الأمثلة الصارخة على دور الإنجليز في هذا الشأن أن الذي أعد ورتب جهاز الاستخبارات في اليمن الجنوبي قبيل تسلم الشيوعيين لمقاليد الحكم ضابط بريطاني يسمى هندرسون ثم انتقل المذكور بعد ذلك إلى القاعدة البريطانية في البحرين ليستكمل مهامه ولمدة استغرقت السبعينيات وردحا من الثمانينيات. (العرشاني،عوض:الإرهاب الشيوعي في اليمن)
- شهدت هذه المرحلة وقوع مذابح مروعة للشعوب المسلمة التي رفع عنها كل أغطية الحماية الدولية فالقس نيريري يقتل المسلمين بالآلاف في تنزانيا وزنجبار وماركوس يفعل فعلته في مسلمي الفلبين ونصارى الحبشة وإرتريا يميلون على المسلمين في تلك البلاد وهندوس الهند يسفكون الدم المسلم رخيصا وبوذ تايلاند يقتلون مسلمي بورما بالآلاف والصرب يذبحون مسلمي البوسنة حتى أصبحت مذابح المسلمين في هذه المرحلة أكبر وأوسع من أن تحصر في الأرض كلها.

- الربط الاقتصادي والهيمنة من خلال عدة وسائل منها:

1- الهيمنة على الثروات الرئيسة للبلاد الإسلامية خاصة البترول عبر عقود الامتياز وهيمنة الشركات المرتبطة بالمستعمر والتحكم في خطوط النقل وفرض أسعار البيع

وغير ذلك.

2- الإشراف على تأسيس مجالس النقد حيث غالبا ما كان يرأسها إنجليزي أو فرنسي والتي تم تحويلها إلى مصارف مركزية في مرحلة لاحقة.

3- ربط العملة المحلية بالعملة في الدولة الأم المستعمرة والتي انتهت غالبا إلى الدولار في نهاية المرحلة.

4- إبقاء سلسلة من البنوك الأساسية للمستعمر تمثل ثقلا هاما في الأداء الاقتصادي والتنموي في كل البلاد الإسلامية.

5- إنشاء خطوط طيران ظاهرها الوطنية وهي وريثة خطوط المستعمر.

6- إنشاء مناطق تجارية حرة تسمح بحرية الأداء التجاري للشركات الاستعمارية الكبرى والشبكات الاقتصادية العالمية دون أن تتأثر بأية تغيرات تطرأ على الواقع الاقتصادي الداخلي في البلد المعني.

7- إبقاء الحكومات في العالم الإسلامي رهينة القروض الخارجية طويلة المدى لبنوك المستعمر وصناديقه العالمية.

8- السيطرة على الاقتصاد المحلي عبر الودائع المالية الضخمة التي تودع في الغرب خاصة والتي تفقد مالكيها من حكومات وتجار القدرة على السيطرة عليها حتى لكأنها نوع من الرهن مقابل الانصياع الكلي للغرب الكافر.

- قامت القوى الاستعمارية الصليبية باختيار مواقع استراتيجية جغرافيا على امتداد العالم الإسلامي ولكنها صغيرة المساحة وإعطائها وضعا تنمويا عاليا وجعلها نقاط مرور وتمركز بين الشرق والغرب دون أن يكون لها أثرا تنمويا مباشرا على بحر الشعوب المسلمة المحيطة بها مع إعطاء الأفضلية الاستثمارية فيها لغير المسلمين كما حدث في سنغافورة وهيمنة الصينيين عليها.
- فرضت القوى الصليبية الخمر والدعارة وجعلتها رسمية الوجود ومحمية بالقانون في كل العالم الإسلامي وذلك قبل انسحابها الظاهري من بلاد المسلمين وقد حافظت كل النظم السياسية على هذا المسار.
- تم ربط جميع دول العالم الإسلامي باتفاقيات في المجالات العسكرية والاقتصادية والثقافية طويلة الأمد تضمن الالتزام بتوجيهات العدو والارتباط به.
- سمحت القوى الصليبية بالمد الشيوعي في العالم الإسلامي في مجالات الفكر والتطبيق مع مسك الخيوط بيدها وانقسم العالم الإسلامي إلى ملكية مرتعدة من شيوعية متربصة والكل واقع في أحضان الصليبية، ومن أمثلة ذلك المكر الصليبي تسليم البريطانيين عدن للشيوعيين إبان انسحابهم منها في30/11/1967.

- شهدت هذه المرحلة صعود وانهيار مشاريع الفكر اليساري والشيوعي والقومي والوطني وأحزابه التي ملأت العالم ضجيجا وعمت العالم الإسلامي وتمكنت تلك الأحزاب من الهيمنة المباشرة على أغلب نظم الحكم في العالم الإسلامي.
- كما شهدت هذه المرحلة صعود وانهيار أبطال المرحلة الوهميين كأتاتورك وعبد الناصر وبورقيبة وسوكارنو وغيرهم.
- شهدت هذه المرحلة صعود وانهيار الوهم الذي تعلق به المسلمون وهي حركة عدم الانحياز.
- فرضت نظم التعليم المهلهلة والمسماة بالحديثة والتي لم تنتج إلا أجيالا من الكتبة الذين ينتظرون التعيين في السلك الحكومي، ومقابل ذلك تم منع ومصادرة التعليم الشرعي بأساليبه القديمة ولذا تم تأميم الأزهر ومصادرته ومصادرة جامعات أخرى كالزيتونة في تونس وغيرها ومنعت المساجد الكبرى في حواضر العالم الإسلامي من أداء دورها كالمسجد الأموي في دمشق وغيره.
- تم توفير الدعم الكامل للأقليات المناقضة للأغلبية السنية في أغلب بلاد المسلمين وتمييزها بوضع خاص في الحكم والاقتصاد كالنصيرية في سوريا والنصارى والدروز في لبنان والنصارى في فلسطين والأردن وغيرها.
- تمركزت الجمعيات والنوادي المشبوهة كنوادي الماسونية والروتاري واللايونز خاصة في المواقع المركزية المؤثرة واستقطابها لأبناء النخب السياسية والاقتصادية في العالم الإسلامي.
- حرصت القوى الصليبية على عدم استثارة المسلمين دينيا وذلك بالحذر من التعرض للمقدسات والشعائر بل وتوفير وضع خاص للجزيرة العربية بحيث تظهر أنها مستقلة عما يجري حولها في عدن ومسقط والبحرين والكويت.
- ما كادت شمس الإمبراطورية البريطانية تأذن بالغروب إلا والإمبراطورية الجديدة المتمثلة في أمريكا تتهيأ لوراثة بريطانيا في كل مواقع العالم خاصة في الجزيرة العربية وترسم الاستراتيجية الجديدة في ظل الحرب الباردة.
- حرصت القوى الصليبية على إبقاء المناطق الإستراتيجية في العالم الإسلامي تحت خط الفقر دائما خاصة تلك التي تتميز بوزن سكاني كبير ومقدرات اقتصادية ضخمة بالإضافة إلى التسلط العسكري الدائم.
- عاش المسلمون ثلثي هذه المرحلة وهي قرابة ثلاثة عقود على هامش الأوضاع العالمية حيث لم تكن لهم علاقة بصناعة وتنفيذ السياسات التي حكمت العالم وأجزائه في تلك العقود.
- كان من أول مراحل تنفس المصطلحات الإسلامية ميدانيا ذلك الذي تمثل في استبسال

وقتال الجنود المصريين في حرب عام 1973م حيث ذاق المسلمون لأول مرة في تاريخهم المعاصر معنى القتال في سبيل الله تعالى.

- بدأت أول بوادر الحراك الإسلامي وصعود نجم الأداء الإسلامي يلوح في نهاية سبعينيات القرن عندما اختبر المسلمون مبادئهم لأول مرة اختبارا يتناسب والأحجام الكبيرة في الكون وكان ذلك عندما بدأ الجهاد في أفغانستان في وقت لم يكن يتصور أحد من البشر أن يجرؤ الكبار فضلا عن الصغار على التحرش بالدب الروسي وأن يقول له لا.
- وعندما اطمأن النصارى إلى فاعلية الأداء الإسلامي وتأكدوا من آثاره الميدانية على الدب الروسي غضوا الطرف عن البنية التحتية التي تمكن المسلمون أن يؤسسوها لدعم الجهاد في أفغانستان ولم يفعلوا أكثر من ذلك ولم يوفروا دعما حقيقيا للجهاد كما تزعم فلول النفاق في العالم الإسلامي بل لقد استعمل الأمريكان ميزانيات خفية لدول إسلامية في دعم الجهاد بدلا من أن يتحملوا أي شيء في هذا السبيل سوى السماح بوصول بعض سلاح الصواريخ المضادة للطائرات والمسماة (ستنجر) ولم يستخدم أي سلاح أمريكي أو اوروبي آخر في المعركة فقد كانت غنائم المجاهدين المصدر الأول لنمو الجهاد.
- تبدأ نذر الهزيمة الكبرى المدوية للاتحاد السوفيتي في أفغانستان ويكون من آثارها المبكرة السياسة الإصلاحية التي دعا لها آخر رئيس لتلك الإمبراطورية العجوز جورباتشوف أو ما يعرف بالجلاناسوست أو الشفافية ويستعد الصليبيون للاحتفال الكبير ووضع إستراتيجيتهم الجديدة للانفراد بالسلطة في العالم.
- ويقرأ النصارى في الساحة الأفغانية قراءتين هامتين وعقد الثمانينيات يقارب على الانتهاء أما القراءة الأولى فهي قرب اهتزاز وسقوط الاتحاد السوفيتي فيتهيئوا بوضع الخطوط العريضة للهيمنة الأمريكية المطلقة وأما القراءة الثانية فهي الخطورة التي تشكلها النهضة الإسلامية الحديثة والتي برغم معاناة المسلمين تمكنت من تحقيق هذا التطور العالمي الخطير.
- يتم لجم الإمبراطورية الشيعية بعد حرب عقد التسعينات ولتبدأ مرحلة من التعديلات والإصلاحات في النظام الشيعي، ومن جهته يخرج النظام البعثي العراقي منتصرا ملوحا بقوته مطالبا بسداد ودفع فواتير دوره الذي كلف به ولكن الأوامر الصليبية تصدر بعدم الدفع وضرورة الانتظار.
- ويتهاوى الاتحاد السوفيتي مخلفا ملكا عالميا مهلهلا وأتباعا تقطعت بهم السبل وفراغا كبيرا في النظام الدولي فكان لا بد من فعل شيء يمنع المغامرين من استثمار ذلك الفراغ ولا بد من تدشين العهد الجديد باستعراض للقوة يليق بهذا التحول فكان أن وقع الاختيار على أحد أغبى العبيد وهو النظام البعثي العراقي والذي استجاب للإغراءات دون أن

يبصر الهاوية التي ينحدر إليها فكان غزو الكويت وهكذا سقط بقية العبيد في اللعبة التي لم تنته فصولا.

ملامح المرحلة الرابعة:

مرحلة التحول الثانية في النظام الدولي منذ 1991 وحتى 2001

وفي هذه المرحلة يمكننا أن نلاحظ الملامح التالية:

- تقدم الأمريكان ببطء وحذر نحو هدم النظام الدولي والتخلص من مخلفات مرحلة الحرب الباردة واستثمار الغباء البعثي العراقي لتحقيق أكبر الخطوات في تجاوز ذلك النظام والتظاهر بالاستظلال بالأمم المتحدة لتنفيذ تلك الخطوة.
- الحرص الأمريكي الكبير على التقدم بالأجندة الصليبية العالمية وتمثيل الأمم النصرانية عبر استخدام حرب الخليج الثانية حيث جاءت كل الرايات النصرانية تحت الراية الأمريكية.
- حرص الأمريكان على عدم استثارة المسلمين في بداية عقد التسعينيات واستصحاب الأجندة الإسلامية ظاهريا عبر استخدام أزمات المسلمين كأزمة البوسنة وأزمة الشيشان.
- قضم أمريكا للحصص العالمية التقليدية لما كان يسمى بالقوى العظمى سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي خاصة في قارة إفريقيا وآسيا وقد كان القضم الأمريكي ذاك على حساب روسيا وفرنسا على وجه الخصوص والأمثلة كثيرة في الجزائر والكونغو وآسيا الوسطى وغيرها.
- تبدأ الصليبية العالمية بوضع يدها على الثروات الاقتصادية الواعدة في آسيا الوسطى خاصة الثروة البترولية من خلال رسم مسارات التنمية والتلاعب بالأوضاع السياسية وإعادة تصميمها بنفس الأدوات القديمة من الوطنية والنظام الاستخباراتي والجيش والتوازن بين القوى السياسية وإعطائها الفتات لكي تسيل الثروة إلى النصارى دون عناء ودون أن يستفيد منها أهلها بطبيعة الحال.
- استخدام أمريكا لتفوقها في المجال الاقتصادي والتكنولوجي والذي عرف في العقد الأخير من القرن العشرين بالعولمة لإضعاف الخصوم الأساسيين كروسيا والصين.
- ويسارع شيوعيو الأمس أمريكيو اليوم إلى الالتحاق بالسيد الجديد بعد سقوط سيدهم القديم فتجد أمريكا فيهم ضالتها خاصة في العالم الإسلامي والعربي فتسلمهم أجندة التغيير الفكري والتربوي والأخلاقي في وزارات التربية والإعلام وغيرها وتوكل لهم مهمة وضع العولمة سيئة الذكر موضع التنفيذ.

- وتدور كرة الثلج التطبيعية مع اليهود فتكون الاختراقات في كل الاتجاهات من المحيط إلى الخليج ففي جزيرة العرب تلتحق قطر وعُمان وعلى المحيط موريتانيا وتتوالى وفود اسرائيل على المنطقة وتتهيأ بقية المناطق للالتحاق بالركب وتحدث الاتصالات السرية ولكن تجدد الانتفاضة في فلسطين عام 1999م تفسد على المحتفلين فرحتهم.
- المساعدة الأمريكية في حلحلة الوضع الشيعي في إيران عبر توفير القبول السياسي العالمي والإقليمي للنظام الإصلاحي هناك مقابل المحافظين وعليه بدأ الجميع يتسابق إلى طهران وتؤتي تلك السياسة ثمارها عندما وقف خاتمي أول مرة مخاطبا الأمم المتحدة منوها بأنه يقبل ما يقبله الفلسطينيون في فلسطين وتتابع الآثار الإيجابية لأمريكا في قضية غزو أفغانستان وغزو العراق.
- تركت أمريكا الأجندات السياسية الإقليمية المتعارضة تعمل ذاتيا واستثمرت نتائج ذلك التعارض في النهاية كما حصل طوال التسعينيات في أفغانستان حيث تصارعت الأجندة الهندية والروسية والإيرانية مع الأجندة الباكستانية والصينية وكان الكاسب النهائي أمريكا ونفس الأمر تحقق في البلقان عندما تصارعت الأجندة الأرثوكسية ضد الأجندة الكاثوليكية في ساحة الأجندة الإسلامية المحاصرة وهي الساحة البوسنوية ثم تقدمت أمريكا لتكسب النتائج، كما كان بالإمكان ملاحظة تصارع الأجندة الأوروبية ضد الأجندة الأمريكية على الساحة البلقانية من وجه آخر.
- حاولت أمريكا تطوير إستراتيجية حضانة المشروع اليهودي وحمايته خاصة بعد التهديد الذي فرضه المجاهدون والذين جاءوا على غير ميعاد بالنسبة لليهود وكانت محاولة التطوير بعدة اتجاهات كان من أهمها نفخ الروح في النظام السياسي العروبي العتيد وإحضاره إلى إسرائيل حتى يسحب البساط من تحت أقدام المجاهدين وقد أبدى ذلك النظام استعداده الكامل لبيع القضية ووأدها ولكن الاستدراك جاء متأخرا، وكان من اتجاهات التطوير تلك فتح أبواب النظام العربي والإسلامي برمته للاختراق اليهودي وكان من اتجاهات التطوير تلك إجراء تعديلات جذرية في خارطة سايكس بيكو العتيدة والتي بدأت بحرب الخليج الثانية وتقدمت كثيرا بحرب الخليج الثالثة والاتجاه يمضي نحو خلخلة دول الطوق استراتيجيا.
- محاولة إنعاش الدور التركي الأتاتوركي العتيد واستثماره في صنع المعادلة الجديدة في المنطقة عبر عدة اتجاهات ومنها التحالف التركي الإسرائيلي وتنفيذ الخنق المائي لسوريا والعراق وخدمة تركيا للأجندة الأمريكية في المنطقة في آسيا الوسطى وفي العراق.
- كشفت أمريكا اللثام عن رؤيتها في إيقاف المد الإسلامي عبر الإعلان عن حشد من الإجراءات لمواجهة الإرهاب كما تدعي عام 1996 في مؤتمر شرم الشيخ بمصر وذلك

عندما تمكن المجاهدون من تطوير أدائهم في فلسطين وألحقت بذلك قائمة من الأوامر لتجفيف منابع العمل الإسلامي في مجالات عدة.

- يعتبر نجاح الهندوس في تفجير القنبلة النووية بنهاية عقد التسعينيات من القرن العشرين بمثابة إضافة خطيرة للنظام الكفري في العالم والتي جاءت بمساعدة يهودية في المقام الأول لكي تقف أمام أي تطور في الموقف عند المسلمين في باكستان ولكن هذه الإضافة لن تمكن الهندوس من لعب دور عالمي لأنه قد انقضى عهد فريق العمالقة وجاء العهد الأمريكي.
- التحاق كل كفار العالم بالأجندة الأمريكية والاستظلال بها في محاربة الإرهاب وذلك في سعي حثيث نحو منع المسلمين من الوصول إلى أي حقوق يتمتع بها غيرهم في العالم.

ملامح المرحلة الخامسة:

مرحلة الإمبراطورية الأمريكية منذ 2001 وحتى يومنا هذا

وفي هذه المرحلة يمكننا أن نلاحظ الملامح التالية:

- إنه مهما اختلف الناس حول 11 سبتمبر فإن أوضح ما فيها أنها جاءت متساوقة مع الرغبة الأمريكية العارمة والخطة الإستراتيجية الجامحة لتسلم زمام السيطرة على العالم ولكي توفر خدمة جليلة للآمال الصليبية اليهودية المشتركة.
- لم تكن أمريكا بحاجة إلى 11 سبتمبر إلا في مجال التسريع بوضع استراتيجيتها الكلية قيد التنفيذ الكلي وإلا فقد أسست أمريكا لتلك الإستراتيجية قبيل غياب شمس الاتحاد السوفييتي بنهاية الثمانينيات من القرن العشرين.
- أخرجت أمريكا في هذه المرحلة كل ما في جعبتها من حيث استهداف إستراتيجيتها الجديدة لأمرين رئيسيين أما الأول فهو الاستئساد وكسر النظام العالمي نهائيا وأما الثاني فهو استهداف المسلمين ومنع أي فرصة لنهضتهم وحصولهم على حقوقهم واستقلالهم الحقيقي.
- فتحت أمريكا الباب لكل اتجاهات المرونة والقابلية لخدمة إستراتيجيتها العالمية ومنها تدشين تجمع الراغبين لخدمتها وما أكثرهم ومنها الدفع باتجاه تجديد النظم السياسية في المنطقة الإسلامية لضمان خدمة أكيدة ومتطورة لاستراتجيتها ومنها القبول بألوان إسلامية ظاهرة تحمل قلوبا أمريكية وهكذا.
- جددت أمريكا الاستعمار العسكري المباشر وزينته بكل الألوان المتاحة لقبوله في القرن الجديد.
- تفوقت الأجندة اليهودية على الأجندة الأمريكية نفسها وهذا ما يفسر تدمير التحرك

الأمريكي على الأرض للصورة الأمريكية العالمية في بعض الأحيان.

- صعد مؤشر الإعجاب الأمريكي بالذات والتفوق على شعوب العالم خاصة بعد النجاح الأولي الذي تحقق في العراق على حزب البعث الربيب الأمريكي السابق ولا تزال أمريكا تسجل زيادة في الغرور يوما بعد يوم.
- سجلت شعوب العالم وعلى اختلاف أديانها ومذاهبها أعلى درجة من الشجب والرفض عرفه العالم المعاصر ضد الهجوم الأمريكي على العراق مما يسهم في تشكل صورة محددة لعلاقة أمريكا بتلك الشعوب في المرحلة التاريخية القادمة.

● ثانيا: مسار المشروع الإسلامي خلال القرن

ويمكننا أن نقسم مسار المشروع الإسلامي خلال القرن العشرين إلى ست مراحل: وهي

المرحلة الأولى: مرحلة البناء النظري والانطلاقة التطبيقية الأولى.
من عام 1928 وحتى 1948

المرحلة الثانية: مرحلة الصدام الأول ثم المصادرة والسحق.
من عام 1949 وحتى 1966

المرحلة الثالثة: مرحلة النهضة الثانية والانتشار العالمي.
من عام 1967 وحتى 1979

المرحلة الرابعة: مرحلة الصدام الثاني وكسر النظام العالمي.
من عام 1980 وحتى 1990

المرحلة الخامسة: مرحلة الاختلاط والرمادية أمام النظام العالمي الجديد.
من عام 1991 وحتى 2001

المرحلة السادسة: مرحلة وضوح الاستهداف الأمريكي المباشر للنهضة الإسلامية المعاصرة.
من 2001 وحتى يومنا هذا.

وسوف أشرح أهم الملامح لكل مرحلة من تلك المراحل الست.

ملامح المرحلة الأولى:

مرحلة البناء النظري والانطلاقة التطبيقية الأولى من عام 1928 وحتى1948

وتبدأ هذه المرحلة بتأسيس المشروع الإسلامي وتنتهي بإعلان قيام إسرائيل وفيها الملامح التالية:

- قصر المدة التي استجابت فيه الأمة الإسلامية لأخطر تحد فرض عليها وهو إلغاء الخلافة الإسلامية فقد أجاب الإمام البنا بعد قرابة خمس سنين فقط من إعلان مصطفى كمال اليهودي إلغاء الخلافة بتأسيس جماعة الإخوان المسلمين وحدد معالم المشروع الإسلامي من خلال السقف الذي وضعه وهو عودة الخلافة ومن خلال توصيف البنية التحتية للمشروع والتي تتمثل في إعادة بناء الجيل والانتشار العالمي وتكامل الأمة إلى غير ذلك من مواصفات المشروع.
- اعتماد المشروع على المنهج الإسلامي بحذافيره دون نقص أو زيادة مع طرح اجتهاد محدد للتعامل مع الحالة الإسلامية التي تقبع فيها الأمة المسلمة وكذلك التعامل مع بقية الأمم الكافرة.
- استيعاب المشروع لكل أدوات الصراع من تنظيم محكم وتخطيط وسياسة وجهاد وغيرها.
- استلهام المشروع لطبيعة التحولات الحضارية في العالم والتعامل مع تلك التحولات بروح منفتحة وقادرة على الاستيعاب دون الاستجابة للإملاءات الكفرية المصاحبة لتلك التحولات الحضارية.
- نجاح المؤسس في التطبيق العملي لأغلب ما دعا إليه المشروع وبأداء نموذجي في إطار الإعداد والتربية وفي إطار العلم الشرعي والتعامل مع مستجدات الحياة في مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والإدارة المؤسسية وغيره.
- وضع النظام التربوي الدقيق لإعادة تنشئة الجيل الإسلامي على المفاهيم الإسلامية والتطبيق في الالتزام وتحمل تبعات الأداء الجماعي.
- استيعاب دور المرأة المسلمة في الحياة الإسلامية عبر إعادة تربيتها وإعدادها حتى تكون مهيأة لخوض الصراع وليس لمجرد الإسناد.
- الأداء السياسي المرن المتمثل في القبول المرحلي بالدستور والقانون والترشح للانتخابات وغير ذلك من التطبيقات العملية التي زخرت بها هذه المرحلة.
- وضع نواة الاتصال العالمي بقيادات وعلماء الأمة في كل مكان وتركيز الاهتمام على قضاياها الساخنة من إندونيسيا إلى الجزائر.
- منافسة مشاريع الكفر عبر الاهتمام بالإعلام وبالتخطيط والإدارة والتنظيم الدقيق المحكم ووضع أسس الأداء الحزبي الجماعي وتطبيق مفردات هذا الأداء كتداول القيادة والانتخابات والشورى الملزمة والجندية والسمع والطاعة إلى غير ذلك.

ملامح المرحلة الثانية:

مرحلة الصدام الأول ثم المصادرة والسحق من عام1949 وحتى 1966

وتبدأ هذه المرحلة بدخول المجاهدين فلسطين وتنتهي بإعدام النظام الناصري للشهيد سيد قطب وفيها الملامح التالية:

- النجاح في أول اختبار لأخطر مفردات المشروع وهو الجهاد في سبيل الله حيث لم يتردد الإمام البنا في اغتنام الفرصة لتثبيت هذا الركن الركين حيث تجاوب مع الظروف التي تتطلبها المرحلة لأنه قدر رحمه الله بأن هذا النوع من الأداء خاصة فيما يتعلق بالمقدسات وإن لم يكن له نتائج إيجابية مباشرة على المرحلة لكنه ينتمي إلى الرؤية الاستراتيجية بعيدة المدى بحيث يختمر البعد الجهادي في المشروع ويكون قابلا للتطور في أي مرحلة تالية ولو أنه نكص لا سمح الله عن تطبيق هذه المفردة لكان المشروع الآن في طي النسيان.
- تم تشغيل النظام البديل الجديد المسمى زورا وبهتانا بالعربي لأول مرة من قبل المشروع الصليبي ولم يشأ الصليبيون أن يصطدموا مباشرة بالمجاهدين حتى لا يولد لهم مليون صلاح الدين في فلسطين، وقام النظام العربي الوليد بدوره شر قيام وصادر أسلحة المجاهدين في فلسطين ووضعهم في الأسر كالحيوانات مع العلم بأن ذلك النظام لم تنبت له أسنان بعد فالقائد العام لجيوشه جلوب باشا الصليبي الإنجليزي، وأدرك الإمام البنا طبيعة الانغلاق في الموقف وأنه لا يمكن أن يأمر المجاهدين بإطلاق النار على المسلمين واكتفى بأن سجل موقفه الرائد ولقن اليهود درسا لن ينسوه. وفي هذا يقول السياسي المصري القبطي مكرم عبيد باشا في صحيفة الكتلة الصادرة في 1949/9/3: «مائة وأربعون من متطوعي الإخوان المنضمين إلى قوات الجامعة العربية لإنقاذ فلسطين دخلوا أرض الميعاد قبل دخول الجيوش العربية ببضعة أشهر تولوا خلالها حماية كل شبر من قرى العرب وأراضيهم في جبهة تمتد شمالا من رفح إلى المجدل أي أكثر من سبعين كيلومتر، حتى إذا وثبت جيوشنا البواسل كانوا هم الفدائيين في المقدمة، سل قادة الجيش وحماة القدس من حمل إلى أبطال الفالوجة المؤن والإمداد -وهم محاصرون- غير هؤلاء؟ وكان اليهود يطلقون عليهم شياطين النقب. هؤلاء تصدر الأوامر باعتقالهم وحجزهم بالعريش أحد المعتقلات، ومضى عليهم وهم في تعذيبهم أكثر من سبعة أشهر يعاملون معاملة أقل ما توصف أنها معاملة حيوانات».(انتهى) نقلا عن كتاب الحركة الإسلامية وقضية فلسطين - زياد أبوغنيمة-الطبعة الأولى 1985-دار الفرقان -عمان - ص 133
- لم يجد الصليبيون أسلوبا لكي يتعاملوا به مع المؤسس الذي أفسد عليهم مسرحيتهم والتي كانت تقضي بتسلم اليهود لفلسطين دون أدنى تعكير فكان اكتشافهم لهذا التطور

صاعقا ولذا كان ردهم هو قتل المؤسس رحمه الله تعالى وبأيدي استخباراتية مصرية ومن ذلك اليوم فهمت الأمة أن أجهزة الاستخبارات في بلاد المسلمين تشكل جزءا أساسيا من المشروع الصليبي في الأمة بل هو مشروع قرمطي في ثوب صليبي.

- الاستبدال السريع الذي قام به المشروع الصليبي من الملكية إلى الثورية حتى تتغير الصورة ولا يستفيد الإخوان من الفراغات الموجودة في الحكم الملكي وعليه تم إسناد الأمر إلى العسكريين المتعطشين للسلطة والتي لم يحلموا بها يوما فكانوا ملكيين أكثر من الملك نفسه.
- مر المشروع الإسلامي بمرحلة من المساومة والتبريد ريثما يتغير الوضع السياسي العام وتقع مصر في يد أتاتورك المصري حيث إن المسرحية ليست جديدة فقد تم تمثيلها في تركيا من قبل واشتغلت الدعاية وتقبلتها الشعوب على أنها انتصار لإرادتها والصليبيون يفركون أيديهم فرحا بإنجازهم التاريخي الأسطوري.
- يولد المشروع العروبي الثوري المناقض للمشروع الإسلامي وتدور تروسه طاحنة مكونات الأمة المسلمة في الشعب المصري في المرحلة الأولى وفي العرب عموما في المرحلة الثانية فتتكس أعلام الأزهر ويشوه رجاله ويقدمون في المسرحيات وهم يشربون الخمر استهزاء وتحقيرا وتصرف جوائز الدولة الأولى للراقصات والمغنيات وتغل المساجد ويلاحق المصلون وتفتح الخمارات في كل زاوية ويهتف العرب لهبل العرب الجديد كما هتف الأتراك لهبلهم أتاتورك.
- ويتجدد بلال وعمار وأصحاب الأخدود فيثبتون ثبات الجبال الرواسي ليس معهم من شيء يخيف المشروع العروبي سوى استقلالهم واحتفاظهم بنواة المشروع المزروعة في صدورهم راضين بما قسم الله لهم مؤدين واجبهم الجهادي في تجديد تاريخ أمة الإسلام.
- ويتجدد الأبطال خارج السجن عندما يحتاج المشروع إلى وقفة تاريخية صادقة أمام محاولات إلغاء الدين من واقع الأمة واستبداله باشتراكية الضلال فينتصب العملاق سيد قطب رحمه الله ملتحقا بركب الشهداء راضيا مطمئنا وتفعل كلماته فعل السحر ليس في العالم العربي وحده وإنما تتجاوز العالم العربي لتصل إلى الشعوب المسلمة خلف الستار الحديدي الشيوعي.
- ويخرج المهاجرون فارين بدينهم ودعوتهم فيقذف الله تعالى بهم بذور الدعوة والمشروع الإسلامي إلى أقصى الأرض فتنمو في الشام والعراق واليمن والخليج والسودان ثم في أوروبا وغيرها.
- في هذا الوقت تنبت المشاريع الإسلامية في مواقع مختلفة في الأمة فيكون نموها في

جناحين هامين الجناح الأول في شبه القارة الهندية حيث ينتصب المجدد أبو الأعلى المودودي فتدوي كلماته وتتأسس الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية، ويظهر نجم الدين أربكان بنهاية الستينيات في تركيا محييا الرؤى الإسلامية في أخطر بقاع المسلمين المحروسة بقوى العلمانية العاتية.

- وتموج الفتنة فتؤثر على الصف المسلم وتطل بذرة الفكر التكفيري من داخل السجون في مصر عند بعض العناصر نتيجة التعذيب الشديد الذي وقع على الدعاة، ونتيجة لبرامج غسيل المخ التي سلطت على المساجين والتي كانت تهدف إلى ضرب توازن الأداء عند الدعاة فقام مرشد الإخوان حسن الهضيبي بمحاصرة هذا التطور وتم وأده في منبته إلا مجموعة صغيرة تابعت تبني هذه المسألة.

ملامح المرحلة الثالثة:

مرحلة النهضة الثانية والانتشار العالمي من عام 1967 وحتى 1979

وتبدأ هذه المرحلة بهزيمة النظام الناصري العروبي وتنتهي بقتل السادات وفيها الملامح التالية:

- يستيقظ العرب والمسلمون على أخطر تطور في تاريخهم منذ الفتوح الإسلامية الأولى عندما استلم عمر رضي الله عنه مفاتيح بيت المقدس ومنذ تحريرها على يد صلاح الدين فإذا بأقدام اليهود الجبناء النجسة تطأ مسجد المسلمين وقبلتهم الأولى كأحد أخطر نتائج حرب الأيام الستة.
- ويسقط المشروع العروبي الجاهلي على وقع أقدام اليهود ويمرغ صلف هبل العرب بالتراب، ويعالج حكام المسلمين الموقف بالاجتماعات والمؤتمرات والأمة تشاهد.
- تنجلي المرحلة عن رفض للمشاريع الاشتراكية والعروبية وتبدأ النظم تتمسح بالدين وتظهر علاقتها به وتقود مصر هذا التحول الشكلي ويتابعها على ذلك عدد من الأنظمة.
- يعاود قادة المشروع في مصر مواصلة طريقهم ويخرجون من السجن أشد مضاء وعزيمة مع تأثرهم بمرحلة الأذى وخوفهم أن تعاد المسرحية على أجيال أخرى.
- يعتني قادة العمل الإسلامي بتنقية الأجواء الفكرية والعلمية مما لحق بها من المشاريع السابقة ويحققون في ذلك إنجازات واسعة ويسترجعون المصطلحات الإسلامية وينتصب في هذا السبيل المرحوم محمد الغزالي والشيخ يوسف القرضاوي وغيرهم.
- تتسع دائرة المشاركة العلمية من قبل علماء الأمة وقادة الحركة الإسلامية وتنشط حركة الترجمة والنشر في العواصم التالية: القاهرة، بيروت، الكويت، عمان.
- تنشط الجامعات وتلتحق بالعمل الإسلامي قطاعات واسعة من الطلبة والطالبات في

معظم المواقع وبالخصوص في العالم العربي.

- يتأسس العمل الإسلامي في أوروبا وأمريكا وتنشط مؤسساته.
- تتأسس الحركات الإسلامية الأخرى في هذه المرحلة وتنشط وأهمها الجماعات السلفية والجهاد.
- تتخلل المرحلة في بداية السبعينيات بعض محاولات الاصطدام المحدودة بالنظم الحاكمة كان من أهمها حركة صالح سرية في الكلية الفنية العسكرية في مصر ويعدم قادة المحاولة، ومحاولة أخرى في أقصى المغرب العربي والتي سقطت في المكر الاستخباراتي مبكرا وهي مجموعة عبدالكريم مطيع أو ما عرف بالشبيبة الإسلامية في المغرب حيث اتهمت بقتل شيوعي معروف فلبث شبابها في السجن خمسة وعشرين عاما أو يزيد.
- يقترب بعض قادة العمل الإسلامي من الملك فيصل رحمه الله في السعودية فيكون من أثر ذلك التأثير على النظام التعليمي خصوصا في الجامعات والمناهج في التعليم ومن أهم من قاد ذلك التأثير الشيخ محمد محمود الصواف العراقي رحمه الله تعالى وغيره من العلماء والمشايخ.
- تقع المنطقة تحت ضغط حلحلة الموقف بين العرب واسرائيل في 1973ويظهر المعدن الإسلامي للجندي المصري، ويتجرأ الملك فيصل رحمه الله على قطع البترول عن الغرب ويتبعه الشيخ زايد في الإمارات فيكون جزاء الأول القتل من خلال دوائر الماسونية القريبة منه.
- تتضح استراتيجية الصليبين بضرورة هضم وقبول اسرائيل ضمن تركيبة المنطقة العربية، ويكون بطل المسرحية الرئيس المصري أنور السادات الذي يفاجئ المسلمين بوصوله إلى تل أبيب، فتقف الحركة الإسلامية ضد المشروع برمته.
- يتجرأ أحد أجنحة العمل الإسلامي وهم جماعة الجهاد فيقتلون الرئيس المصري ردا على دوره الخياني للأمة المسلمة وتسليمه النهائي بهيمنة اليهود على المقدسات.
- ينداح العمل الإسلامي التربوي ويستوعب أعدادا كبيرة خاصة في قطاع الطلاب في بلدان كثيرة كالجزائر واليمن والسودان والأردن وباكستان وغيرها.
- تبدأ أول التجارب في المجال الاقتصادي فيؤسس أول بنك إسلامي في العالم بجهود الدكتور عيسى عبده رحمه الله تعالى في الإمارات وهو بنك دبي الإسلامي لتسجل أول حركة عملية في الاعتراض على الربا الذي عم العالم الإسلامي كتبعية للنظام العالمي.
- ينشط الإعلام الإسلامي الملتزم مقابل الإعلام العلماني المهيمن على ساحات المسلمين وتبرز المجلات الإسلامية الرائدة وهي مجلة المجتمع الكويتية ومجلة الإصلاح الإماراتية ومجلة الأمان اللبنانية ومجلة الدعوة المصرية ومجلة إمباكت اللندنية وغيرها.

ملامح المرحلة الرابعة:

مرحلة الصدام الثاني وانكسار النظام العالمي من عام 1980 وحتى 1990

وتبدأ هذه المرحلة بإعلان الجهاد في أفغانستان وتنتهي بسقوط الاتحاد السوفيتي وفيها الملامح التالية:

- ومن أعجب ما جرت به المقادير في هذه المرحلة هو أن يتوافق افتتاح القرن الخامس عشر الميلادي مع أهم تحول في مسار المشروع الإسلامي ذلك التحول الذي لم يحسب له أحد حسابا وهو بدء الجهاد في أفغانستان ضد الاتحاد السوفييتي والذي أشعله مشايخ وأساتذة أفغان بتشجيع وتجاوب من قيادات الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية في باكستان علما بأن المسوغات التي دخل بها المجاهدون المعركة لم تكن لتتفق مع كل الحسابات البشرية ولا إمكانات المجاهدين لتوازي أحد أخطر القوى العالمية يومها لكنه إذن الله عز وجل لتبدأ سلسلة نقض النظام العالمي.
- تصاب الحركة الإسلامية بالتململ نتيجة لاستشراء الفساد العقدي والأخلاقي في الأمة فتبدأ أول محاولات التغيير بالقوة ورفع راية الجهاد ويكون من أبرز مشاريع تلك المرحلة مشروع الإخوان المسلمين الجهادي في سوريا في بداية الثمانينيات ضد النصيرية البعثية الحاكمة والتي ذهبت في إفساد الأمة كل مذهب ويفشل المشروع لأسباب كثيرة منها إجماع كل القوى العالمية والإقليمية على منع وقوع تغيير في تلك البقعة الحساسة بجانب اليهود إضافة إلى أسباب أخرى، كما تحرك الدعاة في اليمن عام 1979م فوقفوا وقفة جهادية مشرفة ضد الشيوعية المتسللة إلى الشمال فبذروا بذلك أول بذرة في هدم الدولة الشيوعية الجنوبية القابعة في خاصرة مكة.
- تقع أحد أهم التحولات في تاريخ الأقلية الشيعية في الأمة المسلمة وهو سقوط شاه إيران ودخول الخميني منتصرا قادما من فرنسا مباشرة ليرث العرش الشاهنشاهي، وتبدأ التجربة الشيعية المعاصرة التي ما لبثت أن اصطدمت بالبعث العراقي الذي تم تحريكه لأسباب كثيرة منها لجم الدولة الشيعية التي باتت تهدد بتصدير الثورة ومنها إبقاء المنطقة في استنزاف دائم ومنها تدوير عجلة اقتصاد الغرب فكان أن استجابت نظم المنطقة كلها للإشارة الصليبية وتم التمويل ودارت رحى الحرب لتأكل الأخضر واليابس ولتتجدد الضغائن التاريخية بين السنة والشيعة وتحييها فكأنها لم تنطفئ يوما.
- تتمكن الحركة الإسلامية من تأسيس بنية تحتية خاصة بدعم الجهاد في أفغانستان منها الهيئات الخيرية التي أنشئت لهذا الغرض ومنها تطوير الأداء الإعلامي المصاحب للجهاد ومنها الأداء السياسي والعلاقات العالمية للحركة الإسلامية.
- يقفز اليهود قفزتهم التاريخية في لبنان عام 1982م ويتوفر لهم الدعم الصليبي الكامل

عسكريا وسياسيا ويتم تشتيت المنظمات الفلسطينية العلمانية والتي تم تطويعها بعد ذلك باتجاهات جديدة عندما حانت الحاجة لها، ويتجرأ المسلمون في لبنان على مواجهة الاجتياح اليهودي والتمركز الأمريكي الداعم له فيكون ذلك خميرة مبكرة للمستقبل الجهادي القادم.

- تمر الأيام بطيئة شديدة على المجاهدين في أفغانستان ولا معين لهم بعد الله إلا إخوانهم، وعندما تبدأ بشائر النصر الأولى في منتصف الثمانينيات يتحول الموقف الصليبي العالمي بقيادة أمريكا ويأمل بتحول أفغانستان إلى فيتنام الاتحاد السوفيتي وتغض أمريكا العين عن دعم الجهاد فتصدر الإشارة للنظم بالتعاون المحدود مع المجاهدين وعلى استحياء وتوفير بعض الدعم الخلفي فقط والسماح بوصول بعض الأسلحة وكان من أهمها صواريخ ستنجر المضادة للطائرات، ويتعاون النظام الباكستاني والنظام السعودي في هذا الشأن وتتلاقى مكونات ومكنونات هذين البلدين المسلمين مع الغطاء الرسمي الذي تم توفيره للمجاهدين.
- وتضع الاستخبارات الصليبية خطوطها الحمراء في التعامل مع هذه القضية وكان من أهم تلك الخطوط: هو أن لا يسمح بأي حال من الأحوال بترك المجاهدين لكي يجمعوا أمرهم على رجل مستقل كما لا بد من إبقاء الخلاف بينهم على أشده ريثما ينتهوا من مهمتهم وبذلك تضيع على المجاهدين أفضل الفرص للاتفاق ورص الصفوف وتبذر بذور الفتنة بينهم مبكرا.
- وتضعف قدرة الحركة الإسلامية بأجنحتها المختلفة على التأثير تدريجيا في توجيه قادة الجهاد الأفغاني خاصة عندما لم يجمع الإخوان المسلمون والجماعة الإسلامية في باكستان على رؤى واحدة فتتبنى كل واحدة من الجماعتين قائدا أفغانيا خاصا بها.
- ويواصل نجم الدين أربكان معركته سجالا حيث يصل في عام 1980 إلى تحقيق نصر مستحق في العمل الديمقراطي فيتصدى له الجنرالات ويقوم كنعان ايفرين بانقلابه العسكري ويلغي الحياة البرلمانية لتبدأ سلسلة من التضييق والتجديد للنظام الاتاتوركي المهترئ.
- وتتحسن أوضاع الجماعة الإسلامية في باكستان نسبيا باستلام الجنرال ضياء الحق الحكم هناك ولكن وفق الأجندة الصليبية وأولوياتها في التعامل مع الجهاد في أفغانستان ويقتل ضياء الحق بأسراره ويسرق نواز شريف جهود الجماعة الإسلامية في المرحلة التالية لتستمر معاناتها.
- يتجدد الجهاد في كل من كشمير ضد الدولة الهندوسية والفلبين ضد الدولة الصليبية فيسهم هذا التجديد في رسم صورة الأداء الإسلامي والذي استصحب الجهاد كأحد أهم

المعالم خلال عقدي الثمانينات والتسعينيات.

- وتتطور الاجتهادات في مجال العمل الإسلامي ويتمكن الإسلاميون من تحقيق بعض الاختراقات البرلمانية الهامة في مواقع مختلفة من باكستان إلى الكويت إلى لبنان والأردن وغيرها وتتوالى الآمال في إمكانية تحقيق إصلاح من خلال الحياة البرلمانية والإقرار بالوضع الدستوري على علاته.
- ينطلق الدعاة بشكل لا مركزي في العالم لينوعوا التجارب الدعوية وليتحملوا تبعات اجتهادهم كل في منطقته مما أثرى العمل الإسلامي العالمي وأوجد ثروة فقهية تطبيقية في كثير من المجالات.
- تتداح دائرة المشروع الإسلامي في عقد الثمانينيات لتصل مواقع جديدة كجنوب شرق آسيا ومواقع من إفريقيا بل وتغزو الاتحاد السوفييتي بصمت.
- يتأسس العمل الجهادي في فلسطين على يد شيخ مشلول ليكون أكبر تحول في تاريخ المشروع الإسلامي والذي وفر جوابا كان مستعصيا حول فلسطين ضمن مفردات المشروع الإسلامي الأساسية ثم تنطلق الانتفاضة في فلسطين لتشكل أملا للأمة من مشرقها إلى مغربها.
- تتمكن الحركة الإسلامية في السودان بقيادة الشيخ حسن الترابي من تحقيق تحول هام غير مسبوق على المستوى العالمي باستخدام النظرية التغيرية العتيقة وهي الانقلاب العسكري وإعلان حكم إسلامي لإنقاذ الوضع في تلك البلاد والتي كانت قاب قوسين أو أدنى من التفتت والانهيار.

ملامح المرحلة الخامسة:
مرحلة الاختلاط والرمادية أمام النظام العالمي الجديد
من عام 1991 وحتى 2001

وتبدأ هذه المرحلة بالغزوة الأمريكي للجزيرة العربية وتنتهي بحادث 11 سبتمبر وفيها الملامح التالية:

- تبدأ أول بوادر التنازع في النظر المصلحي بين أجنحة الحركات الإسلامية عندما تجتاح جيوش الصليبية العالمية الجزيرة العربية عام 1991م بناء على المسرحية البعثية الهزلية وبذلك الخلاف يتبين مدى خطورة التهديد الذي تفرضه المشاريع الوطنية والمرجعيات الوطنية على المشروع الإسلامي عندما يضعها الدعاة كأحد المستلزمات الأساسية لتقدير المصلحة الدعوية.
- كما اتضح بذلك الاجتياح حاجة المشروع الإسلامي إلى التجديد ولملمة الشعث الإسلامي

المنقسم بين الجماعات الإسلامية والتجارب الميدانية المختلفة خاصة بعد أن تطاول العهد على المقولات الاجتهادية الخاصة بإدارة المشروع منذ بداية السبعينيات.

- كما اتضح بحرب الخليج الثانية مدى النقص الإستراتيجي في تصورات العمل الإسلامي تجاه التطورات الدولية وكيفية التعامل معها.
- يستمر الاندفاع الدعوي والجهادي الذي بدأ في عقد الثمانينيات لكي يستكمل أدواره في عقد التسعينيات ويكون من ذلك اتساع التجارب الدعوية في العالم والتي تعضد بتجارب جهادية في مواقع مختلفة من العالم.
- يتأثر المشروع الإسلامي بالفراغات التي خلفها سقوط الاتحاد السوفيتي تأثرا إيجابيا فتنشط بؤر الجهاد كما لم يحدث من قبل في الفلبين وكشمير وطاجكستان وإرتريا والبوسنة والشيشان وفلسطين بطبيعة الحال مما أنبأ بمستقبل خطير بالنسبة للمشروع الصليبي واليهودي.
- تتسارع خطى التغيير والتحول في العالم وتتهاوى النظم السياسية والتي كانت تدور في فلك الشيوعية العالمية أو تلك التي نخر فيها الفساد ويستثمر المسلمون ذلك الانهيار في الجزائر واليمن والصومال وإندونيسيا ونيجيريا وغيرها.
- وتقلق الصليبية العالمية من استقرار النظام الإسلامي في السودان فتأمر أتباعها بالتعرض له وينشب الجهاد في جنوبه مسطرا أروع النماذج المعاصرة في الشهادة والاستبسال وتطبق أمريكا في السودان أول بوادر سياستها العالمية الجديدة وهي توجيه الضربات الجوية وبقرار منفرد وتزداد الضغوط على السودان فينعكس ذلك على قيادات المشروع في السودان فيختلفون على خطوط إستراتيجية إدارة الدولة في ظل المعطيات العالمية ويحدث الانقسام الداخلي ويلعب نظام الحكم بكل الأوراق المتاحة له لتفادي الاصطدام بأمريكا ويبقى مستقبل المشروع رهنا بإدارة أهله ومزاج السيد الأمريكي وأولوياته ضمن الهيمنة المباشرة في المنطقة العربية.
- وتتحول ساحات المسلمين من الشرق إلى الغرب إلى مواقع لتنفيذ الإستراتيجيات العالمية وصراعها ويؤدي ذلك إلى نتائج إيجابية للمشروع الإسلامي ومن أهمها اكتشاف العداء الحقيقي للنصارى على اختلاف مللهم ومنها اكتشاف المسلمين لقدراتهم في مواجهة عدوهم فها هي الصومال عام 1992م ومع محدودية أوضاعها تلقن الأمريكان درسا بالغ القساوة في وقت أراد فيه الأمريكان أن يتسلوا بالصوماليين على هامش صعودهم العالمي الجديد فيؤدي الموقف الصومالي إلى هروب مدوي للأمريكان.
- كان احتفال المسلمين بدخولهم كابل عام 1994مدويا ومذكرا بتاريخ مجيد لم يذوقوا طعمه لفترة طويلة من الدهر لكنهم كانوا ملغمين بألغام جديدة نقلوها معهم من بيشاور

يوم عملت المخابرات في أوساطهم، وهكذا بدأ مسلسل التنازع وتدخلت القوى الإقليمية لصناعة الواقع الجديد في كابل ولكل أجندته لكن أجندة السيد الأمريكي فوق كل الأجندات تلك التي تقضي بمسح الآثار العملية والمعنوية والتي خلفها الجهاد الأفغاني في المسلمين.

- وبين تلك الاهتمامات العالمية والإقليمية كان اهتمام الجماعات الإسلامية لا يرقى إلى مستوى التحدي فلم تكن بعض الجماعات الإسلامية ترى في فتح كابل إلا خلافها مع الأجنحة الإسلامية الأخرى وتقلق من أن يحسب هذا التطور لصالح جماعة معينة وآخرون قد تعلقوا بقيادات محددة من قيادات الجهاد الأفغاني ويقيسون النجاح بتسلم أولئك القادة لزمام الأمور وهكذا أضاع المسلمون نتائج جهاد معاصر استمر أكثر من قرن وحقق أخطر النتائج العالمية.
- وتدور رحى الحرب طاحنة ضروس في أفغانستان بين إخوان الأمس أعداء اليوم ويستحل الدم المسلم بين المسلمين أنفسهم والعدو يضحك بملء فيه، ويستعين الفرقاء بكل من يلقي لهم حبلا فهؤلاء يتصلون بروسيا العدو العتيد وهؤلاء بإيران وهؤلاء يستنجدون بباكستان.
- وهنا يتشكل فريق جديد خارج إطار الجميع وهم طلبة العلم الذين يتجمعون في قندهار والذين يتأففون لما يقوم به المجاهدون السابقون من فساد وتضييع الدولة المسلمة فيعزمون على استرجاعها منهم وبغض النظر عن الجهة التي أطلقت الشرارة الأولى لهذا التحرك فقد انطلقت رحى الحرب ضارية من جديد بين المسلمين، وبقية القصة معروفة حيث لم تقبل الفئة الجديدة بعد انتصارها أن تستوعب المطلوب منها فهي لم تقبل أن تنضوي ضمن النظام الجديد فجاء دور إبعادها ولكن بيد السيد الصليبي مباشرة هذه المرة حتى لا يتطلع المسلمون إلى أي درجة من الاستقلال عن الصليب.
- وتتعجل الجزائر المسلمة الخروج من ربقة الشيوعية التي قيدتها وأهلكتها دهورا ويتشظى النظام الجزائري الحاكم وترتعد فرائص فرنسا من تلك التحولات فتبحث في كل دفاترها القديمة للجم المارد وتتهيأ أمريكا لاقتناص الفرصة لوراثة فرنسا في إفريقيا فتموج البلاد ويحاول الإسلاميون أن ينسقوا مواقفهم عبر مجلس أعلى للمشايخ وقادة الحركات الإسلامية ولكن الرؤى متشعبة وحمى التنافس تتحكم في الموقف بسبب أصل الاجتهاد الذي شكل الحركات الإسلامية والذي استبعد التعاون والتفاهم فضلا عن الاتحاد والتجمع، فلا فرق كبير عند بعض الاجتهادات بين الحركات الإسلامية المنافسة وبين العلمانيين والشيوعيين إلا قليل، ويسقط المشروع في أحابيل الجنرالات وما بقي من شياطين الدعاية الشيوعية الذين يجيدون خلط الأوراق فتنزلق البلاد وتتصدر الصور

المرعبة المتفنن في إخراجها فمسلم يصوم في رمضان عن الطعام والماء ويفطر على دماء الأطفال المسلمين! ويتطلع البعض إلى فرنسا لعلها تسهم في حل المشكل الجزائري ويزداد الفشل والتخبط.

- تصدر الأوامر الصليبية لتجديد أعتى النظم الصليبية الفرنسية البالية وهو النظام العلماني في تونس ويعمل النظام الجديد بنفس المنظومة الخداعية المعروفة من خلال الوعود بالتغيير وفتح باب الحريات حتى إذا تمكن إذا به يقدم نموذجا متقدما في البطش لم يطبقه الشيوعيون في أوقاتهم الذهبية ولكي يهتدي به كل وزراء الداخلية العرب.
- وتدخل قطاعات جديدة من الحركات الإسلامية في بند التضييق والشطب وتجفيف المنابع في مختلف العالم الإسلامي خاصة في بلاد العرب فتشطب الهيئات الخيرية وتستبدل بهيئات حكومية تخضع لرقابة مباشرة من الأمريكان ويبعد الإسلاميون عن كل قطاعات التأثير كالتعليم الجامعي والتعليم العام والإعلام بكل وسائله وتضج سجون القرامطة من جديد برجالات الأمة ودعاة الإسلام وبالمجاهدين وليس لهم إلا الله عز وجل.
- وتنجح القنبلة النووية الباكستانية في الإفلات من الرقابة فيكون الرد بانقلاب عسكري يضع الباكستان رهن الصليبيين بشكل كامل ويتهيأ لإغلاق الملف الكشميري لصالح الهند ويجهز أرض الباكستان لغزو أفغانستان في القرن الواحد والعشرين.
- تموج جنوب شرق آسيا بالتطورات ويكون من حصاد الهجمة التبشيرية البعيدة الأمد هو اقتطاع أغنى البقاع عن المسلمين وتتشكل دولة من لا شيء وهي تيمور الشرقية ويعهد بها إلى صليبيي المشرق في استراليا ويحين موعد سقوط ديكتاتور اندونيسا فيلعب المسلمون دورهم في إسقاطه ولكنهم ليسوا بالمستوى لوراثته فيعمل نظام الجنرالات العتيق وتلجم الأوضاع بديمقراطية منضبطة.
- ويقترب الماليزيون من موعد استحقاق أدائهم الاقتصادي العالي المستوى والتي شاركت فيه العقول والأيدي المسلمة فتلعب الانهيارات المفتعلة دورها ويوضع أحد الرموز ككبش فداء وهو الدكتور أنور إبراهيم والذي كان يمكن أن يرث النظام الإنجليزي العتيق في ماليزيا ويتهم المذكور بتهمة يتعفف كثير من الكفار منها.
- يزداد الضغط على الأداء الإسلامي في تركيا وتستخدم كل الآليات لإقصائه ولا يقبل بأي رمز أو إيحاء عام كالحجاب في البرلمان ويستخدم القانون والدستور لإثبات إجرام قادة العمل الإسلامي في تركيا ويصادر حزب أربكان كلما تغير اسمه ورمزه وتنعكس المعركة سلبا بين قادة العمل الإسلامي التركي خصوصا وأن المدرسة الإسلامية هناك قد وضعت نفسها في مسار واحد لا غير وهو المسار البرلماني وعبر قوانين أتاتروك نفسه.

ملامح المرحلة السادسة:
مرحلة وضوح الاستهداف الأمريكي المباشر للنهضة الإسلامية المعاصرة من 2001 وحتى يومنا هذا

وتبدأ من الغزوة الأمريكية لأفغانستان ثم تتوالى فصولا وفيها الملامح التالية:

- استثمار أمريكا للمسألة العراقية لإسقاط آخر الأقنعة عن رغبتها الحقيقية في إلغاء دور الأمم المتحدة وتهميش الثلاثة الكبار بعد زوال الاتحاد السوفيتي وبغزوها للعراق وضعت العالم أمام الواقع الذي صنعته وأخرجته.
- تتلاقى الاستراتيجية الأمريكية في هذه المرحلة وجها لوجه مع المشروع الإسلامي والذي سدت أمامه الأبواب والهوامش التي كان يتحرك فيها سواء كانت تلك الهوامش في العالم الإسلامي أو في الغرب نفسه ومن تلك الهوامش الديمقراطية والتي فقدت مبرراتها بالهيمنة الأمريكية وفقد العالم الإسلامي لاستقلاله الشكلي على أقل تقدير ومن تلك الهوامش الدور الدعوي العام والذي صادرته أمريكا بتكميم المساجد ومنع الدعاة من أداء أدوارهم ودخول أمريكا على خط التعليم والتوجيه في كل بلدان العالم الإسلامي.
- تلبس الوضع الدولي بمعطيات الهيمنة الأمريكية التي تستهدف أن تكون إمبراطورية لم تر لها الدنيا مثيلا فلم يعد للنظام الدولي ولا للقانون الدولي ولا للمبادئ التي تدثر بها الغرب طويلا كل ذلك لم يعد له مكان في العالم فتهيأ الكبار والصغار للتعامل مع هذا التبدل والبحث عن موقع هامشي مما ستتركه الإمبراطورية مختارة وهذا الموقف ينطبق على بنما كما ينطبق على فرنسا.
- وضعت التحولات العالمية الأخيرة قادة الحركات الإسلامية في حيرة شديدة من حيث الخيارات المتاحة لهم كما وضعتهم في جمود شديد بحيث لم تعد كل جماعة إسلامية مهما كان حجمها أو قطر إسلامي أن يتعامل مع تلك الأوضاع بمفرده.
- يتكرر المشهد الفلسطيني في العراق ومن شدة الشبه بين المشهدين لا يكاد المسلمون يفرقون فالسلاح هو نفس السلاح والوجوه هي نفس الوجوه والقتل الرخيص السريع نفس القتل ويفهم الأبطال الدرس فهو ليس أول درس بل سبقه إليهم إخوانهم ويبدو أن السلسلة ستطول وتتشعب.

• ثالثا: النتائج الكبرى للقرن العشرين في واقع المسلمين

إن نتائج القرن العشرين متعددة الاتجاهات والأبعاد فقد كان بحق قرنا للصليبية العالمية المتمثلة في حلف الأطلسي والإلحاد العالمي المتمثل في حلف وارسو وأطلت الزندقة بكل ألوانها في الأرض ولكن يشاء الله عز وجل أن ينتهي القرن بانكسار الإلحاد العالمي المتمثل بالاتحاد السوفيتي وتفرقه شذر مذر وأن تتناقض المصالح في حلف الأطلسي وأن يسهم المسلمون على ضعفهم في صناعة نهاية القرن من خلال جهاد الأفغان الذي أسقط الاتحاد السوفيتي في الوقت الذي لم يكن للمسلمين حكومة واحدة تمثلهم بحق وتنظر في مصالحهم ومع ذلك تمكنوا من ذلك الأداء الفريد فكيف إذا تعالت رايات التمكين في واقع المسلمين؟ وفي هذا الجزء الأخير من فصل: المسلمون في القرن العشرين الميلادي فسوف أركز على نتائج القرن التي تتعلق بالمشروع الإسلامي إيجابا وسلبا في ثلاثة ميادين:

النتائج الكبرى في ميدان الدعـوة

النتائج الكبرى في ميدان السياسة

النتائج الكبرى في ميدان الجهـاد

أما النتائج الكبرى في ميدان الدعوة فهي كما يلي:

1- فشلت كل العقائد والاطروحات التي غزيت بها بلاد المسلمين وفشلت كل برامج التبشير والإلحاد والإفساد العقائدي وبقي الإسلام طودا راسخا في شرق بلاد المسلمين وغربها.

2- استعاد المسلمون على المستوى العقدي كل شعوب المسلمين الذين حكموا بالإلحاد والنصرانية واليهودية والهندوسية ردحا من القرن العشرين فغابت عنهم شمس الإلحاد والكفر وأشرقت عليهم شمس الإسلام والتوحيد في آسيا الوسطى والقوقاز وفي الهند وفي البلقان وفي إفريقيا وفي الصين وفي جنوب شرق آسيا.

3- تمكنت الدعوة الإسلامية على ضعف المسلمين من أن تغزو بلاد الكفر شرقا وغربا ودخل الناس في دين الله أفواجا من النصارى والهندوس والملحدين وغيرهم.

4- أثمر الأداء المتنوع للحركات الإسلامية وتعدد اجتهاداتها واستقلالها عن بعضها البعض خلال القرن العشرين ثمرا إيجابيا ومن ذلك أنه أوجد للمشروع الإسلامي طيفا من الاجتهادات الدعوية التطبيقية بحيث لم يحجر على تلك الاجتهادات ضمن تصور واحد فقط وتفاعل المسلمون مع أدوار نهضة المشروع بلا حجر على رأي أو اجتهاد كما أنه ذلك لم يكلف المسلمين ما لا يطيقون فما تردد فيه هؤلاء مضى إليه أولئك وهكذا.

5- ومن النتائج الكبرى للقرن العشرين في المجال الدعوي التهديد الذي يطال نهضة

المسلمين الحديثة نتيجة للتناقضات بين الرؤى والاجتهادات الإسلامية ونزول تلك التناقضات في ساحات المسلمين سواء في البعد النظري أو في البعد التطبيقي.

أما النتائج الكبرى في ميدان السياسة فهي كما يلي:

1- يتحمل النصارى خاصة الإنجليز والفرنسيين ومعهم اليهود المسؤولية التاريخية عن إلغاء مرجعية المسلمين السياسية الكبرى وهي الخلافة وذلك من خلال العمل والمكر الذي سلطوه على الدولة العثمانية والدعم اللامحدود الذي قدموه لصنائعهم في تلك الدولة وعلى رأسهم اليهودي الدونمي أتاتورك، كما تحملوا في وقت لاحق وحتى يومنا هذا المسؤولية الكاملة في منع المسلمين حقهم الطبيعي في إيجاد أي مستوى من المرجعية السياسية والشرعية المستقلة عبر استخدام النظم التي ينتهي أمرها إليهم وعبر الادعاءات الكثيرة بدء باتهام الشريعة الإسلامية بهدر حقوق الإنسان كما يدعون وانتهاء باتهام المسلمين بالإرهاب حيث جوز النصارى لأنفسهم إرهاب المسلمين وحرموه عليهم.

2- كما يتحمل الإنجليز والفرنسيون ومن تولى مهمتهم بعد ذلك وهم الأمريكان المسؤولية التاريخية الكاملة عن سقوط مقدسات المسلمين تحت أيدي اليهود واستمرار ضمان الهيمنة والتفوق اليهودي على المسلمين.

3- ويتحمل ذلك الفريق من الصليبيين المسؤولية التاريخية الكاملة عن النهب لثروات المسلمين خاصة البترول منذ بزوغ تباشير وجوده واكتشافه في بداية القرن العشرين وحتى يومنا هذا.

4- تحمل النصارى خاصة الإنجليز والفرنسيين والأمريكان المسؤولية الكاملة في منع المسلمين من ممارسة حقوقهم الدينية بشكل طبيعي أسوة ببقية الأمم في العالم والتي عادت لتراجع تاريخها ودياناتها خاصة بعد اندحار دولة الإلحاد السوفيتية وهيمنتها العالمية فقد استلم المتدينون الهندوس وبشكل ديموقراطي زمام الحكم في الهند ولم يعب عليهم أحد هذا بل سارع النصارى واليهود للتعاون معهم وبشكل وثيق وكذا استلمت الأحزاب المسيحية اليمينية الحكم في أغلب بلاد النصارى إذا لم يكن كلها وأحكم اليهود المتطرفون السيطرة على الحكم في الدولة المسخ إسرائيل ولم يمنع هذا من التعاون الوثيق والتشجيع الكبير الذي وجده أولئك عند نصارى أوروبا وأمريكا ونفس الأمر حدث عند الأمريكان حيث يحكم البروتستانت المتهودون جميع الأمريكيين وعبر النظام الديموقراطي أو شبه الديموقراطي كما حصل عند استلام جورج بوش الابن السلطة بلجان تحكيم ولم يتمكن من الفوز حتى بالأغلبية البسيطة أما في حالة المسلمين فإن كل أساليب المكر والخداع والتهديد تستخدم لمنع التأثير الديني في المسلمين كما حصل في

الجزائر المنكوبة.

5- ومن نتائج القرن العشرين الكبرى على المسلمين هو التفرقة والتحيز والانتقائية الشديدة ضد المسلمين وقضاياهم في أروقة الأمم المتحدة حيث مارس النصارى تلك الانتقائية ولم ينصفوا المسلمين يوما ولم يسمحوا بإعطائهم حقوقهم التي يشهد كل العالم على عدالتها وقبرص وكشمير وفلسطين والبوسنة والشيشان إنما هي غيض من فيض وقد وقعت تلك الانتقائية ضد الشعوب المسلمة وحدها دون بقية الشعوب فقد رفعت القيود على النظام الجنوب أفريقي العنصري قبيل استلام القس مانديلا الحكم هناك ورفع وصم العنصرية عن الصهيونية البغيضة التي يشهد كل العالم على عنصريتها ودعمت حقوق النصارى في قبرص المسلمة ورفع الحظر عن الجيش الإيرلندي الجمهوري وقبل نمور التاميل في حكم سيرلانكا ولكن المسلمين وحدهم الذين ضاعت حقوقهم في الأمم المتحدة.

6- مارس النصارى ولقرن من الزمان ألعابهم السياسية القذرة على المسلمين وفي مواقع كثيرة من العالم حيث دعموا الحكومات المتسلطة والفاسدة واستعملوها في تنفيذ فسادهم السياسي العالمي ثم لما جاء أوان استبدالها وقفوا منها موقف النابذ لها المطالب بالعدالة والأمثلة كثيرة ليس أولها مثال شاه إيران ولا آخرها مثال صدام حسين وللمراقبين أن يتخيلوا مقدار الخسائر والتضحيات التي عانى منها المسلمون في تلك التجارب.

7- ختم النصارى القرن العشرين بتطوير عقيدة واستراتيجية عالمية جديدة تفتقت عنها خيالات المنظرين اليهود كصمئويل هنتجتون والذين يقودون أحلام النصارى حيث تقضي تلك الاستراتيجية باستهداف المسلمين كعدو أول ومهدد عالمي للسلام العالمي بزعمهم وهم يعلمون أن المسلمين لا يملكون من السلاح الذي يملكه النصارى واليهود ولا واحد من المليون مما يملكونه هم ولكنه الظلم والتعدي الذي تميز به النصارى واليهود طوال تاريخ البشرية.

8- ومن أحدث النتائج الكبرى للقرن العشرين في المجال السياسي هو عدم اكتفاء النصارى وعلى رأسهم الأمريكان بدعم التفوق اليهودي في قلب الأرض المسلمة وإنما بإجبار المسلمين على قبول اليهود وتطبيع العلاقات معهم عبر مسارات من المكر والضغوط واستخدام ضعفة المسلمين ومنافقيهم لتمرير هذا المخطط واستخدام عصا التغيير السياسي وتبديل النظم السياسية التي أجادوا اللعب بها طوال القرن وعبر استخدام منظومة من المصطلحات كالشرق الأوسط والسلام والتنمية والاستقرار السياسي مما ملأ الأجواء باحتقانات شديدة ورفض شعبي كامل ومن تلك المخططات والمشاريع اتفاق

كامب ديفد واتفاق اوسلو.

9- لم يكتف النصارى وعلى رأسهم الأمريكان في دعمهم اللامحدود للوجود اليهودي في قلب الأرض المسلمة بالضغوط والخطط الماكرة وإنما ختموا القرن العشرين بإعادة سياسة الهيمنة العسكرية المباشرة والغزو المسلح وإعادة بناء القواعد العسكرية وتطويق المسلمين من إندونيسيا في المحيط الهادي إلى المغرب العربي على ضفاف المحيط الأطلسي ومن أعجب ما جرى في هذا الشأن هو استهداف أضعف مواقع المسلمين وأكثرها تخلفا بالمقياس التنموي العالمي كأفغانستان ثم كانت التثنية بأرض متهالكة أخرى أنهكها البعث المنافق فلم يبق فيها ولم يذر ومع ذلك اعتبر الأمريكان أنفسهم فاتحين ومنتصرين على خيال المسلمين في تلك الأراضي.

10- طور النصارى وعلى رأسهم الأمريكان من تدخلهم في شؤون الأمة المسلمة بدرجة غير مسبوقة في التاريخ كله وهو تجرؤهم على تحديد ما يصلح وما لا يصلح من مبادئ الإسلام للمسلمين وانتصب الرئيس الأمريكي مفتيا ومحللا ومحرما ومذكرا بما فعله التتار عندما نصبوا وثيقتهم المسماه بالياسة بديلا عن الشريعة الإسلامية وقد حدد ذلك الرئيس حرمة العمليات الاستشهادية وحل العملية السلمية كما مضى الأمريكان بنهاية القرن إلى أبعد من ذلك فنزلوا في ميادين الأمة المسلمة التعليمية والتربوية ومارسوا تربية الجيل بأيديهم ووضعوا المناهج واستخدموا لذلك طابورا من مخلفات الشيوعية والقومية في البلاد العربية وكم من الجامعات والمؤسسات وقعت في أيديهم وكل ذلك حتى يصمموا عقلية وعاطفة الجيل القادم حسب ما يشتهون.

11- سقوط كل مبررات حالة التماهي والتساوق بين الأمة المسلمة والمشروع الصليبي والتي استمرت طوال القرن حيث زال الخوف المشترك من الاجتياح والتهديد الشيوعي وتبخر الأمل من إنصاف الصليبيين للمسلمين في كل مطالبهم.

12- ومن أهم نتائج القرن العشرين السياسية في ساحات المسلمين هو فشل العمليات التنموية في أغلب بلاد المسلمين بحيث باتت تلك البلاد أقرب إلى الانهيار منه إلى الاستقرار والرفاهية المزعومة وعاثت الأحزاب والتجمعات السياسية المستفيدة فسادا في طول البلاد وعرضها وانهارت بذلك كل المرجعيات والمؤسسات السياسية في بلاد المسلمين ولم تعد تصلح لإحقاق الحقوق بين الناس والشعوب فضلا أن تصنع لها مستقبلا بين الأمم.

13- وقوع الأمة المسلمة تحت آمال وأوهام القرن العشرين من قضايا التنمية والتكنولوجيا وإعلانات الأمم المتحدة في الثقافة والعلوم والديمقراطية إلى غير ذلك وهي أي الأمة لم يصبها من تلك الإعلانات شيء سواء أحياء مصر القديمة وأريافها العتيقة أو غابات إندونيسيا المظلمة أو أكواخ الهنود من المسلمين أو البنغال أو صحاري موريتانيا وليبيا أو

سهول السودان الممتدة ومع ذلك فالمسلمون يعتقدون أنهم يعيشون مع أهل الأرض سواء بسواء وهم لا يعلمون شيئا عن معادلة الشمال والجنوب، بينما ثرواتهم منهوبة في السهل وفي البحر.

14- انهيار عمليات الإنتاج الاقتصادي في الأمة المسلمة والتحول إلى الاستهلاك والعيش على هوامش الأمم الأخرى ونمو قيم متخلفة في المجال الاقتصادي بين الشعوب يهدد النهضة وينعكس سلبا على المشروع الإسلامي.

15- انتهاء الفرصة التي أعطيت لكل المشاريع الوطنية والقومية والملكية وسقوط كل مبررات وإعلانات الأحزاب العلمانية في العالم الإسلامي حيث لم تحقق تلك المشاريع أي مستوى من الاستقلال للمسلمين ولم تحافظ على ثرواتهم الاقتصادية فضلا عن أن تنميها.

16- ومن نتائج القرن العشرين الكبرى هو وقوع المشروع الإسلامي في دائرة الجمود بعد أن تعثر تواصل المدارس الإسلامية المختلفة وانحصرت دائرة التفكير في الرؤية الوطنية ومن خلالها وتوقف النظر المصلحي الكلي في الأمة.

أما النتائج الكبرى في ميدان الجهاد فهي كما يلي:

1- انتهى القرن العشرين والمسلمون يملكون طيفا من التجارب الجهادية المباركة في جنبات الأرض منها ما هو شامل وعالمي كالجهاد الأفغاني ومنها ما هو محدود وإقليمي كالجهاد الفلبيني ولكن كل تلك التجارب قد أسهمت إسهمام مباشرا في صناعة قناعات المسلمين ورؤاهم المستقبلية.

2- وصل الجهاد في هذا القرن إلى إحدى أهم وأخطر الذرى التي يمكن أن يصلها وهي المساهمة المباشرة في زلزلة وإسقاط إحدى أخطر دولتين عظميتين يقوم عليها النظام الدولي إذ كان يستند نصف العالم إلى تلك الدولة وهي الاتحاد السوفيتي.

3- كما وصل الجهاد في هذا القرن إلى تحقيق أهم مراحل التحول الأولى في غثائية الأمة المسلمة عندما عكس في بعض ساحات المسلمين -وإن كانت الأقل- معادلة الغثائية والوهن فإذا في الأمة من يحب الموت ويكره الدنيا وكان من أعجب تطبيقات هذا الحب بل العناق والعشق هو دخول المجاهدين في العمليات الاستشهادية.

4- استعاد المسلمون بنهاية القرن العشرين بعضا من الثقة في إمكانية الجهاد وقدرتهم كمسلمين على تحقيق النتائج الكبرى التي حققها أجدادهم من قبل في التاريخ.

5- اتضح للمسلمين بأن شوط الجهاد طويل وبعيد المدى وتكاليفه هائلة فقد جاهد المسلمون في الفلبين طوال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن ولا يزالون واستهلك الجهاد الفلسطيني المعاصر عقدا ونصف ولا يزال الشوط في بدايته وقدم الأفغان مليون ونصف

من الشهداء بكل رضى وطيب نفس.

6- أثبت المسلمون أنه لا يمكن توقيف الجهاد ومنعه من على وجه الأرض مهما بذل أعداء المسلمين ومن عاونهم من إخوانهم المنافقين.

7- أثبت المسلمون قدرتهم على الابتكار والإبداع والتنويع في دفع الجهاد وأنه لا توجد مساحة ضيقة على الجهاد في سبيل الله تعالى وكان من أهم من أثبت هذه الحقيقة هم المجاهدون المبدعون في فلسطين.

8- تمكن المسلمون من إماطة اللثام عن حقيقة الأسطورة التي كان يتمتع بها الجيش الإسرائيلي وجهاز استخباراتها الموساد وفتحوا الباب على مصراعيه لتشوق مسلمي العالم لقتال اليهود.

9- ارتفع معدل القناعات بين أبناء المسلمين بجدوى المقاومة والمواجهة لأعداء المسلمين ومنع فسادهم خاصة عندما رأوا الآثار الإيجابية في أكثر من مكان.

10- جدد المجاهدون الأمل في الأمة المسلمة من مشرقها إلى مغربها بإمكانية استعادة المقدسات من أيدي اليهود.

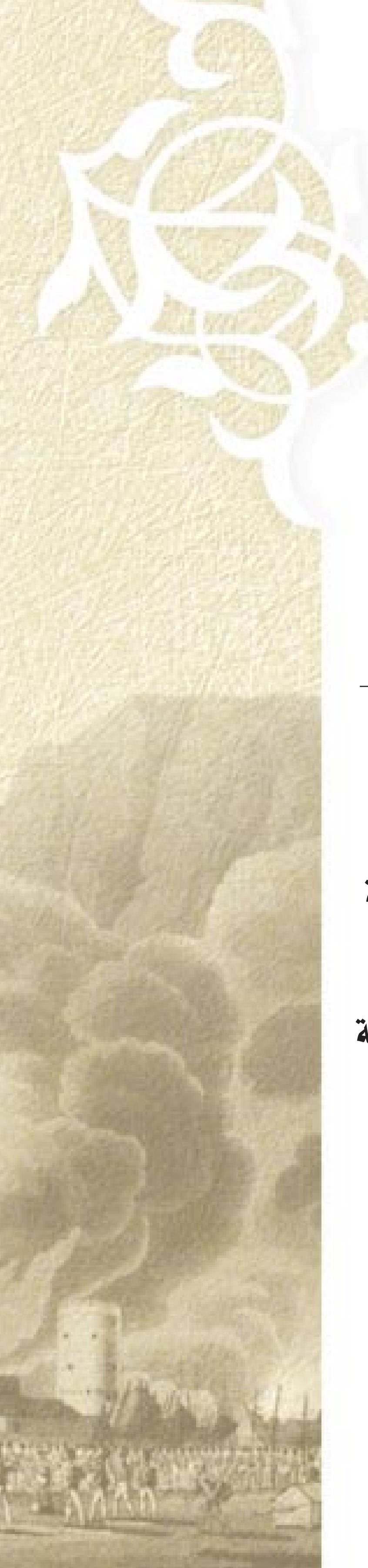
11- لا تزال الحيرة والتردد هي التي تسيطر على موقف المسلمين فيما يخص إمكانية التعامل الجهادي مع الصليبيين الأمريكان الداعمين للمشروع اليهودي وبالرغم من تقدم الأمريكان العسكري على أراضي المسلمين فلا يزال الموقف غامضا.

12- ومن النتائج الكبرى للقرن العشرين وقوع المشروع الجهادي تحت وجهات نظر واجتهادات إسلامية متعارضة فيما يخص الخيارات المتاحة له على ضوء التطورات التي حصلت في العالم وعلى ساحات المسلمين ويزيد من هذه الإشكالية وقوف المدارس الدعوية متقابلة ومتعارضة في تقدير هذه القضية.

13- حدوث حالة من الترقب والحراك الجهادي في الأمة شرقا وغربا وخروج جيل لا يؤمن بالهدوء والانتظار كما فعل آباؤه مما يهدد بتطور الأحداث باتجاهات تخرج عن سيطرة قادة المشروع الإسلامي أنفسهم، خاصة بوقوع قادة المشروع أو أكثرهم في تناقض نظري بين دعمهم لمشروع الجهاد في فلسطين بينما لا يرى الكثير منهم مسوغا للمصادمة تجاه من يحمون المشروع اليهودي ويوفرون الدعم الكامل له وهم الأمريكان.

وبذلك الاستعراض لمسارات القرن العشرين الميلادي والذي شاء العلي القدير أن تتداخل نهاياته ببدايات القرن الخامس عشر الهجري يمكننا أن نشرف على ساحة واضحة المعالم لمسيرة المسلمين المعاصرة وطبيعة الأقدار التي تنتظرهم لكي تتشكل الصورة التي أرادها الله عز وجل لهم: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الانبياء:92).





الفصل الثالث

الجماعات الإسلامية والمشروع الإسلامي

المفردات:

- أولا: التوطئة
- ثانيا: مسلمات وبدهيات
- ثالثا: تصنيف الجماعات الإسلامية
- رابعا: المعايير الشاملة لتقويم أداء الجماعات الإسلامية
- خامسا: النقد العام لأداء الجماعات الإسلامية
- سادسا: النقد الخاص لأداء الجماعات الإسلامية
- سابعا: ميثاق التعاون والتواصل بين الجماعات الإسلامية



• أولا: التوطئة

إن الرب تباركت أسماؤه وتجلت صفاته قد قضى بأن جعل الخلق متنوعي المشارب متعددي الآراء، وصرفهم عز وجل صروفا شتى من الخلق والخُلُق، وقد دل ذلك على عظيم صنعه في تقسيم مستويات الفهم وتقدير الأمور حتى وصل الأمر إلى المفاضلة بين الأنبياء صلوات الله عليهم: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الانبياء:79)

وستبقى مستويات الفهم والقدرة على التلقي والاستيعاب والمفاضلة في الدرجات العلمية إحدى المعجزات التي أودعها الله عز وجل في البشر والتي تنعكس نتائجها على سنن التدافع في الكون بين الحق والباطل ومن صور ذلك قوله سبحانه: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة:251)

فكانت الحكمة والعلم مقدمة ضرورية لحاملي الحق حتى يمكنهم الدخول في معادلة التدافع السنني.

ولعل حاجة المسلمين لما ورثوه من العلم والحكمة لا تخفى خاصة في محاولة فهمهم واستيعابهم لما حل بهم في هذا العصر، وإن الحاجة لتتأكد أكثر في مسألة فك الاشتباك الشديد بين الجماعات الإسلامية العاملة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، أو استيعاب خلافهم على أقل تقدير وهذا ما يمكن أن يتحقق بتداول العلم وفشوه في أوساط الأمة فهناك من النتائج المباركة ما تقع بمجرد تبليغ العلم قبل فهمه فما بالكم بالفهم والاستيعاب وذلك كما ورد في مسند الإمام أحمد عن حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ الله امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ».

ولم يقع للمسلمين من حال بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كحالهم هذا الذي هم عليه من حيث الاختلاف والتشتت وذلك منذ أن دالت دولتهم وسقطت خلافتهم وتفرقوا شذر مذر حيث لم يتوقف الأمر عند افتقاد المسلمين لمرجعيتهم السياسية فقط والمتمثلة في الخلافة بل إن الفقد والوهن قد لحق بالمرجعية الشرعية التي تجمع الأمة على رؤية واحدة وتحديد

دقيق لمرضها وبالتالي علاجها، وعليه فقد جاءت رؤى الجماعات الإسلامية التي تكونت في ظل هذه المرحلة متعددة وفق تعدد وتنوع أمراض الأمة وضعفها وسوء أحوالها، وكثرت مدارس الإصلاح وجماعات الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي مسألة وإن كانت تدل على حياة الأمة وتفاعلها المبارك مع التحديات التي فرضت عليها لكنها تدل أيضا على انكفاء كل جماعة على نفسها وتقديمها لاجتهادها على اجتهاد الآخرين، وغني عن القول بأن تلك الجماعات على اختلافها تُجمع من حيث المبدأ على ضرورة العودة إلى كتاب الله وحكمه وإلى الالتزام بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولكنها تختلف في طرق العلاج والأسس المعتمدة في ذلك العلاج، فمنهم من يرى البدء بالحكم والخلافة ومنهم من يرى تصحيح العقيدة وإزالة البدع من حياة المسلمين ومنهم من يرى التركيز على الإيمان وتزكية النفس ومنهم من يرى ضرورة مصاولة الكفار وجهادهم ومنع تأثيرهم في واقع الأمة، ومنهم من يحاول أن يجمع الأمور من أطرافها وهكذا.

ويعتري أي بحث في مسألة الجماعات والحركات الإسلامية أزمة حادة لدى الكتاب الإسلاميين تتمثل في زاوية النظر أو زواياه التي يعتمدها الباحث في تحليله وبحثه، وتأثره بالخلفية الفكرية أو بالاجتهاد الدعوي الذي تأثر به أو انتمى إليه وهذا ما يقلل من مساحة الموضوعية التي هي لب أي بحث ودراسة، ولإزاحة هذا العامل وحجبه عن التأثير قدر المستطاع فإني أنبه إلى أن أكثر ما اعتمدته في هذا البحث كمنهج ومسار هو اتخاذ مسألة علاقة الجماعات بالمشروع الإسلامي ومدى خدمتها له كمقياس ومعيار أساسي للحديث عن مختلف الجماعات، ومن ثم اهتممت ببحث كيفية تحقيق التكامل بين تلك الاجتهادات لا تغليب اجتهاد على آخر أو الحكم على الاجتهادات المتنافرة وتقييمها ولا الخروج بتصور يضم اجتهادات المختلفين في اجتهاد واحد.

ولا بد لنا في هذه المقدمة أن نحدد أي الجماعات نقصد ببحثنا هذا؟ إنها الجماعات الإسلامية الحديثة والتي تلتزم بما عليه أهل السنة والجماعة وعليه فالبحث لا علاقة له البتة بتعريف (الفِرَق) ذلك المصطلح الذي تعارف عليه علماء الأمة في حديثهم عن الجماعات التي انحرفت عن الدين وعن إجماع علماء الأمة المعتمدين لدى أهل السنة والجماعة.

ويمكننا أن نحدد الجماعات والحركات الإسلامية المعنية بهذا البحث في القائمة التالية:

1- جماعة الإخوان المسلمين
2- جماعة الدعوة والتبليغ

3- الجماعات الصوفيـــة
4- الجماعات السلفيـــة
5- جماعات الجهـــــاد
6- الجماعة السروريـــة
7- حزب التحريــــــر
8- الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية
9- جماعة نجم الدين أربكان في تركيـــــا
10- الأفراد المستقلون والمؤسسات الدعويــة

وإن التركيز على أداء الجماعات السابقة لا يعني إشاحة الوجه عن الجهود الدعوية التي انبثقت من المؤسسات الرسمية في مختلف بلدان العالم الإسلامي والتي التقت وتقاطعت أحيانا مع جهود الدعاة ووفرت دعما معنويا وماديا لمسيرة الدعوة الإسلامية المعاصرة ولكن مساحة البحث تعنى في المقام الأول بالجهود المستقلة والتي انبثقت من اجتهادات محددة.

والآن وبعد أن تطاول الزمان وترسخت التجارب الإسلامية وأعطى الله سبحانه وتعالى تلك الجماعات الإسلامية من الوقت ما يسمح بمراجعة الموقف الدقيق لتجاربها، وبناء على التحولات الكبرى التي تمت في الأمة المسلمة أثناء مسيرتها ومحاولاتها للنهوض فإنه بات لزاما على قيادات الحركات والجماعات الإسلامية أن تتوقف للنظر في قربها وبعدها من المشروع الإسلامي ومدى علاقة إنجازاتها بهذا المشروع وبعبارة أخرى ما علاقة الجماعات بالإصلاحات الكلية الجامعة في الأمة؟ وكذا دور تلك الجماعات في تحديد خيارات الأمة تجاه التطورات التي ختم بها النصارى قرنهم الميلادي والتحديات الجديدة التي فرضوها على الأمة وتحديد أدوار الأمة المسلمة في قرنها الخامس عشر؟ وفي هذا الفصل سوف أحاول بسط هذه الرؤية الخاصة لهذه القضية الشائكة والله العلي القدير أسأل أن تكون رؤية متزنة ومنصفة ومُصلحة لا مُفرقة ولامُشتِتة.

• ثانيا: مسلمات وبدهيات

وفي هذا الاستعراض سأحاول التوقف والتذكير ببعض المسلمات التي تستهدف صنع لغة مشتركة يتم على ضوئها التعرف على بقية المفردات والمدلولات في هذا المبحث ولعل ذلك أن يعمل على تقريب الفهم تجاه التعامل مع مصطلح المشروع الإسلامي وعلاقة الجماعات الإسلامية بهذا المصطلح بغض النظر عن الرؤى والاجتهادات لكل جماعة أو حركة إسلامية معاصرة، مع العلم بأن المسلمات التي سوف أستعرضها هنا ما هي إلا مما اتفق عليه المسلمون طبقا لشريعتهم أو كانت واقعا مشاهدا بين المسلمين ولا يمكن للمنصف إلا أن يُقرّ بما في تلك المسلمات من حق.

مصطلح المشروع الإسلامي:

يمكن اعتبار مصطلح (المشروع الإسلامي) وبغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف على بنائه الظاهري اللغوي فإنه يُعدّ المصطلح المعبر عن مسار العملية الإصلاحية والدعوية في واقع الأمة ذلك الذي يتناول العملية الإصلاحية ويضمها من أطرافها والتي تشمل الإصلاح العقدي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي وغيره في واقع أمة المسلمين، وبغض النظر عن المدى وعن الحدود التي تضعها كل جماعة لممارسة دورها في واقع الأمة نسبة إلى العملية الإصلاحية الكلية وبغض النظر عن الأساليب المستخدمة من قبل كل فريق من الدعاة في تبليغ دعوتهم وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الجميع يقر بأن الإصلاح في واقع الأمة لن يتأتى إلا إذا قامت كل جماعة من المسلمين بدورها ومن جهة أخرى فإن الأمر الشرعي في العناية بالأمة قد تأسس على مراعاة كل مفردات الشريعة الإسلامية وعدم التفريط في جانب منها وإلا دخل الدعاة في الوعيد الشديد الموجه من الرب عز وجل لبني إسرائيل حين قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:85) والشاهد في قوله عز وجل ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ فإن صلاح المسلمين لن يتأتى إلا أن يشمل الإصلاح كل جوانب الحياة وفي حال بقيت جوانب من دين الإسلام معطلة فإن دور الدعاة هنا أن يعملوا لتغيير هذا التعطيل فإن الله عز وجل لم يقبل من بني إسرائيل التطبيق الجزئي للدين ومفهوم أنه لم يُضرب بني إسرائيل كمثل في القرآن إلا لكي لا يقع المسلمون فيما وقع فيه أولئك ففي تفسير ابن كثير حول هذه الآية قال: بلغني أن عمر

بن الخطاب قال في قصة بني إسرائيل: إن بني إسرائيل قد مضوا وإنكم أنتم تُعْنَون بهذا الحديث.

الظرف الزمني:

ومن المسلمات أنه ليس بالإمكان أبدا تجاوز عامل الزمن على الاجتهادات الإسلامية المعاصرة إقبالا وإدبارا وتحرفا فإن المستجدات الكبرى التي وقعت في عصرنا هذا قد أثرت تأثيرا كبيرا ومباشرا في كل تصورات الإصلاح والدعوة ومن أهم تلك المستجدات إسقاط الخلافة الإسلامية وبقاء المسلمين بلا مرجع ولا إمامة ومنها تحكم الكفار فيهم من شرق وغرب ومنها فرض مناهج الضلال عليهم في التفكير والسياسة والتعليم، وبغير أخذ أثر تلك العوامل والمستجدات في منهج الإصلاح يعيش المسلمون خارج عصرهم ولا يكون لاجتهاداتهم تأثير حقيقي على مسار الحياة التي أوجب الله عليهم أن يتصدوا لإصلاحها: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج:78)، فالشهادة أن يشهد المؤمنون على واقع بعينه محدد المعالم زمانا ومكانا وشخوصا فهي ليست شهادة عامة مطلقة فلكل جيل شهادته وقد رأينا أثر هذا العامل وهو عامل الظرف الزمني على الاجتهادات الدعوية المعاصرة بشكل مباشر فإن من تعرض للسياسة مثلا من الجماعات الإسلامية كان اجتهاده مؤسس على اعتبار خطورة وأثر هذا الجانب على المسلمين ومن ترك السياسة واشتغل بالتعليم والدعوة فإنه أشفق على ضياع الزمن دون نتيجة حقيقية على المسلمين وهكذا في بقية مفردات الاجتهادات المعاصرة.

مقولات المؤسس وأثر البيئة:

ومن المسلمات أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال إنكار دور المؤسس أو المؤسسين لكل جماعة أو حركة إسلامية معاصرة في بناء تصورات تلك الجماعات وكذلك دور البيئة والظرف الاجتماعي والسياسي الذي نشأت فيه كل جماعة بغض النظر عن ربط كل جماعة لنفسها بعمق التاريخ الإسلامي كالعلماء والأئمة المجددين فإن المطبَّق في كل جماعة ما هو في الحقيقة إلا اجتهاد مؤسسها أو مجموعة مؤسسيها في المقام الأول مهما ادعت كل جماعة أن رؤيتها هي الأصح والأولى بالاتباع.

المنكر الأكبر:

ومن المسلّمات اعتبار عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أهم معالم الدعوة إلى الله تعالى إذ منه انطلقت كل الواجبات الأخرى فهذه المهمة هي من أول مهام وجود المسلمين والعلماء منهم على وجه الخصوص، وهي مهمة شاقة ومعقدة فكيف إذا أضيف لها تعقد أحوال المسلمين المعاصرة؟ وكان من مقتضيات أداء تلك المهمة تحديد الأولويات فيها وتحديد المنكر الأكبر في قائمة تلك المناكر وهو ما ينبغي التركيز عليه سعيا لتغييره أو إعداد متطلبات تغييره ولو على المدى البعيد، وقد اتضح بلا ريب بأن المنكر الأكبر الذي تنطلق منه بقية المساوئ وتستظل به في واقع الأمة هو غياب المرجعية السياسية والشرعية أو غياب الإمامة التي لا تنعقد أكثر أمور الشريعة إلا بها، بل ولا يمكن التعرف على سمات الأمة المسلمة إلا في ظلها، وعليه فإن أصل قيام الجماعات بدورها ما جاء إلا سدا لهذا الخلل البين في واقع المسلمين.

خضوع المسلمين للكفار:

ومن المسلّمات أن أكثر ما أفسد على المسلمين حياتهم وتطبيق دينهم في هذا العصر هو تحكم الكفرة بأمرهم حيث جعلوا أعزة المسلمين أذلة، وهذا مشاهد في كل الأقاليم والأمصار المسلمة سواء كان ذلك التحكم عبر التدخل المباشر أو عن طريق الوكلاء داخل المجتمعات المسلمة ولعل من أبسط الأمثلة على هذا التدخل عجز المسلمين عن منع الخمور في بلادهم قاطبة إلا ما رحم الله فقد أدخلها الإنجليز والفرنسيون وفرضوا وجودها من جاكرتا إلى الرباط فلم ينجح القانون ولا الديموقراطية ولا الأغلبية في منعها وما ذلك إلا لتحكمهم بنا فما بالكم بغير ذلك من البلاء والفساد.

وتعاونوا على البر والتقوى:

ومن المسلّمات أن وصول الأمة إلى تحقيق إصلاح حقيقي في واقعها لا يمكن أن يتم إلا عبر تعاون وثيق بين أبنائها وعلمائها وكل المواقع المؤثرة فيها، وأن أي اعتذار عن ذلك التعاون من قبل المتصدين لعملية الدعوة إلى الإسلام لا يمكن أن يكون مقبولا مهما كانت أسبابه ومبرراته: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد:22) وفي تفسير القرطبي للآية ينقل عن قتادة قوله: كيف رأيتم القوم حين تَوَلَّوْا عن كتاب الله تعالى ألم يسفكوا الدماء الحرام ويقطعوا الأرحام وعصَوُا الرَّحمن. فالرحم على هذا رَحم دين الإسلام والإيمان، التي قد سماها الله إخوة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: 01).(انتهى) وعليه فإن من أشق وأشد أنواع القطيعة هي قطيعة الدعاة ونفرتهم من بعضهم البعض.

المنهج:

ومن المسلّمات أن المنهج الذي ينبغي أن يوظف لتحقيق تلك الغايات -أي غايات الإصلاح- لا يمكن أن يكون إلا منهج الإسلام ذاته وبشموله بحيث لا تترك مفردة أساسية من مفرداته إلا وتدخل في تحقيق تلك الغايات السامية فلا يعاب على أي مستخدم لمفردات المنهج الثابتة في الكتاب والسنة إلا إذا تعدى تلك الحدود.

يبقى الاجتهاد اجتهادا:

ومن المسلّمات أنه مهما كان من قناعة كل جماعة برؤاها الإصلاحية فإن تلك الرؤى تبقى اجتهادا لا بد أن تنزل منزلة الاجتهاد وإن رآها أهلها صحيحة، لأنه لا يمكن لأحد أن يلم الدين العظيم من أطرافه ويقدمه في إطار اجتهاده وعليه فإن أول درجات التفاهم والتواصل بين الجماعات الإسلامية الذين ينضوون تحت إطار أهل السنة والجماعة هو اعترافهم كلهم بأن اجتهادهم صواب قابل للخطأ كما قال الإمام أبو حنيفة: قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا.

مع العلم بأن الخلاف حول القضايا العقدية والتي تعتبر من أصول الاعتقاد والتي تمثل إجماع أهل السنة والجماعة واجبة الاتباع وهي لا تخضع للقاعدة السابقة وإلا دخل في هذا الإطار كل الفرق التي شذت عن الأمة.

سنة التعدد والاختلاف:

ومن المسلّمات أنه لا يمكن لجميع العاملين في الحقل الإسلامي أن يكونوا صورا متطابقة وإلا رمنا من ذلك إلغاء سنة من سنن الله تعالى في الخلق وهي الاختلاف والتنوع، ويترتب على ذلك أنه يسع كل طائفة من المسلمين أن تنفر وتسلك الطريق الذي تراه مناسبا وما تعتبره أكثر أهمية من غيره في إصلاح مجتمعات المسلمين ولكن هذا لا يعفي من التعاون والتآزر والموالاة والنصرة وجمع الكلمة.

إطار أهل السنة والجماعة:

ومن المسلّمات أنه مهما اختلفت مناهج الدعوة والإصلاح بين الجماعات الإسلامية التي تنتمي إلى منهج أهل السنة والجماعة فإنه لا يجوز لهم الاختلاف في الكليات المعتمدة لدى أهل السنة والجماعة ولهم الاختلاف فيما دون ذلك من التدقيق العلمي وفرز التفاصيل وعليه فلا يجوز أيضا قيام أي جماعة منهم باستخدام مناهج التشكيك الكلية تجاه اجتهادات

الآخرين، وإلا أدى ذلك إلى إخراج تلك الجماعات لبعضها البعض من إطار أهل السنة والجماعة.

انضباط الأداء الدعوي بالوسع والمصلحة:

ومن المسلمات أن الشريعة قد حددت ضوابط دقيقة لعملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تراوحت بين الوسع وبين ميزان المصالح والمفاسد المتصورة والناجمة عن تلك العملية، وهي مسطرة واسعة استقرت المدارس الإسلامية المختلفة على مواقع محددة منها وبغض النظر عن مواقع المدارس الإسلامية على مسطرة الوسع والمصلحة فكل ينشد تحقيق أفضل النتائج والنأي عن المفاسد سواء سلك طريق الأمن والاستقرار أو تجشم الصعاب والمهالك فكلهم يرغبون في تحقيق أعلى المصالح بميزانهم والذي وجدوا له مثيلا في التطبيق لدى علماء المسلمين من قبل.

التحذير العظيم من فساد ذات بين المسلمين:

ومن المسلمات أن صلاح ذات بين المسلمين أصل عظيم من أصول الإسلام فقد ورد عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دُبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابّوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».مسند الإمام أحمد 1424.

ويعلق صاحب شرح عون المعبود في الجزء 13 ص 216 على ذلك بقوله: وفي الحديث حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب الإفساد فيها، لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين من تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه.انتهى

وأول إصلاح ينبغي أن يتحقق هو صلاح ذات بين الدعاة أصحاب الاجتهادات الإسلامية المعاصرة والذين أضر بالدين فساد ذات بينهم كثيرا.

فإذا أمكننا الاتفاق على كل أو بعض تلك المسلمات في الفقرات الماضية يمكن أن ندلف إلى بقية التفاصيل بيسر أكثر.

● ثالثا: تصنيف الجماعات الإسلامية

إن تشكل الجماعات البشرية سنة كونية تطبع حياة البشر أينما كانوا، وهذه السنة المطردة إنما تشق طريقها في الناس وفق مستلزمات محددة تدفع بالسنة إلى الظهور، ومن تلك المستلزمات وجود أزمة في حياة أي أمة ثم اختلاف النظر إلى تلك الأزمة، ومنها ظهور قادة ومجتهدين يقولون أقوالا محددة تلقى قبولا في الناس فيلتفون حول أولئك القادة فتنشأ الجماعة، ومنها جاذبية وسحر التاريخ حيث تتشكل الجماعات على أمل استعادة صور محددة من التاريخ ومحاولة إحياء تلك الصور في الواقع المعاش، ومنها موقع الأمة التي تنتمي لها الجماعة المعنية وحالة تلك الأمة وموقعها على سلم التدافع بين الأمم، ومنها طبيعة البيئة التي تتولد فيها الجماعة المعنية فإن أي جماعة تكون أسيرة بدرجة كبيرة لتلك البيئة ومعطياتها، إلى غير ذلك من المستلزمات لظهور سنة تشكل الجماعات.

وإن تشكل الجماعات الإسلامية المعاصرة قد خضع بلا شك لتلك المستلزمات وعليه فيمكننا أن نرى غلبة رؤى محددة ساهمت في تشكيل كل جماعة على حده، ولعل من أهم الأسباب التي ساهمت في صنع تلك الجماعات هو طبيعة ورؤى مؤسسها، ثم البيئة التي حكمت تشكل تلك الجماعة وتطورها.

ولكي نعطي أمثلة دقيقة على ما تم عرضه سابقا من حيث تأثير تلك المستلزمات في تكوين الجماعات فإننا يمكن أن نتوقف عند أربع مدارس أساسية شكلت الأرضية الأصيلة للجماعات الإسلامية المعاصرة في مجتمعات المسلمين وتلك الجماعات هي:

جماعة الإخوان المسلمين

جماعة التبليغ والدعوة

الجماعات السلفية

الجماعات الصوفية

فقد تحدد أداء تلك المدارس بمقولات مؤسسيها وحدود الاجتهاد الذي وقف عليه كل مؤسس، والذي تأثر بدوره ببيئته وظروف أمته، فنرى الإمام حسن البنا قد تأثر كثيرا بمسألة إعلان سقوط الخلافة الإسلامية والتي شكلت حدا فاصلا بين تاريخ وتاريخ في الأمة المسلمة، وعليه فإنه قد بنى اجتهاده على هذا التحول المهم في حياة الأمة المسلمة وجعل جل همه موجها للمنكر الأكبر الذي ينبغي أن يحارب ويستبدل بالمعروف الأكبر وهو الإمامة وإقامتها وعليه

فقد جعل سقف المشروع ضرورة عودة الخلافة الإسلامية، وفي سبيل تحقيق ذلك الحلم الكبير قال بضرورة إعادة بناء الجيل المسلم عقيدة وخلقا وعملا وجهادا، كما أن مشاهدة الإمام البنا لطبيعة الصراع الذي كانت تخوضه الأمة الإسلامية وتعقد ذلك الصراع والأدوات التي استخدمها الأعداء من سياسة وإعلام وتربية وغيرها جعله كل ذلك يختار الرؤية الشاملة لإعادة البناء ويصر على استخدام الأساليب المعاصرة وتوظيفها في الصراع، وقد لعبت البيئة المصرية بلا شك دورا هاما في تشكل رؤية الإمام البنا بما كانت تحمله من تاريخ للأمة تمثله مصر وبالمعارك الكبرى التي نشبت على ساحاتها حيث اتخذها الصليبيون الساحة التالية للصراع الفكري والثقافي بعد تركيا وإسقاط الخلافة فيها وبقرب موقع مصر من الغرب الصليبي وإطلالتها على حقيقته وكثرة المثقفين والوعاة فيها وبالتطور المدني والسياسي للمجتمع المصري وفاعلية الأدوات العلمية التاريخية كجامعة الأزهر وبقية الجامعات والمعاهد.

ومن هنا تنوع اجتهاد الإمام البنا واتسعت رؤاه الإصلاحية لتشمل العقيدة والتربية وإعداد الجيل الواعد ولتشمل تلك الرؤى العمل السياسي والإعلامي والمؤسسي وغيره، بل وتوظيف الجهاد الذي غاب طويلا عن الأمة للذود عن المقدسات.

كما أثرت البيئة في نشأة جماعة التبليغ تأثيرا كبيرا تلك البيئة التي وجد المسلمون أنفسهم فيها مستضعفون وقلة على كثرتهم بعد أن تمكنت بريطانيا من فك رباط الأمة الإسلامية في شبه القارة الهندية وبعثرتها على ثلاث مواقع هي الهند والباكستان والبنغال، وبعد أن فعل الاستعمار البريطاني فعله في استعباد القارة الهندية وإنهاء أية مقاومة فيها، بل وتوظيف الهنود لخدمة التاج البريطاني في العالم والموت في سبيله. وبتطور العصبية الهندوسية وتطور الفكر الوطني الهندي الذي خدع به المسلمون كثيرا، وبتعدد الانتهاكات الهندوكية ضد المسلمين وفقدان المسلمين لأية حركة تمكنهم من صد العدوان الذي تكرر عليهم كثيرا فقد ترسخت فيهم قيمة المسالمة خاصة مع فقدانهم الأمل بنصرة إخوانهم المسلمين لهم والذين بات يلفهم السبات العميق في كل مكان من العالم، كما كان لترسخ المدارس الصوفية القديمة بين المسلمين في تلك البيئة أثرها الكبير في تشكل آمال هذه المدرسة، ففي ظل هذه البيئة ولدت جماعة التبليغ وترعرت وبدأت في نشر أفكارها في بقية العالم الإسلامي مؤكدة على تربية النفس والروح غاضة الطرف عن بقية أجزاء الشريعة من علم وفكر وسياسة وجهاد واقتصاد واجتماع لأنها تعتقد بأن التعرض لتلك الأمور سوف يعقد عملية الدعوة والإصلاح فآثرت السلامة وألزمت أتباعها بعدم التعرض لأي شيء خارج تعاليمها.

وأما المدرسة السلفية والتي نهضت في شبه جزيرة العرب فقد تأثرت كثيرا بأقوال أحد أهم مؤسسيها وهو الإمام محمد بن عبدالوهاب والذي راعه انتكاسة عقيدة المسلمين في مهد الرسالة وانتشار البدع والخرافات وابتعاد الناس عن روح الإسلام وصفائه فجعل يؤكد على ضرورة العودة إلى ذلك الصفاء مما أهل دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب أن تكون أحد معالم النهضة الإسلامية المعاصرة بتأثيرها على الدعوات التي جاءت بعدها كدعوة الإخوان المسلمين، ولكن تطاول الأمد بين مقولات المؤسس ومن جاء بعده وتعلق هذه المدرسة في مراحلها الأخيرة بالوضع السياسي المعاصر في شبه الجزيرة العربية والذي نشأ في ظل ترتيب الإنجليز لشؤون العرب كلها وليست الجزيرة العربية وحدها واتخاذ الدولة السعودية الحاكمة لهذه المدرسة كعمق ديني لتأكيد هيمنتها وسيطرتها على شبه الجزيرة العربية فقد كان لذلك كله الأثر السلبي على تطبيقات هذه المدرسة من حيث تابعية هذه المدرسة لرؤى الحكم والتي وضعت بدورها سقفا محددا لممارسة هذه المدرسة وعليه فقد توقف أداؤها على التأكيد بحسن صنيع الأسرة المالكة وحصر الدعوة في مساجلات كلامية مع المدارس الأخرى، وانحبست الفتاوى الصادرة عن هذه المدرسة في إطار البيئة السياسية والاجتماعية المحدودة دون الأخذ في عين الاعتبار المستجدات التاريخية في الأمة المسلمة وما فرضه الأعداء عليها من أوضاع سياسية، كما كان لالتزام هذه المدرسة بالتطبيقات المذهبية في ظل مذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة رحمه الله والاقتصار عليه أثره في اصطدام هذه المدرسة بما عليه المسلمون في مواقع أخرى من العالم والتزامهم بالمذاهب الفقهية الأخرى، وقد تولد من هذه المدرسة مدارس أخرى تقاطعت بعض اجتهاداتها مع اجتهاد المدرسة الأم ومنها المدرسة السلفية العلمية التي قادها الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في الكويت في نهاية السبعينيات وتميزت في مصر مدرسة أنصار السنة وخرجت الجماعة السرورية في السعودية في الثمانينيات (نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد بن سرور زين العابدين) والذي دمج المقولات السلفية في مجال العقيدة بالأداء الفكري والحركي للإخوان المسلمين في استهداف إقامة الدولة المسلمة، وبقيت المدرسة السلفية الكبرى في إطار ما عرف بالسلفية المدنية نسبة إلى نشأتها الحديثة وتبلورها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وأما الجماعات الصوفية فقد شكلت ولتاريخ طويل الأرضية والخلفية الدينية للأمة المسلمة وفي أغلب الأقاليم الإسلامية وبلغ من عمق استقرارها بين المسلمين أن شكلت تلك المدارس المرجعية المذهبية وقادت تلك المدارس الصراع ضد الغزو العسكري الصليبي في إفريقيا وآسيا وجنوب شرق آسيا ولكن الأساليب الحديثة التي استخدمها الصليبيون في المكر والدهاء واستخدام القوة مكنهم من إخضاع بلاد المسلمين في نهاية الأمر فسقطت كل

الرؤوس الواعية والمجاهدة في الأوساط الصوفية في العالم الإسلامي وبدأ المستعمر يشكل الأوضاع السياسية في المسلمين فاتخذ من الأرضية الصوفية منطلقا لتأييد الأوضاع التي بناها ثم جاء الساسة الذين رضعوا من لبان المستعمر الصليبي فأجادوا استخدام تلك الأرضية خداعا للمسلمين وتمكنا من رقابهم فأصبحت المدارس الصوفية لونا دينيا تراثيا يجمل ساحات المسلمين المتخلفة ويتخذ منها مواسما للسياحة في بلاد المسلمين ومنذ ذلك الوقت لم تشكل المدارس الصوفية أية أدوار إصلاحية حقيقية في بلاد المسلمين لا على المستوى العقدي ولا على المستوى السياسي والجهادي إلا ما تشكل من بعض الأدوار بنهاية القرن العشرين عندما ساهمت بعض المدارس الصوفية في مواقع من الجهاد المعاصر في آسيا الوسطى والبوسنة والشيشان.

وبناء عليه فإن التصنيف للجماعات الإسلامية يمكن أن يأخذ أكثر من منحى ومن ذلك تصنيف تلك الجماعات وفق منطقة عنايتها وتركيزها في الإصلاح من الناحية الاجتهادية أو العملية:

فهي إما أن تكون جماعات تركز على الرؤية الشاملة في الإصلاح وإما أن تهتم تلك الجماعات بواحدة أو أكثر من مفردات الإصلاح حسب الاجتهاد والوسع.

كما يمكن تصنيفها نسبة إلى مدخل الاهتمام العلمي المسيطر عليها: كالمدرسة الشرعية التي تعنى بنص العلوم الشرعية وهي الجماعات السلفية أو المدارس الفكرية التي تعنى بالنظر في الصراع الفكري والسياسي وهي جماعة الإخوان وحزب التحرير أوالمدارس التعبدية التي تعنى بالبعد الروحي والزهدي كجماعة التبليغ والجماعات الصوفية.

وإن التصنيف السابق في النظر إلى الجماعات الإسلامية لا يعني إهدار أدوارها الإيجابية في الدعوة إلى الله والآثار الطيبة التي تركتها في العالم الإسلامي ولكن الطرح السابق كان لتبيان آثار طبيعة النشأة والمؤسس والبيئة في تشكل تلك المدارس.

• رابعا: المعايير الشاملة لتقويم أداء الجماعات الإسلامية

إن التغيير النظري والعملي الذي أحدثته الجماعات الإسلامية في واقع الأمة الإسلامية لهو من السعة والعمق والاستقرار بحيث يبشر بمستقبل زاهر للمسلمين ولكن قياس وسبر أعماق ذلك التغيير وحدوده في الأمة المسلمة ليس بالأمر الهين خاصة في ظل التناقض الظاهري للمناهج المعتمدة لدى تلك الجماعات في الدعوة إلى الله عز وجل.

وقد يتساءل متسائل ما أهمية قياس التأثير الذي تركته الجماعات الإسلامية في وقتنا هذا ثم أو لا يخشى من ذلك إثارة الشحناء جراء الاقتراب من هذه المساحة؟

والجواب بأن تقويم الأعمال البشرية منهج معتمد لبناء ونهضة أي أمة وحتى تتجنب العثرات الكبرى في مسيرتها خاصة إذا قصد بذلك التقويم تحديد طبيعة الأرضية التي تقف عليها الأمة في وقتنا هذا وكذلك تحديد طبيعة التحديات التي تواجهها ومن ثم الاقتراب الدقيق والمباشر من متطلبات الإصلاح والتجديد، ومما يعين على دقة التقويم هو الاعتماد على الأساليب العلمية للقياس والتقويم كالمنهج المقارن الذي أدى إلى تطور كثير من العلوم.

ولا أقصد بالفقرات التالية أن أقف على مفاضلة في تقويم أداء الجماعات الإسلامية إنما أريد أن أشير إلى بعض المعايير التي يمكن أن تساعد في فهم عمق التغيير الذي أحدثته الجماعات الإسلامية دون أن نغمط أحدا حقه قدر المستطاع ودون أن نقع في خصام المناهج المتعارضة ظاهريا، ويجدر بنا هنا أن نتذكر قوله عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة:213) فلا يزال أتباع الحق يقعون في سنة الاختلاف في محاولاتهم للاهتداء والتعرف على الحق وإذا لم يكن لهم من الله هدى فإن أقدامهم توشك أن تزل، وإن أحد الشروط التي تمنع اختلافهم وتضمن لهم الاهتداء هو أن لا يبغي بعضهم على بعض أي لا يتجاوزا حدودهم وأصل أخوتهم فإن بغوا هلكوا ودليل ذلك ما أورده القرطبي في تفسير قوله عز وجل: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (البقرة:90) قال: (بَغْياً) معناه حسداً؛ قاله قتادة والسُّدّى.(انتهى) فليتأمل الدعاة ما حصل بينهم من فراق فإن غالبه التجاوز والحسد.

ولو تأملنا مساحات عمل الدعوة الإسلامية المعاصرة فإنها قد انداحت في دوائر واسعة يمكن التمييز بينها وفق الأطر العامة التي حددتها الشريعة الإسلامية ووفق حدود الاجتهادات التي عملت من خلالها مناهج الدعوات المختلفة المعاصرة، وهذه الدوائر يمكن تبينها في ثلاثة ميادين وهي:

الميدان الأول: الميدان الدعوي

الميدان الثاني: الميدان السياسي

الميدان الثالث: الميدان الجهادي

فقد تحددت الدائرة الأولى بالميدان الدعوي والذي يمكن أن يوصف بأنه أداء مباشر استهدف الإصلاح الفردي والجماعي من خلال المناهج التربوية المبثوثة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ووفق التطبيقات المتنوعة للمسلمين في العصور المختلفة.

ويمكن تفريع الميدان الدعوي إلى مجالات الأداء التالية:

الأداء الشرعي والعلمي

الأداء التربوي والإيماني

الأداء الاجتماعي والأخلاقي

وأما الدائرة الثانية فقد تعدت هذا الميدان لكي تدخل في ميدان السياسة والذي يتحكم في أوضاع الأمة العامة ويرسم مناهجها في المجالات المختلفة، وبتأمل ميدان العمل السياسي يمكننا تفريعه إلى مجالات الأداء التالية:

الأداء الفكري والإعلامي

الأداء السياسي الداخلي (شؤون الحكم والسياسة في الأمة)

الأداء السياسي الخارجي (شؤون علاقة الأمة بغيرها من الأمم)

وأما الدائرة الثالثة فقد تجاوزت ميدان العمل السياسي لكي تدخل في تجارب عملية في الميدان الجهادي والذي هو ذروة سنام الأمر كما ورد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له: «وأما ذروة سنامه فالجهاد في سبيل الله» رواه أحمد. وبتأمل الميدان الجهادي يمكننا تفريعه إلى مجالات الأداء التالية:

الأداء الجهادي الداخلي (مجاهدة المنافقين ومناهج العلمنة)

والأداء الجهادي الخارجي (جهاد الكفار بمختلف مللهم)

وبالنظر إلى الممارسات الدعوية المختلفة وأداء الجماعات الإسلامية فإن كل ميدان من تلك الميادين الثلاثة قد تحققت فيه إنجازات عملية مباركة للدعوة الإسلامية المعاصرة يمكن استثمارها لتحديد معايير الأداء الإسلامي إيجابا وسلبا وللوصول إلى مساحات الإنجازات في كل ميدان من الميادين الثالثة السابقة الذكر فقد اجتهدت في تقسيم الميادين الثلاثة بتفريعاتها المذكورة إلى معايير تشبه المسطرة [1] بحيث يمكن استخدام تلك المعايير لقياس إنجازات الجماعات والحركات الإسلامية بشكل علمي ودقيق لعل ذلك يدفع باتجاه تحسين الأداء الإسلامي وتوضيح أبعاده وتخفيف الانغلاق الذي درجت عليه أغلب الجماعات الإسلامية على أن يكون الهدف من هذه المسطرة ما يلي:

1- اعتماد رؤية علمية لتقييم مناهج الاجتهاد عند الحركات المختلفة.
2- تحديد مدى الانعكاس العملي لتلك الاجتهادات المختلفة على واقع الأمة.
3- رؤية مدى التداخل والتكامل في إنجازات الجماعات وحاجة بعضها إلى بعض.

الميدان الأول:

معايير الأداء في الميدان الدعوي وفيه معايير الأداء التالية:

أ/معايير الأداء الشرعي والعلمي:

1- مدى الجهود المبذولة في تصحيح العقيدة ومحاربة البدع.
2- مدى خدمة العلوم الشرعية بمجملها من خلال النشر.
3- مدى خدمة العلوم الشرعية بمجملها من خلال الدعوة العامة بالوسائل المختلفة.
4- مدى الجهود المبذولة للتعريف بالإسلام ومبادئه.
5- مدى الجهود المبذولة للرد على الشبهات.
6- مدى إيجاد المؤسسات الخادمة للعلوم الشرعية كالجامعات والمعاهد.
7- مدى الجهود المبذولة في ترجمة العلوم الإسلامية إلى اللغات العالمية.
8- مدى الجهود المبذولة لأسلمة العلوم الأخرى وتطوير الاجتهاد. كالاقتصاد وغيره.
9- مدى الجهود المبذولة في تفنيد وصد الغزو الثقافي للمسلمين.

ب/ معايير الأداء التربوي والإيماني:

1- مدى الجهود المبذولة في تربية وإعداد أجيال الشباب المسلم ومن خلال الوسائل القديمة والمعاصرة.
2- مدى الجهود المبذولة في إحياء السنن تطبيقا ودعوة.

(1) يمكن أن تخدم هذه المعايير ويتم تطويرها بشكل أفضل مما هي عليه في هذا العرض.

3- مدى توظيف الآيات الكونية في تربية أجيال الأمة وتعميق إيمانها.
4- مدى العناية بنظام التعليم الحديث وتطويعه لصالح التربية الإسلامية.

ج/ معايير الأداء الاجتماعي والأخلاقي:

1- مدى العناية بالأسرة المسلمة وحمايتها أخلاقا وتربية وقانونا.
2- مدى العناية بالمرأة المسلمة وحمياتها.
3- مدى العناية برسالة المسجد وتوظيفه دعويا وتربويا.
4- مدى العناية بالقرآن الكريم حفظا وعلما.

الميدان الثاني:

معايير الأداء في الميدان السياسي وفيه معايير الأداء التالية:

أ/ معايير الأداء الفكري والإعلامي:

1- مدى استثمار الأدوات الإعلامية المعاصرة.
2- مدى الجهود المبذولة في مصاولة أصحاب الفكر المعادي للإسلام.
3- مدى الجهود المبذولة في التجديد العلمي في كافة الميادين اعتمادا على الكتاب والسنة في مجال الدعوة (الزنداني، ديدات،سويدان،سيد قطب، وغيرهم).
4- مدى الجهود المبذولة في تطوير الاجتهادات الدعوية لمقابلة المستجدات في واقع الأمة المسلمة والأمم من حولها.

ب/ معايير الأداء السياسي الداخلي: (شؤون الحكم والسياسة في الأمة)

1- مدى السقف السياسي المطروح من مثل (تطبيق الشريعة، البرلمان، الحريات والحقوق العامة، أسلمة القوانين.الخ).
2- مدى تحمل التبعات في سبيل الدعوة إلى الله من ضغوط وتهديد.
3- مدى النجاح في المحافظة على الاستقلال عن الأنظمة السياسية وعدم الاستقطاب والتوظيف.
4- مدى القيام بمهام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الممارسات السياسية.
5- مدى تمثيل الصوت الإسلامي في المواقع المختلفة كالبرلمانات وغيرها.
6- مدى النجاح في نزع أسباب التفجر والصراع في المجتمعات المسلمة.
7- مدى النجاح في إيجاد تجارب تطبيقية في واقع المسلمين.
8- مدى النجاح في أسلمة القوانين والنظم التي تحكم المجتمعات المسلمة.

ج/ معايير الأداء السياسي الخارجي (شؤون علاقة الأمة بغيرها من الأمم)

1- مدى الحضور الإسلامي في قضايا الأمة الكبرى.
2- مدى المشاركة في تطوير الاجتهاد في الممارسة السياسية.
3- مدى المشاركة في تطوير الخطاب الإسلامي لكي يتلاءم مع العقلية غير المسلمة.
4- القيام بمهام الدعوة والعناية بمجتمعات المسلمين في بلاد الكفر.
5- مدى اختراق المؤسسات العالمية السياسية والفكرية وتوصيل الصوت الإسلامي.
6- مدى الجهود المبذولة في مواجهة الغزو الفكري والسياسي للأمة كالشيوعية والتبشير النصراني والعولمة.

الميدان الثالث:

معايير الأداء في الميدان الجهادي وفيه معايير الأداء التالية:

أ/ معايير الأداء الجهادي الداخلي: (مجاهدة المنافقين ومناهج العلمنة)

1- مدى تحمل تبعات الدعوة في سبيل الله من التضييق والقتل والهجرة والسجن.
2- مدى العناية بفتح مجال الدعوة والتأثير دون الدخول في الصراع المباشر وتفويت الفرصة على الأعداء.
3- مدى العناية بدماء المسلمين وحقنها.
4- مدى المشاركة في طرح أبعاد المشروع الإسلامي ووضعه قيد التنفيذ.

ب/ معايير الأداء الجهادي الخارجي: (جهاد الكفار بمختلف مللهم)

1- مدى احتواء المنهج الاجتهادي والمقولات الأساسية على مفردة الجهاد واعتماده كركن لعودة الإسلام إلى الحياة.
2- مدى المشاركات الجهادية المباشرة في رد اعتداءات الكفار على محرمات المسلمين.
3- مدى الدعم المعنوي (السياسي والإعلامي وغيره) المبذول للمجاهدين وقضايا المسلمين الجهادية.
4- مدى الدعم المادي والخيري المبذول للمجاهدين وقضايا المسلمين الجهادية.
5- مدى المساهمة في إدارة شؤون الجهاد وتطويره وإيجاد المنافذ والسبل أمامه حتى لا يتوقف فالجهاد ماض إلى قيام الساعة حسب ما ورد في الصحيح.

وعلى ضوء تلك المعايير والتي يمكن أن تخضع للتعديل والتحسين يمكن التوقف الدقيق عند أداء الجماعات الإسلامية المختلفة وتحديد مؤشرات وملامح إنجازاتها خلال العقود الثلاثة الماضية أي خلال السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات وهو ما سوف أبسطه في

المفردة التالية.

• خامسا: النقد العام لأداء الجماعات الإسلامية

وفي هذه المفردة سوف أستعرض مجمل الإنجازات والمعوقات الكلية التي رافقت مسيرة الجماعات الإسلامية المعاصرة وذلك من خلال توظيف غير مباشر لمعايير التقويم سابقة الذكر:

- اتضح بأن اختلاف الجماعات الإسلامية لم يكن كله بلاء وفتنة فقد كان في بعض جوانبه اختلاف رحمة فقد كان اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ذلك أن الاختلاف أتاح مضي كل جماعة لتحقيق اجتهادها في ساحات المسلمين وباستخدام أساليبها الخاصة مما نوع الأداء المدرسي في الأمة وقد كانت الأمة ولا تزال بحاجة لهم جميعا ولجهودهم بدليل أنه لو قامت كل جماعة من تلك الجماعات بمضاعفة جهودها مرات ومرات فلا تزال ساحات الأمة بحاجة إليها، وكما كان في الأمة الإمام عبدالله ابن المبارك العالم المجاهد فقد كان فيها الإمام الفضيل بن عياض العالم الزاهد العابد.
- واتضح بأنه لا تغني جهود جماعة عن جماعة ذلك أن توجه الاجتهاد في كل جماعة نحو مسألة أو مسائل محددة جعلها تتقن أداءها وتتخصص فيه تخصصا يصعب على البقية أن يؤدوه بنفس المستوى فقد كان لانصراف المجاهدين للجهاد في أفغانستان طوال الثمانينيات من القرن العشرين أثره العظيم على معادلات الكفر المستقرة في العالم ولم يكن بإمكان المدارس الإسلامية الأخرى لتقوم بهذا الدور والعكس صحيح فقد أدى انصراف بقية الحركات الإسلامية إلى الدعوة والإعداد أثره العظيم على سائر الأمة المسلمة والعالم.
- واتضح بأن انصراف كل جماعة نحو اجتهادها قد أهلها لتنبيه بقية الجماعات بل والأمة إلى حاجتها لهذا النوع من الاجتهاد والعمل وإلا مالت الأمة نحو أداء محدد من مسطرة هذا الدين العظيم وهذا ما جعل الجماعات بجملتها تؤدي دورا متوازنا في الأمة ودورا رقابيا فيما بينها فقد قامت الجماعات السلفية المعاصرة بدور بارز في حفظ الدور المرجعي الذي تلعبه النصوص في بناء الأمة دون اختلاط وتأثير لأي مرجع آخر.
- واتضح بأن انتشار الجماعات الإسلامية على مستوى الأمة قد أوجد أجواء موحدة في الاجتهاد والتطبيق الإسلامي وهي درجة من النهضة محمودة فمن لا يعرف في المسلمين

اليوم جماعة التبليغ وأسس دعوتها في العالم وكذلك من لا يعرف الدعوة السلفية أو دعوة الإخوان المسلمين أو الجهاد وبقية الدعوات والجماعات وهذه الأجواء تؤهل الأمة إلى نقلات أخرى بشرط أن تعزم قيادات الحركات والجماعات على إحداث تلك النقلات.

- واتضح بأن بعض الجماعات تمكنت من إحداث نقلة مباركة في التنسيق والتواصل كان من أهمها العلاقات التي تطورت بين الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية في باكستان وحزب الرفاه في تركيا، وكان من أهمها التفاهم الذي جمع عددا وافرا من الجماعات الإسلامية في باكستان إبان الهجمة الصليبية على أفغانستان بعد أحداث 11 سبتمبر.
- واتضح بأن أداء الجماعات الإسلامية قد أوجد بنية تحتية مباركة من الأجيال الملتزمة والمؤسسات العاملة والتجارب الثرة وهو ما يرجى أن يرفع الحرج الشرعي عن الأمة بقيام هؤلاء الدعاة بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والتصدي للأزمات الكبرى في تاريخ الأمة المعاصر، وهو ما يمكن أن يستثمر لاستكمال المسيرة الإسلامية بشرط إدخال تعديلات هامة في تلك البنية ومنها تخفيف الألوان الفاقعة لكل جماعة وتخفيف حظوظ النفس لدى القيادات وغير ذلك من المتطلبات.
- واتضح بأن الجماعات الإسلامية لا تزال تمتنع امتناعا يكاد يكون كليا عن التقارب والتعاون والتلاحم أو على أقل تقدير أن ترى حسنات الآخرين فتعترف لهم بالفضل ولا تبخسهم أشياءهم فكل يرى الآخر بعين الريبة والشك والعزلة إذا لم يره بعين البغض والكره.
- واتضح بأنه لا يمكن لأي جماعة أن تنفرد بصناعة واقع ومستقبل الأمة لوحدها مهما بلغت إمكانات وقدرات تلك الجماعة ودليل ذلك الواقع المشاهد ومستوى العجز الذي آلت إليه أمور الجماعات الإسلامية وهي متفرقة، فلا جبهة الإنقاذ تمكنت من إحداث نقلة وافرة في واقع الأمة في الجزائر بعد سقوط الشيوعية فيها ولا الإخوان المسلمون بقيادة محفوظ النحناح رحمه الله تعالى تمكنوا من ذلك، ولكن الاعتراف بهذه الحقيقة صعب.
- واتضح بأن أكثر الجماعات قد تعارضت وتقاطعت أدوارها بينها في أحيان كثيرة دون أدنى مستوى من الاعتراف بعضها ببعض أو السعي إلى التنسيق والتكامل بينها على أقل تقدير ومن أمثلة ذلك التعارض ما وقع بين الإخوان المسلمين والسلفية في أكثر من موقع فيما يخص العمل السياسي والبرلماني في الكويت وغيرها، ومنها التضارب الذي نشأ على خلفية سعي أغلب الجماعات لملء الفراغ واستثمار الفرصة التي نشأت عن خروج بلاد المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز من الستار الشيوعي الحديدي، فكان من نتيجة ذلك التدهور الذي أصاب بعض التجارب المباركة كانتصار الشيشان على الروس عام 1996 في بادئ الأمر ثم وقوع الاجتياح الروسي لتلك البلاد والذي نتج عن استثمار الروس

للتعارض الإسلامي على الساحة الشيشانية بين المدرسة السلفية والمدرسة الصوفية.

- واتضح بأن النقد الموجه من فريق للآخر يمكن أن يتكرر عند المنتقدين فقد انتقد البعض قيام البعض بالمواجهة المسلحة لأنظمة الحكم الشيوعية والبعثية مثلا وما نتج عن ذلك من شهداء ودماء فإذا بالمنتقدين يكررون نفس العمل وبمستوى أكبر كما انتقدت المدرسة السلفية دور الإخوان في سوريا فإذا ببعض أجنحة هذه المدرسة تكرره في الجزائر وفي الصومال في بداية التسعينيات وهكذا بغض النظر عن الملابسات التي صاحبت تلك التجارب، كما قامت الجماعة السلفية العلمية بالكويت بالدخول في الأداء البرلماني بعد أن كانت بعض الاجتهادات السلفية لا تراه البتة.
- واتضح بأن كل جماعة تتخذ من اجتهادها مرجعية كاملة ونهائية للحكم على بقية الجماعات وتنزل اجتهادها منزلة الدين ذاته مما منع من أدنى مستويات التفاهم والتنسيق حتى أعطت كل جماعة لنفسها الحق بالحكم على كل ما هنالك من أحوال وأوضاع في الأمة وذلك وفق اجتهادها ومقولات مؤسسها أو مجموع مؤسسيها، وعليه فترى أصحاب الجهاد يجهلون (بتشديد الهاء) أصحاب السياسة وأصحاب العلم الشرعي يجهلون أصحاب التزكية والعكس صحيح، كما أن أغلب الجماعات لا ترى دورا للأمة غير متابعة اجتهادها ورؤيتها.
- لقد شاب خطاب الجماعات الإسلامية قدر من الدعاية وفنون التسويق والمبالغة في نقد اجتهاد الآخرين ومحاولة تغليب اجتهاد كل جماعة على اجتهادات الآخرين وهي مسألة وإن كانت فطرية لكن خطرها ماحق إذا تركت دون التزام بما يمليه الشرع على المختلفين فيما يسع فيه الاختلاف وهذا يقتضي التوقف والتأمل وتخليص الخطاب من تلك الشوائب، فمن فنون الدعاية المستخدمة الإغراق في استخدام المصطلحات استخداما قاطعا كمصطلح العقيدة الذي أصبح سيفا مسلطا فإما أن يتبع الآخرون اجتهاد رافعي هذا الشعار - ونعم الشعار هو- وإما أن يُتّهموا بالتخليط مع العلم بأن هؤلاء المجتهدين وإن كانوا واقفين على أرض راسخة في مسألة العقيدة ومسائل أخرى لكن يصعب التسليم لهم ببقية مفردات اجتهادهم، فما لم يتفهم أصحاب هذا الاجتهاد هذه المسألة وإلا فإنهم سوف يتهمون الآخرين بالخروج من ربقة الدين ومن فنون الدعاية ربط بعض الاجتهادات في هذا العصر بسلسة من علماء المسلمين في التاريخ وضمهم كلهم ضمن اجتهاد محدد وعليه فإن من خالف هذا الاجتهاد فقد خالف أولئك الأئمة الأعلام! ومن فنون الدعاية ادعاء بعض الاجتهادات الفهم الشامل الكامل فمن خالف هذا الاجتهاد ففهمه واجتهاده ليس شاملا.
- وقد حرصت أغلب الجماعات على تلقين القادمين الجدد إليها فنون الخصام والجدال

وإظهار نقائص وعيوب الآخرين من أول يوم لهم فيها فتنغلق الآفاق على هؤلاء الملتحقين فلا يسعهم إلا أن يتحركوا وفق ما تم تلقينهم إياه فمتى تحصل المؤاخاة بين المسلمين إذا كان هذا حالهم؟

- واتضح أن من أهم التطورات السلبية في فقه الجماعات الإسلامية هو نمو القول وتكاثره بالفهم الخاص للإسلام عند كل جماعة وامتناع هذا الفهم على الآخرين مما يكرس الانغلاق ويضعف التواصل والاصطفاف وراء المشروع الإسلامي ومتطلباته الكبرى.
- اتضح بأن طول الأداء المنغلق لكل جماعة قد أورثها منظومة من القيم الداخلية المعطِّلة (بكسر الطاء) والتي باتت تشكل بيئة طاردة للقيم الإيجابية كالتعاون والرغبة في التطوير والتحسين ومن تلك القيم المعطلة قيمة الانغلاق التي تغذي العواطف الداخلية لكل جماعة وتحافظ على الصفاء ورؤية النجاح دائما والابتعاد عن التنافس، ومن تلك القيم المعطلة قيمة الجمود والتي قد يسميها البعض أحيانا بالثبات على غير مسماها الحقيقي حيث ينعكس الجمود على كل شيء من القادة إلى الخطة إلى التصور عن العالم الخارجي للمؤسسة، وغير ذلك من القيم المعطلة التي تحتاج إلى دراسة متأنية.
- واتضح بأن الأداء المنغلق لكل جماعة قد جعل بعض تلك الجماعات تنفرد بمعالجة أخطر شؤون الأمة دون استصحاب الآخرين سواء كانت تلك القرارات في المجال السياسي أو الجهادي أو الدعوي.
- واتضح بأن الأداء المنغلق للمدارس الإسلامية المعاصرة قد جعل الأعداء يتخذون قرارات ضربها دون أن يوحد الضرب فيما بينها فقد ضُرب الإخوان في مصر وغيرها وبقي الآخرون يتفرجون وضُرب الجهاديون في مصر وبقي الآخرون ينظرون وضُرب السلفيون في الجزائر وبقي الآخرون ينظرون وضُرب السروريون في السعودية وبقي الآخرون ينظرون وهكذا.
- واتضح بأن الجماعات غالبا ما تهمل تتبع منظومة القيم الإسلامية المتكاملة عند إعداد أتباعها فخرج نتيجة ذلك الجيل الإسلامي المعاصر وقد تضخمت فيه بعض المعاني واضمحلت فيه بعض المعاني الأخرى فترى بعض الخاشعين في الصلاة أو بعضا من طلبة العلم الشرعي يظهرون دهشة كبرى للأداء الجهادي ويستغربون من أهله وترى الكثير من الملتزمين يعيبون على إخوانهم الاستقلال والجرأة في نقد الأداء الإسلامي ويعتبرونه شقاقا وخروجا، ولو تأملنا منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في إعداد الصحابة فإنه وكما أعدهم صلى الله عليه وسلم بالصلاة والذكر وطاعة الأمير فإنه أعدهم بالاستقلال وقوة الرأي وتميز الشخصية حتى رأينا الحُباب بن المنذر رضي الله عنه يطل على التاريخ قبيل بدر فيُشير بملاحظته الاستراتيجية والتي أتاحت للمسلمين موقفا

متفوقا على كفار قريش.

- واتضح بأن غالب الجماعات الإسلامية تهتم بكسب الأفراد إلى صفوفها فإذا تمت عملية الكسب والولاء تُركَ هؤلاء من زيادة العلم وزيادة العبادة وزيادة المهارات فتتم عملية إدارتهم بالعاطفة وحدها مما يهدد بالانجرار إلى المواقف الكبرى دون تأمل وتبصر.
- واتضح بأن شدة الضغوط السياسية والأمنية التي مورست ضد الحركات الإسلامية خلال عقد التسعينيات من القرن المنصرم قد أدت إلى نتائج سلبية كثيرة في أوساط الحركات الإسلامية ومنها تبرؤ بعضها من بعض رغبة في السلامة ومنها سلوك البعض مسلك التمويه الشديد على المسار الإسلامي حتى اختلطت الأمور على المسلمين فلم يعودوا يتبينوا حقيقة المواقف ومدى قربها من الإسلام كالموقف في تركيا عندما تبارى بعض من قادة الحركة الإسلامية في دعم مبادئ أتاتورك بقيادة أردوغان وكذا الموقف في السودان حين اختلف القادة في قمة الهرم القيادي وكما نرى من بعض المنتمين للحركات الإسلامية الذين يحرصون كل الحرص على صدور شهادات حسن سيرة وسلوك لهم من النظم السياسية التي باتت تخدم الأعداء أكثر مما تخدم الأمة. وعليه ومع الإقرار بظروف الاستضعاف وشرعية التمويه فالحرب خدعة ولكن لا بد أن يتم ذلك بضوابط حددتها الشريعة فلا يصل الأمر إلى ضياع المشروع الإسلامي واختلاطه بغيره من المشاريع.
- واتضح بأن أكثر ما أضر بمسيرة الجماعات الإسلامية المعاصرة هو وقوعها في أسر الانتقائية الفقهية والانتقائية التاريخية والانتقائية الجغرافية والتي باتت تشكل مقولات قيادات كل دعوة وجماعة مما ضيق واسعا ومنع تفاهم وتواصل تلك الجماعات حتى أنهم لم يتمكنوا من التجمع ولو في ظل حلف الفضول الذي مدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شهدت غلاماً مع عمومتي حلف المطيبين، فما أحب أن لي حمر النعم وأني، أنكثه».رواه أحمد، فما بالكم بالحلف على نصرة الأمة المسلمة وفي ظل هذا الدين العظيم؟
- واتضح بأنه رغم أن أغلب الجماعات الإسلامية أصبحت عابرة للقارات وتشكل أحد عناصر العولمة في عالم اليوم لكنها وقعت أسيرة للحدود السياسية القاصرة وللحدود العصبية القومية ولم تتمكن بعد من بناء الجسور التي تتمكن الأمة المسلمة من العبور عليها إلى واقع أفضل وتكامل في أدائها، ومن أمثلة ذلك أن ترى دعاة ينتمون إلى نفس المنهج الدعوي كالإخوان والسلفية في مختلف البلدان لكن صفتهم الأولى التي تتقدمهم ليس انتماءهم الدعوي وإنما انتماؤهم القطري والمكاني.

- واتضح بأن تفرق الجماعات الإسلامية قد مكن الحكومات من استخدامها بأشكال شتى فقد لعبت تلك الحكومات على تناقضات الجماعات الإسلامية وتمكنت من توظيف عداء بعضها لبعض فقربت هذا وأبعدت ذاك واتخذت من شرعية الجماعات شرعية لها وهكذا.
- واتضح بأن أشد ما يعطل تكامل أداء الجماعات الإسلامية اختلافها على نقاط رئيسة تتمحور حول التالي:
  - تفسير الوضع السياسي في الأمة وما يستتبعه من انعكاسات كالموقف من حكام المسلمين.
  - تفسير الوضع السياسي العالمي وتعامل المسلمين معه.
  - مسألة تحديد المنهج الأساسي المتبع في عملية التعامل مع الأوضاع السياسية بين المسلمين أو مع أعدائهم.
  - التقييم الكلي لمنهج كل جماعة إسلامية وأسس التعامل فيما بينها.

● سادسا: النقد الخاص لأداء الجماعات الإسلامية

وهذا النقد لا بد منه وهو يقف عند الإيجابيات والإنجازات كما يقف عند السلبيات لكل جماعة حيث لم تعد رؤى وممارسات أي جماعة خافية ولعل من أهم أهداف هذا النقد توسيع دائرة الرؤية وتحديد مدى حاجة المسلمين لدور كل جماعة وحاجة كل جماعة إلى دور الجماعات الأخرى في الساحة الإسلامية وإثبات حقيقة مفادها أن لكل جماعة إنجازها وتفردها في خدمة المشروع الإسلامي من زاوية أو زوايا محددة كما يهدف النقد إلى إثبات خطأ الظن الذي وقع فيه أكثر العاملين للإسلام في ظل هذه الجماعات بأن الاجتهاد والتطبيق الذي هم عليه معصوم من الأخطاء والقصور ولعل متسائل يتساءل: هل هناك فعلا من يدعي عصمة الاجتهاد في واقع الجماعات الإسلامية؟ والجواب بأنه إذا لم يكن أحد يعبر عن هذه المقولة بلسان المقال فإن لسان الحال بين وواضح في ذلك.

النقد الموجه للإخوان المسلمين:

الإيجابيات والإنجازات في تاريخ الإخوان المسلمين:

○ تحقق متطلبات التجديد:

كاد علماء المسلمين المعاصرين وقادة الجماعات الإسلامية أن يجمعوا على أن الاجتهاد الذي طرحه الإمام حسن البنا وسعى لتطبيقه قد بلغ ذروة من متانة العلم وجزالة الرأي واستيعاب الواقع لم يبلغها أي طرح آخر معاصر فقد أجاب فيه رحمه الله تعالى على أهم التحديات في تاريخ الأمة حيث طرح اجتهادا متكاملا مستوفيا لمفردات الإسلام وحدد مسارا مفصلا لمشروعه وفق مراحل متدرجة وقد تناول في مشروعه كل شؤون الحياة الأساسية في ظل الإسلام سواء كان الشأن الدعوي أوالشأن السياسي أوالشأن الاجتماعي أوالشأن الاقتصادي أوالشأن العالمي وغيره من الشؤون.

وقد تحققت متطلبات التجديد في اجتهاد الإمام البنا بالمرتكزات التالية:

1- استكمال واستحضار أركان الإسلام ومتطلباته الأساسية في الاجتهاد وعدم تجاوز أي ركن منها.
2- تحديد سقف المشروع بالخلافة الإسلامية التي أعطت للمشروع فضاء واسعا من حيث الزمان والمكان ولعل من أهم ما يتعلق بهذا المتطلب في اجتهاد الإمام البنا هو سعيه لضم وتوحيد المرجعية السياسية والشرعية من جديد في نظام الخلافة.
3- تأسيس الاجتهاد على علاج دقيق ومباشر للمستجدات الكبرى في واقع الأمة المسلمة وليس مجرد جمع لمقولات سابقة لمجتهدين عالجوا وضعا محددا في التاريخ الإسلامي.
4- النجاح في تطبيق أغلب مقولات ومفردات منهج الاجتهاد من إعداد الجيل ومن بناء المؤسسات ومن الاهتمام بقضايا المسلمين ومن المشاركة الجهادية الدقيقة في فلسطين ومن نزع فتيل المواجهة في المجتمعات المسلمة بقبول الأوضاع السياسية والدعوة للتغيير تحت مظلة القانون والنظام إلى غير ذلك من النجاحات التطبيقية في عهده رحمه الله تعالى.
5- توريث الدعوة للأمناء الذين حافظوا على مسيرة الدعوة ورعاية الاجتهاد وتحملوا في سبيل ذلك العنت والقتل في سبيل الله.

○ تعدد التطبيقات والتجارب:

فقد تعددت التنطبيقات والتجارب في جماعة الإخوان المسلمين جغرافيا وفقهيا مما فتح المجال لإضافات مباركة من التطبيق والتجارب الثرة التي أغنت المرحلة المعاصرة من تاريخ

الأمة والتي سمحت بدورها بالتطوير والإضافة في كل الاتجاهات، فهناك مدرسة الإخوان المصرية وهناك المدرسة اليمنية وهناك المدرسة السودانية وغيرها وفي ظل هذه المدارس التي تستظل بالمدرسة الأم تحققت الإضافات المباركة في مجال التعامل مع واقع المسلمين المعقد وتحريك الدعوة بحكمة ودأب والمضي نحو تشكيل بُنية تحتية للدعوة الإسلامية في شرائح المجتمعات المسلمة وفي المؤسسات، وهناك الإضافات في مجال تطوير الرؤية السياسية والممارسة السياسية والتعامل مع الاتجاهات السياسية الماكرة التي أخضعت الأمة وأفسدتها طوال القرن العشرين من علمانية وشيوعية وبعثية وقومية لا دينية وغيرها والتي تمكنت من أدوات الحكم في العالم الإسلامي من جاوة إلى طنجة وعملت على تغيير عقليات وأخلاقيات المسلمين وتحملت دعوة الإخوان المسلمين في مواجهة تلك الاتجاهات الدور الأكبر حيث راوحت الممارسة النظرية والعملية لدى هذه الجماعة بين الحكمة والدهاء وبين المواجهة والمصابرة.

○ الاجتهاد الوافر والشامل:

فقد تمثل في اجتهاد الإخوان المسلمين النظام المتكامل والقابل للتطبيق في كل الاتجاهات وتحت أقسى الظروف مما رشح دعوة الإخوان المسلمين للاستمرار والتعامل مع كل البيئات والتغلب على العقبات فهناك الوجود المبكر للإخوان المسلمين في أوروبا و أمريكا والذي سمح بوضع استراتيجية رعاية الجاليات المسلمة في القارتين وهناك إدارة الصراع مع أعتى النظم العلمانية التي عرفها قلب العالم الإسلامي وهو النظام الناصري القمعي وهناك العمل الهادئ واستثمار الاستقرار في الجزيرة العربية وهناك دفع وتشجيع الجهاد في أفغانستان وغيره وهناك العمل الدعوي الهادئ خلف الستار الشيوعي الحديدي من قبل وغير ذلك كثير.

○ تجديد الممارسات الجهادية:

وكان من أهم تلك الممارسات الجرأة والتوفيق في إعلان الجهاد على وليد الصليبية اليهودي المسخ في أرض المقدسات وإعطاء المثل المبارك على دور الأمة الحقيقي في تعاملها مع أعدائها. وقد تكامل أداء الإخوان في هذه الساحة من قبل ومن بعد فالإمام البنا يتقدم بالمجاهدين نحو فلسطين وهو يعرف أنه بذلك يهدد كل مكتسبات الدعوة في عهده ولكن المقدسات لا تقارن بالمكتسبات وكذا فعل مشايخ فلسطين المتأخرين وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين. ولعل من أهم ما يتيحه هذا التوفيق وهو إعلان الجهاد المعاصر في فلسطين على يد الإخوان المسلمين ممثلا في حركة حماس أن يتمحور المشروع الإسلامي المعاصر على هذه النقلة التي يمكن أن تجمع عليها الأمة والجماعات الإسلامية بغض النظر عن اختلاف الاجتهادات والرؤى.

○ الإضافات الاجتهادية والعلمية:

وقد تم ذلك بالإضافات العلمية المباركة في مجال الفقه والتطبيق في عدة ميادين فهناك فقه الزكاة المستجد للشيخ يوسف القرضاوي والذي له فضل السبق فيه وهناك الفقه المقارن الميسر الذي قدمه للأمة سيد سابق رحمه الله وهناك التطبيقات الاقتصادية التي قدمها كل من المرحوم الدكتور عيسى عبده إبراهيم والمرحوم الدكتور محمود أبوالسعود والتي تأسست على ضوئها البنوك الإسلامية وهناك التطوير في مناهج التربية والتعليم الذي قاده الدكتور إسحاق الفرحان وهناك الفقه السياسي التطبيقي والذي شاركت فيه كوكبة وشريحة كبيرة من الكويت إلى لبنان إلى السودان إلى الجزائر إلى تونس إلى أوروبا وأمريكا من طاقات وعناصر الإخوان المسلمين، وغير ذلك كثير لا يتسع المجال لذكره.

○ الاعتراض الجهادي على الشيوعية والبعثية:

فقد سجل الإخوان جرأة مبكرة في الاعتراض العملي على الفساد الشامل الذي لحق بالمجتمعات المسلمة نتيجة لتمكن الشيوعية والبعثية الملحدة في العالم العربي وذلك من خلال مواقف مختلفة منها مقاومة المد الشيوعي في العراق ومنها مقاومة المد الشيوعي في اليمن ثم الموقف التاريخي في سوريا في بداية الثمانينيات والذي أسس فيه الإخوان لمبدأ الاعتراض الجهادي الداخلي في الأمة إن وصلت الأمور إلى حد انتهاك المحرمات وتكريس الإلحاد، وإن نظر البعض إلى هذا الموقف من خلال الصور السلبية التي خلفها.

○ الدعوة والتربية في مجال الشباب:

وذلك من خلال التوظيف الفعال لطاقات الأمة في الدعوة خاصة في مجال الشباب والنساء واستثمار ذلك التوظيف في مواجهة تغلغل الفساد والفكر المعادي للإسلام بكل ألوانه الخبيثة حتى حول الإخوان الجامعات التي كان يفترض فيها أن تفرخ تلك الأفكار إلى معاقل حصينة للإسلام في مصر وفي تونس وفي السودان وفي الجزيرة العربية وغيرها.

○ العمل على المدى البعيد:

فقد استخدم الإخوان المسلمون طول النفس والصبر كاستراتيجية أساسية للوصول إلى تحول حقيقي في الأمة دون التفريط في الفرص التي تأتي والتحولات التي تطرأ في المجال السياسي والاجتماعي وقد ساعدت تلك الاستراتيجية على تجذر الدعوة وتجنيبها المخاطر الاستئصالية.

○ عالمية الدعوة:

فقد نجح الإخوان المسلمون في تحويل الحلم بعالمية الدعوة إلى مقدمات مباركة تسمح بالبناء عليها وذلك من خلال الأداء العلمي والعملي فمن الناحية العلمية أثرت كتب الإخوان في المكتبة الإسلامية المعاصرة ومهدت الطريق لتواصل عالمي بين علماء الأمة ومثقفيها ومن الناحية العملية فقد سرت دعوة الإخوان في كل العالم وتموضعت في أغلب الشعوب الإسلامية وتجاوزتها إلى مواقع أخرى في العالم وتنوعت المؤسسات الدعوية التي تقوم بأدوار عالمية.

○ الاستقلال:

فقد تمكن الإخوان المسلمون من تجاوز الأوضاع القائمة والاستقلال عنها ومن ذلك الأوضاع الحزبية السياسية العلمانية والأوضاع العائلية الملكية والأوضاع القبلية فلم ترتهن الدعوة لتلك الأوضاع وحافظت على استقلالها رغم الترغيب والترهيب الذي سلط عليها.

○ الأداء المؤسسي الدعوي:

نجح الإخوان المسلمون في إرساء أكثر القيم تأثيرا في الأداء المؤسسي الحزبي ومن ذلك التوالد القيادي والتداول للإمارة والشورى الملزمة والتخطيط الاستراتيجي والتخطيط المرحلي وإقرار السياسات العامة والمتابعة والتقويم والهيكلية المناسبة لكل بيئة والأداء التخصصي والتدريب إلى غير ذلك من جوانب الأداء المؤسسي.

السلبيات في تطبيقات الإخوان المسلمين:

○ الجمود القطري:

فقد تبين في العقدين الأخيرين وقوع دعوة الإخوان المسلمين في أسر النظرة القطرية والمصلحة القطرية التي باتت تتقدم على المصلحة الدعوية العالمية وقد أثر ذلك سلبا على الأداء الاجتهادي النظري كما أثر بطبيعة الحال على الأداء العملي التطبيقي، وعليه فإن من نتائج هذا القصور أن ضاق واقع الإخوان عن سعة النظرية والاجتهاد الذي ينتمون إليه والتاريخ الذي تقلبوا فيه كما زهد أكثر القادة في خدمة النظرية العالمية وانعكس ذلك على تقييد مصلحة المشروع الإسلامي بمصلحة كل قطر وعليه فقد أصبحت المرجعية القطرية حاكمة لأي تطور في المشروع الإسلامي وتم تحجيم المرجعية العالمية بينما العدو يتحرك من منطلق عالمي وبنظرية إستراتيجية موحدة فهو يضرب في أفغانستان وفي العراق وفي الفلبين بمنطق وإستراتيجية واحدة.

○ حبس المشروع الإسلامي في الوضع القطري:

اعتبار الوضع السياسي في كل قطر هو المرجع الأول والأساسي لحركة الدعوة وانغلاق تطور المشروع الإسلامي بناء على العلاقة مع النظم الحاكمة فيها وانتظار الفتح الذي طال انتظاره بينما الأمور تمضي نحو انغلاق طوال العقدين الماضيين ومما زاد من انسداد هذه العلاقة هو فقدان النظم الحاكمة في العالم العربي والإسلامي لكل هوامش استقلالها الشكلية السابقة خاصة مع تطور الإمبراطورية الأمريكية ورغبتها في إدارة العالم الإسلامي بيديها مباشرة.

○ الجمود المؤسسي:

فقد غلب الأداء الجماعي على الأداء الحركي حيث بالغ الإخوان في استصحاب أدوات الأداء المؤسسي وقيدوا أنفسهم بذلك فأصبح القرار العلوي مرتهن بدائرة كبيرة ومعقدة من النظم والإجراءات لا تتناسب ومتطلبات الأداء الحركي وضرورة التجاوب مع المستجدات وأصبح القرار القيادي خاضعا لرؤية استراتيجية لا تنتهي كما لا يمكنه الاستجابة للأداء التكتيكي القصير المدى، وأصبح أكثر القادة مجرد منسقون للأعمال الإدارية العليا لا متخذي قرارات.كما يمكن تسمية هذه الحالة بأنها نوع من الإسراف في استخدام إلزامية الشورى وضعف الاستفادة من الشورى المعلمة.

○ سلبيات الأداء الشمولي:

وهو أن يخضع كل شيء في العمل الإسلامي للتخطيط من الألف إلى الياء وأن يخضع كل الأفراد لتوجيه مركزي وأن يتعلق الأداء بفئة محدودة من القيادات حيث لا يكون للزمن اعتباره ولا للوقائع المتحققة في الميدان إلى غير ذلك من سمات الأداء الشمولي الذي أسقط أقوى الإمبراطوريات في التاريخ فتمتنع حينئذ المبادرات الفردية ويتراجع الإبداع ويتكل الناس على ميكانيكية الأداء الشمولي أو الجماعي وحده.

○ الانتظار القاتل:

غلبة سياسة إيثار السلامة والهدوء الكامل الوافر على أكثر مواقع الإخوان والحرص الشديد على تقديم القادة الذين يطبقون هذه السياسة بحيث لا يفعلوا أكثر من تسيير الأمور الإدارية ولا تكون لهم علاقة بصناعة المواقف والأحداث وترى أغلب القادة ينتخبون دون أن يسألوا عن برامجهم ولا عن رؤاهم ويكفي الشرط الزمني في انتمائهم للدعوة، وفي ظل هذه السياسة يصعب تشكل الاتجاهات والمبادرات وبالتالي اتخاذ القرارات الحاسمة.

○ **الانغلاق المدرسي:**

ويتضح ذلك من خلال الزهد والتحسس في التعامل مع الحركات الإسلامية الأخرى و انتظار التغيير في الأمة من داخل مدرسة الإخوان فقط بغض النظر عن مستوى التحولات النظرية والعملية في الأمة.

○ **تذبذب عملية إعداد الجيل:**

الانصراف عن الاهتمام بالجيل الجديد بما يتناسب ومتطلبات الإعداد العلمي الشرعي والإعداد التربوي الجهادي خاصة في بعض المناطق التي انشغل أهلها بالترف ومظاهر الحياة كدول الخليج وأوروبا وأمريكا.

النقد الخاص الموجه لجماعة الدعوة والتبليغ:

الإيجابيات والإنجازات في تاريخ جماعة الدعوة والتبليغ:

- النجاح في توجيه الاهتمام بالشرائح العامة من المسلمين والذين كانوا مسرحا للتأثر بمادية العصر وفساده الخلقي، والعمل على إنقاذهم مما وقعوا فيه من بلاء وبعد عن الدين.
- النجاح الملموس الذي حققه منهج الجماعة في تحول حياة الملتحقين الجدد بالجماعة من التفلت التام إلى الالتزام الدقيق بمفردات المنهج العبادي والخلقي للإسلام.
- النجاح في التعرض بالدعوة لأصحاب البلاء من المسلمين والواقعين في المخالفات وانتشالهم من ذلك البلاء.
- النجاح في التخصص الدعوي وتحديد ميدان الوعظ والتزكية كميدان وحيد للعمل ومنع التأثيرات الأخرى أن تصل لهذا الميدان وتحول دون استكمال عمله كالتأثيرات السياسية وغيرها.
- عالمية مدرسة التبليغ وسقوط كل إشارات الانتماءات الأخرى وانتصاب الأخوة الإسلامية كمؤشر وحيد على الانتماء.

السلبيات في تطبيقات جماعة الدعوة والتبليغ:

- الانغلاق الشديد في المنهج الاجتهادي للجماعة وعدم القدرة على رؤية غيره من المناهج ولو في أبسط المستويات وتقديم اجتهاد الجماعة على أنه حل نهائي وشامل لأمراض الأمة ومرحلتها بينما العوار واضح في هذا المنهج واقتصاره على جزئيات من الدين العظيم.
- تحييد جماهير الأمة الملتحقة بهذه الجماعة ونزع كل مقومات المقاومة فيها عدا المقاومة

السلبية على طريقة غاندي بحيث يصعب بل يكاد يستحيل التحاق جماهير جماعة التبليغ بأي برنامج مشترك أو تحرك للأمة باتجاه التغيير أو الجهاد إلا أن يشاء ربي شيئا.

- تحوير المصطلحات الشرعية ووضعها في غير مكانها مثل مصطلح الجهاد والخروج في سبيل الله حيث تم استبدال محتوى هذين المصطلحين بمحتوى جديد وممارسة جديدة لا علاقة لها بأصل المصطلح. بل يصل الأمر أحيانا إلى وضع الآيات الكريمة في غير مكانها كأن يستشهد بقوله تعالى:﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة:46) في معرض الحث على الخروج.
- انغلاق الجماعة إلى الدرجة التي لا تجد من تحاوره فيها من القيادات فقد اختفت الشخوص القيادية تماما لصالح المنهج ولا يوجد من يمكنه الإضافة إلى المنهج فضلا عن التغيير.

النقد الخاص الموجه للجماعات الصوفية:

الإيجابيات والإنجازات في تاريخ الجماعات الصوفية:

- إبرازهم للجانب الروحي من الإسلام وتزكية النفس وهو ما يحتاجه العصر المادي كثيرا.
- قيامهم على مساحات كبيرة من جماهير الأمة في العالم وحفظهم للأداء التعبدي في أوساط الجماهير المسلمة كما هو الحال في جنوب شرق آسيا وآسيا الوسطى وإفريقيا وغيرها.
- إبداع بعض المتصوفة المعاصرين في الدعوة الإسلامية خاصة بين أمم النصارى في أوروبا وأمريكا الجنوبية.
- تجاوبهم مع متطلبات الجهاد في بعض مواقع من العالم الإسلامي كما حصل منهم في البوسنة وطاجكستان والشيشان.

السلبيات في تطبيقات الجماعات الصوفية:

- إصرار أكثر الجماعات الصوفية على التقليد الكامل لموروثات الأداء المذهبي والطرقي وتحسسهم من أي اتجاه بمراجعة ذلك التقليد واعتباره خروجا عن الدين.
- الشتات والتوزع على طرق كثيرة وجماعات واسعة مما يصعب من إمكانية مخاطبتهم كتجمع واحد.
- تركهم وهجرهم لقضايا المسلمين باعتبار ذلك سياسة وأن الحكمة تقتضي البعد عن هذه المواطن مما أدى إلى تحييد جماهير الصوفية وعزلها عن معارك الإسلام

المعاصرة.

- المبالغة في الالتزام بالمظاهر والشكليات التي لا تعبر عن جوهر الدين كالغرق في المدائح والتقدير المبالغ فيه للمشايخ والتعلق بهم والمبالغة في العواطف والتعلق بالرؤى والأحلام والمواجد والذوقيات.
- تداخل المرجعيات النصية عندهم بين ما هو معتمد عند أهل السنة والجماعة وما هو غير معتمد مما يفتح الباب عندهم لاختراق خطير من جهة الفكر والفلسفة الواردة من أمم الأرض أو من تاريخ المسلمين البدعي.
- استخدامهم من قبل النظم السياسية كمظاهر دينية لتكريس الهيمنة على المسلمين.

النقد الخاص الموجه للجماعات السلفية:

الإيجابيات والإنجازات في تاريخ الجماعات السلفية:

- النجاح في لفت نظر الأمة إلى سوء ما آلت إليه الأمور من وقوع كثير من أبناء الأمة في مظاهر الشرك والبدع في مجال القبور والنذور واللجوء للسحرة والمشعوذين وتصديق الخرافات وغيرها.
- التخفيف من حدة التقليد المذهبي الذي ساد في الأمة في القرون الأخيرة والدعوة إلى الأصول التي كان عليها سلف هذه الأمة والتخفيف من عنت الإضافات والانغلاق.
- المساهمة في نشر كتب السلف والعلم الشرعي ودعوة الأجيال الجديدة للاقتراب منها واستيعابها.
- الحد من ظاهرة المناهج العقلية والفلسفية البحتة والدعوة للعودة إلى نصوص الكتاب والسنة والفهم الدقيق لهما من خلال فهم القرون الأولى.

السلبيات في تطبيقات الجماعات السلفية:

- المبالغة الشديدة في إحياء المعارك الكلامية للقرون الماضية في مسائل العقيدة والتي اندثرت اندثارا كبيرا والانشغال بتلك المعارك عن التحديات الواقعية التي يواجهها المسلمون.
- المبالغة في اعتبار الطرح السلفي المعاصر أولى بالاتباع من كل المناهج الأخرى المعاصرة وتنزيل هذا المنهج منزلة الدين ذاته بينما هو اجتهاد فإذا صح في الجانب العقدي فلا يعني أنه يصح في كل الجوانب الأخرى.
- قياس أحوال الأمة المعاصرة على أحوال مضت والغفلة عن كل المستجدات الكبرى في واقع الأمة كسقوط الخلافة وما ترتب على ذلك من تحولات في واقع المسلمين وتحكم الكفرة

في كل شؤونهم وتحكمهم في حكامهم حتى تعطلت الشريعة وتعطل الجهاد.

- التشدد في الفروع والخلافيات ومحاكمة الناس إليها ومقاطعة كل اجتهاد خالف اجتهاد بعض أعلام السلفية المعاصرة.
- الاستعداد الوافر لخدمة الأنظمة السياسية والقول بشرعيتها ووجوب طاعتها بغض النظر عن مسائل الولاء والبراء التي هي من لب العقيدة الإسلامية.
- احتكار التوحيد والعقيدة وفتنة المسلمين إما باتباع كافة مفردات الطرح السلفي المعاصر وإلا حرموا من وصف التوحيد والعقيدة الصحيحة وفي هذا تضييق لواسع.
- المراوحة بين الجماعة واللا جماعة واستخدام هذه الحالة استخداما سلبيا في الحالتين فعند مهاجمة المخالفين تستخدم فتوى عدم جواز استخدام الجماعة والتنظيم للدعوة وعند تقديم الاجتهاد يتم ذلك من خلال الجماعة.

النقد الخاص الموجه لجماعات الجهاد:

الإيجابيات والإنجازات في تاريخ جماعات الجهاد:

- النجاح في إبقاء إستراتيجية عدم تخلي المسلمين عن الشوكة والتي لا يعمل المشروع الإسلامي إلا بوجودها.
- النجاح في رفع الأداء الإسلامي وبقائه مقتربا من ذروة سنامه وهو الجهاد حتى لا يقبع الدعاة في الوضع السلمي والمدني البحت على الدوام.
- النجاح في تجاوز الأوضاع السيئة سياسية كانت أم أمنية في واقع الأمة وعدم الخضوع لها.
- الدعم المتبادل للأداء الجهادي في الأمة بحيث يقوي بعض المجاهدون بعضا على بعد ما بينهم فأداء المجاهدين في كشمير يقوي من أداء إخوانهم في فلسطين وهكذا.
- تحمل تبعات الضربات الأولى من الإمبراطورية الأمريكية الصليبية وكونهم الفئة الأولى المستهدفة بالعداء.
- المساهمة في استدراج الأعداء الحقيقيين للمسلمين إلى ساحة الوغى بعد أن بقوا في مأمن منها فيما وراء البحار.
- فتح الباب للإضافات المباركة في هذا الميدان بتعدد ساحات الجهاد.

السلبيات في تطبيقات جماعات الجهاد:

- تبني بعض جماعات الجهاد منهجا متشددا تجاه بقية الاجتهادات الإسلامية والذي لا يرى خيرا فيها مما أثر في طبيعة العلاقة بين جماعات الجهاد وبقية الجماعات.

- اعتبار بعض جماعات الجهاد أنفسهم مرجعية شاملة ونهائية لكل أوضاع المسلمين والحكم عليها مما يدفع باتجاه إصدار الأحكام المتعجلة وغير المستوفية للشروط العلمية.
- إعطاء بعض جماعات الجهاد أنفسهم حق إهدار دماء المسلمين في سبيل تنفيذ رؤاهم واجتهادهم مما يدخل الأداء الإسلامي في أسوأ وأشد صوره سوداوية ويسد الباب أمام أية تطورات إيجابية متى وصل الأمر إلى استحلال الدماء بلا حق.
- العمل المنفرد والذي لا يتكامل مع بقية الاجتهادات الإسلامية.
- خطورة تسلل المنهج التكفيري لبعض جماعات الجهاد نتيجة للضغط الشديد عليهم ونتيجة لتسلل بعض الاجتهادات التي لا تتوافق مع ما عليه أهل السنة.

النقد الخاص الموجه للجماعة السرورية:

الإيجابيات والإنجازات في تاريخ الجماعة السرورية:

- تجديد الدفع نحو الالتزام بالكتاب والسنة في وقت كاد المشروع الإسلامي فيه أن يتماهى مع المشاريع الأخرى وتصبح مطالب كثير من قادة الدعوة الإسلامية هو أن يتم قبولهم كحزب أو تجمع ضمن منظومة الحكم السائدة في العالم الإسلامي بغض النظر عن عمق وحجم التطبيق الإسلامي الذي ستحوزه تلك التجمعات في حال تم قبولها في المنظومة الحاكمة مما شكل خطرا ماحقا على المشروع الإسلامي فكان لدفع الجماعة السرورية أثره المبارك في الاستدراك.
- الإضافة والاستدراك في تعميق العلم الشرعي واعتباره أصلا لا يمكن تجاوزه سواء في تربية الجيل أو التعامل مع الواقع والمستجدات، مما خفف وضبط الانطلاقة العقلية المجردة.
- التأكيد على سمت التميز للجيل المسلم الملتزم مخبرا ومظهرا.
- الشجاعة في دفع الدعوة الإسلامية نحو مراقي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والممارسة السياسية الواسعة وعدم الاستخفاء بها حتى كادت أن تصبح أثرا بعد عين في بعض المجتمعات الإسلامية ومنه ما حصل من مواقف فاعلة على ساحة الجزيرة العربية إبان التحول العالمي عام 1991م.

السلبيات في تطبيقات الجماعة السرورية:

- الغموض الكبير الذي يلف هذه الجماعة وعدم وضوح أهدافها النهائية ووسائل عملها فقد تداخلت في بداية تأسيسها مع الجماعات السلفية ثم وبدخولها في الأداء السياسي افترقت عنها ويبدأ الغموض من اسم الجماعة فقد تم نسبتها إلى مؤسسها – دون إنقاص

من علمه وفضله-الشيخ محمد بن سرور زين العابدين.

- المبالغة الشديدة في إحياء المعارك الكلامية في مسائل العقيدة والتشديد في الحرب الكلامية تجاه الأشعرية واعتبار الجماعة نفسها مرجعا للشهادات في العقيدة الصحيحة فمن لم تمنحه شهادتها فهو غير مقبول.
- الدفع باتجاه التنافس المذموم بين الجماعات الإسلامية والمؤسس على الشك وعدم صحة عقيدة الآخرين مما يهدد بمستقبل خطير في العلاقة بين الدعاة.
- العمل المنفرد والسعي الكبير لسبق الآخرين بروح تتجاوز التنافس الشرعي إلى نوع من الأداء قد يفضي إلى الصراع بدلا من التعاون.

النقد الخاص الموجه لحزب التحرير:

الإيجابيات والإنجازات في تاريخ حزب التحرير:

- التركيز على مسألة الحكم والسياسة في العالم الإسلامي ودورها في الفساد الذي استشرى في كل الاتجاهات.
- طرح بعض التصورات العملية في التغيير كالدستور الإسلامي وموضوع طلب النصرة في التغيير.

السلبيات في تطبيقات حزب التحرير:

- الانغلاق الشديد ومحدودية المراجع العلمية في حزب التحرير مما منع المراجعة الداخلية ومنع فشو العلم في هذا الحزب.
- غلبة المرجعية الفكرية والعقلية على المرجعية الشرعية في تقدير موقف المسلمين المعاصر.
- الفصل بين القناعات العقلية والتطبيق الإسلامي السلوكي.
- غموض التصورات العملية بل وفقدانها في كيفية إصلاح واقع المسلمين.
- الغموض الذي صاحب تطور أوضاع الحزب وممارساته في العقد الأخير من القرن العشرين والذي تحول إلى إرباك الساحة الإسلامية بممارسات أفسدت الأجواء الدعوية في آسيا الوسطى وفي بعض مواقع من أوروبا.

النقد الخاص الموجه للجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية:

الإيجابيات والإنجازات في تاريخ الجماعة الإسلامية:

- سد الفراغ في جناح كبير وخطير من أجنحة الأمة المسلمة وهو جناح شبه القارة الهندية وتعميق الأداء وتنوعه في الأمة بحيث لا يقتصر الاداء الدعوي على شعب دون بقية

الشعوب المسلمة، وحراسة الساحة الباكستانية والهندية من الاختراقات العلمانية والخرافية كالطائفة الأحمدية والقاديانية.

- دعم الدعوة الإسلامية العالمية وإثراء المكتبة الإسلامية المعاصرة ورفدها بنتاج وافر وترجمة ذلك النتاج إلى اللغات العالمية مما شكل دعما عالميا للأداء الدعوي.
- الشمول في الطرح الدعوي وعدم اقتصار الدعوة على جانب محدد من الدين العظيم مما وسع من صورة الإسلام التطبيقي في العالم.
- عدم التردد في الممارسة الجهادية المعاصرة سواء في دعم المجاهدين في أفغانستان، أو في إشعال الجهاد في كشمير واستمرار دعمه بالرجال والمال.
- تقديم تجربة وافرة ونموذجا شاملا في الممارسة السياسية والعمل بالنظرية الديمقراطية وفق الاجتهاد الإسلامي المعاصر.
- عالمية دعوة الجماعة الإسلامية حيث تعدت شبه القارة الهندية إلى مواقع عالمية.
- قبول التفاهم والتنسيق بين الجماعة الإسلامية وبقية الجماعات خاصة الإخوان المسلمين وغيرها من الجماعات وتبادل التأثير والعمل بالمناهج المشتركة.

السلبيات في تطبيقات الجماعة الإسلامية:

- الانغلاق في الأجواء الباكستانية والهندية وإن وصلت الدعوة إلى مواقع عالمية وبقاء تلك المواقع تابعة للموقع الأم ولعل أخطر موقع تأثر بهذه التابعية هم المسلمون في الهند حيث تعطل دور الجماعة الإسلامية كثيرا هناك.
- الانغلاق في التجربة الديمقراطية والتبشير بها وحدها كحل نهائي لأزمات الأمة مع ما يواجه تلك التجربة من جمود واضطرار الجماعة للبدء من جديد في كل مرة.

النقد الخاص الموجه لجماعة نجم الدين أربكان في تركيا:

الإيجابيات والإنجازات في تاريخ جماعة نجم الدين أربكان:

- الاستدراك على الانهيار الكبير الذي أصاب الساحة التركية كونها تمثل موقع آخر خلافة إسلامية، ومواجهة برامج الإفساد المنظم الذي صب على تركيا حتى كادت أن تلتحق بالغرب الكافر في مظاهرها العامة، وإعطاء الأمل لباقي الساحات الإسلامية في العالم خاصة تلك التي خرجت من ظلال الاتحاد السوفيتي الملحد وغيرها.
- الصبر والتأني وطول النفس في مصاولة أساطين الكفر العلماني التركي والمدعوم من الصليبية العالمية واستخدام نفس أساليبهم في التنظيم والإدارة والاحتكام للقوانين.
- الذهاب في شوط الديمقراطية إلى نهايته وتجريب كل الأساليب الواردة في هذا الشأن.

- النجاح في إعادة الجو الإسلامي العام إلى تركيا ورد الاعتبار إلى الإسلام وانحياز غالبية الأتراك إليه.
- قبول التفاهم والتواصل مع الجماعات الإسلامية الأخرى خاصة الإخوان والجماعة الإسلامية في باكستان.

السلبيات في تطبيقات جماعة نجم الدين أربكان:

- الانغلاق في الأجواء التركية انغلاقا كليا حتى تعلقت جماعة أربكان في آمالها الإسلامية بإعادة الخلافة العثمانية كسقف عاطفي دون النظر إلى مكونات الأمة المسلمة وما حصل فيها من تحولات.
- الانغلاق في التجربة الديمقراطية حتى الثمالة وطوال ثلاثين سنة والأداء الديمقراطي هو الأمل الوحيد لإنقاذ تركيا من ورطتها وليس هناك من أمل غيرها مما أدى إلى التنازلات الكبرى التي أعطاها أردوغان بعد خروجه من جماعة أربكان إذ في ظل الديمقراطية وسقفها لا يوجد طريق إلا هذا الطريق.
- الجاذبية الشخصية والقيادية لأربكان حتى انغلقت الدعوة في تركيا في شخصيته فلما كبر وشاخ حصل التفسخ في الهرم القيادي نتيجة لذلك الانغلاق وما خروج أردوغان إلا تعبيرا دقيقا لذلك.
- ضعف الاطروحات العلمية الشرعية في أوساط جماعة أربكان والاعتماد على العاطفة الإسلامية العامة والأداء الصوفي الذي يحكم الأداء الإسلامي التركي، ولم تستفد التجربة الإسلامية في تركيا كثيرا من تجارب الحركات الإسلامية التي سادت بقية العالم.
- ضعف الاهتمام بإعداد وتربية الجيل المسلم لصالح الأداء السياسي.

• سابعا: ميثاق التعاون والتواصل بين الجماعات الإسلامية

ويأتي هذا الميثاق المقترح لتعاون وتواصل الجماعات الإسلامية كأحد أشكال الاستثمار المباشر لهذا الفصل ولعل الله عز وجل أن يقذف في قلوب بعض قادة العمل الإسلامي فيتخذونه أو غيره كخطوط عريضة لإصلاح ذات بين المؤمنين فيمهدوا لرؤية مشتركة وتعاون ميداني فاعل بإذن الله تعالى ويفوتوا بذلك على الأعداء فرصا كثيرة لاجتياح الأمة وإنهاء مقاومتها، ويؤسسوا لمستقبل واعد من النصر والفتح: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ

أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات:10)

1- يدعو الميثاق الجماعات الإسلامية العاملة في أوساط الأمة الإسلامية إلى الاعتصام بحبل الله المتين والاجتماع على كلمة سواء والاستجابة لنداء ربهم ونبذ الفرقة وأسبابها.
2- يعتبر هذا الميثاق كل الجماعات الإسلامية الملتزمة بإطار أهل السنة والجماعة مدعوة لاحترام ما ورد فيه والالتزام به قدر المستطاع.
3- يعتبر هذا الميثاق التنوع والاختلاف بين الجماعات الإسلامية هو تنوع واختلاف مشروع في إطار الاجتهاد والنظر ولكن لا ينبغي أن يكون ذلك التنوع والاختلاف مدعاة للعصبية المقيتة والتدابر المذموم.
4- يدعو الميثاق الجماعات الإسلامية إلى إعذار بعضها بعضا في اختلاف اجتهادها ولا يمنع ذلك الإعذار من النقد والتوضيح والنصيحة وفقا لمبادىء الشرع دون أن يؤدي ذلك إلى التدابر والتقاطع، وأن لكل جماعة الحق في العمل حسب رؤيتها واجتهادها والميدان الذي تختاره دون أن يؤدي ذلك بالآخرين إلى الاستهانة والتحقير من شأن إخوانهم.
5- يعتبر هذا الميثاق أن لكل جماعة إسلامية ملتزمة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومنطلقة منهما الحق في الاجتهاد حول ما يصلح واقع الأمة المسلمة ولكن الأولى بالتطبيق من الاجتهاد هو ما تجمع عليه الأكثرية منهم فقد ورد عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اثنان خير من واحد، وثلاث خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة فإن الله عزَّ وجلَّ لن يجمع أمتي إلا على هدى» رواه أحمد.
6- يدعو هذا الميثاق الجماعات الإسلامية إلى الاعتراف ببعضها البعض تحت شعار تعددية التكامل والتعاون في مرحلة أولى وإلى تعددية الإجماع في مرحلة متقدمة، وأن يسري هذا الاعتراف إلى الممارسة العملية والمناهج النظرية فلا يخالف القول العمل ولا يتواصل القادة ويتقاتل الأتباع في الميدان.
7- يدعو هذا الميثاق إلى الوقوف صفا واحدا في وجه الهجمة النصرانية واليهودية والهندوسية والبوذية التي تحاول أن تخترق صفوف الأمة وأن تهدم أسسها من كتاب وسنة ويرفض هذا الميثاق الانتقائية والوصاية التي يحاول النصارى أن يمارسوها على الأمة المسلمة وان انتصاب رؤوس الكفر وعاظا ومرشدين للأمة مرفوض من قبل كل الجماعات.
8- يدعو هذا الميثاق جميع الجماعات الإسلامية إلى التعاون على البر والتقوى والتواصل في مشاريع مشتركة وأن لا تمنع فروق الاجتهاد عند كل جماعة من التعاون والتفاهم على مساحات مشتركة من الدعوة وخدمة المسلمين.

9- يحذر هذا الميثاق من الوقوع في دائرة تكفير وتفسيق الجماعات الإسلامية بعضها لبعض وأن ذلك مرفوض تماما مهما كانت الأسباب.

10- يحذر هذا الميثاق من التساهل في إهدار دماء المسلمين سواء بمباشرة الإهدار والقتل أو التسبب في ذلك بأي شكل من الأشكال سواء من عموم الأمة أو من الجماعات الإسلامية ويعتبر هذا من الخطوط الحمراء التي لا يجوز تجاوزها بين العاملين للإسلام، وأن اقتتال المسلمين محرم بإجماع الأمة إلا أن تتضح فئة باغية تستحل دماء الأمة وحرماتها فيحل قتالها وهذا ما يجب أن يقرره علماء المسلمين الثقاة وفي حال وقوع فتنة القتال بين المسلمين فإن الواجب اتباع أحكام الفتنة التي أمر بها الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها الاعتزال والهروب من ساحاتها فالقاتل والمقتول في النار بنص الحديث الصحيح.

11- يحذر هذا الميثاق من التعاون مع الكفار والمنافقين ضد مصالح الأمة الإسلامية ذلك التعاون الذي يفضي بالضرورة إلى الموالاة التي نهى الله عنها: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة:9) حيث اصطف كل الكفر في مقاتلة المسلمين وإخراجهم من ديارهم من النصارى واليهود والهندوس والبوذ.

12- يؤكد هذا الميثاق على حق المسلمين في الدفاع عن أنفسهم ومقدساتهم في حال اعتدي عليهم من قبل الكفار ويؤكد على شمول واجب الجهاد والنصرة كل أطراف الأمة كل بما يستطيعه، والواجب يتأكد أكثر في حق الجماعات الإسلامية.

13- يمنع هذا الميثاق أن يتعدى الخلاف في الاجتهاد فيصيب أصول الدين في مقتل خاصة فيما يخص تواصل الدعاة وتعاونهم ورص صفوفهم ووقوفهم جبهة واحدة ضد أعداء الإسلام.

14- يؤكد هذا الميثاق بأنه ما لم تشترك الجماعات الإسلامية في إعداد مقدمات نهضة الأمة فإن هذه النهضة لن تأتي ومن تلك المقدمات إعداد الأمة للجهاد وإعداد الأمة للخلافة ولممارسة الشورى وغيرها.

15- لا يجيز هذا الميثاق التفريق بين جهاد المسلمين في بقعة من الأرض وأخرى فكل دماء المسلمين وأموالهم وأراضيهم حرام وإن كانت المقدسات أولى بالحماية من غيرها.

16- يقر هذا الميثاق بأن التناصر والتعاون وموالاة المؤمنين لبعضهم البعض حكم من أحكام العقيدة الإسلامية وذلك في الناحية المعنوية والمادية ومع ذلك وفي ظل هذه المرحلة الاستضعافية من تاريخ الأمة يجوز للبعض من المعذورين أن يتأخروا عن تلك النصرة من الناحية المادية أي عدم القيام بعمل ميداني في هذه النصرة إذا امتنعت عليهم النصرة امتناعا كاملا على أن تنصرف جهود الجميع نحو الدفع باتجاه تغيير واقع المسلمين كل

بما تيسر له لا الرضى بالقعود والذلة، ودون أن يؤدي هذا الاستثناء الشرعي إلى رمي أولئك المعذورين بالفسق أو البعد عن الدين.

17- يوجب هذا الميثاق على الجماعات الإسلامية أن تسعى نحو العمل على إيجاد مرجعية سياسية وشرعية للأمة المسلمة وإن كانت بمستوى التنسيق والتفاهم وبتشعيب للمرجعية في المراحل الأولى وصولا إلى المرجعية الوافرة والنظام المحكم، ولهم في سبيل ذلك أن يسلكوا كل السبل من التنسيق الإقليمي والعالمي حول القضايا التي تجمع المتماثلين والمتقاربين وغير ذلك، وأنه يجوز التحاق الجماعات كما يجوز التحاق المؤسسات والأفراد من العلماء والمستقلين بهذا التنسيق وفق نظم ولوائح تحدد الأهداف وميادين العمل المشترك والحقوق والواجبات للمنضوين في هذا العمل.

18- يوجب هذا الميثاق على الجماعات الإسلامية أن تتبرأ من الأوضاع المحرمة التي يوجبها الكفار والمنافقون على الأمة من مثل تدنيس المقدسات ومن مثل إجبار أبنائها على الاقتتال أو الالتحاق بالرايات العمية في حروب الفتن، كما يوجب هذا الميثاق أن تدلي كل جماعة برأيها الشرعي الواضح دون مواربة في تلك المسائل.

19- يقر هذا الميثاق بحق الأمة المسلمة بأن تقوم بدورها الرقابي العام على أداء الجماعات الإسلامية وحراسة الخطوط الحمراء أن تتجاوزها تلك الجماعات كاستحلال الحرمات والدماء في الأمة وغيرها وكذا حراسة الخطوط الخضراء أن تهملها الجماعات الإسلامية كالتعاون والتآزر وجمع الكلمة ورد ظلم الكفرة بالجهاد في سبيل الله تعالى، وعلى الجماعات أن تساعد في بلوغ هذا الحق الشرعي للأمة وهو حق الرقابة العام من خلال إيجاد دوائر أهل الحل والعقد ودوائر الرأي العام وغيرها.

20- يوجب هذا الميثاق على الجماعات الإسلامية التعاون والتنسيق على أقل تقدير وأن لا يقدموا الوسيلة على الأصول كمن يقدم العمل السياسي والنجاح البرلماني على التعاون والتكامل بين الجماعات الإسلامية وتوحيد الصفوف أو كمن يقدم التعاون مع من هم خارج إطار أهل السنة والجماعة على تعاونه مع إخوانه وتكامله معهم كمن يدعوا إلى التفاهم مع الشيعة والتواصل معهم وهو يضرب صفحا عن إخوانه من أهل السنة.

21- يجيز هذا الميثاق التنافس في الخير بين الجماعات الإسلامية والتسابق على الجنة في ظل تعددية تحترم بعضها البعض وتؤاخي بعضها البعض ومن أشكال تلك التعددية تعددية المقولات الدعوية وتعددية الحزبية السياسية وتعددية الأداء الجهادي وعليه فمع قبول مبدأ المنافسة الدعوي والسياسي والجهادي لا بد من قبول بقية المبادئ التي أوجبها ديننا الحنيف من نصرة وموالاة وجمع للكلمة. وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجاز لليهود في المدينة وفق الصحيفة التي وضعها أن يكون لهم وضعهم الحزبي ضمن

مظلة عامة للأمة المسلمة فكيف لا نجيز لبعضنا مبدأ التعددية والتعايش ضمن هذا المبدأ.

22- يوجب هذا الميثاق على الجماعات الإسلامية أن تفرق بين الولاء العام للإسلام وللمسلمين وبين الولاء الخاص لكل جماعة وأن لا يتصادم الولاءان بأية حال من الأحوال وفي حال التصادم يقدم الولاء العام على الولاء الخاص.

23- يوجب هذا الميثاق على الجماعات الإسلامية الالتفاف حول بعضها البعض خاصة فيما يتعلق بالقضايا الكبرى في الأمة ولا يجيز لها الانشغال بالقضايا الصغرى عن الكبرى وإلا وقعت تحت طائلة قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:19)

24- يوجب هذا الميثاق على الجماعات الإسلامية أن تحمي وتؤمن ظهر بعضها البعض وذلك بأن لا تسمح بأي اختراق للعدو في صفوفها وأن لا تسمح لطعن بعضها البعض أو الدلالة على العورات وفي حال اكتشاف هذا النوع من الاختراق تسعى الجهة المعنية لعزل ومحاصرة هذا الاختراق.

25- يوجب هذا الميثاق على قيادات الحركات الإسلامية أن تتجاوز الوقوع في حرب المصطلحات في عملية تقويمها لمناهج بعضها البعض وأن تفرق في التعامل والتقويم بين الدعاة من المسلمين وبين اليهود والنصارى فلا تجعلهم في سفينة واحدة.

26- يقر كل من يعتمد هذا الميثاق بأن كل الجماعات الإسلامية العاملة في الميدان إنما هي جماعة من المسلمين ويحذر من اعتبار أي جماعة نفسها جماعة المسلمين سواء بالتصريح أو بالتلميح، ويجيز هذا الميثاق حق الأفراد في الأمة بالالتحاق بأي جماعة حسب اجتهاده وعلمه.

27- يجيز هذا الميثاق حق الجماعات مجتمعة ومنفردة في التعاطي السياسي والجهادي مع الأوضاع القطرية والعالمية وبالضوابط الشرعية دون أن يؤدي ذلك إلى نفرة الجماعات من بعضها البعض والأصل أن يتم ذلك وفق رؤية موحدة قدر المستطاع وتحديد للمصلحة العليا للأمة في الظرف والمكان المحدد.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل،،،



الفصل الرابع:

تقويم نظريات التغيير عند الحركات الإسلامية

المفردات:

- أولا: التوطئة
- ثانيا: العوامل المؤثرة في نظريات التغيير
- ثالثا: تقويم نظريات التغيير



• أولا: التوطئة

يعتبر هذا الفصل من أدق الفصول في الكتاب وذلك لأنه يعالج مسألة حساسة وهي مسألة التغيير والنظريات التي حكمتها صور التطبيق الميداني لها والنتائج التي ترتبت عليها والتي أثرت بدورها على مسارات العمل الإسلامي طوال النصف الثاني من القرن العشرين ولا تهدف هذه الدراسة إلى مجرد التنبيه أو شطب وإلغاء بعض النظريات السائدة وإنما تهدف إلى إعادة النظر والتقويم التي تهدف إلى فسح ميدان الخيارات في مجال التغيير ورفع الإغلاق الذي سد الطرق الاستراتيجية في هذا الميدان.

وتتعلق قضية التغيير بكبرى المسائل الشرعية والفقهية في الإسلام فهي تتناول موضوع تحكيم الشريعة الإسلامية كمصدر وحيد للأحكام في واقع المسلمين وهي تتعلق بمسألة الولاية والإمارة وتتعلق بعلاقة المسلمين بغيرهم من الأمم حيث تدخل تلك المسائل في ضمن مواصفات الدولة المسلمة وتعريف المجتمع المسلم كما أن قضية التغيير تتعلق بمسائل الفتن وذلك لما يرد في هذا المجال من استقطاب شديد إما باتجاه الحرص على حقوق المسلمين وحرماتهم وإما الوقوع في انتهاك تلك الحرمات كما أنها تتعلق بأهم واجب مناط بالسلطة في الإسلام وهو النظر في المصالح العليا للأمة واتخاذ الإجراءات الكفيلة بحفظ تلك المصالح، وقد درج أهل السنة والجماعة منذ الفتنة الكبرى التي حدثت في صدر الإسلام على التأكيد على عدم جواز الخروج على الحاكم المسلم أو السعي لتغيير نظام الحكم الذي يعبر عنه بنزع عصا الطاعة، ويعتبر الأئمة الذين أجازوا الخروج قلة بالنظر إلى الذين منعوا وحذروا من ذلك، ولكن بسقوط الخلافة الإسلامية في القرن العشرين وقع المسلمون في وضع مستجد لم يعهدوا مثله منذ بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو أن يكون الولاة من المسلمين لكن إمكاناتهم في تطبيق الإسلام وصون بيضته قد تلاشت نتيجة لتحكم الكفرة في بلاد المسلمين وعليه فإن قيام ولاة المسلمين اليوم بتولي شؤون المسلمين والنظر في مصالحهم العليا قد امتنع عليهم امتناعا كاملا إلا من رحم الله وقليل ما هم ولا أدل من ذلك على ضياع المقدسات تحت أسماعهم وأبصارهم بل وقيامهم بمنع المسلمين من دعم المجاهدين الذي تطوعوا للذب عن المقدسات علاوة على عدم وجود مرجعية شرعية مستقلة تنتهي لها الأمة في تحديد المخرج من هذه الأزمة الكبرى وعليه فإن المسلمين اليوم يفتقدون المرجعية السياسية والشرعية وهي من الأركان التي يقوم الدين عليها والعمل لإرجاعها من أوجب الواجبات الشرعية.

وعند تتبع مسيرة المرجعية السياسية والشرعية للأمة منذ بعثة المصطفى صلى الله عليه

وسلم إلى الآن يمكن أن نتتبع التحولات التي تعرضت لها في المراحل التالية:

المرحلة الأولى: مرحلة النبوة حيث كانت المرجعية السياسية والشرعية متمثلة في شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

المرحلة الثانية: مرحلة الخلافة الراشدة وهي التي انضبطت فيها المرجعية السياسية والشرعية بنظام الخلافة الراشدة فقد تمثلت المرجعية السياسية والشرعية في شخص الخليفة ومن حوله من أهل الحل والعقد وهو النظام المعني بحفظ مصلحة الأمة والنظر فيها دينية كانت أم دنيوية.

المرحلة الثالثة: مرحلة الملك والتي افترقت فيها المرجعية السياسية عن المرجعية الشرعية فأصبحت المرجعية السياسية متمثلة في الخليفة المسلم الذي تحول ملكه من الخلافة إلى الوراثة تلك التي بدأت ببني أمية، وكانت المرجعية الشرعية تتمثل في كبار علماء الأمة ومشايخها الذين غالبا ما آثروا الاستقلال عن نظام الملك حتى يتمكنوا من أداء دورهم دون أن يؤثر عليهم القرب سلبا فكانوا بذلك حراسا لمسيرة الأمة وميزانا لأداء الخليفة حتى بلغ الأمر أن تعرض كثير منهم للأذى بسبب هذا الدور وذلك الاستقلال كما حصل للإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة وغيره.

المرحلة الرابعة: وهي المرحلة التي بدأت بسقوط خلافة بني عثمان وبدء الملك الجبري بإنهاء السلطان الديني في واقع المسلمين فانهارت بذلك المرجعية السياسية وانهارت معها المرجعية الشرعية مع أن العلماء لم يغيبوا عن الأمة ولكن أداءهم أثناء المرحلة الثالثة أصبح مرتبطا بسقف المرجعية السياسية الملتزمة بأركان الدين وحماية بيضته فلما انهار ذلك السقف في هذه المرحلة لم يسعف وجود العلماء لتشكيل مرجعية شرعية وافرة للمسلمين خاصة في ظل تفرق الاجتهادات وضغوط الأوضاع السياسية الوضع الذي لا يزال مستمرا إلى يومنا هذا وعليه كان الطرح المميز الذي جاء به الإمام البنا هو ضرورة أن يسعى المسلمون إلى إعادة الخلافة الإسلامية وبذلك تعاد اللحمة من جديد بين المرجعية السياسية والشرعية وأن تعد الأمة الإعداد الذي يؤهلها للوصول إلى تلك المرحلة.

وكان لا بد من أن تقوم الحركات الإسلامية بمعالجة هذا الخلل الواسع والمستجد في الأمة

بتدرج وتقليب الاجتهاد في كل الاتجاهات، والتعاطي مع المصلة العليا للمسلمين من خلال إدامة النظر في شؤونها إذ لا يعقل أن تترك الأمة نهبا للأعداء من الخارج ومسرحا للمغامرين الطامعين في الداخل.

وكتطبيق عملي حدث أول اختبار للحركة الإسلامية في التعاطي مع المصلحة العليا للأمة بشكل عملي عندما تم تثبيت الدولة اليهودية بأيدي الصليبية العالمية عام 1948م فتعرضت الحركة نتيجة لجرأتها على القيام بالاعتراض العملي الجهادي على اليهود إلى المنع والمصادرة وهذا أعطى بدوره ملامح واضحة لطبيعة التحديات التي ستواجهها الحركة الإسلامية مع النظم المستنبتة في الأمة وهو ما تحقق لاحقا في كل شبر من بلاد المسلمين في العالم.

● ثانيا: العوامل المؤثرة في نظريات التغيير

أ/ أثر الاجتهاد النظري في المشروع الإسلامي على مسألة التغيير:

لقد أثرت الأطروحات النظرية للمشروع الإسلامي كثيرا على الأداء في مجال نظريات التغيير فهي في الأغلب قد قيدت هذا النوع من الأداء ووضعت اشتراطات عريضة ودقيقة للتطور في الأمة حتى يمكن الحديث عن التغيير ومن تلك الاشتراطات نمو جيل متكامل وفق المواصفات الإسلامية ومنها قابلية الأمة لقبول التغيير في الناحية النظرية ثم دعمه في الناحية العملية إلى غير ذلك من الاشتراطات وحذر المشروع من الطيش والتسرع ولكنه ترك الباب مواربا للدخول في هذا النوع من الأداء مع الاشتراطات، ذلك فيما يخص التغيير بالقوة أما التغيير بالأساليب القانونية والدستورية والمدافعة المدنية فقد اعتمدها المشروع كأساس للعمل في هذا المجال بل وقام الإمام حسن البنا رحمه الله بتجربة عملية في الإطار البرلماني.

ويعتبر الخطاب الثقافي الذي اعتمده المشروع في تحديد الأمراض التي تعاني منها الأمة واستعراض تاريخها في العزة والاستقلال ودورها العالمي المرجعي دافعا قويا للجيل الملتزم من شباب الحركة الإسلامية نحو المضي والشوق لتجربة ألوان الطيف التغييري.

ب/ أثر منظومة الحكم في العالم الإسلامي على مسألة التغيير:

وقد تأثر الأداء التطبيقي في التغيير بأداء منظومة الحكم في العالم الإسلامي بلا ريب

طموحا وانتظارا، فقد أثرت الممارسات العملية والنظرية لتلك المنظومة مباشرة في مسيرة التغيير عند الحركات الإسلامية ومن ذلك:

1- الإنقلابات العسكرية التي سادت المنطقة في الخمسينيات والستينيات من القرن المنصرم والتي قادتها أحيانا رتب صغيرة في جيوش العالم العربي والإسلامي والتي أعادت مسألة شرعية النظم السياسية إلى المربع الأول.
2- البرامج الفكرية والعقائدية التي طرحتها منظومة الحكم أو تلك التي سمح بها حيث كان أغلبها إذا لم تكن كلها مجافية لدين الأمة وعقيدتها فهي إما تنتمي لشرق أو لغرب مما استثار الدعاة والمنظوين تحت لواء الحركات الإسلامية.
3- التخاذل الذي أبدته منظومة الحكم في نصرة قضايا الأمة خاصة قضية المقدسات.
4- البطش والإرهاب الذي طبق على الحركات الإسلامية والذي استشرى ولم يسلم منه إلا القليل النادر من الأنظمة وفي حقبة الأمريكان الحالية دخل الجميع في هذه الدائرة فكل مسلم ملتزم متهم عند الأنظمة حتى يثبت تخليه عن دينه (أي إرهابه).
5- الأداء الديموقراطي المشوه والذي وضع خطوطا حمراء لمنع الحركات الإسلامية من تحقيق أي إنجاز من خلال الأداء الديموقراطي.
6- الممارسات المخالفة لشريعة المسلمين من التشريعات الرسمية التي أباحت الخمر والبغاء والتي ألغت الأحكام في مجال الحدود والاهتمام الكبير الموجه لتطبيق البرامج الإفسادية في المجال الخلقي في أوساط الشعوب وقطاعات الشباب على وجه الخصوص كبرامج الفتوة والمخيمات المختلطة التي طبقت في سوريا وغيرها وأجبر فيها بنات المسلمين بالاختلاط بالشباب والمبيت معهم في مخيم واحد واللعب والرقص حتى الفجر مما فجر الغضب في قلوب رجال الأمة. بل أكثر من ذلك عندما أقرت نوادي العراة في بعض بلدان المسلمين كتونس بورقيبة، وقد ذهب شيوعيو اليمن الجنوبي مذهبا أخطر عندما حولوا المساجد إلى مراقص وخمارات ومعاهد لتعليم الإلحاد.
7- الحرص الكبير الذي أبدته أغلب منظومة الحكم بإبقاء الشعوب المسلمة تحت خط الفقر بشكل متعمد فلا فرص التجارة الحقيقية متاحة، والرسوم والمكوس الباهضة لا تجعل أحدا يفكر بالعمل والتجارة أصلا والمصادرة والانتهاكات والرشاوى المنتشرة تحت سمع وبصر الحكومات وسيطرة مراكز قوى معينة على كل مقدرات البلاد إلى غير ذلك من البلاء والأذى الذي عم أغلب بلاد المسلمين إذا لم تكن كلها.
8- الممارسات المتوالية والتي تؤكد ولاء الأنظمة للكفار فكل ما يريده الصليبيون ويرغبون به تسارع الأنظمة إلى تطبيقه وكل ما تريده الشعوب المسلمة تسارع الأنظمة إلى عكسه.

ج/ أثر المشروع الصليبي والوضع العالمي على مسألة التغيير:

كما تأثر الأداء في موضوع التغيير بالمشروع الصليبي الذي فرض على الأمة وكذا بالأوضاع العالمية التي حرمت المسلمين من حقوقهم ومارست عليهم كل أنواع الضغوط ومن ذلك:

1- التقاء الشرق والغرب على دعم المشروع اليهودي، مع ما بين الفرقاء من خلاف لكنهم يلتقون على دعم اليهود وقد قوى هذا الأمر من عزم الداعين إلى التغيير خاصة عندما استقرت ممارسات الأمم المتحدة في هذا الاتجاه وفقه المسلمون اللعبة فقضية تيمور الشرقية تفصل فيها الأمم المتحدة خلال سنوات محدودة وقضية فلسطين وكشمير تستمر أكثر من نصف قرن دون أدنى تدخل!

2- وكان لميل كل أمة من الكفار على من يليها من المسلمين أثره في شعور الأمة بوحدتها وأن العداء موجه لعقيدتها لا لقومياتها فما علاقة مسلمي الهند بالفلسطينيين عندما يتكامل أداء الهندوس مع اليهود في دعم متبادل؟ وهذا عزز بدوره من نظرية تحامي أبناء الأمة وتكتلهم وسعيهم للتغيير وأنه هو الذي سينقذهم لا غير.

3- تأثرت نظريات التغيير بالأداء الاقتصادي الاستعماري الذي يضع الأفضلية في التنمية والمشاريع الكبرى وقوانين التجارة العالمية لأمم النصارى ثم للأمم الأخرى من هندوس وبوذ ووثنيين، ولا يكون نصيب المسلمين إلا النهب من ثرواتهم.

4- تأثرت نظريات التغيير بالوضع العالمي في مرحلة الحرب الباردة وذلك لانغلاق الوضع أمام من يريد التغيير فهناك قوى عالمية كبرى متفقة والصراع الميداني يتحكم فيه هؤلاء بطريقة أو بأخرى فهو إما يكون صراع استنزافي للأطراف الميدانية وإما أن يكون البعد الاقتصادي متحكم فيه لتشغيل مصانع السلاح أو لتجربة الأسلحة ولا تتمكن الأطراف على الأرض من حسم الموقف وفي حال تمكنت من حسمه فإن قوانين ومسارات الأمم المتحدة بالمرصاد.

5- تسببت الحالة العالمية السابقة بتقديم البعد القومي للشعوب على البعد الديني بسبب ضبابية المواقف وعزل الأمم عن بعضها البعض وتم إظهار قضايا المسلمين أنها قضايا قومية محدودة هنا وهناك وهذا جعل بقية أطراف الأمة وشعوبها في موقف المتفرج فكل قوم مطلوب منهم أن يحلوا قضيتهم بطريقة أو بأخرى، ولا يشارك أحد من الأمة في مسار أي قضية إلا القضية الأفغانية التي كسرت هذا الحاجز وتسرب الأبطال من جنبات الأمة يصنعون واقعا جديدا ذلك الواقع الذي أخاف الشرق والغرب على السواء وتبع ذلك قضية البوسنة فالشيشان.

• ثالثا: تقويم نظريات التغيير

إن الذي يجمع نظريات التغيير وعددها خمس نظريات هو عامل واحد مهم يتمثل في العزم والاستهداف لإحداث تغيير جوهري في مناطق الحكم العليا في بلاد المسلمين بحيث يتوصل من خلال ذلك التغيير إلى فسح المجال أمام تطبيق الشريعة الإسلامية وإلى الحكم بما أنزل الله تعالى في مختلف شؤون الحياة أو أغلبها على أقل تقدير وأن ترفع الفتنة عن المسلمين المتمثلة في إجبارهم على اتباع مناهج غير منهج الإسلام وأن يتمكن المسلمون من ثرواتهم ويؤدي ذلك إلى ممارسة أدوارهم المستقلة كبقية شعوب العالم إلى غير ذلك مما يستتبع هذا النهج.

وعليه فإن النظريات الأخرى والتي ليس فيها تحديد دقيق لهذا العامل لا تدخل ضمن نظريات التغيير المطروحة هنا مع عدم الاستهانة بها فقد مهدت النظريات الأخرى لنظريات التغيير بلا شك، ومن ذلك نظرية الانبثاث والعمل الطويل المدى وعلى كل الأصعدة من تربية الجيل والتغلغل في المؤسسات وأخذ جميع العوامل المؤثرة بالحسبان في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع وغيره.

والنظريات التي سوف يتم استعراضها وتقويم الأداء التطبيقي فيها هي خمس نظريات كالتالي:

1- نظرية الانقلاب العسكري والثورة المسلحة.
2- نظرية التغيير من خلال الدساتير والبرلمانات.
3- الجهاد المباشر ضد الكفرة على أنواعهم.
4- نظرية إدارة الأزمات والتعامل مع الانهيارات.
5- الثورة الشعبية أو العصيان المدني الشامل.

النظرية الأولى: نظرية الانقلاب العسكري والثورة المسلحة

وهي النظرية التي أثارت جدلا كثيرا في أوساط العمل الإسلامي وذلك لما ترتب عليها من إشكاليات وتجاوز معدلات الفشل فيها معدلات النجاح إلى درجة أنه لم تنجح إلا محاولة واحدة هي محاولة السودان على يد الشيخ حسن الترابي.

وفيما يلي تقويم مختصر لهذه النظرية:

1- لقد استندت هذه النظرية إلى أرضية صلبة من القواعد الشرعية التي توجب نصب الإمام في حال قفز على رؤوس المسلمين من هو ليس بأهل لهذه المهمة ففرط في مصالح المسلمين الكبرى أو ممن وطّأ ومهّد لهم الكفار لحكم المسلمين ورسموا لهم طريقتهم فاستولوا على الإمامة في بلاد المسلمين وضاعت في عهودهم كل مصالح الأمة وبالنظر في الواقع العالمي الذي تشكلت في ظله الأنظمة السياسية في بلاد المسلمين في منتصف القرن العشرين يُتأكد أن كل بلاد المسلمين كانت خاضعة إما لنصارى الغرب أو شيوعيي الشرق وما كان لأمير في المشرق أو في المغرب أن يستقل بتصرف في ملك بلا رضا منهم ومواطئة وبهذا فقد تحقق ما تحدث به علماء المسلمين من الواجب المتحقق عند خلو الزمان من إمام يقوم بأركان الشريعة ولم يحتج الدعاة الذين طبقوا هذا الحكم إلى تكفير الحكام للخروج عليهم بالانقلاب العسكري فيكفي تضييع الحكام للمصالح الكبرى للمسلمين حتى يتحقق جواز خلعهم، وهذا أمر ليس له علاقة البتة بموضوع الصبر على الولاة من المسلمين والسمع والطاعة لهم وإن ارتكبوا المخالفات فذلك بحث يتعلق بحال يكون الأمر فيه للمسلمين أي أن ولاة الأمر واقفون فعلا على المصلحة العليا للأمة فلا يضر حينئذ ما يطرأ عليهم من بعض الانحراف ويعتبر الصبر عليهم واجب ولكن العامل الأساسي الذي تحكم تحكما نهائيا في جدلية جواز أو حرمة تطبيق نظرية الانقلاب العسكري ليس الأصل الشرعي بل هو ما يترتب على تلك النظرية من مفاسد فإن غلبة المفاسد وكثرتها جعلت المتحفظين على النظرية داخل الحركة الإسلامية أغلبية.

2- لقد تحكمت أوضاع الأمة الداخلية في فشل هذه النظرية إذ أن المناهج الفكرية والخلقية التي سادت في الخمسينيات والستينيات من قومية علمانية وشيوعية ملحدة جعلت نصرة الأمة للإسلاميين محدودة وضعيفة إذا لم تكن مستحيلة حيث تمكن ملحدوا اليمن من الشيوعيين مثلا عام 1970أن يقتلوا مائة وخمسين عالما وشيخا في حضرموت بطريقة السحل (أي بجرهم بالسيارات حتى الموت) وكلهم قد جاوزوا السبعين والأمة تنظر، بينما لما تجدد الدين في اليمن كان الشباب الغض يتطاير للشهادة على قاعدة العند بالقرب من عدن حتى أسقطوا الشيوعية الحمراء وانتقموا لأجدادهم.

3- لم يكن تقدير الوضع الداخلي والخارجي دقيقا عند أكثر من قاموا بالمحاولات الانقلابية حيث إن النظام الذي اعتمده الصليبيون في التحكم في الأمة لم يكن يعتمد على القصر وحده فهناك السفارات وهناك الجنرالات وهناك الأحزاب الأخرى المتربصة، وأما في الخارج فهناك القوى الإقليمية الحارسة (الشرطة) وهناك المنظومات الإقليمية التي لا بد أن تعترف بالانقلاب وهناك الأمم المتحدة التي لا بد أن تعترف بدورها بتلك الانقلابات وهكذا، أما من نجح من الشيوعيين أو القوميين أو البعثيين أو الجنرالات في

انقلاباتهم فقد رتبوا أوضاعهم مع السفارات، ولذا كان من أهم أسباب نجاح انقلاب السودان الإسلامي في نهاية ثمانينيات القرن العشرين هو اهتبال فرصة التشتت وانكسار النظام الدولي والانشغال بأفراح سقوط الاتحاد السوفييتي وترتيب البيت العالمي للصليبيين وهي نفس الفرصة التي حاول صدام حسين أن يهتبلها بغزوه للكويت لكنه وقع في الفخ.

4- كان من أهم أسباب معارضة هذه النظرية هو التعرض لدماء المسلمين من أفراد الجيوش ومنتسبي الأجهزة الأمنية والذين ساقتهم أقدراهم وأرزاقهم للعمل في هذه الأجهزة حيث يتوقع أن يكون القتل فيهم أكثر من القادة المفسدين خاصة مع عدم الاطمئنان إلى قدرة الإنقلابيين الأكيدة على حسم الموقف وتقليل الخسائر.

5- الانكشاف الذي سوف يتعرض له الانقلابيين وحاجتهم إلى الاستعانة بمصادر داخلية وخارجية وخاصة الخارجية ومع عدم وجود أي بقاع خالصة للمسلمين في ذلك الوقت فإنهم سيقعون ضحية الاستعانة بنظم مجرمة كما حصل للإخوان السوريين عام 1982 الذين استجاروا بالنظام البعثي العراقي ضد النظام البعثي النصيري فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار ومع وجود ما يجيز هذه الاستعانة في الشرع خاصة في مراحل الاستضعاف لكن العمل بهذه النظرية في ظل النظام الدولي المستحكم في ذلك الوقت أي مرحلة الحرب الباردة قد خيمت عليه ظلال كثيرة من الشك في إمكانية النجاح.

6- عدم توفر إجابات كافية للتعامل مع التداعيات التي تصاحب تطبيق هذه النظرية في مجال تشكيل القيادة ومجال التعامل مع التطورات في الداخل والخارج مما يؤدى إلى كثرة الخلافات والانشقاق وهو الذي حصل في التجربة التي خاضها الإسلاميون في سوريا في بداية ثمانينيات القرن العشرين السورية كما تحقق ولكن بدرجة أخف في التجربة السودانية.

والآن وبعد أن تطاول الزمن بين تلك التجارب اتضح أن عدم اتساع التطبيق المستند على هذه النظرية كان من لطف الله عز وجل لأن الدعاة كانوا سيقعون في أكثر من فخ ومنها:

- فخ الدماء وهي أول ما سوف يسأل الله عز وجل عنه.
- الاختلاط الشديد ورمادية الصورة حيث كان نفاق الأنظمة منطلي على الأمة واتهام الدعاة بأنهم مجرد طالبي سلطة.
- الوقوع في فخ النظام الدولي والتماهي معه وخدمته بشكل أو بآخر والتجاوب مع الوضع الإقليمي الذي يفرض مسارا محددا لا يقبل بالتحول الإسلامي وهو ما يعانيه السودان في هذه المرحلة.
- لم يكن ليفرض تطبيق الإسلام على الأمة بالقوة.

- خطر التربص الداخلي والحروب الأهلية.

7- وحتى ننصف رجال الأمة وشهدائها فلا بد أن نشير إلى أن تطبيق تلك النظرية لم يكن خاليا من الإيجابيات ولعل أهم تلك الإيجابيات هو حاجة المشروع الإسلامي إلى التجارب التطبيقية الشجاعة التي أظهرت معدن الأمة الحقيقي لا ذلك الذي ولول مرتعدا أمام اليهود، كما جددت تلك التجارب اعتراض الرجال على انتهاك الحرمات من قبل النصيرية والنصارى والشيوعيين ومن لف لفهم وأنه انتهاك غير مقبول بأي حال من الأحوال ولو على الرقاب، ثم حاجة المشروع للأبطال الشهداء الذين استقرت دماؤهم الطاهرة الزكية في مستودع الأمة فهي تنبت الرجال والشهداء على الدوام، وستبقى مصدر إلهام كدماء مصعب وخبيب بن عدي رضي الله عنهما وسيقتفي أثرها الأحفاد قريبا بإذن الله عز وجل أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران:169)

ومع ذلك فأنا أشعر أني لم أنصف رجال الأمة فهم كثر أولئك الذين حاولوا تطبيق هذه النظرية والذين اهتزت بهم عيدان المشانق والذين جددوا سنة خبيب رضي الله عنه فصلوا ركعتي الشهادة ولم يطيلوها في العراق وفي تونس وغيرها.

النظرية الثانية: نظرية التغيير من خلال الدساتير والبرلمانات

وقد اعتمد من أجاز العمل بهذه النظرية من علماء المسلمين القول بضرورات المرحلة الاستضعافية والتي يجوز فيها للمسلمين أن يعملوا تحت المظلة الديموقراطية على ما فيها من فساد وبما هو متاح لرفع الصوت الإسلامي والقيام ببعض التحسينات على الحياة العامة للمسلمين من خلال إقرار القوانين المستمدة من الشريعة ويمنعوا الفساد قدر استطاعتهم ويزاحموا المفسدين من أصحاب العقائد الأخرى من شيوعيين وعلمانيين وغيرهم، وقد قاد هذه النظرية ثلاث مدارس إسلامية الأولى مدرسة نجم الدين أربكان في تركيا والثانية مدرسة الجماعة الإسلامية في الباكستان والثالثة مدرسة الإخوان المسلمين بتطبيقات في مواقع مختلفة من العالم العربي والإسلامي.

وفيما يلي تقويم مختصر لهذه النظرية:

1- إن المدة التي استغرقتها هذه النظرية في محاولات التطبيق والتحسين قد استغرقت ثلاثة عقود أو يزيد.

2- لقد حقق الإسلاميون الذين عملوا بهذه النظرية بعضا من الانفراج واستثمروا الوقت في رفع كلمة الإسلام وأفسحوا للدعوة والتأثير العام في المجتمعات المسلمة وكسبوا مساحات

جيدة وأسكتوا المتنطعين من العلمانيين الذي يتهمون العمل الإسلامي بعدم قدرته على التجاوب مع الظروف العامة واستثمار الفرص المتاحة.

3- وقد كان للتطبيق الذي سعى إليه أربكان والحيل التي استخدمها قصب السبق في مصاولته للعلمانية الأتاتوركية وكان كمن يتسلق جبلا فإذا وصل قمته تدحرج إلى القاع وهكذا دون إقلال من الجهود وأجر الاجتهاد لكنها الحقيقة الماثلة.

4- لم يلاحظ أهل الشرق وهم يأملون في التطبيق الديموقراطي علاقة الديموقراطية بمستنبتها فقد تأسست في بيئة لها شروطها وتاريخها وأحلامها وهو ما لا يتوافر البتة في الشرق حيث ارتضتها المجتمعات النصرانية الغربية وتواطأت على تطبيقها والخضوع لها ولشروطها دون استثناء ولكي تخدم آمال تلك الأمم في العالم بالهيمنة والاستقرار والرفاهية والتفوق فمن مبادئها استثمار أفضل ما في الشعوب النصرانية من طاقات إبداعية وأن تتمتع تلك الشعوب بحرية حقيقية غير منقوصة وأن يتم تداول السلطة بين الأحزاب الكبرى التي تشكل الأرضية السياسية لتلك المجتمعات على أن تستميت تلك الأحزاب في خدمة مجتمعاتها وخدمة أهدافها الكبرى وأن يتم ذلك من خلال الفصل بين السلطات الثلاث وسيادة كاملة غير منقوصة للقانون ومحاسبة الحاكم على أعماله وتصرفاته وتقييد حريته المالية وأن يكرس الحكم لخدمة المبادئ، وعليه فهو تراض بين جميع الأطراف بحيث لا يعلو أحد على أحد وقد كان لهذا التفصيل والمقايسة الزمانية والمكانية أثرها على النظرية وتطبيقها، ولذا لم نجد النظرية تعمل عندما تم نقلها إلى بيئات أخرى لعدم توافر الشروط التي تعمل وفقها النظرية وتعطلت عند كل المجتمعات الأخرى حتى النصرانية المتخلفة عن المجتمعات الغربية فهي لم تعمل عند الشيوعيين بجناحيهم الروسي والصيني ولم تعمل عند الهنود إلا بطريقة مشوهة فأغلب قادتهم السياسيين تنتهي حياتهم بالقتل ولم تعمل في أمريكا الجنوبية ومن باب أولى أن يتعذر عمل هذه النظرية في بلاد المسلمين وليس في هذا إعذار لساسة الشرق ولا اتفاق معهم على تحريم الديموقراطية ولكنها الحقائق التي لا يريد الكثيرون أن يروها.

5- وقد تعرضت الديموقراطية في الشرق لعُقد وألغام أثناء محاولات التطبيق في العالم الإسلامي فكلما نزع لغم انفجر آخر وكلما حلت عقدة ظهرت أخرى فأصبح الناس في حيص بيص ومن تلك العقد:

- عقدة الإدارة الخارجية والتأثير الخارجي فقد كان خوف فرنسا طاغيا من فوز الإسلاميين في الجزائر أكثر من علمانيي الجزائر أنفسهم، ولم نر يوما القوى الاستعمارية (الصليبية) قد شجعت الديموقراطية في بلد واقع تحت نفوذها بل بالعكس دعمت تلك القوى الديكتاتورية طويلا كما فعلت فرنسا في الجزائر والمغرب

وسوريا وكذا فعل الإنجليز في مصر والعراق والجزيرة العربية واليمن والسودان وكذا فعل السادة الجدد الأمريكان من بعدهم في إيران وإندونيسيا وغيرها.

- عقدة الدجاجة والبيضة وهي مسألة علاقة الحاكم بالدستور وبالبرلمان، فكلما كان هناك بصيص أمل بانفراج من نوع ما تطايرت الأوراق واختلطت وتعطل البرلمان أو تعدل الدستور، والحاكم هنا مختوم بختم مدى الحياة وهو ختم لا يرفعه عنه إلا السادة الأصلاء.
- عقدة المحاسبة على ثروات الأمة وأبواب صرفها وتوزيعها فدون ذلك خرط القتاد.
- ومن العقد مصادرة حق تشكيل الأحزاب وإذا سُمح بها فهي معدودة مختومة بينما الأصل في الديموقراطية تعدد الأحزاب.
- ومن العقد التلاعب بالقوانين للحد من الواقع الميداني المؤثر للحركات الإسلامية فتفصل قوانين الانتخابات بالطرق التي تضمن سقوط الإسلاميين وبكل قانونية ونزاهة!
- ومن العقد التزوير الذي تستخدم فيه الشرطة والأمن والجيش أحيانا إذا لزم الأمر.
- ومن العقد عدم السماح بالدعاية للأحزاب وهي من لباب العملية الديموقراطية.
- ومن العقد التمويل إذ أن الحركات الإسلامية فقيرة معدمة لا يمكنها حشد الأموال لشراء الأصوات ودفع الملايين لضمان النجاح وهي من لباب العملية الديموقراطية.
- ومن العقد عند تجاوز تلك العقد كلها والوصول إلى البرلمان سيف حل البرلمان المسلط على الرقاب في أي لحظة تجاوز فيها الأعضاء حدودهم والحدود غير معروفة أصلا.
- وفي حال فشلت كل تلك العقد في توقيف الإسلاميين عن البرلمان فالجنرالات بانتظار الإشارة من أمثال سوكارنو وسوهارتو إلى عرفاء ورقباء الجيوش العربية إلى كنعان ايفرين إلى غيرهم من المحدثين.
- وتوهم البعض بأن الانفراج سيكون في العالم الإسلامي والعربي قريبا بناء على شيخوخة الكثير فإذا بالأبناء جاهزين وأولاد العمومة متربصين والدستور تكسر رقبته إذا لم تلين والبرلمان جاهز للتصديق والتحول من الجماهيرية إلى الملكية الوراثية بجرة قلم.

6- وقد استخدمت الديموقراطية كطعم قاتل للإسلاميين في الجزائر حيث ما أن تم التلويح بإمكانية الدخول إلى البرلمان حتى بدأ الفرز بين الإسلاميين أنفسهم على أساس الانتماء فهاهنا إخوان وهنالك سلفيون ومن بينهم منشقون ومتكتلون تمهيدا للصراع والسباق والشعب ينقاد لفطرته التي حرم منها سنين طويلة ويخدع بعض الإسلاميين حيث

اعتقدوا أن الديموقراطية أصبحت حقيقة ماثلة في الجزائر فتذهب بهم حماستهم أن يصرحوا بأن دولة الإسلام قاب قوسين أو أدنى وأن على من لا يقبل بها أن يرحل! هكذا وبكل بساطة وخناجر الصليبية جاهزة وبالمرصاد فما أن تفرز الصناديق الحقيقة الكبرى إلا وتصدر الأوامر من الكاثوليكية العتيقة في فرنسا ويتحرك جنرالات الجيش لحماية مكتسبات النصارى في هذه البلاد. ولو كانت الحقائق الكبرى وتقدير المصالح العليا واضحة ومستقرة في أذهان قادة الدعوة الإسلامية إلا من رحم لهان الأمر عليهم ولعلموا أن للحق صولات وجولات فهم في تلك الحالة بين خيارين فإما ثورة شاملة وافرة تحفظ حقوق المسلمين فإن لم تتأتّى فإنجاز مرحلي محدود ريثما تنضج الساحة أكثر ولكنهم وقعوا أسرى للعبة سياسية ماكرة فلم ينفعهم التفاف الشعب حولهم إذ فقدوا الحنكة والمكر وزاد من تعقد الأمر أنه ليس للمسلمين من مرجع ينسق مواقفهم ويحدد مصالحهم مع المحاولات التي بذلت في هذا الصدد فمتى تصحو قيادات الحركات الإسلامية ومتى تستجيب لنداء ربها بالوحدة والاخوة ومتى تتقي الله عز وجل في المسلمين؟

7- وقد بذل الإسلاميون المستحيل للبقاء ضمن مربع التفاهم الديموقراطي في العالم الإسلامي فلم يقبل أحد منهم ذلك ولا أدل عليه مما فعله أربكان في تركيا طوال ثلاثة عقود وكذا ما فعلته الجماعة الإسلامية في باكستان فقد تقلبت بين الساسة المدعومين من الغرب كبوتو الأب والبنت وبين الجنرالات المتعاقبين، أما ما حدث من نجاح ظاهري ومفاجئ في تركيا بعد ذلك فله أسبابه الخطيرة والتي منها التحول في السياسة العالمية بقيادة أمريكا وذلك بفرض رؤى جديدة تسمح باستخدام كل من يبدي الاستعداد الوافر لخدمة أهدافها في المنطقة ثم إن التحول بني على انشقاق وانهيار كبير للمسيرة الإسلامية فهل سيتمكن المستلمون لبعض شؤون السياسة العليا في تركيا من تحقيق مصلحة عليا للمسلمين في تلك البقعة الهامة من بقاع المسلمين؟ ولماذا لم تعمل ألاعيب الديموقراطية في تركيا تلك التي حجمت التيار الإسلامي ولجمته طوال عقود؟

8- والخطورة الكبرى في التحول الشكلي الذي تهدف إليه أمريكا في مجال الديموقراطية في العالم الإسلامي يكمن في استخدامها لذلك التحول لحلحة الموقف السياسي العام وجموده دون أن يستفيد المسلمون حقيقة من هذا التغيير مع استخدام الراغبين الجدد في تأكيد الهيمنة الأمريكية وهي جزء من استراتيجية أوسع تقضي باستبدال القطع القديمة في منظومة أو ماكينة الحكم في العالم الإسلامي بقطع جديدة.

9- وأخيرا هل تلاشى الأمل تماما في هذه النظرية بينما جهات كثيرة من الإسلاميين يتهيئون للالتحاق بركبها خاصة بعدما تجددت بعض الممالك المجهرية وأنعم على بعض

الإسلاميين بالعباءات العربية كأعضاء في البرلمان وجلسوا تحت التاج البريطاني المجدد وتنافسوا تنافسا شريفا كإخوان وسلف وكاد بعضهم يفسق بعضا ويحرم بعضهم التعاون مع الطرف الآخر؟

10- إن احترام القانون والديموقراطية وحقوق الإنسان قد بلغ ذراه في العالم في ظل نظام الحرب الباردة كما اصطلح عليه ومع ذلك ومع وصول التطبيق الديموقراطي أحسن صوره فلم يحصل المسلمون على شيء يذكر في هذا الباب سواء كانت الأسباب داخلية أو خارجية خاصة في المواقع الاستراتيجية كمصر والجزائر وغيرها فماذا يُتوقع اليوم وفي ظل الحرب الساخنة التي يشنها جورج بوش؟

11- إن ما كان يتاح من هوامش للحرية المحدودة في العالم الإسلامي قد أعطيت بمقياس معين وهو ما كان تسمح به المرجعية الغربية ومع ذلك وفي ظل الهامش المذكور لم يحقق الإسلاميون تنفسا طبيعيا لأمتهم فماذا نتوقع وقد أغلق السادة تلك الهوامش تماما فما كانوا يرضون به في الجزيرة العربية مثلا أو يسكتون عنه من مظاهر تدين وتعليم إسلامي قد بات يقلقهم كثيرا وهم يستعجلون التغيير الكامل وشطب القرآن الكريم من واقع المسلمين وإلا قاموا بتغيير الولاة، فهل نعتقد بعد ذلك في ظل هذه الأوضاع أن يسمح للإسلاميين أن يستخدموا الديموقراطية لتغيير حقيقي في بلاد المسلمين؟؟

12- كما ينبغي أن يحذر الدعاة من الانصراف الكلي عن الدعوة والسماح للأداء الديموقراطي بإفساد علاقة الدعاة ببعضهم فيختلفون على من يقدم للترشيح وتشتعل المعارك في المدرسة الواحدة وبين المدارس الإسلامية المختلفة أحيانا وينصرف الدعاة المتخصصون في تربية الأجيال وتعليمهم بمقاعد البرلمان وقببه.

13- ومع ذلك فليمض من فسح له المجال في هذا الميدان إلى النهاية وليكتشفوا بأنفسهم هذه الحقائق فإن وجدوا فرصة للتغيير وجب عليهم أن يستخدموها إلى آخر رمق متاح.

النظرية الثالثة: الجهاد المباشر ضد الكفرة على أنواعهم

وهي النظرية التي تجددت في العصر الحديث بين المسلمين وفي وقت عصيب وضعف شديد ولكن سنن الله عز وجل تعمل ولن يوقفها أحد:﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (الفتح:23)

وقد كانت أول بادرة ضمن المشروع الإسلامي هي بادرة الإمام البنا (دون أن نقلل من جهود من سبقوه في فلسطين وجاهدوا ومهدوا للاحقين) وذلك عندما عزم على قتال يهود، ومع ما تعرضت له تلك المبادرة من مصادرة لكنها وضعت خميرة مباركة للأعمال التالية،

ثم كانت المناوشات مع يهود أيضا في الستينيات من قبل المجاهدين الذين انطلقوا من الأردن، وكانت هناك بعض الأعمال الجهادية المتفرقة في العالم كقتال نصارى الفلبين على يد مجاهدي مورو وكقتال الإخوان في اليمن للشيوعيين وتصدي المجاهدين لليهود في لبنان عام 1982 و كانت القفزة الكبرى من خلال العزمة المباركة التي عزمها الرجال الأشداء وهي قتال الشيوعيين في أفغانستان والذين كانوا يقتسمون الدنيا بأسرها مع الأمريكان فجدد بذلك الأفغان سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم عندما جيش الجيش باتجاه الروم في غزوة تبوك وأين العرب يومئذ من الروم عدة وعتادا؟

وهي النقلة التي عصفت بالنظام العالمي وجرأت المسلمين في كل مكان على الكفار ولو علم النظام العالمي يومها بمستقبل تلك التحولات لما طاب له أن يسقط الاتحاد السوفيتي ولكنها السنن.

ثم كانت عزمة الرجل المشلول التي عانقت السماء يوم عزم وإخوانه على قتال يهود وفي عقر تحصيناتهم فكانت إبداعا خاصا بمن هم في بيت المقدس وأكناف بين المقدس كيف لا وقد خص أهل هذا البيت بهذه الميزة المقدسية فكانت نقلة أخرى استدركت على الأمة كلها كسلها وقعودها تجاه بيت المقدس الذي كان قاب قوسين أو أدنى من الهدم ولا يزال، وكانت نقلة باتجاه التوبة من علة الدهر التي أصابت المسلمين وهي الوهن حب الدنيا وكراهية الموت فعانق الفلسطينيون الموت عناقا حارا بعد طول غياب وكان الأداء الكشميري المميز الذي عز بين المسلمين فلقنوا الهندوس دروسا في حب الموت ألوانا وكان وكان من البوسنة إلى كوسفو إلى الشيشان إلى الطاجيك إلى غيرهم ممن آمنوا بالجهاد طريقا لا ثاني له في استعادة مجد المسلمين الضائع.

وفيما يلي تقويم للأداء التطبيقي في ظل هذه النظرية:

1- لقد مثل التطبيق العملي في مجال الجهاد أخطر اكتشاف للمسلمين في العصر الحديث إذ أعادوا بذلك اكتشاف أنفسهم واكتشاف منهجهم فلم يكن ليكفي وصف التاريخ وما فيه من بطولات فإنها تبقى قصصا للتسلية فإذا تقدم الأبطال في الميدان تجسد التاريخ من جديد، وهم بذلك قد وصلوا تاريخهم بتاريخ من سبقهم في الأمة ووضعوا أنفسهم على بداية طريق العزة والتمكين.
2- لقد أعطى الجهاد بمنظومته من السنن المباركة بقدر ما أعطى المسلمين من أنفسهم فتحققت لهم الكرامات والمعجزات وجاءهم النصر المبين وأرغموا أنف العدو فلما

تراجعوا عن الالتزام بما أمر الله تعالى به المجاهدين وعجزوا عن استيعاب دروس الجهاد الكبرى حصل التراجع والخذلان وليس بين الله تعالى والناس نسب.

3- ولقد مثل الجهاد الأفغاني أقوى وأوضح النماذج لتطبيق الجهاد المعاصر حيث التف المسلمون عليه في كل الأرض وكانت الدروس الكبرى في ميدان الجهاد الأفغاني كالتالي:

- استقام الجهاد بمقدار استقامة الصفوف ورصها فلما اختلت النتائج وضعفت.
- واستقام الجهاد وحلق في آفاق الشهادة والكرامات بمقدار استقامة وتضحية القادة فلما تسلل الضعف إلى الرؤوس القيادية سرى إلى بقية الجسد.
- لم يكن هناك عمل فاعل وكاف في الإعداد والتربية والنظرية والاجتهاد الذي يجمع الناس ويؤلف بينهم فلما تدخل العدو بدسائسه تخلخل الصف وتنوعت الاجتهادات.
- لم يكن هناك احترام للشورى وقفز البعض فوقها فكانت الطامة.
- وكان تفضيل الأتباع على بقية المسلمين سواء كانوا أولئك الأتباع حزبا أو قبيلة أو غير ذلك فكان الفشل.
- ولم يكن الحذر من العدو كافيا خاصة عندما تسلل بوجوه المسلمين ففتحت الأبواب وأصيخ السمع ووقعت الفتنة.
- وغاب تواضع خالد بن الوليد عندما عزله عمر رضي الله عنهما وحل التنافس على الرياسة فكان الفشل.
- وغاب دور حذيفة بن اليمان الدقيق ودور نعيم بن مسعود الخفي فكان الاختلاط والتخليط.
- وتم الخضوع للمال وضغوطه فتدخلت المخابرات الوكيلة عن الصليبيين يمينا وشمالا.
- وغابت نفرة التخصص والاستماع إلى المتخصصين في مجال السياسة والفقه وغيرها من العلوم والفنون فتقدم الرويبضة يفتي في أمر العامة.
- ولم تجمع مدارس الحركة الإسلامية في العالم تلك التي كانت تدعم الجهاد على تصور متكامل متفق عليه ولم تقدم من الطاقات المتخصصة ما يكفي لحاجة الميدان واكتفت بالقليل فكانت سببا في الضعف أضيف إلى الأسباب الأخرى.

4- وأما الجهاد في فلسطين فقد تحقق له قدر أفضل من الجهاد الأفغاني ذلك أنه اعتمد على مدرسة متكاملة هي مدرسة الإخوان المسلمين فتحققت له القيادة الموحدة وإن كان التفرع في القيادة بين الساسة والمجاهدين الميدانيين يعتبر مهدد يحتاج إلى عناية ورعاية وسهر، كما تحقق له ممارسة الشورى الملزمة والتي تؤدى بنظام وإدارة دقيقة، وتحقق له

صف متراص من المجاهدين المتآخين، وتحقق له استراتيجية واضحة، وتحقق له دعم تخصصي ممتاز وفي جميع المجالات.

5- ومع ذلك يبقى الجهاد في فلسطين بحاجة كبيرة إلى تطوير الدعم من قبل المسلمين وتنويعه وأن لا يكتفوا بالفرجة وجمع المال.

6- كما أن الجهاد في فلسطين بحاجة إلى تكامل بين أجنحة الجهاد ووضع آليات للإدارة والتكامل تتيح استيعاب طاقات الأمة بغض النظر عن الانتماءات المدرسية.

7- ومن أهم حاجات الجهاد في فلسطين هو تجديد الاستراتيجية له لكي تتناسب حركته والتطورات الأخيرة في العالم.

8- وقد تعرض الجهاد في المواقع الأخرى من الأرض إلى إشكاليات مشابهة كان من أهمها تفرق المدارس الإسلامية وإصرارها على إنجاز المهمة الكبرى وحدها كما حصل في الشيشان والبوسنة وإرتريا وغيرها.

9- ومن الإشكاليات الرئيسة في فهم وممارسة الجهاد المعاصر عدم تكامل المسيرة الجهادية مع المسيرة الدعوية وتحديد الأدوار التي ينبغي أن يقوم بها المجاهدون ومكان وزمان ذلك.

10- ومن الإشكاليات الرئيسة في فهم وممارسة الجهاد المعاصر إمكانية قيام البعض بصرف الجهاد عن مساره الطبيعي الذي فرضه الله عز وجل وتوجيهه لساحات المسلمين بدلا من الكفرة أو عدم التلاقي الصحيح بالميادين التي يقدرها الله تعالى وفي وقتها المطوب.

11- والجهاد عموما بحاجة إلى استراتيجية تحدد أولوياته ومواقعه الرئيسة وطرق تعامله مع مستجدات واستراتيجيات الصليبية العالمية وغيرهم من الأعداء.

النظرية الرابعة: نظرية إدارة الأزمات والتعامل مع الانهيارات

وهي نظرية لم تخدم نظريا بعد إلا من خلال ما هو متاح من دراسات إدارية ولم يتم التطرق لها في أوساط العمل الإسلامي بوضوح، ولكن وبدون اتفاق قامت أجنحة الحركة الإسلامية في مواقع مختلفة من العالم بتطبيق هذه النظرية وتحقيق نجاحات جيدة، وهي نظرية مرشحة للتطبيق بكثافة في الربع الثاني من القرن الخامس عشر الهجري وذلك للتطورات التي تشهدها بداية القرن إذ تدل تلك التطورات على مستوى الفوضى والإرباك والانهيار الذي يرشح له العالم الإسلامي بأسباب داخلية طويلة الأمد أو بأسباب خارجية لدى الأعداء.

وتتلخص هذه النظرية في تقدم الحركة الإسلامية لملء الفراغ الناشئ عن انهيار النظم والتعامل الدقيق والحاسم مع تلك الانهيارات سواء كان الانهيار سياسيا أو عسكريا أو

اقتصاديا أو اجتماعيا، وذلك لبروز فرص وفراغات أثناء الانهيارات لم تكن لتظهر لولا الانهيار مما يرشح الحركات الإسلامية للعب دور مميز في تلك المرحلة.

واما المواقع التي تم فيها تنفيذ هذه النظرية كليا أو جزئيا فهي الصومال والجزائر وكردستان العراق وإندونيسيا وغيرها حيث حرص الدعاة في كل تلك المناطق على قراءة مبكرة للأحداث مما سمح بالتعامل معها وفق التصورات التي تم التفكير فيها قبل ذلك بمدة مما سمح بالتعامل المباشر والميداني مع الأزمة وإما أن يكون الدعاة قد قرءوا الأزمة عند وقوعها فكانت قراء تهم صحيحية ودقيقة فطفقوا يديرون الأزمة بتلك الرؤية الصحيحة والدقيقة.

وفيما يلي تقويم للأداء التطبيقي في ظل هذه النظرية:

1- تضارب الأداء بين المدارس الإسلامية تضاربا شديدا في فهم وإدارة الأزمات وذلك لانقطاع الصلات بين إخوان العقيدة وضعف الثقة والتنافس المذموم مما فاقم من أثر تلك الأزمات على المسلمين ومن يخضعون منهم مباشرة لها كما حصل في الصومال فبينما فريق من الدعاة تعتمد رؤيتهم على التبرؤ التام من الفتنة والحذر الشديد من القيام بأي دور مباشر وغير مباشر فيها وهي المدرسة المتأثرة بالإخوان المسلمين بينما خضع آخرون ممن يمكن أن يوصفوا بتأثرهم بالمدرسة السلفية للتعاطي مع الفتنة من باب الرغبة في استثمار الفوضى لتحقيق تقدم ما في الصومال وتلك المجموعة كانت تسمى بالاتحاد الإسلامي، ونفس الموقف تكرر في الجزائر حيث تضارب اتجاه الإخوان المسلمين مع الاتجاه السلفي في تقدير الموقف ورؤية الأزمة حيث قدر الإخوان المسلمون الموقف بقيادة الشيخ محفوظ النحناح رحمه الله تعالى بأن الأمر في الجزائر مقبل على أزمة تحتاج قدر من التبصر والتأني بينما قدرت جبهة الإنقاذ الموقف على أنه فرصة ذهبية يمكن اهتبالها بالممارسة الديموقراطية. وبغض النظر عن الحكم باتجاه معين في التقدير لكن ضعف التفاهم والتواصل والثقة انعكست درسا بليغا داميا في ذلك الثغر من ثغور المسلمين.

2- تمكنت مدرسة الإخوان المسلمين في أكثر من بقعة في العالم من إدارة واستثمار الأزمات المستجدة إدارة طيبة وما ذلك بعد توفيق الله عز وجل ولتطبيق أسس إدارة الأزمات واستراتيجاتها بشكل صحيح ومن ذلك نجاح حزب الاتحاد الإسلامي في كردستان العراق من استثمار أزمة الخليج الثانية عام 1990م حيث أدى هجوم صدام على كردستان العراق قبيل غزوه للكويت إلى انهيار كل الأوضاع النظامية في ذلك الإقليم ونزح أغلب الأهالي إلى إيران والحدود المتاخمة وقد استثمر حزب الاتحاد الإسلامي

الفراغ الناجم والفوضى المتحققة ميدانيا في إعادة ترتيب رؤيته وتعامله مع الموقف الكلي، وكذا حصل في إندونيسيا عندما تمكنت بضع اتحادات من طلاب الجامعات أن يسهموا وبالتعاون مع الآخرين في تحريك الشعب الإندونيسي لإسقاط طاغيته الذي عمر طويلا سوهارتو.

3- يعتبر الوضع الدولي والوضع الإقليمي من أكبر المعوقات والمهددات لتطبيق نظرية إدارة الأزمات في التغيير أو في التحسين من الأوضاع القائمة وما لم تستصحب تلك الأوضاع في تراتيب الرؤية والمراحل وإلا فإنها ستطيح بكل الأعمال في هذا المجال وقد بدا ذلك واضحا في إدارة شؤون الأزمة الصومالية في مرحلة لاحقة حيث لعبت الأصابع الأمريكية في إفساد الاتفاق الداخلي للصوماليين ووكلت ذلك لربيبتها الصليبية في المنطقة إثيوبيا.

4- تعد الفلسفة التي ينظر من خلالها القادة المعنيون بإدارة الأزمات من أكبر العوامل تأثيرا في نجاح وإخفاق التعامل مع الانهيارات وكلما اعتمد القادة على فلسفة استثمار الانهيارات سياسية كانت أو اقتصادية وحتى اجتماعية وليس على مجرد السعي لتبريد الأزمة وإنهائها وتم ربط ذلك برؤية بعيدة المدى كلما كانت الإنجازات أكبر وكلما تعب القادة من الانهيارات وسعوا للتخلص السريع منها كلما كانت الإنجازات بسيطة وهامشية بل إنه يمكن استثمار الانهيارات لوضع أسس دقيقة للمستقبل وعليه فإن ما يقوم به أكثر الدعاة من الإسلاميين اليوم بوضع أنفسهم في نفس قوارب الذين أسهموا في إفساد واقع المسلمين حتى يتلبسوا بحالة واحدة معهم ليفوت عليهم فرصة تاريخية للتغيير ثم لماذا يضع الدعاة المغرم على أنفسهم مختارين ولما يأت وقت المغنم يكون الإقصاء من نصيبهم ولماذا يعتقد كثير من الدعاة أنهم مسؤولون مع الحكومات التي سقطت في فساد إدارتها وسوء رؤيتها كما حصل مرة أخرى في الجزائر ولكن باتجاه عكسي فقد كان يسع الإخوان بقيادة محفوظ النحناح في المرحلة التالية من الأزمة أن يتركوا الجنرالات ووكلاء أمريكا يتخبطون في إدارة الأزمة الجزائرية لا أن يضعوا أجسادهم جسورا يعبر إليها أولئك الجنرالات إلى موضع الاستقرار ولما انتهت مهمة الجسر كان نصيبه الإلقاء في الهاوية وكذا كان نصيب الدعاة الذين اجتهدوا اجتهادا لم يصله أحد من الشعب الكويتي في أزمة الخليج 1990م ولما انتهى دورهم ألقي بهم على قارعة الطريق والموقف أكثر ما يكون ماثلا وواضحا وضوح الشمس في المثال الذي يجري هذه الأيام على أرض العراق بعد الاحتلال الأمريكي حيث تسارع ألوان طيف الخارطة السياسية في العراق ومنهم بعض الإسلاميين لمنح المحتل الأمريكي شهادة حسن سيرة وسلوك وشهادة اعتماد واعتراف بالاحتلال عبر التجاوب وإن كان بدرجات متفاوتة مع البرنامج الأمريكي لمحو آثار الاحتلال أو تجميل وجهه القبيح على أقل تقدير والحجة المعتمدة لديهم لكي لا يفوت القطار السياسي ولعمر الحق إنه قطار الفساد والإفساد فلئن فات فقد ربح المسلمون ولم يخسروا والغريب في

الأمر أن الناس يشاهدون ما جنته السلطة الفلسطينية على القضية عندما تجاوبت مع البرنامج الصهيوأمريكي فكل المبررات التي سيقت لم تكن إلا من هذا القبيل حتى وصل الاستعداد للمشاركة في قتل الأهل وقمع أطفال الحجارة الذين رفعوا الآمال في الأمة كلها ولكنه عمى الألوان السياسي.

5- تعتبر الحساسية الفائقة لتوقع المستقبل القريب والبعيد من أهم مستلزمات العمل بنظرية إدارة الأزمات واستثمارها في إحداث التغيير في واقع المسلمين بل وفي أي واقع وعليه فكلما ارتفعت قدرة الدعاة وحساسيتهم في هذا الجانب كلما أجادوا العمل بالنظرية خاصة وأن مستقبل المسلمين مهدد وملغم مما يجعل الحاجة لنظرية إدارة الأزمات ماسة جدا ولعل أحد المؤشرات في صدق هذا التوقع مجمل الأحداث التي مرت بالعالم خلال عقد واحد فقط وهو عقد التسعينيات من القرن المنصرم.

6- وأخيرا فإن نظرية إدارة الأزمات لا يمكن أن تعمل معزولة عن بقية نظريات التغيير فشوطها محدود ومضغوط بالمرحلة الشديدة المصاحبة للانهيارات فإذا تنفس الناس الصعداء كانت الحاجة ماسة لنظرية أخرى تتناسب وتجدد الأوضاع وتغيرها مما يقتضي حسن الإدارة والتنقل بين مختلف نظريات التغيير حسب الحاجة والرؤية البعيدة المدى.

النظرية الخامسة: الثورة الشعبية أو العصيان المدني الشامل

وهذه النظرية طبقت أو استثمرت في العالم الإسلامي خلال القرن في كل من إيران عند سقوط الشاه وفي السودان عند سقوط نميري وفي إندونيسيا عند سقوط سوهارتو وفي الصومال عند سقوط سياد بري ويعتبر عامل الحركة الإسلامية التغييري في كل حالات الثورة محدودا وإنما لعب الدعاة دور العامل المساعد وليس الدور الأساسي عدا ثورة الشيعة في إيران والتي أسهمت حركة الخميني مساهمة قوية ومباشرة في إحداث التحول وإسقاط الشاه.

وتحتاج هذه النظرية للنجاح تظافر عوامل محددة منها:

1- أن يكون الشعب واقع تحت ضغوط شديدة في النواحي السياسية والأمنية والاقتصادية وغيرها.

2- أن تستمر تلك الضغوط فترة زمنية طويلة.

3- أن تكون المكونات والاجتماعية للشعب الثائر بمستوى من التفاعل والشجاعة واللامبالاة بالعواقب وأن تسوده حالة نفسية من التوافق على معطيات محددة.

4- أن يقدم الشعب تضحيات جسام وذلك بالدفع بالأبناء إلى الأخطار وتحمل الأذى والسجون والهجرة والقتل.

5- أن تلعب القيادات الفكرية والسياسية دورها الفاعل والشامل باتجاه الثورة وتبقى مصرة على هذا الاتجاه.
6- أن تنتظم في الشعب مسارات حزبية واسعة وأن تصل إلى كل شرائح المجتمع خصوصا الشرائح الطلابية والعمالية.
7- أن يتوافر لهذه النظرية على أرض الواقع رموز دينية وسياسية وفكرية يمثل جهادها ونضالها أملا للخلاص.
8- أن يستثمر عامل ظرفي مساعد كانهيار اقتصادي شامل أو انكسار جزئي أو كلي في النظام من الداخل أو ظرف دولي.
9- أن تستخدم وسائل البث الفكري والإعلامي والدعاية بأقوى الأساليب وأنجعها تأثيرا.

ومن مهددات هذه النظرية ما يلي:

1- سقوط الثورة في يد ديكتاتور آخر أو نظام قمعي جديد.
2- التدخلات الخارجية والتأثيرات السلبية إما بالمال أو العملاء أو التدخل العسكري.
3- اختلاف رموز الثورة وتنافسهم الشديد مما يرشح النتائج للوقوع في أيدي من ليس لهم علاقة بها.
4- حدوث انهيار في برنامج الثورة الأساسي وتحولها إلى حرب أهلية.
5- تغلب الاطروحات الوطنية على الأطروحات الإسلامية.
6- ضعف البرامج والاستراتيجية المعتمدة لدى قيادات العمل الإسلامي في إدارة الثورة وتوصيلها إلى بر الأمان.
7- سيطرة روح الانتقام فيسود التخريب والقتل والنهب.

وبعد هذا الاستعراض لنظريات التغيير التي طبقت في بلاد المسلمين من قبل الحركات الإسلامية وما ترتب عليها من دفع وتحقيق واقع جديد للأمة المسلمة من جهة وما ترتب عليها من جمود وإشكاليات ميدانية يحين موعد وزمن طرح السؤال الكبير: هل بقي في قوس تلك النظريات منزع ومجال للعمل بها وتشغيلها من جديد في بلاد المسلمين أم أنها قد استنفذت أغراضها ولم يعد بالإمكان استخدام شيء منها نتيجة لتعقد الأوضاع أكثر من ذي قبل؟

والجواب لا بد أن يرد مفصلا ومعتمدا على تحليل موقع المشروع الإسلامي وتوقع آفاق مستقبله وهو ما سيكون في الفصول التالية بإذن الله تعالى.



الفصل الخامس

موقع المشروع الإسلامي على مسطرة التمكين

المفردات:

- أولا: المقدمة والتذكير بغايات المشروع
- ثانيا: التحديات الخاصة بالجماعات الإسلامية
- ثالثا: تحديات كسر المرحلة الاستضعافية
- رابعا: تحديات الواقع السياسي الداخلي
- خامسا: تحديات الواقع السياسي العالمي
- سادسا: تحديات الواقع الاقتصادي



● أولا: المقدمة والتذكير بغايات المشروع

إن أهم ما ثبت في واقع المسلمين منذ إلغاء مرجعيتهم السياسية وانعكاس ذلك الإلغاء على مرجعيتهم الشرعية والتي لم تتمكن الجماعات الإسلامية حتى الآن من سد الفراغ فيها أنه لا يمكن استئناف الحياة الإسلامية بدون وجود مشروع إسلامي متكامل حي ومتحرك في واقع الأمة تستهدي بآماله وغاياته وتعيش في كنفه وتقاتل من أجله فقد كتب الله عز وجل على المستضعفين أن يرفعهم إلى موقع التمكين وأن لا يرضى لهم إلا ذلك الموقع وإن ارتضوا هم لأنفسهم القعود والانتظار: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص:5-6) ويتغير فرعون وهامان ويتغير المستضعفون ولكن حقائق الكون تظل واحدة وسنن التدافع تبقى ثابتة.

ولعل من أهم ما يحتاجه المشروع الإسلامي في وقتنا هذا أن نستدل على نقطة توقفه وتحديد موقع هذه النقطة من المراحل الأساسية له. ومع الاعتراف بشدة المعوقات ورمادية الرؤية في المرحلة الحالية لكن ذلك لا يعني الوقوف بالمشروع أو نسيان مراحله، وإن أول ما يعين الدعاة على فهم وإدراك نقطة التوقف تلك مراجعة المنهج الإسلامي ذاته واستعراض توجيهاته المباشرة وإشاراته فللمنهج معالمه ومراحله التي يوجه فيها أتباعه للتعامل مع مسألة الانتقال من الاستضعاف إلى التمكين فهل استرجعنا تلك المعالم والمراحل؟ وهل بين أيدينا مسطرة واضحة لتحديد نقطة التوقف الحالية في المشروع الإسلامي؟

وإن من أهم ما يواجه قادة الحركات الإسلامية -الذين يعتبرون بطبيعة الحال قادة المشروع والمنظرون له- هو تحديد شكل المستقبل القريب والبعيد فإن مهمة القادة تحديد المستقبل وإلا فما الحاجة إليهم إذا استووا مع الآخرين؟ فهل نحن متأكدون من المستقبل؟ ما شكله وطبيعة تحدياته وما هي خيارات التعامل معه؟ أين سنكون وما مصير الأداء الإسلامي بعد ما يزيد على 75 سنة منذ ميلاد المشروع على يد الإمام حسن البنا، وبعد أن ساهم الكثيرون في خدمته سواء من الجماعات أو من المستقلين فلم يعد المشروع حكرا على الإخوان المسلمين وحدهم وإن كان الحلم والمشروع قد جاء على يد مؤسسهم، وأين تقع الأمة من منطقة التمكين وساحتها، وما هي طبيعة مرحلة الاستضعاف التي تمر بها الأمة وتمر بها الحركات والجماعات الإسلامية هذا إذا اعترف البعض وأقر بأننا في مرحلة استضعاف.

وما هي التعديلات التي ينبغي أن ندخلها على الاجتهادات الإسلامية المختلفة لكي تتوافق وتقترب أكثر من خدمة المشروع الإسلامي؟

وهل قطع المشروع الإسلامي مراحل حقيقية في سيره نحو التمكين؟ أم لا يزال يحبو في مراحل التأسيس الأولى؟

وحتى يمكن الإجابة على تلك الأسئلة لا بد من التذكير بسقف المشروع وغاياته الكبرى في بداية الأمر ثم مقارنة الواقع والإنجاز بذلك السقف.

غايات المشروع الإسلامي:

ويمكن أن نطلع على غايات المشروع الإسلامي من كتابات الإمام حسن البنا وكذا في مقولات كثير من علماء المسلمين المعاصرين ومؤسسي الجماعات الإسلامية على فروق فيما بينهم في سعة وضيق الغايات والأولويات حيث يمكن اختصار غاياته فيما يلي:

1- إيجاد الجيل المسلم الملتزم بدينه المضحي في سبيله المدرك لطبيعة تحديات عصره.
2- استعادة المسجد الأقصى وكل فلسطين من أيدي اليهود وأعوانهم الصليبيين.
3- تأمين قلب وأطراف الأمة من الاعتداءات والمقصود بالتأمين هو التأمين العسكري الجهادي ورفع رايته خفاقة في العالم.
4- تأمين مسيرة الدعوة الإسلامية في العالم حتى يبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار.
5- الاستقلال الحقيقي للمسلمين عن أوضاع أمم الكفر في العالم وتأثير تلك الأمم في صناعة واقع الأمة السياسي والفكري.
6- التحكم التام في ثروات الأمة المسلمة واقتصادها وتكامل اقتصاد المسلمين على المستوى الإقليمي والعالمي.
7- التمكن العلمي التطبيقي والدخول في دائرة البحث والاختراع والإنتاج ومنافسة الأمم في هذا الميدان.
8- استعادة رمز وجود الأمة ووحدتها السياسية والشرعية وهو نظام الخلافة الإسلامية.
9- تطبيق الشريعة كقانون وحيد يحكم أوضاع المسلمين بمرونته وسعته الفقهية في كل بلدان المسلمين.
10- رد الاعتبار للمسلم وكرامته وصون عرضه ووطنه ودمه وماله بعد أن أهدرت على أيدي الكفرة الفجرة في العالم.
11- تطبيق النظام السياسي الإسلامي بدء بالخلافة الإسلامية الجامعة ومرورا بالولايات

الإسلامية والتعددية السياسية والقومية وانتهاء بحقوق الفرد المسلم السياسية والمواطن في العالم الإسلامي بغض النظر عن دينه ومذهبه وجنسه.

فإذا كانت تلك غايات المشروع الإسلامي فما الذي يفصل واقع الأمة عنها؟

وستكون الإجابة بعون الله تعالى من خلال التوقف عند المفردات التي ذكرتها في فهرس هذا الفصل وقبل أن نبدأ بشرح تلك التفاصيل لا بد أن نرسم ونستعرض أهم معالم المرحلة الحالية للأمة والعالم من حولها وذلك بغية تجريد الصورة العامة تسهيلا لبقية العرض، فمن معالم المرحلة الحالية:

1- الجمود الكبير الذي يلف اللحظة الحالية التي يقف فيها المشروع ولكنه جمود غريب من نوعه فهو جمود مشوب بتحفز ينذر بتحولات كبرى فالتحفز في الأمة قد بلغ مدى كبيرا واستفزاز العدو لها قد بلغ بدوره مدى أكبر وقادة الحركة الإسلامية يقفون بين جذبين جذب يطالب بالتصبر والتوقف والتثبت وجذب يطالب بالاستجابة للتحدي الذي فرض على الأمة ولكن الطريق غير بينة ولا متفق عليها في أذهان قادة الحركات الإسلامية وكل ما يحلم به كثير من المسلمين هو أن يأذن قادة الصليب لهم بالديمقراطية لعلها تحل مصائبهم وينعمون في ظلها بالأمن والاطمئنان وهم يرون بأم أعينهم كيف قاتل أربكان في تركيا من أجل تلك الديمقراطية لاستثمارها في التغيير الإسلامي أكثر من ثلاثين عاما فلما يئس منها تقدم الغرب الصليبي لكي يقطف أبناءه من بين يديه ويوظفهم لصالحه توظيفا قد يتفوق على التوظيف السابق لأساطين العلمانية في تركيا.
2- انكسار النظام العالمي الأممي والذي بذل أساطين الكفر في سبيل استقراره من الدماء والأموال الشيء الكثير حتى ثبت على مرجعيته الدولية بالخمسة الكبار في مجلس الأمن فإذا بواحد من أهم أولئك الخمسة ينهار ويتبعثر ويترك العملاق الآخر حائرا بين لملمة الشعث وبين آماله بتكوين إمبراطورية عالمية لم يسبق لها مثيل على حد حلمه، وفي ظل هذا الانكسار لا تزال الفراغات هائلة وكبيرة فما موقف المسلمين من هذا التحول.
3- انتهاء أمريكا من رسم دورها الإمبراطوري العالمي سواء في بعده النظري حسب كبار فلاسفتها أو في بعده العملي فقد عزمت على التجبر والبطش واستعراض القوة في كل مكان واتخذت من ساحات المسلمين الضعيفة أصلا والمنتهكة قبلا ميدانا لاستعراض قوتها وتنفيذ جبروتها وسواء كان ذلك الاستعراض في غابات جنوب الفلبين المتخلفة أو بجانب مكة والمدينة المقدستين فالأمر عند الأمريكيين واحد ما دامت أرضا للمسلمين فما هو جواب المسلمين؟ ومن يحلم بتوازن القوى ومن يحلم بعدالة الأمم المتحدة فليبحث له عن كوكب آخر.

4- وتدخل الأمة بعض ساحات الوغى بطريقة أشبه ما تكون بالجنون أو الخيال فلا الساحات التي دخلتها مهيأة ولا موازين القوى متكافئة ولم يكن أحد يظن أن الأمة يمكن أن تدخل تلك الساحات أصلا ومن تلك الساحات الساحة الأفغانية التي احتاجت من الوقت لكسر السوفييت قرابة عشر سنين فقط وبمليون ونصف من الشهداء وملايين المشردين ولكن النتيجة هائلة وتعجز الكلمات عن وصفها بغض النظر عما جرى بعدها لكن يكفي الأمة أن تقف عند تلك اللحظة المفعمة بالدروس والنتائج العالمية وتضاف ساحات أخرى حيث تكون أكثر جنونا وخروجا عن الحسابات وهي الساحة الفلسطينية فمن كان يتصور أن يقاوم المستضعفون الوحش في أحضانه ويلاعبونه صباحا ومساء ولكنها الحقيقة التي أعجزت الكثيرين عن استجلاء أبعادها، كما تشكلت ساحات أخرى منها ما أجبر الجيش الهندوسي على التململ والبحث عن المخارج في كشمير ومنها ما دوخ من بقي من جنود السوفييت في الشيشان وغيرها كثير ولله الحمد والمنة، والعجيب في هذا كله أن إدارة المعركة الحقيقية تتم مبعثرة في الجانب المسلم بينما مرجعية الكفر العالمية ترجع الأمور إلى الإمبراطور الكامن في بيته الأبيض فهو يدير المعركة الكلية فيسخن هنا ويبرد هناك والنتيجة واحدة والنوعية واحدة والأبطال هم الأبطال في جنوب السودان وفي كشمير وفي فلسطين وغيرها.

5- وتضيع أحلام المسلمين التي حلموا بها منذ ستينيات القرن المنصرم في التنمية الاقتصادية واستخراج لقمة العيش من بين أنياب الغرب والشرق فلا فقراء إندونيسيا شبعوا ولا فقراء باكستان ولا فقراء الهند ولا فقراء مصر ولا فقراء السودان ولا فقراء الجزائر ولا فقراء المغرب ولا فقراء إفريقيا عدا بعض أنابيب الاختبار المغروسة بين ظهراني المسلمين خداعا والتي لا علاقة لها بالتنمية في العالم الإسلامي بل هي مواقع لاستعراض عطور الغرب وأزياءه ومحطات استراحة لجنود هرقل.

6- ويزداد معدل التعرض لمقدسات المسلمين سواء كان بالهجوم الشرس على كتابهم العزيز فيشير الصليبيون وبكل وضوح أن المزعج الحقيقي لهم هو هذا الكتاب ويشير آخرون إلى مكة ويطالبون بقصفها بالسلاح النووي حتى يرتاحوا للأبد، وينشط اليهود لهدم المسجد الأقصى ويطبقوا بالتعاون مع الهندوس (بروفة) أو تجربة اختبارية للمسلمين عام 1992 فيهدموا مسجدا في الهند جاوز عمره السبعمائة عام هو مسجد البابري وتتبرع كل أجهزة الإعلام العالمي بنقل الوقائع وتختلط عظام ودماء المسلمين الجوعى من الهنود المسلمين وهم يدافعون عن مسجدهم ويلوذ بقية المسلمين في الأرض بالصمت، ويمضي اليهود فيصمموا هيكلهم المزعوم ويضعوا حجر الأساس له ويشقوا الأنفاق تحت المسجد الأقصى ويعلنون أنهم سوف يهدمون المسجد ويبقوا على مسجد قبة الصخرة ثم يعلنوا

مؤخرا أنهم قد وجدوا ضالتهم تحت المسجد الأقصى في حجر يدل بزعمهم على الوجود التاريخي للهيكل.

7- ويخترق الإسلام أوروبا وأمريكا اختراقا تاريخيا يهدد مستقبل الصليبية دون أن يطلق المسلمون طلقة واحدة فهاهو الإسلام يستقر في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وتزداد أعداد المسلمين بشكل خيالي وهاهم الأوربيون يقبلون على دين الله أفواجا وكذا يفعل الأمريكان، والقوانين تحميهم وتوفر لهم مظلة العيش فهل يرضى أساطين الكفر بهذه التحولات؟

8- ويضطر قادة العمل الإسلامي لتخفيض سقوف تطلعاتهم بالتدريج فبعد الخلافة التي أصبحت شبحا نزلوا بالسقف إلى مستوى الدولة وعلى أي مكان كان في الأرض فلما تمنع عنهم هذا السقف نزلوا به مرة أخرى ورضوا بالمشاركة السياسية ولو بوزير للكهرباء والماء ثم نزلوا مرة أخرى وطالبوا بالديمقراطية ولو في أرذل صورها كما في مصر وأن تكون للجميع من الشيوعيين وللنصارى الذين لا يشكلون نسبة تذكر في مجتمعات المسلمين ومع ذلك لم يغر العرض أحد لا في اندونيسيا ولا ماليزيا ولا باكستان ولا الجزائر ولا اليمن ولا غيرها، وتنزل المقصلة الأمريكية في البلاد الإسلامية لكي تنال من المساجد ومدارس تحفيظ القران الكريم والجمعيات الخيرية فكل ذلك إرهاب ينبغي وقفه وماذا بعد؟

9- ويتسق شعور الأمة وإحساسها بآمالها وآلامها حتى كاد أقصى المواقع فيها أن يشعر ويتفهم ما يحل ببقية المواقع والأطراف وإن اختلفت اللغات وتباينت الأعراق والدعاة هم الدعاة في إفريقيا السوداء كما في أوروبا البيضاء كما في إندونيسيا الصفراء.

10- ويقف منافقوا العالم الإسلامي وقفة رجل واحد وبكل ألوانهم سواء من مدعي الفكر أو السياسة فمنهم من ينعى سقوط الاتحاد السوفييتي ويتمنى أيامه ومنهم من يوبخ أمريكا على استحياء لأنها ولدت بن لادن على حد زعمهم وهم عليها أحن من الأم الرؤوم ومنهم من يرفع عقيرته محذرا من أخطاء أمريكا في المنطقة مبديا النصح العميق والفهم الدقيق لحقائق المنطقة ومبديا خدماته التي لا تنتهي وفي كل الاتجاهات ومنهم من يشارك اليهود في جهودهم للجم المجاهدين وإيقافهم عند حدهم بعد أن ضيع عليهم المجاهدون حلم شيمون بيريز بشرق أوسط يلعب فيه العرب دور الجواري والعبيد.

فإذا وقفنا على تلك المعالم في المرحلة الحالية أمكننا أن نستعرض التحديات التي تختلط بالمرحلة وهي التحديات التي استعرضتها في فهرس هذا الفصل.

• ثانيا: التحديات الخاصة بالجماعات الإسلامية

وإن هذه العودة المتكررة للجماعات الإسلامية في ظل المشروع الإسلامي لتؤكد بأن مستقبل الأمة لا يرسمه المنظرون المستريحون ولا المفكرون العلمانيون الذين أفسدوا في الأمة ولم يصلحوا وإنما يرسمه أهل هذه الأمة: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (الفتح:26) نعم فهم أحق بها وأهلها كما وصف العلي الكبير كما أن الحركات الإسلامية قد أسهمت عمليا في صناعة واقع المسلمين من خلال جهود دفع الدعوة والحرص عليها والتضحية في سبيل الله فإذا بهم يقفون على واقع جديد للأمة أسهموا هم في صناعته ولا أدل على ذلك من التخوف الهائل الذي يبديه أساطين الكفر العالمي من التحولات في الأمة المسلمة بينما لما كان مجرموا البعث والقومية التركية والقومية العربية والشيوعية يسيطرون ويبثون مناهجهم المفسدة لم يتخوف قادة الكفر العالمي بل كانوا يباركون ويهنئون.

وإن مما يمكن أن نراه من علاقة الجماعات الإسلامية بالموقف والمرحلة الحالية للمشروع الإسلامي يتحدد في التالي:

أ- الإنجازات المباركة التي أسهمت فيها الجماعات الإسلامية.

ب - الإشكاليات المتعلقة بالجماعات الإسلامية والتي تحول دون تسارع المشروع.

فإذا أحسنا قراءة هذين البعدين أمكن استثمارهما لصالح النقلة الجديدة في المشروع.
فما هي الإنجازات الكلية إذن في تاريخ الجماعات الإسلامية المعاصرة وما هي الإشكاليات التي تحول دون تسارع المشروع؟

أ: الإنجازات الكلية في تاريخ الجماعات الإسلامية:

1- الجيل المسلم الملتزم من الرجال والنساء هو أول وأهم إنجازات الجماعات الإسلامية ذلك الجيل الذي انتشر في كل بقاع الدنيا وبات يشار إليه بالبنان وباتت معاني وصفات ذلك الجيل واضحة ودقيقة فهو ملتزم بالحلال باحث عنه وهو هارب من الحرام مجتنب له ملتزم بالسنة متتبع لها وهو تواق لنصرة دينه متعلق بالشهادة في سبيل الله وهو ذو عاطفة جياشة تجاه أمته، وقد نتج عن هذا الجيل واقع اجتماعي مبارك من الأسر الملتزمة والأذواق العامة والمظاهر العبادية وامتلاء المساجد والحرص على طلب العلم

وحفظ القرآن الكريم ودفع الجيل إليه وكثرة بناء المساجد إلى غير ذلك من المظاهر المباركة.

2- انتشار الوعي الإسلامي في الأمة بعد أن تحطمت دعاوى وزيف القوميات والاشتراكيات والوطنيات وتشكل لدى الأمة وعي مشترك بضرورة العودة للدين وأن لا عزة للأمة إلا به وأنه لا فرق بين مسلم في الهند ومسلم في مكة وبات الفرق واضحا بين الأمة وبقية الأمم وهي أنها أمة مسلمة وغيرها كفار ولو تعددت مللهم فالكفر ملة واحدة وأن أهم ما يربط الأمة ويوحدها هو دينها ومقدساتها وأن مقدساتها ينبغي أن تعود لها وأن عودة المقدسات لا يكون إلا بالجهاد في سبيل الله وأن سبب البلاء في الأمة هو عدم تطبيق الدين والشريعة وفرض قوانين الغرب والشرق عليها وإجبارها على الفساد كالخمر والزنا وغيره من خلال السماح الرسمي لهذه الموبقات والسماح الرسمي لحملة الأفكار المفسدة بالتحرك وبثها في الجيل المسلم، وهكذا ينتشر الوعي في الأمة ويمهد السبيل للنهضة ويتقدم المشروع الإسلامي.

3- إحياء الجهاد كان ولا يزال من أكبر منجزات الجماعات الإسلامية لأنهم بذلك أسسوا للنهضة الحديثة وأوقفوا مسلسل الانهيار والركوع النهائي وهكذا وبإصرار الجماعات الإسلامية على رفع راية الجهاد في كل فرصة سنحت فإنها قد مهدت للبناء عليها وهي مرشحة للازدياد وفي كل الاتجاهات، وقد كان من أهم نتائج الجهاد في نهاية القرن العشرين الميلادي هو إسهام المجاهدين في شرخ وكسر النظام الدولي عبر الانكسار الذي أصاب الاتحاد السوفييتي مما مهد لتحولات هائلة وانكسارات كثيرة هنا وهناك جرأت المسلمين على الكفرة في كل مكان.

4- الدفع باتجاه الحكم الإسلامي كان من منجزات الجماعات الإسلامية وإن كانت النتيجة متواضعة قياسا إلى المأمول ولكن كان من نتائج ذلك الدفع هو تعرية الأنظمة المستخذية للكفر حيث تبين للأمة أن المظلة السياسية في الأمة إنما تحكم عن تفويض الأعداء ولا تحكم عن الأمة وتنوب عنها، وكان من نتائج اختبار هذا الدفع هو وصول الإسلاميين إلى الحكم في السودان وهو الاقتراب من مواقع صنع القرار واختبار الموقف عن كثب في أماكن كثيرة في العالم الإسلامي.

5- وكان من النتائج الإيجابية لأداء الجماعات الإسلامية هو بسط التجارب الوافرة أمام الأمة وفي كل المجالات وإتاحة المناهج الإسلامية الاجتهادية للاختبار واستخلاص النتائج وفق التطبيق الميداني لا وفق القول النظري مما يرشح الموقف للدفع باتجاهات محددة في المرحلة القادمة.

6- وكان من النتائج الإيجابية لأداء الجماعات الإسلامية هو التدخل في صناعة واقع

المسلمين من حيث التخفيف من الولاءات العصبية والقبلية والسياسية المدمرة - تلك التي استغلها الأعداء طوال العقود الماضية- وتموضع الحركات الإسلامية في مجتمعات المسلمين كأحد المرجعيات التي لا يمكن تجاوزها.

7- وكان من النتائج الإيجابية هو دخول الجماعات الإسلامية مرحلة العولمة من أوسع أبوابها فلم تكد العولمة تأخذ مسارها في العالم إلا وهي مستصحبة لمصطلحات المسلمين كالجهاد والانتفاضة في فلسطين وصور ظلم اليهود وما استجد من فساد الأمريكان في العراق والتي أصبحت تغطي الآلة الإعلامية في كل مكان، وإذا كان للأمريكان السي إن إن والماكدونالد فإن للجماعات راية الجهاد في فلسطين والتي لا يمكن أن تخطئها عين أي مسلم سواء كان من الأميين أو من المثقفين فهو يستطيع أن يقرأها ويعرف مغزاها ويتحرك على وقعها فيخفق قلبه للشهداء وهم يتطايرون أشلاء ويمتلء فرحا وهو يرى أشلاء الغاصبين مبعثرة في كل مكان، وإن كان لأمريكا المنظمة الاستخباراتية المسماة بالسي أي ايه وعملاؤها السريون فإن للجماعات الإسلامية جنودهم من شباب الإسلام الذين ينتظرون الإشارة وغير ذلك من الانتشار الثقافي والفكري والرمزي العالمي.

8- وكان من النتائج الإيجابية لأداء الجماعات الإسلامية هو اختبارهم للديمقراطية في العالم الإسلامي حتى الثمالة فلم تبق حيلة إلا سلكوها ولم يبق قانون جائر إلا أطاعوه في سبيل رفع الصوت الإسلامي وفي سبيل التعايش السلمي والتنمية التي يبشر بها الغرب ونظمه التابعة له وعليه فقد وفروا بذلك تجارب ميدانية غاية في الوضوح وأعذروا إذ وصلوا إلى غاية ما هنالك من الإعذار وطلب الهدوء وتوفيره لهم ولغيرهم فلم يرض بهم أحد، والعجيب أن تلك التجارب شملت العالم الإسلامي من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق.

9- ومن أهم النتائج الإيجابية للجماعات الإسلامية هو مساهمتها المباشرة في التأثير على مسرح الأحداث العالمي بل والتدخل في تغيير النظام العالمي إثر المعركة التي خاضها المجاهدون في أفغانستان ضد الاتحاد السوفييتي طوال عقد من الزمن ووقفت الأمة الإسلامية داعمة ومؤيدة لتلك المعركة نتيجة للبنى التحتية التي تمكن الجماعات الإسلامية أن تهيئها للجهاد في أفغانستان، ثم انتشار الحراك الجهادي في العالم الإسلامي والذي لم يبق جزء من النظام العالمي إلا وتأثر به.

ب: الإشكاليات المتعلقة بالجماعات الإسلامية والتي تحول دون تسارع المشروع:

1- يشكل الصراع البيني أحد أهم أخطر الإشكاليات المتعلقة بالجماعات الإسلامية والذي يحول دون تسارع المشروع لأن وحدة الصف الإسلامي هي وقود الدفع فإذا تغيرت طبيعة

ذلك الوقود وأصبح ماء بدل أن يكون نارا فكيف نتوقع تسارع المشروع؟ ويعتبر هذا البلاء بالمفهوم الشرعي معطل نهائي للمشروع الإسلامي أي لا حل له البتة إلا باستحضار وحدة الصف وتوفيرها كأحسن ما تكون ولنا أن نتساءل عن الحكمة عندما قضى الخالق عز وجل بمنع رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم من ضمان أن يكون بأس الأمة بينها شديد ولم يعطه ما طلب في الحديث الصحيح المشهور فعن معاذ بن جبل قال: «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلبه فقيل لي: خرج قبل قال: فجعلت لا أمر بأحد إلا قال: مر قبل حتى مررت فوجدته قائماً يصلي. قال: فجئت حتى قمت خلفه قال: فأطال الصلاة، فلما قضى الصلاة قال: قلت: يا رسول الله، لقد صليت صلاة طويلة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني صليت صلاة رغبة ورهبة، سألت الله عز وجل ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمتي غرقاً فأعطانيها، وسألته أن لا يظهر عليهم عدوّاً ليس منهم فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فردها عليّ» رواه أحمد(21705)، فلو تساءلنا عن سر بقاء هذا البلاء بين المسلمين لوجدنا والله أعلم بمراده أن أكثر ما يضر بالدين الذي ارتضاه الله للعالمين أن تؤذى صورة هذا الدين النقية عبر الخلاف المفضي للنزاع والقتال بين أتباعه بينما كان من واجبهم أن يحافظوا على نقاء صورة الدين فكان عقابهم أن يكون بأسهم بينهم شديد كما كان حال أتباع النصرانية من البغضاء والقتال فلكي يستقيم الدين لا بد من استقامة أهله بالعلاقة التي ارتضاها لهم عز وجل وهي الأخوة والتناصر والولاء فإن تركوا هذه الصفات كان بأسهم بينهم شديد كعقوبة لهم على التشويه والترك معا، وقد يقول قائل وهل يمكن أن يبلغ الخلاف بين الجماعات الإسلامية إلى الحد الذي يهدد بحصول قتال فيما بينهم؟ والإجابة نعم بكل تأكيد إذا استمرت الأمور في نفس مسارها وبقيت القيادات تنفخ في الخلاف بينها والأتباع يتحرقون حنقا على إخوانهم في العقيدة أكثر مما يتحرقون على اليهود والنصارى فماذا ننتظر؟ وما استحلال الدماء الذي وقع بين المسلمين في بعض المواقع إلا تأثرا بالمناهج المتضاربة وعليه فإن علاقات الجماعات الإسلامية فيما بينهم هي أهم ما ينبغي مراجعته من مفردات المشروع الإسلامي وإلا فلا ينتظر أحد نصرا ولا غلبة على الكفار: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:46).

2- ومن الإشكاليات التي تتعلق بالجماعات الإسلامية وتحول دون تسارع المشروع ضعف وتذبذب الاستقلال العلمي والفكري للجماعات الإسلامية حيث فقه الأعداء خطورة ذلك الاستقلال فباتوا يسهمون في صناعة رؤى المسلمين بأساليب كثيرة ومن تلك الأساليب انبثاث فلول اليسار والقومية في الأمة ممن يسمون بالمفكرين في أجهزة الإعلام

والسياسة ومساهمتهم الكبرى في صياغة عقول المسلمين والدعاة فإن الدعاة يستفيقون كل يوم على جرائد وقنوات هؤلاء الفضائية حتى تخصص الكثير منهم في ساحات المسلمين المختلفة وأصبح مرجعا يصوب ويخطئ، والعجيب بأن كثير من الدعاة لا يفكرون البتة في تواصلهم وتأملهم للحالة الإسلامية ولا يرون لذلك حاجة فقد استغنى كل باجتهاده ورؤيته فكيف يطيق سلفي أن يجالس أحد الإخوان المسلمين وكيف يطيق جهادي أن يتفاهم مع تبليغي وكيف يطيق صوفي أن يرى سروريا فضلا عن أن يستشيره أو يتفاهم معه، وكأني بهم (على فضلهم) كجمهور السينمات والمسارح لا علاقة للمتفرج بصاحبه والعقول يصنعها الممثلون على المسرح، ومن الوسائل المستخدمة سياسيا وأمنيا في تفريق الدعاة وصناعة عقولهم هو الإيحاء لبعضهم بأنكم أفضل من الآخرين فأنتم موالون وأولئك خارجون وأنتم مسالمون وأولئك إرهابيون وهكذا مع إعطاء بعض الميزات العملية لأناس وحرمان الآخرين منها.

3- ومن الإشكاليات التي تتعلق بالجماعات الإسلامية وتحول دون تسارع المشروع الإسلامي هو عدم سماح مناهج وعواطف الجماعات القيام بأي نوع من المراجعة والتقويم للمسيرة الإسلامية المعاصرة ولا للتجارب التي قادتها تلك الجماعات ودخلت فيها سواء كانت تلك التجارب في الميدان التربوي والدعوي أو الميدان السياسي والفكري أو الميدان الجهادي مما يكرس الأخطاء الكبرى ولا يسمح باستثمار النجاحات ويؤدي إلى الوقوع في نفس الحفر التي وقع فيها الدعاة من قبل، ولعل عدم تقويم تجربة أفغانستان الأولى قد سمحت بنشوء أزمة أفغانستان الثانية وسمحت بوقوع أزمة الشيشان الثانية وعدم تقويم أزمة البوسنة سمحت بتكرار تجربة كوسوفو، وعدم تقويم تجربة الجزائر قد تؤدي إلى الوقوع لا سمح الله في وقوع أزمات مشابهة في مواقع أخرى.

4- ومن الإشكاليات التي أنتجتها الجماعات الإسلامية تقابل المفاهيم الإسلامية والمصطلحات وتناقضها بدلا من تكاملها وتناسقها مما ضيع كثيرا من الجهود والزمن وأدى بالناس إلى أن يدوروا حول أنفسهم ويقوموا بإنتاج نفس الواقع دائما فهناك مفهوم الحكم الإسلامي والذي يقف بالضرورة أمام مفهوم الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وهناك مفهوم الجهاد الذي يقف بالضرورة أمام مفهوم السياسة والحوار وهناك مفهوم الجماعة والذي يقف بالضرورة أمام مفهوم الجماعات إلى غير ذلك من المفاهيم المتقاطعة وغير الملتقية وهذه الممارسة في بعدها النظري والعملي قد أدت بلا أدنى شك إلى أن يغوص المشروع الإسلامي في وحل وشلل هذه الجدلية.

5- ومن الإشكاليات التي صنعتها الجماعات الإسلامية أو وقعت فيها هو اعتماد أكثر الجماعات الإسلامية المعاصرة على نظرية الهدوء والسلم وحدها وتكريس هذه النظرية

من الناحية النظرية والعملية وبناء الآمال الكبار عليها دون التطرق النظري فضلا عن العملي إلى أي أبعاد أخرى يقرها المنهج الإسلامي بل ويشجع عليها أيما تشجيع، ثم التعويل في إطار تلك النظرية على وعود السلم وحوار الحضارات الذي بات يشغل المسلمين وحدهم أكثر مما يشغل بقية الأمم وقد ترتب نتيجة للاعتماد الكلي على هذه النظرية واقعا مغلقا فإن منظومة المرجعيات التي تنتمي إلى هذه النظرية قد أوصلت المسلمين إلى شفير الهاوية وليس هناك من مخرج إلا الانتظار، ومن تلك المرجعيات التي تنتمي إلى نظرية الهدوء الكامل: الاعتماد النهائي على منظومة الحكم في العالم الإسلامي والتي باتت تتحسس رقابها خوفا من المقص الأمريكي وهي مرشحة للاستجابة الكلية لتوجيهات الأمريكان إلا من رحم الله وقليل ما هم، ومن تلك المرجعيات جمعية الأمم المتحدة التي يتصارع فيها العمالقة الكبار وليس للأمة أي نصيب بينهم ولا مستقبل ومن تلك المرجعيات هو الاعتماد على وعود الديمقراطية وما يلحقها من مقولات كالحريات وحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية التي باتت أملا يتطلع له كثير من الدعاة وليس للأمة في ذلك كله نصيب ولا مستقبل حسب ما هو مشاهد طوال خمسة عقود مضت ومن تلك المرجعيات هو الاتكاء على الأبعاد الوطنية لكل شعب أو عرق كما هو محدد في مساحات الدول الإسلامية والعربية وقد انكفأ البعد الوطني المحدود انكفاء كليا أمام زحف العولمة وزحف الأمم الهادرة والتي لا تعترف إلا بالبعد الأممي فهناك الأمة الكاثوليكية والأمة الأرثوذكسية وهناك الأمة البروتستانتية وهناك الأمة الهندوسية وهناك الأمة الصينية أما (مفاحص القطا) الوطنية نسبة إلى مفحص القطاة وهو عشها وموضع بيضها فلم يعد لها موقع بين العمالقة الكبار، وهكذا يبدو واضحا بأن كل المرجعيات التي تعتمدها نظرية الهدوء أو نظرية الانتظار وهما وجهان لعملة واحدة قد أصبحت مهددة وليس لدى الدعاة من خيار آخر في ظل هذه النظرية حيث أصبح الوجود الإسلامي في أغلبه محايدا مما يقتضي سرعة البحث في المنهج الإسلامي ومسطرته عن البدائل الأخرى التي يتيحها ذلك المنهج لا ما تتيحه جمعية الأمم المتحدة التي أصبحت رواقا خالصا لقيصر الروم الجديد.

فهل تستطيع نظرية الهدوء الكامل المعتمدة لدى أكثر الجماعات الإسلامية أن تواجه التطورات في العالم وفي أمة الإسلام حيث يتجه الموقف الكلي نحو زيادة معدلات الأذى والمهانة للمسلمين وتعويق مسار الدعوة إلى الله تعالى؟ وهل ستساعد تلك النظرية وحدها في إحداث تحولات حقيقة نحو غايات المشروع الإسلامي؟

6- ومن الإشكاليات التي أحاطت بالجماعات الإسلامية هو تعقد العلاقة بينها وبين مبدأ الجهاد وتطبيقاته المختلفة بل ومنطلقاته النظرية التي أصبحت مخيفة ولا يريد أحد أن

يقترب منها بأي شكل من الأشكال وحتى الجهاد الذي لا يمكن لأحد من المسلمين أن يختلف عليه وهو الجهاد في فلسطين أصبح بدوره يمثل أزمة خانقة لا يلوح في أفق الجماعات الإسلامية تصور واضح ودقيق لنصرته ودعمه سوى التفرج عليه وفي أحسن الأحوال جمع المال له والذي أصبح بدوره مهددا بدرجة كبيرة حيث أدرجت أمريكا الحركات الجهادية في فلسطين ضمن لائحة المنظمات الإرهابية في العالم وأصدرت قانون الإرهاب الذي يتيح لها ملاحقة من يدفع درهما واحدا لحماس بل ولعل في العمليات القذرة التي اعتمدتها أمريكا لجهاز استخباراتها إمكانية قتل وتصفية من يقوم بدعم تلك المنظمات دعما قويا وفاعلا، فكيف سيكون موقف الجماعات الإسلامية تجاه بقية الأعمال الجهادية في العالم الإسلامي حيث غير كثير من الدعاة اتجاه المعادلة التي أمر بها الرب تباركت أسماؤه حيث قال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال:39) فبدلا من النظر إلى انحسار الجهاد عن الأرض وسيطرة الكفرة كمظهر للفتنة فإن الكثير بات ينظر للتحرك الجهادي على أنه عين الفتنة في الأرض.

7- ومن الإشكاليات الدقيقة في مسار الجماعات الإسلامية الآن هو الاختلاط الشديد بين البعد الوطني القومي ومتطلباته وبين البعد الإسلامي ومتطلباته حيث انغمست الجماعات الإسلامية في الارتباط الشديد والنهائي بالبعد القومي وتم تفصيل المشروع الإسلامي وفق هذا البعد مما جعل الدعاة ينكفئون على متطلبات البعد القومي ويعرضون عن متطلبات البعد الإسلامي سواء ما كان يتطلبه البعد الإسلامي من تواصل وتشاور ونظرية محكمة أو ما يتطلبه من برامج وعمل مشترك فأدى ذلك إلى اختزال المشروع وفقد أغلب الطاقات والقدرات في الأمة حيث انغلق أهل باكستان في بلادهم وانغلق أهل موريتانيا في بلادهم فلا علاقة البتة بين الجيران إلا القليل ولا تكامل إقليمي إلا بعض التواصل الخفيف وكان من النتائج الخطرة لهذه الحالة هو غرق القيادات الإسلامية في كل قطر لصناعة المشروع الكامل وتوفير متطلباته وهو أمر متعذر تماما حتى على أكبر الأقطار مساحة وشعبا فكيف على البقية؟ وقد بلغت محاولات كل قطر لاستنساخ المشروع الإسلامي مبلغا محيرا فإن المتطلبات واسعة في المجال الشرعي والدعوي والسياسي والاقتصادي فظل الناس يدورون في حلقة لا نهاية لها. مما يؤكد بأن أزمة العمل الإسلامي هي أزمة نظرية واستراتيجية بالمقام الأول وليس أزمة واقع ومتطلبات.

8- ومن الإشكاليات هي تلكؤ وتراجع عمليات صناعة وإعداد الجيل الجديد الذي سيرث مسيرة العمل الإسلامي حيث أدت نظرية الهدوء إضافة إلى عوامل أخرى إلى تجميد

وبطء العملية التربوية وانشغل أكثر الدعاة والمربون بالانتظار أو بطلب المعاش أو اعتقدوا بأن ما لدى كل جماعة إسلامية من طاقات وقدرات كافية لهذه المرحلة فمات الطموح وتراجع الهم ولم يعد الراهب يبحث عن الغلام الذي سيورثه أمانات المشروع الإسلامي ولم يعد يهتم بإطلاق طاقات الغلام ولا بتحديد طبيعة المرحلة وتحديات المستقبل كما فعل الراهب الذي ورد ذكره في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حيث استلم الغلام العقيدة من الراهب ثم مضى في تجربة واختبار هذه العقيدة وتمكن من قتل الدابة وعاد يقص على الراهب قصته وإذا بالراهب يحدد طبيعة التحول المرحلي ويسلم راية القيادة للغلام فقال له: ... أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلَّ عَلَيَّ.(مقتطف من حديث مسلم رقم 7461) وعليه فقد مضى الغلام في قيادة وإدارة المرحلة حتى قاد الشعب المعبد للملك الطاغية إلى التوحيد وإلى أفياء الإيمان بعد أن صمم عمليته الاسشهادية المشهودة في الزمن والمثبتة في القرآن الكريم في قصة أصحاب الأخدود.

● ثالثا: تحديات كسر المرحلة الاستضعافية

ويأتي هذا المبحث كإحدى المقدمات الضرورية لوضع أسس التعامل مع الأمة لتحريك قابلياتها النفسية والعقلية كي تتقبل تبعات المشروع الإسلامي ولكي تصل الجماعات الإسلامية إلى نقطة التموضع الاستراتيجي في الأمة فلا تقبع على هامش الأحداث والتأثير، ويمكن الإنطلاق في محاولة فهم المرحلة التي تمر بها الأمة في هذه اللحظة من تاريخ المسلمين المعاصر من خلال منهجين: أما المنهج الأول فهو منهج القرآن الكريم الذي أنزله العليم الخبير والمنهج التابع والمكمل له وهو منهج النبوة في فهم حقيقة المعطيات التي تتحكم في مسار ومآلات الأمة، وأما المنهج الثاني فهو منهج الاستقراء الميداني في ظل المنهج الأول.

ولا يمكن فصل المنهجين عن بعضهما إلا لأغراض العرض العلمي أما أغراض التوصيف والتشخيص فتقتضي دمج المنهجين معا حتى يمكن التوصل إلى حقيقة الموقف، وعليه فسأحاول في هذا الوصف الموجز أن أقف على تحديد لطبيعة المرحلة والتركيبة النفسية والعقلية للأمة والمصاحبة لتلك المرحلة والمعطيات التي تتحكم في المخرجات الكلية للموقف.

ولو تأملنا معادلة الاستضعاف والتمكين في القرآن الكريم بغية تحديد الحالات التي تمر

بها أمة الحق لوجدناها تتراوح بين ثلاث حالات وهي: حالة الاستضعاف وحالة المدافعة وحالة التمكين.

ولكل موقع أو حالة أحكامها والمعطيات النفسية والعقلية التي يكون عليها حملة الحق وعلاقاتها مع بقية الأمم.

ويمكن الوقوف على طبيعة تلك المراحل والحالات من خلال استيعاب ودراسة المفردات التالية:

1- الآيات الواردة في مسألة الاستضعاف في القرآن الكريم.
2- الآيات والأحاديث الواردة في ذكر بني إسرائيل كطبيعة بشرية.
3- آيات وأحاديث الجهاد والقتال والهجرة .
4- الأحاديث الواردة في أبـــواب الفتن.
5- التحولات التي تمت في الأمة المسلمة خلال العقود الأخيرة.

وسعيا للاختصار وتحديدا للمعطيات النفسية والعقلية لقيادات وجماهير الأمة في المراحل المختلفة فسوف أتوقف عند كل مرحلة مستعرضا ما يتعلق بها.

مرحلة الاستضعاف: وتحكمها المعطيات القرآنية والواقعية التالية:

- أمر الرب عز وجل بعدم الاستسلام لهذه المرحلة والأصل فيها أن يسعى المستضعفون لمغادرتها والدخول في المرحلتين التاليتين لها وهما المدافعة ثم التمكين، فإنه قد قضى سبحانه بذلك: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص:5). كما هدد الله عز وجل المستضعفين بالسؤال الشنيع عند الموت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (النساء:97) وبتأمل أحوال الأمة والدعاة نجد أن الاستسلام هو الغالب خاصة عند استعراض الأوضاع الدولية وتطوراتها وكون النصارى واليهود قد تمكنوا من السيطرة على النظام الدولي مما يجعل الأمل ضعيفا عند غالبية المستضعفين بإمكانية مغالبة هذا الوضع وإنما ينبغي الاستسلام الكلي له، مع العلم بأن التجارب التي خاضتها بعض شعوب الأمة قد أثبتت بأن إمكانية المغالبة واردة وأنها أصل في تركيبة الحياة فقد أمر بها الرب تباركت أسماؤه فلا ينبغي تأسيسها على حال اليهود والنصارى وغلبتهم.
- رغب الحق جل وعلا المستضعفين في المقاومة ووعد بتحقيق إرغام الكفرة وليس مجرد

تأمين المستضعفين وذلك عند البدء بأولى خطوات المقاومة وهي الهجرة: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (النساء:100). وقد ذكر القرطبي في معنى المراغمة قوله: وهو أن يرغم كل واحد من المتنازعين أنف صاحبه بأن يغلبه على مراده؛ فكأن كفار قريش أرغموا أُنوف المحبوسين بمكة، فلو هاجر منهم مهاجر لأرغم أُنوف قريش لحصوله في منعة منهم، فتلك المنعة هي موضع المراغمة.(انتهى) كما أورد الطبري عن سعيد بن جبير في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (النساء:100)

قال: كان رجل من خزاعة يقال له ضمرة بن العيص أو العيص بن ضمرة بن زنباع، قال: فلما أمروا بالهجرة كان مريضا، فأمر أهله أن يفرشوا له على سريره ويحملوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ففعلوا، فأتاه الموت وهو بالتنعيم، فنزلت هذه الآية(انتهى). وما حل بأمة الإسلام إلا النكوص عن هذه الهجرة ومتطلباتها حيث تمكن الأعداء من أن يسجنوهم في جلودهم وقومياتهم الضيقة ووطنياتهم الأضيق فهم أي أبناء الأمة معدودون ومختوم عليهم كالعبيد وبدلا من الوسم بالنار القديم تم وسمهم المعاصر بجوازات السفر المصممة أمريكيا حتى تسهل الملاحقة والملاحظة لهم، ولكن السجن الأخطر للمسلمين هو السجن العقلي حيث أصبحت المرجعيات الوطنية والبلدان التي ينتمي إليها المسلمون تحكم على كل ما هنالك من مستقبل ومن علاقات بين الأمة الواحدة، ولما تمكن واضعوا المشروع الإسلامي من غرس بذرته في أرض الأمة حيث نما في غفلة من الأعداء إذا به يصطدم في المراحل الحالية من نموه بحاجز البلدان وجوازات السفر كأحد أخطر الحواجز والمعوقات.

- وعند هذه النقطة الحرجة من تاريخ المستضعفين يزداد القول والتسليم لديهم بأنه لا يمكن الخروج من دائرة الاستضعاف وبالتالي لا بد من قبول الأوضاع كما هي وهو ما دلت عليه الآية في قولهم: ﴿كنا مستضعفين في الأرض﴾ فهم يعتقدون بأن مجرد الاستضعاف يعتبر عذرا كافيا لعدم إحداث أي تغيير في واقع الحياة وقد حدد الله عز وجل طبيعة التغيير المطلوب منهم وهو الهجرة: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ فهي أي الهجرة تأتي في سياق التحول الكبير نحو التغيير والجهاد، وقد أورد ابن كثير في تفسير الآية: قال الضحاك: نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا فيمن أصيب، فنزلت

هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ (النساء:79) أي بترك الهجرة ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾ (النساء:79) أي لم مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الأَرْضِ﴾ (النساء:79) أي لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض ﴿قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً﴾ (النساء:79) الآية. (انتهى) وبتعقد أوضاع المسلمين المعاصرة إلى الدرجة التي كادت فيها المعالم بين دار الكفر ودار الإيمان أن تنمحي أو تتداخل تداخلا شديدا وكذا دار الحرب ودار الإسلام فإن هجرة المسلمين المعاصرة ينبغي أن تتجه نحو الاستعصاء على الذوبان في إعصار الكفر الذي يعم العالم في المرحلة الأولى وهو ما حدث بفضل الله عز وجل نتيجة لجهاد الدعوة ومصابرتها ثم تطور ذلك الاستعصاء عندما عزم الدعاة على التجاوب مع التحديات التي يفرضها الكفر في نواحي الأرض وهو التجاوب الجهادي الذي انداح في الأرض من الفلبين إلى البوسنة طوال عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن المنصرم ولكن تلك الموجة الجهادية تكاد تنحسر وتطوى نتيجة للمكر والدهاء الذي عالج به الكفار الموقف وتطبيق سياسة عزل المجاهدين عن الأمة بحيث لا يلحق بهم من الأمة إلا النزر اليسير من الصعاليك وتبقى الأغلبية الساحقة والتي آثرت البقاء تحت هيمنة الكفر وقانونه الدولي لا تحرك ساكنا.

- عادة ما يتخذ الجبابرة سياسة توجيه الضربات الشديدة والمتلاحقة لحملة الحق حتى ينتهي عندهم أي أمل في المقاومة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص4) وتجدد هذه السياسة مطبقة بقيادة الأمريكان الصليبيين فهم قد عزموا على الضرب في كل مكان وبسرعة قياسية وبدعم سياسي وإعلامي عالمي علهم يقذفوا الرعب في قلوب المسلمين ويسجنوهم في جلودهم قبل سجن جوانتيمالا وأشباهه.
- بين الرب عز وجل للمسلمين بأن الوسيلة الوحيدة لاستنقاذ المستضعفين من المسلمين ونصرتهم هو القتال في سبيله: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾ (النساء:75) ولو كانت هناك وسيلة أخرى لإنقاذهم لبينها لنا الرب تبارك وتعالى ويقول الطبري في معرض تفسيره للآية السابقة: فحضّ الله المؤمنين على استنقاذهم من أيدي من قد غلبهم على أنفسهم من الكفار، فقال لهم: وما شأنكم لا تقاتلون في سبيل الله وعن مستضعفي أهل دينكم وملتكم

الذين قد استضعفهم الكفار فاستذلوهم ابتغاء فتنتهم وصدّهم عن دينهم من الرجال والنساء؟ (انتهى).

- ويتضح من استعراض مواقف وأحوال بني إسرائيل في القرآن الكريم أن الله قد جعلهم موعظة للمسلمين حتى لا يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل من المواقف فلا شيء يمنع من ذلك ونفوس البشر متشابهة والحرص على الدنيا متأصل فيها، وبتتبع أحوال بني إسرائيل في مرحلة الاستضعاف يمكننا أن نقف على أحوال المسلمين اليوم المشابهة لأولئك فالموقف فيه تشابه وتناظر ومن ذلك: عدم إدراك الأغلبية الساحقة من المستضعفين لأثر مدافعتهم ونتائج دعوتهم فيلحقهم اليأس: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف:129) فيحصل التبرم والضيق وتحميل الدعوة الإسلامية وقيادات العمل الإسلامي أسباب الأذى وتعدي الكفار عليهم وتحميل الأداء الجهادي المقاوم أسباب كل التحولات السياسية لدى العدو كما هو حاصل لدى البعض الآن فيما يخص التحولات في فلسطين فبدلا من أن يكون رفع راية الجهاد هو الأمل الحقيقي أصبح الأمر مكلفا من وجهة نظر البعض بل قال بعض المنافقين بأن المقاومة والجهاد ضيع فرصة حزب العمل (الصهيوني) من الفوز على الليكود (الصهيوني) وعليه فقد ارتفعت صيحات المنافقين في العالم العربي والإسلامي مطالبة بإيقاف الجهاد في فلسطين قبل فوات الأوان كما يزعمون، وإن فهم تلك الطبيعة البشرية يقتضي من قيادات الحركة الإسلامية خطابا عقائديا دقيقا وحاضرا لا يغيب عن أذهان وأعين المسلمين كما يقتضي إصرارا وثباتا ومضيا في طريق الجهاد.
- ومن سمات مرحلة الاستضعاف سعي بعض قيادات الأمة سواء من السياسيين أو من علماء الدين وبعض من قيادات الحركات الإسلامية إلى المحافظة على المكتسبات الدنيوية والرضا بها تحت شعار: أن أي عمل آخر غير الهدوء والسكوت سوف يهدد معطيات المرحلة فيؤدي ذلك إلى غض الطرف عن حقائق الدين ومتطلباته بتلك الدعوى كما حكى القرآن عن بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران:187) ويقول ابن كثير حول هذه الآية: وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسالكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئاً، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»(انتهى). وها نحن نشاهد من أحوال الأمة

المعاصرة ما يشبه تلك الحال فالصليبيين يركبون للمسلمين كل صعبة وذلول ويجتازون لهم البحار والآفاق ورجالات الأمة لا يرون بالإمكان فعل شيء غير الانتظار وما تسفر عنه الأحوال عل الصليبيين أن يرأفوا بهم عبر الأمم المتحدة وغيرها من المرجعيات التي يهيمن عليها الكفرة من شرق وغرب.

- ومن سمات مرحلة الاستضعاف هو الصدمة التي يقع فيها البعض حين يتضح له كلفة ومقدار الفرق بين النظرية والتطبيق وذلك عندما يأذن الرب عز وجل بفتح باب الجهاد إما بعزمة مباركة من العلماء أو بتعدي الكفار أو بالاثنين معا، فلما يأتي وقت الاختبار بعبور المنطقة بين النظرية والتطبيق وتجاوزها يقع البعض بل الأكثرية الساحقة أسرى لما تعودوا عليه وألفوه ويثقل عليهم أداء المطلوب فيصدر منهم التذمر: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (النساء:77)، وينقل القرطبي حول الآية عن السُّدِّي قوله: هم قوم أسلموا قبل فرض القتال فلما فُرض كرهوه. وقيل: هو وصف للمنافقين (انتهى) ومما يستنتج من ذلك أن المرحلة الاستضعافية تؤدي - وبخاصة إذا طالت- إلى نوع من التخدير العقلي والعاطفي والعملي فلا يتصور من هم مأسورون في ثناياها أنهم هم المعنيون بالتكليف في القضايا الكبرى ومن هنا جاء التحذير الآخر الخطير: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد:16). فإن طول الأمد يؤدي إلى تغيير الأحكام وعدم اتباعها.

- لا بد وأن يكون أهل الباطل هم الذين يبتدئون المستضعفين بالعدوان والأذى خاصة إذا ظهرت عقيدة المستضعفين وبدت في التأثير فلا يطيق الكفرة هذا التطور في واقع المستضعفين وكما حدث مع موسى عليه السلام فإن فرعون استخدم السحر بغية إثبات قوة عقيدته فهزمت عقيدته أمام الناس كلهم كما هزم الإسلام عقائد الإلحاد المعاصرة شرقا وغربا فما كان من فرعون إلا أن اتهم موسى بالسحر وقد كان فرعون يعتمد على السحر منذ لحظات فأحل السحر لنفسه وحرمه على موسى كما أحل فراعنة العصر الأمريكان (الإرهاب) لأنفسهم وحرموه على المسلمين، ثم بدأ فرعون بالأذى ورفع درجاته إلى مستوى غير مسبوق عندما قال: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾ (طه:71) فإذا طال الزمن على المستضعفين وهم على

هذا الحال دون وجود خطة للمقاومة والهجرة فإن الأمر خطير في مآلاته الكبرى عليهم، ونفس السنة كادت أن تنطبق على الصحابة رضوان الله عليهم لولا فضل الله على المؤمنين إذ جعل سيرة المصطفى قدوة ونموذجا مقتدى إلى قيام الساعة فإن الصحابة وبعد مضي فترة من مرحلة الاستضعاف كان لا بد من الانتقال إلى المرحلة التالية فكانت هجرة الحبشة الأولى والثانية ثم الإذن بالهجرة الكبرى والتغيير التاريخي. واليوم لا بد من البحث عن المخارج الكبرى لكسر مرحلة الاستضعاف والانتقال إلى المرحلة التالية واستخدام كل الفنون والإمكانيات لتحقيق تلك النقلة.

- غالبا ما يتأقلم ويتعود المستضعفون على الوضع العام المسيطر عليه من قبل الكفر فينسبون الحياة والمستقبل إلى تلك الأوضاع ولا يرون لهم فرصة للتحرر منها وأقصى ما يمكن أن يفكروا فيه هو أن يجدوا لهم مكانا ولو محدودا في ظل تلك الأوضاع، وهذا ما نراه من محاولات تكاد تكون مستميتة من قبل بعض الدعاة لأن يقبل بهم النظام العالمي الذي منتهاه بيد الصليبيين بحجة أن هذا هو الممكن ولا يمكن تحقيق غيره ففقد الدعاة بذلك سماتهم المميزة بل وأصبحت أذواقهم وأحاسيسهم منغلقة في حب العيش والبقاء حيث هم بغض النظر عما يسببه لهم هذا الوضع من ذل واستخذاء وغدوا يرددون مقولة بني إسرائيل عندما أراد موسى بأمر من الله أن يغير طباعهم الاستضعافية إلى طباع المجاهدين ولكنهم أبوا: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة:61) وحاشا المسلمين أن يصلوا إلى ما وصل إليه بنوا إسرائيل ولكنهم وبكل سهولة يمكن أن يقعوا فيما وقع فيه أولئك من السنن نتيجة لإصرارهم على الحفاظ على الراحة والأمن الظاهرين.
- ومن سمات مرحلة الاستضعاف هو تحكم البعد العنصري والقومي والقبلي والطائفي تحكما كبيرا في المستضعفين إلى الدرجة التي يفقدون فيها أهم عنصر من عناصر اجتماع المؤمنين وهو الولاء بعضهم لبعض على أساس الإيمان والتوحيد وعند انهيار هذا العنصر وهو الولاء تنهار بقية العناصر ومنها النصرة وعدم ترك إخوان العقيدة يسقطون في براثن الكفر فيقتلونهم ويستحلون محرماتهم ولكن المستضعفين ونتيجة لحرصهم الشديد على الحياة يقعون في هذا المحرم كما ورد عن بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ

عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:84-85) وهو ما وقع فيه كثير من المسلمين اليوم فمن جانب يظاهرون الكفرة على إخوانهم ويتفرجون عليهم وهم يقتلون وتسفك دماؤهم فإذا انتهى الكفرة من مهامهم سعى المسلمون لإخوانهم بالمؤونة والدعم الإغاثي المجاني تدينا وتعبدا وقد كان الأولى بهم أن لا يظاهروا على إخوانهم فيسهمون في سفك دامئهم كما فعل اليهود في يثرب قبيل البعثة النبوية فيقتتلون متحالفين مع الوثنيين في يثرب متفرقين بين الأوس والخزرج حتى إذا وضعت الحرب أوزارها سعوا لفك أسراهم من اليهود كما ورد ذلك في التفسير.

- ومن سمات مرحلة الاستضعاف وخاصة عندما تقترب المرحلة من نهايتها هو وقوع أغلب القيادات التاريخية للمشروع الإسلامي تحت طائلة ما يمكن أن نطلق عليها صفات الرهبان نسبة إلى أداء الراهب الموحد المبارك الذي ورد ذكره في الحديث المشهور بعنوان قصة الغلام والراهب دون أن نقلل من شأن هؤلاء القادة لكنها السنن فهم وبالرغم من الدور المبارك الذي لعبوه في قيادة مرحلة التأسيس لكنهم يقعون أسرى في معطيات تلك المرحلة فلا يرون التغيير والتحولات في المرحلة الجديدة وإذا رأوها فإنهم لا يرون الفرص للتعامل معها إلا الانتظار ويعتبرون أنفسهم مرجعية نهائية ويفضلون الانزواء ويرغبون في النهاية السلمية للمسيرة ويتخوفون من إعطاء القيادة لجيل الغلمان - إن صح التعبير- ويتخوفون من إمكانية الأداء لدى جيل الغلمان ولا يكتشفون ولادة الجيل الثالث الجديد المتمثل في جليس الملك وكيفية توظيفه ولكن سنن الحياة تمضي إلى حيث يشاء الله تباركت أسماؤه.
- ويبلغ الموقف أشده عند المستضعفين عندما يهددهم الرب تبارك وتعالى تهديدا كبيرا إن هم لم يتجاوبوا مع مقتضيات المرحلة ولم يهاجروا لنصرة المشروع الإسلامي: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة:24)
- ومن عجائب مرحلة الاستضعاف إذن الله تباركت أسماؤه لتشكل القيادة المؤهلة للمرحلة التالية وهي عملية تتم في غفلة من سدنة الباطل ذلك أنها تتم في هدوء وفي مواقع لا يعتقد أنها ستؤوي هذا النوع من القيادات كما حدث ذلك لموسى عليه السلام عندما ألقاه الله في صحراء مدين حيث استغرقت عملية البناء القيادي عشر سنين وكما حدث لصحابة رسول الله عندما آواهم النجاشي فصنعوا صناعة خاصة وكما حدث للغلام

الذي ورد ذكره في الصحيح عندما اختير من قبل السدنة لتعلم السحر فإذا به يتلقى الحق في نواحي من الأحراش مجدبة وهاهي صحاري المسلمين وأزقتهم وشققهم الضيقة وغاباتهم وأكواخهم وخلاويهم تتهيأ لتقذف بقيادات المرحلة الجديدة بإذن الواحد القهار.

مرحلة المدافعة: وتحكمها المعطيات التالية:

- الولوج الصعب إلى هذه المرحلة وحالة التردد التي تسود المستضعفين قبلها ويتركز التردد في الحالة العقلية والنفسية وتضخم صورة التضحيات المطلوبة ويلعب الشيطان دوره التخذيلي المميز في هذه المرحلة فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن سبرة بن فاكه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِه، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ، وَآبَاءِ أَبِيكَ؟» قال: «فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ المُهَاجِرِ كَمَثَلِ الفَرَسِ فِي الطِّوَلِ؟» قال: «فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ» قال: «ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ فَقَالَ لَهُ: هُوَ جُهْدُ النَّفْسِ وَالمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ المَرْأَةُ وَيُقْسَمُ المَالُ» قال: «فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ فَعَلَ ذالكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ». والشاهد في آخر الحديث وهو طبيعة التحول الجهادي وصعوبته وشدته على النفوس وهو ما نراه متحقق في واقع الأمة حتى يبدو الأمر حلم بعيد أو هو من الوهم أقرب حيث أسس الناس ووطنوا أنفسهم على أن التحول الإسلامي سوف يتم سلميا وبالحوار وأن عهد الجهاد قد ولى إلا في مواقع محدودة من العالم كتب الله عليها الشقاء.
- إدراك سدنة الكفر خطورة التحول من مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة المدافعة لدى حملة الحق وما سوف يترتب على ذلك التحول من تهديد حقيقي لسلطانهم في الأرض ولذا فإنهم يبذلون من الاهتمام العقلي والنفسي والمالي لمنع هذا النوع من التحول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال:3)

وقد رأينا إدراك قريش لذلك التحول في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فما كان منها إلا أنها حددت خياراتها لمقاومة أخطر أنواع التحول وهو التحول العملي لدى القيادة المؤمنة متمثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم في ما وصف لنا الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ

وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال:30)، وكذا فهم أحبار اليهود لخطورة التحول فتحرك كبراؤهم باذلين أموالهم كحيي بن أخطب وعبدالله بن الحقيق وكعب بن الأشرف حتى حزبوا الأحزاب وجمعوها حول المدينة راغبين في استئصال شأفة محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه، وكذا كان من فرعون فما كاد موسى عليه السلام ينظم عملية انسحاب بني إسرائيل من المجتمع الفرعوني حتى نادى فرعون:﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ، إن هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ، وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ (الشعراء:53-56) وهكذا يدرك الطغاة التحول الخطر ولذا فهم يسعون لوأده في مهده وإلا ألم يكن بوسع فرعون أن يدع موسى عليه السلام يمضي بقومه ويبقى فرعون وراء البحار آمنا مطمئنا؟ كما هو حال الأمة الأمريكية اليوم؟ بلى ولكن الطغاة يدركون أنهم مهزومون بمجرد الاستقلال المحدود والبسيط الذي يناله حملة الحق فكان لا بد من إبادة أفغانستان المبادة أصلا ولا بد من تتبع تشكل أولى مراحل الاستقلال والتمكن لدى المسلمين والتي ابتدأت في البوسنة والشيشان وكشمير والفلبين والدور قادم على السودان واليمن والصومال وغيرها.

- غالبا ما يرفض المستضعفون عند حلول مرحلة المدافعة التبدلات التي تصاحبها سواء الداخلية منها أوالخارجية ومن التبدلات الداخلية هو الاستبدال القيادي المناسب للمرحلة ومتطلباتها كما حصل لبني إسرائيل:﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:247)، وتحدث هنا عملية سلبية دقيقة ينبغي لحملة الحق أن ينتبهوا لها وهي أنه بدلا من الحديث والتركيز على طبيعة المرحلة وتقبل تبعاتها والاستعداد لها فإنه يتم التركيز على لون وأصل وشكل القيادات التي يهبها الله تعالى القدرة على التأصيل للمرحلة وقيادتها فيضيع الوقت ويختلف الناس على الأسماء وتتبدد الجهود في هذا البحث الذي لا علاقة له بالمرحلة.
- وغالبا ما يصعب على حملة الحق في هذه المرحلة تقبل المعادلة التي تبدو غير متوازنة البتة فيما يخص قدرات الكفر وإمكانيات الطغاة مقارنة بإمكانيات حملة الحق فالبون شاسع كما يصعب أن يتم تجاوز الحدود الذي رسمها الباطل والأسطورة التي تشكلت في عقليات البشر تجاه هذا الباطل وعنفوانه وتفوقه فتكون النتيجة أن يتخلى أكثر حملة الحق عن الحلم ويرضون بالموقع الذي وصلوا إليه في مسيرتهم بل ويؤكدون على هذا الاختيار: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة:22) ونلاحظ وصف بني إسرائيل للطغاة بأنهم

(جبارين) وما ذلك إلا لخضوع عقولهم وعواطفهم لمعطيات الدعاية والتأثير السائد في تلك اللحظة التاريخية بين الأمم بل ويبلغ الأمر بالمستضعفين أن يتمنوا استمرار بقاء السيطرة للكفرة على الأرض واعتبار تلك السيطرة مرجعية للبشر ولذا وجدنا من المسلمين من يود لو استمر الاتحاد السوفيتي حيث كان يوفر وجوده توازنا دوليا ينفع المسلمين! وما هذا السقوط الذريع في الأماني إلا لنسيان حقيقة التدافع ودور المؤمنين فيها ولعدم الاستعداد العقلي والنفسي لتحمل تبعات المرحلة.

- ويلعب المنافقون أخطر الأدوار للتخذيل عن هذه المرحلة وللنكوص عنها ويتفننون في ذلك مستخدمين كل الحيل النفسية للإيقاع بالمجاهدين ومن ذلك اعتبارهم للأوضاع السياسية السائدة والمسيطر عليها من قبل الكفرة أصلا لا يمكن تجاوزه بأي حال من الأحوال: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (المائدة:52) بل ويبلغ بهم الجزع واليأس مبلغا لا يجدون فيه مخرجا إلا موالاة الكفرة والمسارعة فيهم حتى يصلوا إلى الدرجة التي وصفهم بها الرب تباركت أسماؤه وهي مؤاخاة الكفرة من أهل الكتاب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الحشر:11) ولكن يأبى الله إلا أن يفضحهم على رؤوس الأشهاد: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:64) وعليه فإن أهم ما يحتاجه المؤمنون في هذه المرحلة هو فهم العقلية والنفسية النفاقية وكيفية مواجهتها وذلك للخطورة الشديدة التي تشكلها على المرحلة، وإن أي منهج تربوي للجيل الجديد لا يوظف هذا المسار في المنهج الإسلامي وهو مسار فهم النفاق وأهله يعتبر خيانة لله ورسوله في وقت أحوج ما تكون الأجيال لذلك.
- ويبلغ تخوف حملة الحق مبلغه من التلبس بهذه المرحلة والهروب منها حتى يصل الأمر إلى ما وصف الرب تباركت أسماؤه: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ، يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (الأنفال:5) فيكره حملة الحق القيام بأولى مهام المرحلة والمجادلة في مدى جدواها وينقل ابن جرير الطبري في تفسير الآية قول أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال في ذلك بقول مجاهد، وقال معناه: كما أخرجك ربك بالحقّ على كره من فريق من المؤمنين، كذلك يجادلونك في الحقّ بعدما تبين. لأن كلا الأمرين قد كان، أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارها، وجدَالهم في لقاء العدوّ

عند دنوّ القوم بعضهم من بعض، فتشبيه بعض ذلك ببعض مع قرب أحدهما من الآخر أولى من تشبيهه بما بعد عنه. وقال مجاهد في الحقّ الذي ذكر أنهم يجادلون فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم بعدما تبينوه: هو القتال(انتهى النقل). وهذه الحال من كراهية الجهاد هي التي عليها غالب الأمة اليوم فالجهاد غير متصور لديهم لا نظريا ولا واقعيا، وبناء على تجدد وثقل التبعات التي تفرضها مرحلة المدافعة وارتفاع سقف المشروع من الناحية العملية فإنه لا بد من تجديد البيعة بين القيادة والأتباع لما لذلك التجديد من أثر بالغ على النفوس والعقول وحتى يمكنها ولوج المرحلة الحساسة والخطرة بوضوح ويسر وهذا ما رأيناه في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويوم بيعة الرضوان.

- وتتحقق نذر المرحلة غالبا دون تخطيط ودون ترتيب حملة الحق حيث يبادر الطغاة ويخططون لتقدمهم نحو حملة الحق ملوحين بشعار: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف:127) تحدو الكفرة في ذلك الرغبة الجامحة في محق أصل تجمع المؤمنين ظنا منهم أنهم يمكن أن تكون لمبادرتهم وتبكيرهم في التحرك الأثر البالغ في القضاء على أهل الإيمان والتوحيد وهو الأمر الذي حرك الأحزاب نحو المدينة، وعلى الضفة الأخرى لا يجد حملة الحق مفرا من الاستجابة للموقف بل إن اللقاء غالبا ما يكون مفاجأة لا تدع مجالا للتملص منه: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال:42) وينقل ابن جرير الطبري عن عمير بن إسحاق في تفسير الآية قوله: أقبل أبو سفيان في الركب من الشام، وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فالتقوا ببدر، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء، حتى التقت السقاة، قال: ونظر الناس بعضهم لبعض(انتهى). ولا يؤثر البتة في الموقف بعض رغبات المؤمنين وودهم بتجنب الموقف: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال:7) وينقل ابن جرير الطبري عن قتادة في تفسير الآية قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غير ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ قال: الطائفتان إحداهما أبو سفيان بن حرب إذ أقبل بالعير من الشأم، والطائفة الأخرى أبو جهل معه نفر من قريش. فكره المسلمون الشوكة والقتال، وأحبوا أن يلقوا العير، وأراد الله ما أراد(انتهى) وقد التبس على المسلمين حقيقة الوضع في عالم اليوم فاعتقدوا أن مجرد العمل على تمكين دين الله

عز وجل من خلال ما أتاحه الأعداء وهو البرلمانات كافيا لتحقيق ذلك التمكين فكأنهم وقعوا في هذه السنة وهي كراهية الشوكة.

- ومن سمات مرحلة التدافع وعندما يبدأ انطلاق حملة الحق من براثن مرحلة الاستضعاف أن يتعلل الكفرة بالحق والعدل بل وبدين الحق ويتهموا حملة الحق بأنهم قد جاوزوا الحق في جهادهم ووقعوا في الإثم؟ كما فعل جورج بوش عندما أفتى بعدم جواز العمليات الاستشهادية في الإسلام فانتصب واعظا وهو الأمر الذي حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:217) وينقل الإمام الطبري عن مجاهد في تفسير الآية ما يلي: قال مجاهد: صدّ عن المسجد الحرام وإخراج أهله منه، فكل هذا أكبر من قتل ابن الحضرمي، والفتنة أكبر من القتل كفر بالله وعبادة الأوثان أكبر من هذا كله (انتهى) كما نقل الإمام الطبري عن الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: ﴿ يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قتلوا ابن الحضرمي في الشهر الحرام، فعيّر المشركون المسلمين بذلك، فقال الله: قتال في الشهر الحرام كبير، وأكبر من ذلك صدٌّ عن سبيل الله وكفر به، وإخراج أهل المسجد الحرام من المسجد الحرام (انتهى). وهذا الذي يفسر اهتمام البيت الأبيض الصليبي الفجائي بدين المسلمين بل والاحتفال بدخول رمضان معهم!! وما ذلك إلا تلبيسا على المؤمنين وإظهارا لموقف موحد مع أمة الإسلام يأمل الكفار بتحققه وهو أن ينخدع المسلمون بقول الكفار بأن دين الإسلام إنما هو دين سلام لا دين حرب فيحل البيت الأبيض لنفسه الحرب ويحرمها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
- ومن مظاهر مرحلة التدافع أن يفضل كثير من المسلمين أداء الشعائر وعمارة المساجد وأداء الصدقات على الجهاد في سبيل الله متعللين بما في ذلك من الفضل والثواب ومتخففين من تبعات الجهاد وقد حدث ذلك على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ورد في صحيح مسلم عَنْ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللّه . فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ. إِلاَّ أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ. وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ. إِلاَّ أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ. وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّه أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ. فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ وَقَالَ: لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللّه. وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ. وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ. فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ الآيَةَ إلَى آخرِهَا (انتهى النقل من صحيح مسلم). وتذكيرا بنص الآية كلها فقد قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:19)

وقد حكم الله بين الفريقين بأنهم لا يستوون عنده بل إن صفة الإيمان قد نقلت من الكفة الفريق الأول إلى كفة الفريق الثاني وهي كفة الجهاد تعزيزا وتأكيدا، فتأمل.

- وقبل أن تأخذ مرحلة المدافعة مسارها الوافر الواضح تخضع الأمة لتجاذبات وتطبيقات المتخاذلين والمنافقين فتشوه صورة الحق الكلية نتيجة لهذه التجاذبات وتقع الأمة في وهدة وعود المنافقين وزيفهم فلا تعرف من تصدق هل تصدق حملة الحق ودعاته أم تتبع أهل الزيغ والضلال ولا ينهي هذه الحالة أو يمحصها إلا الإصرار على المضي في حلقات المدافعة، ومن صور تلك التجاذبات هو اعتبار بعض المنافقين الحالة الجهادية فتنة: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة:49) ومنهم من يحاول الهروب من المسؤوليات الكبرى التي تقع على عاتقه ولتشتيت الأذهان عن التذبذب الذي يمارسه ببناء المساجد الكبيرة العالية: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة:107) وفي حال أصاب المجاهدين من ضغط الكفرة فإن المنافقين يفرحون ويشمتون: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة:50)
- ومن سمات مرحلة التدافع تقدم فئة خاصة من المؤمنين للقيام بمهمة تحمل تبعات الابتداء في المرحلة ورفع لواء الجهاد غير مبالين بالتبعات ولا بتخلف المتخلفين فيؤدي تقدمهم ذاك إلى توازن في الصورة العامة القاتمة والمائلة لصالح الانسحاب الذي تبديه الأكثرية فيتحول هؤلاء المتقدمون إلى أمل للأمة في كل مكان فينالوا أجمل الوصف وأحسن النعوت من رب الأرض والسماء: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التوبة:88) وهذا ما أثبته المجاهدون المعاصرون في فلسطين وغيرها.
- ومن أهم سمات مرحلة التدافع هو أن يشكل تحرك الكفرة ومبادراتهم أهم الفرص للتحول عند حملة المشروع الإسلامي بشرط رؤيتهم للتحول قبل وقوعه أو الاستدراك والتعامل معه حال وقوعه ذلك أن مبادرات الكفرة هي التي تؤدي إلى تحول في نفسية الأمة وتشكل النقلة اللازمة للدخول في مرحلة المدافعة ولذا استجاش الرب تباركت

أسماؤه عاطفة المسلمين بمبادرة الكفرة: ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة:13)

وبالتمعن في أحوال الأمة الحالية ومقارنتها بما ورد في الكتاب والسنة نجد أن الأمة إنما تقف في نهاية مرحلة الاستضعاف وتوشك أن تلج في مرحلة التدافع وهو الذي يفسر حالة التردد والانكماش والقلق الذي يمنع من اتخاذ قرارات الولوج بوضوح في هذه المرحلة، ولا يعني هذا أن حالة الاستضعاف لم تكسر بالكلية بل لقد تداخلت مرحلة الاستضعاف بمرحلة التدافع في العقدين الأخيرين من نهاية القرن العشرين من خلال التجارب الجهادية المباركة ولكن ذلك التداخل كان محدودا وفي أجزاء محصورة من الأمة وقد تراجع الدفع نحو مرحلة التدافع نتيجة للحملة المعاكسة التي قادتها أمريكا لكي تمنع حصول هذا التحول في الأمة المسلمة.

مرحلة التمكين:

وقد يعجب بعض القراء أن ترد مرحلة التمكين في هذا الموضع الذي يهدف إلى تحديد لطبيعة المرحلة التي تمر بها الأمة المسلمة في وقتنا الحاضر وما يحكمها من معطيات نفسية وعقلية خاصة بعد أن تم تقدير المرحلة التي تقف إزاءها الأمة وهي نهاية مرحلة الاستضعاف فهل لمرحلة التمكين علاقة بهذا البحث؟ أقول: نعم وذلك لأن إمكانية تداخل المراحل وارد ولأن إمكانية تأثر بالمراحل بعضها ببعض وارد أيضا وعليه فإن معرفة ودراسة طبيعة مرحلة التمكين من الأهمية بمكان لأجيال المسلمين خاصة الدعاة والقادة منهم، وعليه فسوف أعرض لسمات مرحلة التمكين والتي لها علاقة متينة بمرحلة التدافع وهي كالتالي:

- يعتبر الاستعجال للولوج إلى مرحلة التمكين من أكبر مهددات هذه المرحلة ولا يتحقق التعجل إلا رغبة في اختصار مرحلة التدافع والظن بأن التمكين قد حان فيترك المجاهدون مواقعهم رغبة في الحصول على غنائم مرحلة التمكين فيستغل العدو الفرصة فيكون الانقضاض كما حصل في معركة أحد: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:165) والغريب أن المجاهدين يفاجئون بالتحول من النصر إلى الهزيمة ذلك أن انغماسهم في بشريات النصر ورؤية آثار الجهاد من جهة واعتبارهم أن المهمة قد أوشكت على الانتهاء وقد حان أوان الحصول على المكاسب يمنع عنهم رؤية خطورة التحول الذي وقعوا فيه

فيكون منهم ذلك السؤال: (أنى هذا) وينقل ابن جرير الطبري عن قتادة في تفسير قوله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾(آل عمران:251) أي اختلفتم في الأمر، ﴿وَعَصَيْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾(آل عمران:251) وذاكم يوم أُحد، عهد إليهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بأمر، فنسوا العهد وجاوزوا وخالفوا ما أمرهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، فانصرف عليهم عدوّهم بعد ما أراهم من عدوّهم ما يحبون(انتهى). وإذا رجعنا إلى درس أفغانستان المعاصر وبعد أن نجح المجاهدون في كسر شوكة الملحدين السوفييت فإنهم وعندما لاحت لهم الغنائم اختلفوا على توزيعها فوقعوا في السنن وتحقق فيهم ما يتداوله كل البشر عندما يكررون مقولتهم المشهورة: الثورة تأكل أبناءها، ونفس الدرس حصل للمجاهدين في سوريا إبان الحملة الجهادية المباركة في سوريا على النظام النصيري في بداية ثمانينيات القرن المنصرم فإن المجاهدين ودون إنقاص من فضلهم وبذلهم ما لبثوا أن لاحت لهم من بعيد غنائم الشام وكراسي الملك فيها وهم لم يتقدموا بعد من مراحل الجهاد الأولى فكان ما كان من الفشل والتنازع المبكر إضافة إلى عوامل أخرى أثرت في مصير ذلك الجهاد ومآلاته.

- ومن سمات مرحلة التمكين المبكرة هو إقدام قيادات الجهاد على اتخاذ قرارات التبريد لبؤر الجهاد اعتقادا بقرب حصول السلم ورغبة بتحقيق أهداف الجهاد من خلال الأداء السلمي حيث وقعت أكثر قيادات الجهاد المعاصر في هذه السنّة وفي مواقع مختلفة من العالم فأقدمت على إنهاء المرحلة الجهادية أو إلغاء مستلزماتها واعتقدت أن أوان السلم قد حل وعليه فلا بد من القضاء على كل معطيات الجهاد حتى لا تصبح تلك المعطيات مهددة لمرحلة السلم فبدأ التخلي عن الشوكة التي لولاها لما وصل المجاهدون إلى ذلك السلم المؤقت وعندها يبدأ الكفرة بقصقصة أجنحة المجاهدين وعزلهم عن أسلحتهم ومراكز قوتهم ثم ينقضون عليهم في مرحلة تالية وهو مصداقا لما تعرض له القرآن الكريم في هذا الشأن:﴿... وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ...﴾(النساء: من الآية102).
- ومن أخطر سمات مرحلة التمكين السلبية هو عزل مواقع الأمة الجهادية وتجارب الجهاد المتفرقة في العقدين الماضين عن بعضها البعض واعتبار تلك التجارب والبؤر نتاج واقع محلي محدود فيحصل العزل على مستوى الأمة وكذلك على مستوى العالم والأقاليم فإذا لم يتم ربط تلك البؤر برؤية استراتيجية موحدة بحيث يستفاد من سعة وجود الأمة وانتشارها وتمكنها من مشاغلة أكثر من عدو كما فعل الخلفاء الراشدون في مراحلهم المباركة وإلا فإن عزل تلك الجبهات عن بعضها البعض سيمكن الأعداء وهم كثر من تفكيك أوصال الأمة وشل فاعليتها.

● رابعا: تحديات الواقع السياسي الداخلي

ويشكل الواقع السياسي في الأمة أبرز أشكال التحديات للمشروع الإسلامي وأعني بالواقع السياسي المفردات التي تشكل البيئة السياسية في الأمة وهي النظم السياسية بأفرادها ومؤسساتها وكذلك الأحزاب السياسية والتجمعات القبلية والأقليات والمؤسسات السياسية الإقليمية والعالمية في العالم الإسلامي والفكر والممارسة السياسية السائدة، حيث يمكن رؤية التحديات التي تسيطر على تلك المفردات في النقاط التالية:

- عجز أنظمة الحكم في العالم الإسلامي والعربي عن تحقيق استقلال حقيقي -وبأي مستوى- عن تأثير وجاذبية القوى العالمية والإقليمية مما جعل مستقبل الأمة يعتمد اعتمادا كليا على رؤى تلك القوى ومما يزيد من تعقد الأوضاع هو المستوى العميق الذي وصل إليه اختراق القوى الخارجية في كل نظام سياسي فترى من الطبيعي أن يصل الاختراق إلى مستوى استقطاب مفردات مراكز القوة وصنع القرار في النظم السياسية سواء على مستوى الأفراد كوزراء السيادة أو مستوى المؤسسات كالجيش وأجهزة الأمن فهناك مواقع موالية لأمريكا وهناك مواقع موالية لفرنسا وهناك اختراق لقوى إقليمية وعليه ونتيجة لارتهان الإرادة السياسية في النظم فإن كل التطورات السياسة والأزمات لا يمكن معالجتها إلا من خلال وجهات نظر القوى الغربية أو الشرقية وزاد من تعقيد الوضع هو اضطرار النظم السياسية لمراعاة إرادات العواصم الكبرى والسعي لإرضاء الشركاء المتشاكسين غالبا ولعل التغير الذي حدث في النظام الدولي في نهاية القرن العشرين أعطى صورة واضحة لهذا التشويش في العلاقات الخارجية للنظم السياسية في العالم الإسلامي والعربي فقد رأينا الجمود الذي مرت به الأزمة اللبنانية والتي ابتدأت في منتصف الثمانينيات والحل الذي فرضته الإرادة الأمريكية والإسرائيلية من جهة والإرادة الفرنسية من جهة أخرى ومع أن الحل وهو ما سمي باتفاق الطائف لم يكن ليخدم مصلحة المسلمين البتة وإنما ليرضي الأطراف الداخلية المتصارعة والمؤثرة في الموقف والذي فرض لها المستعمر الفرنسي من قبل وضعا محددا ودستوريا ومع ذلك لم تتمكن حتى هذه الأطراف من دفع الموقف باتجاه الانفراج بسبب ذلك التنازع بين الإرادات الدولية، وكذا رأينا الموقف واضحا في الأزمة العراقية الثالثة عندما سعت الحكومة العراقية لمواجهة الإرادة الأمريكية عبر محاولة التعاطي مع الإرادة الروسية من جهة والإرادة الفرنسية من جهة أخرى فوقعت في فخ التوازنات الدولية وصناعة النظام الدولي الجديد الذي أجاد الأمريكان دفعه رويدا رويدا كي يخرج من متعلقات النظام

القديم أي نظام الحرب الباردة ويحيل القوى التي كانت كبرى في النظام الدولي القديم إلى قوى مستجدية لمساحات النفوذ سياسية كانت أم اقتصادية. أما الأزمات الكبرى والتي تعصف بأمة الإسلام كأزمة فلسطين وغيرها فلا أمل البتة في التعامل معها عبر النظم السياسية في بلاد المسلمين فقد شطب الاستقطاب الدولي قدرة هذه النظم على فرض أدنى مستوى من المطالب العادلة في تلك الأزمات. وكم من قضية عادلة في مشارق الأرض ومغاربها تضعضعت وتشظت وهي تعالج بين أيدي النظم السياسية من أزمة المسلمين في البوسنة إلى الشيشان إلى الصومال إلى الفلبين وغيرها.

- التذبذب الشديد الذي ساد علاقة النظم بالحركات الإسلامية وذلك في أحسن وصف يمكن أن توصف به تلك العلاقة وإلا فالأصل هو الشك والصراع والعنف إلا في مواقع هامشية من الأمة من حيث الوزن الاستراتيجي كالكويت مثلا ومع ذلك فحتى هذا المثال لم يسلم من التذبذب والتجاذب، ولعل من أوضح الأمثلة على التذبذب في العلاقة بين الحركة الإسلامية والنظم السياسية هو نموذج اليمن والذي لعبت فيه الحركة الإسلامية متمثلة في حزب التجمع اليمني للإصلاح (إخوان مسلمون) دورا إصلاحيا حقيقيا عندما نزعت أسباب التوتر مرات كثيرة بينها وبين النظام السياسي ونزلت عند قواعد اللعبة السياسية الديموقراطية واعترفت بخطوط حمر للعلاقة مع النظام ومع ذلك ونتيجة لفقد الاستقلال الكامل للنظام السياسي فقد ظلت تلك العلاقة مرهونة بالضغوط الخارجية والاستفزاز الدولي الذي تخضع له الحركة الإسلامية ولم تفلح البيئة الداخلية في اليمن أن تشكل وضعا خاصا بها، ومع ما أضيف مؤخرا من استراتيجيات عالمية لدى حملة الصليب الأمريكي في حرب المسلمين تحت مسمى حرب الإرهاب فإنه بات من الصعوبة بمكان صمود تلك العلاقة في اليمن فما بالك بمواقع أخرى لا تحظى الحركات الإسلامية فيها بأي مستوى من التوازن الذي تحظى به في اليمن؟
- إعراض الحركات الإسلامية الراشدة وفي مقدمتهم الإخوان المسلمون عن تكفير النظم السياسية أو نعتها بنعوت الكفر سواء كانت بوضعها المؤسسي أو بمسؤولي الحكم كأشخاص اعتمادا على جملة من الأسس والمعطيات كان من أهمها المعطى الشرعي الذي يتشدد كثيرا في تكفير المسلم ثم للمعطيات الأخرى والتي تعتبر امتدادا للحكم الشرعي وليست موازية له ومنها المفاسد التي تنجم عن التكفير والتعقيد الذي سينشأ عن التكفير داخل المجتمعات المسلمة والمترتبات التي ستترتب على التكفير واستفادة أعداء الأمة من الصراع الذي سينشأ عن ذلك، وقد تحملت الحركات الإسلامية الأذى الشديد الذي وقع عليها من النظم السياسية دون أن يدفعها ذلك إلى اللجوء للتكفير كأحد المخارج لدفع الأذى أو التخفيف منه عدا ما كان من بعض الجماعات المتشددة.

- تبنت النظم السياسية العقائد والمقولات المستوردة من شرق وغرب وأدى ذلك إلى الوقوع الكامل في أحضانها كالشيوعية أو الشيوعية المعدلة عربيا كالبعثية التي وضعها ميشيل عفلق النصراني أو القومية العلمانية التي وضعها النصارى كانطون سعاده وغيره أيضا والمضي في تطبيق البرامج والسياسات المرتبطة بتلك العقائد وقد أدى ذلك بدوره إلى انهيارات اجتماعية وسياسية واقتصادية تجرع فيها المسلمون الهوان والذل ألوانا في المشرق والمغرب كتجربة الشيوعية في اليمن وتجربة الناصرية في مصر وتجربة البعثية في العراق وسوريا وتجربة الشيوعية في الصومال والخزعبلات التي تناثرت هنا وهناك كالكتاب الأخضر في ليبيا وتجربة عيدي أمين في أوغنده وتجربة سوكارنو وسوهارتو الجنرالين في إندونيسيا وغيرها.
- سيطرة كل من المؤسسة العسكرية والمؤسسة الأمنية على النظم السياسية الحاكمة في العالم الإسلامي وكان واضحا بأن مربط الفرس هذا قد رتبته أصابع المستعمر وعليه بقيت هاتين المؤسستين حارستين للنظم السياسية ومصدرة لرجال الحكم بغض النظر عن المظهر السياسي العام للدولة المعنية سواء كان مظهرا ديمقراطيا أو مظهرا ملكيا أو جمهوريا فهي إنما كانت مجرد مسميات والأصل واحد وهو مرجعية النظام السياسي للمؤسستين العسكرية والأمنية وقد نتج عن الخلط الذي وقع فيه أبناء الأمة والاختلال في فهم حقيقة المعادلة التي تحكم نظم الحكم هو الخضوع لتجارب طويلة إما من محاولة التماهي مع تلك النظم والوصول إلى تحقيق الأهداف الكبرى للحركات الإسلامية عبر ذلك التماهي أو محاولة تغيير الحكم عبر التركيز على الرأس الذي يحكم وكلتا المحاولتين لم يكتب لهما النجاح لأنهما لم تدركا سر المؤسستين المرجع ولذا كان نجاح الشيخ حسن الترابي في السودان أمرا خارقا للعادة والسبب أنه نجح في اختراق دقيق وعلوي لتلك المؤسستين.
- حازت الأقليات المتناقضة مع الأغلبية المسلمة السنية موقعا متقدما في نظم الحكم السياسي في كل مناطق العالم الإسلامي من نصيرية وعلوية ودرزية ونصرانية ويهودية وبوذية كالأقلية الصينية في ماليزيا، بل وسيطرت تلك الأقليات على نظم الحكم نفسها كما حصل للنصيرية التي استلمت الحكم بضوء أخضر من فرنسا وبقية القوى العالمية وإلا لم يكن ليتأتى لها ذلك في إحدى دول الطوق حول اليهود لو لم يكن النصارى مطمئنين إليها، وقد تمحورت سيطرة تلك الأقليات على مواقع السياسة والاقتصاد والتعليم والعسكر وهي سياسة استعمارية حرصت كل النظم السياسية في العالم الإسلامي على تطبيقها مما أعطى هذه الأقليات موقعا متقدما ومهيمنا في الأمة ومتناقضا بطبيعة الحال مع أي دعوة إصلاحية فيها.

- وقعت الجماعات الإسلامية في تذبذب وخصام حول الرؤية والتعامل الذين ينبغي تبنيهما في التعامل مع الأقليات المذهبية المسلمة كالشيعة والإباضية بين من يرى ضرورة احتوائها واستثمارها في النهضة الإسلامية المعاصرة قدر المستطاع وعدم اعتبار الماضي حكما نهائيا على المستقبل وبين من لا يرى أي مجال للتعامل معها وأنها وقفت طوال التاريخ موقفا رافضا لأي نهضة سنية وأنه عند حدوث التحولات الكبرى فإنها غالبا ما تختار جانب العدو، مما أدى إلى حدوث شروخ كبيرة في ساحة التعامل مع هذه الأقليات وكان من نتائج ذلك الاختلاف في الاجتهاد حصول بعض الإيجابيات وتحقق كثير من السلبيات ومن أمثلة ذلك نجاح الإخوان المسلمون في اليمن باستيعاب الزيدية وهي فرقة من الشيعة لا ترى كثير مما يراه غلاة الشيعة حتى تمكن الإخوان من إلغاء كثير من الفروق بين الزيدية والسنة لصالح السنة نتيجة لتطبيق اجتهادهم بعدم التصادم مع الزيدية واستثمار القرب التاريخي المعاصر والذي مثله علماء من الطائفة الزيدية تسننوا وعملوا بالسنة كالإمام الشوكاني وغيره، وكان من نتائج اختلاف الاجتهاد السلبية هو إثارة الإباضية في عمان وهو موقعها الأساسي في العالم والمميز خاصة مع ورود الرؤية السلفية المعاصرة مما أدى إلى خروج مجتهدين معاصرين بينهم والتفاف جماهير الإباض حولهم ونبذهم للسنة يكاد يكون نبذا كليا. ويظل التحدي الأكبر في التعامل مع الشيعة الإمامية خاصة بعد نجاحهم في إقامة دولة لهم في إيران وتجديد ما اندثر من تاريخهم ودخول تلك الدولة في تحدي وصراع مع السنة ظاهر أحيانا وخفي أكثر الأحيان وتعلقهم بمبدأ نشر المذهب وإحياء دولة شيعية كبرى تمتد من باكستان إلى لبنان، وتبنيهم الظاهري لمقاومة اليهود وتدثرهم بالقضية الفلسطينية وعلى العموم دخولهم من أوسع الأبواب في صناعة الواقع السياسي للأمة خاصة في المنطقة العربية وما جاورها وبعد أن عمرت دولتهم ما يزيد على العقدين وبتجارب تستحق التأمل والتوقف في علاقتهم بالسنة في الداخل والخارج مما يقتضي من قادة المشروع الإسلامي التجديدي المعاصر أن يحددوا أسس التعامل مع هذه الأقلية وتخفيض حدة الأخطار إلى أقل مستوى ممكن وعدم السماح للكفرة باستخدام الشيعة لتعويق المد الإسلامي والاصطدام به.
- لقد أدى الانغلاق والجمود السياسي في رأس النظم السياسية في العالم الإسلامي إلى إنغلاقات أخرى كثيرة في الواقع الاجتماعي والاقتصادي والتقني والتعليمي وغيرها وتمحور النظم على مواقع من النفوذ والهيمنة التي وصلت إلى حد تداول مصالح الأمة في الدول المختلفة بين عشرات أو مئات من المنتفعين المباشرين داخل تلك النظم السياسية وعليه فلم يمكن بأي حال من الأحوال أن تدور عمليات التنمية والإصلاح في كل أطرها خاصة الإطار الاقتصادي وللقارئ أن يعجب لماذا لم تنجح أي دولة إسلامية في

اختراق أسواق العالم الاقتصادية بأي إنتاج متميز بينما هي تملك ثروات هائلة؟

- وقد تبع ذلك بدء مرحلة التخلخل العام في الأوضاع السياسية والاجتماعية وبعضها انهار فعلا وبعضها آيل للانهيار والسقوط وكان من النظم التي انهارت نظام سوهارتو في إندونيسيا والنظام الشيوعي في اليمن ونظام سياد بري في الصومال ونظام نميري في السودان والنظام الشيوعي في الجزائر وسبقهم جميعا النظام المرقع في لبنان وعليه فجميع الأنظمة السياسية مرشحة للانهيار والتداعي نتيجة للانغلاق والجمود الذي يسودها وعدم تحكيم أولويات المصلحة العليا الحقيقية للمجتمعات المسلمة ونتيجة لليأس الذي يسود الشارع الإسلامي من أداء تلك النظم، وجدير بالملاحظة والتأمل في هذا السياق أن أشير إلى أن جميع النظم السياسية التي سقطت لم تخلف وراءها نظما متماسكة وقوية وهي أي النظم الوارثة غير قادرة ولا مؤهلة لمواصلة مشوار منع الأمة من التغيير الإسلامي الكلي.
- أدى الاستقطاب الدولي وعدم الاستقلال في النظم السياسية في العالم الإسلامي إلى خضوع تلك الأنظمة لاتجاهات الريح في النظام الدولي والتبعية المطلقة لإملاءاته وعليه فقد كانت النظم السياسية في العالم الإسلامي أول المتأثرين بالفراغات التي نجمت عن سقوط الاتحاد السوفيتي كما أنها مرشحة للتجاذبات الدولية نتيجة لتشكل النظام الدولي الجديد وهي مرشحة لوقوعها تحت المشرط الأمريكي الذي لم يعد يقبل بما قام به المشرط الفرنسي والإنجليزي قبل حوالي قرن من الزمان وهذه الحقيقة هي من أهم الحقائق التي ينبغي أن تعرفها الأجيال فيما يخص مسؤولية النظم السياسية في العالم الإسلامي عن حالة التذبذب وفقدان الهوية التي تعانيها الأمة فبدلا من أن تعتني تلك النظم بموضوع الانتماء الطبيعي والتاريخي للأمة وهو الإسلام فإنها استوردت الفساد من شرق وغرب وبدلا من التوحد أمام الأخطار فإنها ارتضت حماية العدو الكافر وبدلا من الإصرار على التنمية كانت الثروات تذهب لجيوب فئة محدودة من المنتفعين.
- اتضح بأن جاهزية مفردات النظم السياسية في العالم الإسلامي لإيقاف التغيير الإسلامي الكلي قد تضعضعت نتيجة لأسباب كثيرة منها شيخوخة تلك النظم ومستوى الوعي الذي تحقق في الأمة وكذلك عدم قدرة النظم على ممارسة ظلاميتها بعيدا عن أعين البشر كما كان في السابق ولعل مثال تونس وهو مثال متقدم في محاولة إحياء فاعلية النظم السياسية للقيام بمهمتها الموكلة لها والمتمثلة في إيقاف التغيير الإسلامي الكلي فقد اتضح من هذا المثال مستوى معاناة النظام في إدارة أزمته فقد انكشفت عوراته وبان أمام المراقبين في العالم بأنه ليس أكثر من نظام شرطي متخلف وعليه فكل الترقيعات الداخلية التي قام بها النظام للوقوف على قدميه أدت إلى نتائج عكسية.

- واتضح بأن محاولات الكفرة لتغيير العقائد والفكر والقناعات وإيجاد أجيال من المتابعين لهم قد باءت بفشل ذريع وكامل وأن التجمعات التي تأثرت بالكفرة وتابعتهم تقبع في وضع محاصر داخل الأمة المسلمة و تضعف قدرتها على التحرك مع مرور الزمن ولا أدل من ذلك على ما يسمى بالنخب السياسية التي تتغطى بأوضاع حزبية وتحظى بدعم رسمي حكومي ومعلن وخفي كم تحظى بدعم قوى الكفر العالمي لا سيما النصارى الأمريكان وغيرهم، وقد أحسن الدعاة عندما تناسوا هذه التجمعات مؤخرا وخففوا الصراع معها إلى أدنى الدرجات وتركوها تموت بهدوء ففي أجندة الدعوة من المهام الكبرى ما يشغلها عن ترهات هؤلاء.
- واتضح بأن مرحلة الحرب الباردة أتاحت للنظم السياسية بعض الاستقلال المحدود والذي استطاعت من خلاله بعض النظم من أن تشكل لها رؤية وطنية أو وضعا خاصا وفي ظل ذلك الوضع تنفس العمل الإسلامي وتمكن من استثمار الفرصة والدفع بمسار الدعوة الإسلامية على المستوى المحلي كما تمكنت الجماعات التي لديها أجندة عالمية من استثمار الوضع للمساهمة في صناعة واقع إقليمي وعالمي للدعوة الإسلامية كما وأن تلك النظم السياسية وفي سبيل تحسين صورتها أمام الأمة سعت لبعض التطبيقات الإسلامية أو تسويق أجواء إسلامية أفادت بدورها المد الإسلامي على المستوى المحلي والعالمي وقد أثار هذا البعد حفيظة الصليبيين واليهود على وجه الخصوص فضمنوا بنود الهيمنة العالمية التي ينشدون تغييرات سياسية تتوجه بالتغيير والتبديل نحو بعض من تلك النظم وذلك حتى يضيقوا على الدعوة الإسلامية المساحات التي توفرت لها في ظل النظام القديم.
- إن الاختلاط وعدم الانسجام في اطروحات الجماعات الإسلامية تجاه التعامل السياسي بالنظم السياسية القائمة في كل قطر أو بلد إسلامي وتفرق تلك الاطروحات بين من يرى المقاومة ومن يرى الذوبان والتماهي أدى إلى إرباك الأداء الإسلامي السياسي الداخلي وتأخير استثمار طاقات المسلمين لصالح التغيير الإسلامي المنشود مما يقتضي بذل الجهود الكافية لإحداث التوازن والتكامل والرؤية الدقيقة.
- إن التطورات العالمية وسعي الأمريكيون للهيمنة يلقي بظلال خاصة على النظم السياسية في العالم الإسلامي وذلك للارتباطات الخاصة والاختراق الأمريكي لتلك النظم مما يجعل مستقبل النظم في التعامل مع الجماعات الإسلامية مرتبط بالأجندة الأمريكية ومرشح في العموم للمواجهة والفتك بالنشاط الإسلامي وهذا يقتضي بدوره تطويرا للتعامل مع هذه النظم واستثمارا للتطور داخل وخارج الأمة.
- تبين بعد تطاول الزمن في تعامل الجماعات الإسلامية مع الحكومات في العالم الإسلامي

ومحاولات التأثير والتغيير بأن المصادمة مع تلك الحكومات في ظل الإسناد الخارجي من أنظمة الكفر تحفه مخاطر كثيرة من أهمها الإمكانية الكبيرة للتعدي على دماء المسلمين واقتتالهم فيما بينهم خاصة وأن التحاق أبناء المسلمين بالنظم الأمنية والعسكرية الموكل لها إيقاف التغيير الإسلامي إنما تم بناء على طلب العيش والارتزاق فإذا اصطدم المتبنون للتغيير الإسلامي مع النظام الحاكم فإنهم سيواجهون إخوانهم الذين لا يملكون في الغالب إلا التجاوب مع الأوامر العسكرية فتسيل دماء المسلمين غزيرة كما حصل في سوريا والجزائر وتونس وغيرها وللخروج من هذه العقدة سلك أغلب الإسلاميين طريق الصبر والتأني والعمل على تغيير العقول والنفوس حتى يأذن الله بالتغيير وهاهي رياح التغيير قد أتت من خلال الانكسار في النظام الدولي والتصادم الذي نشأ عن ذلك الانكسار والذي هو مرشح للازدياد كما أنه مرشح لإحداث تحولات إيجابية داخل تلك النظم في العالم الإسلامي وهو ما ينبغي رصده والتعامل معه بسرعة.

- ومن أهم التحديات في علاقة الجماعات الإسلامية بمسألة التغيير هو إشكالية علاقة مفهوم الدولة بمفهوم الجهاد وإصرار أغلب الدعاة على الوصول إلى رأس النظام السياسي أي الدولة دون التفكير في المراحل التي تسبق ذلك والتي هي أهم من الوصول وعلى رأسها ممارسة الجهاد بمراحله وتحولاته الكثيرة ودور ذلك الجهاد في صياغة الأمة وصياغة الأمم من حولها وصولا للتويج السياسي الذي إنما يكون إحدى ثمرات الجهاد وليس هو الثمرة الوحيدة وبناء على ذلك التفكير المحدود فقد صيغ الفكر الإسلامي المعاصر للمسلمين على التطلع للنتائج دون الاستعداد لبذل متطلبات تلك النتائج وبغض النظر عن الجهد والوقت اللازمين للوصول إلى تلك النتائج.

● خامسا: تحديات الواقع السياسي العالمي

إن ملامسة المشروع الإسلامي للدائرة العالمية جاء لأسباب كثيرة من أهمها طبيعة الدين العالمي الذي يحمله المشروع إذ أن العالمية سمة واضحة من سمات الإسلام ثم للتدرج في البناء الذي مارسه قادة المشروع الإسلامي حيث ترعرعت الدعوة الإسلامية بادئ الأمر في بلاد المسلمين التقليدية ثم انداحت في العالم وكذلك خضوع المشروع للاختبارات القاسية التي نقلته للعالمية وهي الاختبارات الجهادية والتي جعلت أخبار الأمم تتراجع أمام الدور والحراك السياسي والجهادي الذي تخوضه أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

ويمكن رؤية التحديات التي تواجه المشروع الإسلامي على نطاق الواقع السياسي العالمي كما يلي:

- الإحباط الذي يسود قادة المشروع الإسلامي المفترضين نتيجة لمشاهدتهم التباين الشديد والفرق الهائل على المستوى العملي بين المشروع الإسلامي والمشاريع الكفرية العالمية كالمشروع الأمريكي والمشروع اليهودي والمشروع الاوروبي والمشروع الصيني وغيرها من المشاريع خاصة من ناحية الفرق في الأركان التي تعتمد عليها المشاريع العالمية عادة وهي النظرية الرئيسة وما يخدمها من نظريات مساندة للمشروع والتجديد الذي ينبغي أن يتوافر لتلك النظرية كي تتمكن من ملاحقة التطورات العالمية والتعامل معها، ثم القيادة العالمية التي تتقدم المشروع سواء بأفرادها أو بمؤسساتها ثم خارطة المشروع المتماسكة على الأرض بأولويات العمل فيها وبتحديد علائق الأجزاء فيها ودرجة سخونة كل جزء إلى غير ذلك من التفاصيل، والمتأمل في واقع المسلمين وتاريخهم المعاصر يجد بأن تلك المعطيات لم تتلاشى بالكلية من واقع المسلمين بل هي موجودة وقد خدمت خلال القرن العشرين خدمة متقدمة في بعديها العلمي والعملي ولكنها بحاجة إلى انتفاضة قيادية تزيل الران الذي هيمن على العقول والنفوس خاصة في ظل المبادرة الأمريكية التي عزمت على صياغة العالم وفق متطلباتها كما يتوجب في ظل تلك الانتفاضة البحث عن الأجزاء المفقودة في أركان المشروع الإسلامي العلمية منها والبشرية والجغرافية وإعادة تركيب الصورة من جديد.
- يمثل التناقض الظاهري بين الدعوة والجهاد في تعامل المسلمين المعاصر مع الأمم الأخرى أحد أهم المعوقات في الفهم والتعاطي مع المشروع الإسلامي مما يحتاج معه إلى إزالة هذا التناقض وحماية المشروع منه حسب القواعد الشرعية الواردة في هذا المجال والتي تمزج المفهومين مزجا ربانيا لا يؤدي إلى تعويق مفهوم للآخر ويفتح أبواب الدنيا للمشروع كما فتحها من قبل مرات ومرات.
- لقد مثل الموقف من النصارى في تاريخ المسلمين المعاصر أخطر عقدة في فهم المسلمين وتعاملهم مع ما يسمى بالنظام الدولي فقد خطط النصارى وعلى رأسهم الانجليز وورثهم الأمريكان لغزوتهم الصليبية المعاصرة لبلاد المسلمين بمكر سبقوا فيه أجدادهم الذين اضطروا للانسحاب بعد أقل من قرن في شام الجهاد، وعليه فيمكننا رؤية الأحداث كما يلي:

1- كثرة الوعود التي أعطاها الانجليز للعرب بإمكانية منحهم حريتهم واستقلالهم حتى دخل العرب في هذا الإطار وصدقوا الوعود.

2- الإنكسار الذي ترتب على ذلك بافتراق العرب عن الأتراك وبدء الروح العروبية

الشديدة البعيدة عن الدين على يد النصارى العرب ولا ننسى أن نشير إلى الدور البغيض الذي لعبه العلمانيون والماسونيون في الجانب التركي من دفع الكره بين العرب والأتراك وذلك بدفع الممارسات السيئة ضد العرب قدما.

3- أظهر الإنجليز عدم رضاهم الشكلي عن هجرة اليهود لفلسطين.
4- نقل النصارى القضية إلى أروقة المؤسسات الدولية عصبة الأمم ثم الأمم المتحدة وهم السادة في تلك الأروقة فتم لهم ما أرادوا والعرب ينتظرون الفتح من تلك الأمم حتى صدرت القرارات التي تعطي اليهود الحق في فلسطين.
5- صمم الإنجليز الخارطة العربية بدهاء كبير يضمن الصراع بين العرب ويضمن أمن اليهود.
6- صمم الإنجليز بالتضامن مع الفرنسيين أنظمة الحكم العربية وجيوشها وأجهزة أمنها.
7- تظاهر الإنجليز أنهم ينهون انتدابهم على فلسطين دون مسؤولية عما يحدث بعد ذلك.
8- ترك النصارى مسؤولية الهيمنة والسيطرة على المقدسات على ظهور اليهود فتخلصوا من أهم عقدة ظلت تطاردهم وتخيفهم من المسلمين فضربوا بذلك عصافير كثيرة كان من أهمها هو إبقاء العرب في عقدة اليهود وعدم القدرة على رؤية الدور النصراني الذي لا يقل خطورة بل يزيد.
9- ضمن النصارى في كل الدنيا متضامنين من استراليا إلى النرويج أمن اليهود في فلسطين بالإضافة إلى ترتيب أوضاع دول الطوق ومع هذه المعادلة الدقيقة المتينة والعرب يحلمون بضرب اليهود فلا يصلون إليهم.

وبناء على ذلك وبما أن النصارى يتحكمون في النظام الدولي وقع العرب في فراغ شديد ولولا أن الله أذن بانكسار النظام الدولي ثم أذن بخروج المجاهدين المبدعين كحماس لبقي العرب في أعشاشهم لا يحركون ساكنا فهل انتهت العقدة؟ الجواب: لا، فهي فلا تزال مستمرة حتى يعزم المسلمون على توجيه الحربة بشكل صحيح للنصارى الصليبيين الذين سيبقى الجهاد ضدهم قائما إلى قيام الساعة وإن تقطعت أوصال ذلك الجهاد أحيانا، ومن أعجب ما وقع فيه المسلمون هو غفلتهم عن المعادلة النصرانية في العالم ففي تاريخ نبيهم صلى الله عليه وسلم توجيه واضح عملي ونظري لبوصلة الجهاد ضد النصارى، وفي تاريخهم بعد ذلك حرب سجال ضد النصارى حتى أن الدولة العثمانية لم تتفرغ إلا لمواجهة النصارى طوال تاريخها كله، وفي الوضع الاستراتيجي العالمي حاليا ما يوضح بجلاء دور النصارى فإنهم

يقودون الفتنة والبلاء ضد المسلمين في كل مكان.

- إن انفتاح البشرية والأمم على بعضها البعض خلال النصف الثاني من القرن العشرين قد مثل بلا ريب فرصة تاريخية للدعوة الإسلامية وقد كان من نتائج تلك الفرصة هو بلوغ الدعوة الإسلامية مواقع لم تبلغها من قبل وفي عقر ديار الكفر كأوروبا والأمريكيتين وإن كان وضع الدعوة في أمريكيا الجنوبية لا يزال متواضعا، ومع محاولات قادة النصارى أن يحدوا من هذا التأثير من خلال تبديل الاستراتيجيات واعتبار الدعوة الإسلامية تحديا هائلا لهم لكن فرصة التواصل العالمي لا تزال قائمة ولدى المسلمين من قوة هذا الدين ومتانته وتأثيره ما يمكنهم من اختراق الأمم إذا أحسنوا الأداء ومع الفشل الشنيع الذي تعاني منه مناهج البشر في شرق وغرب فإن أهم تحد للمسلمين في علاقاتهم مع بقية الأمم هو التحدي الدعوي والذي سوف يتيح لهم في حال تعاملوا معه بما يتناسب ومتطلبات الخطاب الدعوي أن يخففوا من الضغوط التي يقودها الصليبيون الجدد في الأرض.
- إن التحدي الذي يفرضه الأمريكيون على المسلمين يمكن تحويله من إطار البلاء والأزمة إلى إطار المنحة والفرصة وعلى مستويات عدة ولعل أخطر ما في هذه الفرصة هو إمكانية التعامل الجهادي مع الوجود الأمريكي العسكري في بلاد المسلمين ثم التعامل السياسي العالمي برفض الهيمنة الأمريكية والتلاقي مع بقية الشعوب في رفضها وفي الضغط الجهادي على اليهود لرفع كلفة الرعاية الأمريكية لهذه الدولة المسخ.
- إن من أهم ما يشتت انتباه المسلمين في تعاملهم مع الأجندة العالمية وتطورات الوضع العالمي هو غياب أجندتهم العالمية وخطابهم العالمي المفهوم لدى شعوب المسلمين على اختلاف لغاتهم ومواقعهم مما يشكل ضغطا على المشروع الإسلامي ويفقده خاصية مواتية.
- إن استثمار التمزق والتناقض النسبي والذي هو آخذ بالتفاقم بين المشاريع الكفرية العالمية يتيح بلا شك فرصا لحركة المشروع الإسلامي العالمية وهي مسألة بحاجة إلى دراسة متأنية لتحديد السياسات العامة للتعامل مع ذلك التناقض واستثماره لصالح المشروع الإسلامي.ولكن هذه المساحات لا ينبغي التعويل عليها كثيرا في الصورة الكلية لحركة المشروع ولعل أبلغ تناقض يمكن أن نتذكره كمثال نموذجي وهو في نفس الوقت لم يوفر فرصة حقيقة ومباشرة هو التناقض الذي تفجر بين أعضاء حلف الناتو إبان الهجمة الأمريكية الأخيرة على العراق خاصة الخلاف بين فرنسا وأمريكا فقد اتضح بأن الخلاف إنما يتركز حول خوف فرنسا من استفراد أمريكا بالقرار العالمي وأن تؤدي العنجهية الأمريكية إلى تعقيد الوضع العالمي أمام النصارى والذين يكادون يمثلون

وحدهم المرجعية النهائية للعالم ويستثمرون تاريخهم المعاصر لتكريس هذه الهيمنة وعليه فالموقف لا علاقة له البتة بإمكانية ولوج المسلمين من خلال هذا الخلاف لتحقيق اختراق حقيقي في الموقف النصراني العالمي، وعليه فلم يلبث الفرنسيون أن بدأوا يبحثون عن نقاط التلاقي مجددا مع الأمريكان ويبحثون لهم عن مساحات من غنائم العراق التي يمكن أن تتركها أمريكا لهم.

- إن الظلم الذي يقع على الأمة المسلمة خاصة وعلى بقية الأمم والذي تخصصت فيه بعض أمم الكفر خاصة الأمريكيون يمكن أن يستثمر لصالح الدعوة ونشر الحق والالتقاء مع المنصفين في تلك الأمم وفضح ممارسات المفسدين وفي هذا السبيل ينبغي للمسلمين أن يستثمروا الأداء الإنساني المشترك والأطروحات والوسائل التي تمكن البشر أن يطوروها خلال النصف الثاني من القرن العشرين بل إن علماء الأمة مطالبون بتطوير تلك الأطروحات والوسائل بإضافات اجتهادية تتناسب وسعة الإسلام وإنصافه، ولعلي أذكر بأن من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الشيوعية في بداية القرن العشرين ونصفه الثاني إنما هو ممارسة الجبروت من قبل النظم الاستعمارية النصرانية مع ما في الشيوعية من فساد وضياع فكيف بالبلسم الشافي لأدواء الأمم؟
- يتضح من خلال مسيرة الاعتداءات المادية لبعض أمم الكفر على المسلمين خلال القرن العشرين والتي ارتفعت وتيرتها مع افتتاح القرن الميلادي الجديد يتضح بأنه ما لم يعتمد المسلمون استراتيجية واضحة ودقيقة في مقاومة هذا الغزو والاعتداء وإلا فإن قرنهم الخامس عشر الهجري مرشح لكي يكون قصة دامية وذليلة أخرى لأمتهم.
- إن التماس الجغرافي والسكاني الواسع للأمة المسلمة مع بقية الأمم في العالم سواء بوضع بلاد المسلمين التاريخي أو بالمهاجرين من المسلمين بلاد الأمم الأخرى يمثل فرصة تاريخية لتحقيق انتشار جديد بين الأمم.
- إن ضعف الآليات والمؤسسات الشعبية والمستقلة في علاقاتها الخارجية بغير المسلمين وترك التواصل للأجهزة الرسمية وحدها قد حد من الإمكانيات التي تتوافر للشعوب المسلمة واستثمارها لصالح الدعوة والتفاعل مع الشعوب مما يقتضي تطويرا وتحريكا لتلك المؤسسات ورموز العمل الشعبي لكي تعطي الصورة الحقيقية للأمة المسلمة.
- ولعل من أخطر التحديات العالمية التي تواجه المشروع الإسلامي محدودية العمل على استخلاص النظرية العملية التي تحكم الصراع مع اليهود والموضع الذي ينبغي أن تحوزه مسألة فلسطين في قائمة المشروع، وإذا تجاوزنا المعطيات العاطفية والنظرية التي يتعامل بها قادة المشروع الإسلامي مع القضية الفلسطينية فسنجد بأن أهم تطور حصل في هذه القضية هو الدفع الجهادي المبارك لها والنقلة الربانية التي منحها الله للمجاهدين في

فلسطين أما ما عدا ذلك فقد ظلت القضية بلا موقع محدد لها في المشروع من حيث علاقتها بالمستجدات في النظام العالمي ولا من حيث استثمارها للدفع بالمشروع الإسلامي، خاصة مع وصول التهديد الذي يتعرض له المسجد الأقصى إلى أقصى درجات التهديد بالهدم والإزالة ولعل غلق القضية على الشعب الفلسطيني يجعل الضغوط تتزايد على قادة الجهاد الفلسطيني لكي يتعاملوا وفق الأجندة الوطنية الفلسطينية وحدها وهذا يهدد المسار الجهادي أيما تهديد ويفقد المشروع الإسلامي صاعقه المتفجر.

- لقد سيطر على عقلية الدعاة والمسلمين من بعدهم في عصرنا الحاضر ضرورة الوصول إلى صورة الدولة المسلمة والمتسقة مع النظام الدولي والمؤدية لدورها في ذلك النظام وقد أدت هذه الصورة إلى اختزال ونسيان كثير من الحقائق المتعلقة بمعطيات هذا الدين وكذلك بطبيعة النظام الدولي المتشكل والتحولات التي تحكمه، ومما أسهم في تعميق تلك الصورة هو طول الأمد بالمسلمين وهم يحكمون بضم الياء وفتح الكاف بنظام الكفر العالمي من شرق وغرب حتى أصبح هذا الوضع هو الأصل لديهم على ظهر الأرض بغض النظر عن معطيات الدين الذي يدينون به وعليه فإن أقصى ما يتوقون إليه هو مفحص قطاة أو بعض مفاحص القطا بين عمالقة الكفر، ونتيجة لهذه النظرة وتلك الصورة فقد أصاب المسلمين اليأس والقنوط الشديد من نتائج الجهاد في أفغانستان والذي استمر طوال عقد الثمانينيات وجزء من التسعينيات فلما لم يتمكن المجاهدون من إقامة الصورة المثلى التي يتطلع لها المسلمون وهي دولة مسلمة مطبقة للشرع في أفغانستان إذا بهم يتشككون في نتائج الجهاد ومعطياته ذلك أنهم لم ينتبهوا للحقيقة السنية وهي أن من أهم مهام الجهاد هو هدم الكفر القائم في الأرض وهو ما قام به الجهاد في أفغانستان خير قيام بهدمه للاتحاد السوفييتي الملحد، حتى إذا تكاملت مهمة الجهاد وهي الهدم وتحقق وعد الله بكون الدين كله لله أمكن للمجاهدين حينئذ أن يتفرغوا جزئيا لبناء الدولة والاستقرار في الأرض أما قبل ذلك فإن سطوة الكفر القائمة لا تتيح للمجاهدين الهدوء والكسل فضلا أن تتيح لهم بناء دولة مسلمة بل لا بد وأن تسعى لهدم ما بنوا فإذا لم يستمروا في توسيع دائرة الجهاد ونقل الأمة إلى آفاقه فإن دول الكفر والنظام الدولي سرعان ما سينقض عليهم ممرغا أنوفهم في التراب فكيف إذا اجتمع عليهم بالإضافة إلى ذلك تنازعهم وتفرقهم مدارس وجماعات وشيعا وقفزت الدنيا إلى أحضانهم متلونة خضرة؟؟؟ فإنها الطامة وذهاب الريح أي القوة. ولعل متأمل يتأمل ومتسائل يتساءل: لماذا لم يتمكن المسلمون -مع سعيهم الدؤوب لذلك- من أن يتخلصوا من آثار جهاد الأفغان في الدنيا كلها؟ فلا تزال آثاره تلاحقهم وتؤرقهم؟ ذلك أن المهمة لم تنته بعد وهي غير قاصرة على شعب دون بقية شعوب المسلمين فالعدوى مستمرة

ومتسعة وطوبى لمن فهم وأفاق واستعد. وإن ما أوضحته سابقا لينطبق أشد الانطباق على تجربة المسلمين المعاصرة في السودان فهذه الدولة قد وقعت في هذه الإشكالية فتأمل. ولا يعني هذا الطرح أن يزهد المسلمون في هدف تكوين الدول المسلمة ويسعوا لها فهذا هدف من أهداف الجهاد بل شك ولكن لا ينبغي أن يكتفوا بهذا الإنجاز فإنه في أجندة المشروع الإسلامي جزء من قائمة عريضة. ولنا فيه صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة حسنة فإنه –ومع تحقيق هدف الدولة المسلمة– في المدينة ثم في مكة لم يتوقف عند تلك النتيجة ولم يرض بها وحاشاه صلى الله عليه وسلم وإنما سعى لتوسيع الدائرة والانتقال بالمسلمين من مستوى إلى مستوى حتى بلغ المستوى العالمي عندما استفز صلى الله عليه وسلم أعتى دول الكفر والنظام العالمي حينئذ وهم الروم فعقد لواء تبوك ولم يكتف بذلك ثم عقد لواء مؤتة ولم يوسد رأسه الشريفة صلى الله عليه وسلم الثرى إلا ولواء أسامة بن زيد معقود فتأمل.

- إن الخداع والوهم الكبير الذي وقع فيه المسلمون في عصرنا هذا تجاه النظام الدولي ومفرداته وتجاه المؤسسات النصرانية الحاكمة لتشكل أحد أخطر الانكسارات في العقلية المسلمة وقد أسهمت مرحلة الحرب الباردة في تكريس هذا الخداع والذي ملخصه هو قيام أمم الكفر على العدل والإنصاف ورغبة حقيقية لديهم في تحقيق وتكريس السلم في العالم من خلال الأمم المتحدة ومرجعية القانون والعمل على نشر وتكريس الديمقراطية والتنمية الاقتصادية العادلة في العالم وكان من ضمن ما خدع به المسلمون هو إمكانية مضي الدعوة الإسلامية في مجتمعات الكفر النصراني بسلاسة وهدوء وأنه يمكن الاعتماد على عدل النصارى وتسامحهم في الدفع بالدعوة الإسلامية في أوساط أممهم سواء في استراليا ونيوزلنده شرقا أو أوروبا والأمريكتين غربا، ولما حدثت الصدمة الكبرى ورأى المسلمون بأم أعينهم كيف تتبدل القوانين بين عشية وضحاها وكيف يصادر الحجاب في مدارس وجامعات فرنسا ظلوا يرددون بأن ذلك إنما من فعل المتطرفين ومع الإقرار بوجود بعض المنصفين في مجتمعات النصارى لكن أين تمضي المحصلة الكبرى لهذه المسيرة وأين حقوق المسلمين وحرياتهم في النظام الدولي وأين الأمل الذي راود كثير من مسلمي بريطانيا قبل استلام توني بلير العمالي مقاليد الحكم في تلك البلاد وأين وصل ذلك المجرم في تحقيق العدل والإنصاف والديموقراطية للمسلمين؟ وكيف تحولت أمريكا التي كانت مشرعة الأبواب للدعوة الإسلامية إلى قلعة حصينة منغلقة للنصرانية واليهودية؟ وهذا لا يعني أن لا يمضي المسلمون في دفع مسار الدعوة في تلك المجتمعات لكن الأمل الخادع في النصارى ينبغي أن يتوقف دون توقف الدعوة وبلوغها الآفاق. فإن قادة النصارى يتحركون وفق ثوابت مستمدة من دينهم وعقيدتهم في المقام الأول ولا

يبدل هذه الثوابت تغير الرؤساء والأحزاب كما هو الحال عند اليهود والهندوس والبوذ وغيرهم من ملل الكفر.

- إن من آثار النظام الدولي على المسلمين هو تشكل حالة نفسية في علاقتهم بذلك النظام فهم يشعرون بالمسؤولية والمشاركة فيه وأنهم جزء منه ثم إنهم لا ينفكون يأملون في الاستفادة من أوضاع ذلك النظام مع العلم بأنه وبناء على ما يزيد على نصف القرن بقي المسلمون خارج النظام فهم لا ناقة لهم فيه ولا جمل إلا أن تقع عليهم تبعات الحراك الدولي وآثاره السيئة دائما، ومع ذلك فهم يرتبون على أنفسهم الاستجابة والتفاعل الإيجابي مع معطيات النظام وتحولاته ويترقبون يوما بعد يوم أن يعمل ذلك النظام لصالح قضاياهم فيكون من أثر تلك الحالة النفسية على الشعوب والحركات الإسلامية هو تراجعها عن القيام بمهمات الضغط والمقاومة لاتجاهات النظام الدولي الذي تحكمه عصابات النصارى وإذا كان للحكومات عذرها من حيث خضوعها واستجابتها لإملاءات النظام الدولي بحكم تبعيتها الكاملة لـه فلماذا تقيد الشعوب والحركات الإسلامية نفسها بما لا ينبغي التقيد به؟ وإن كان هذا الحال قد بدأ في التحول التدريجي نتيجة للعنجهية الأمريكية وإدراك الشعوب أن الحكومات لا يمكن التعويل عليها في تحصيل الحقوق.
- إن الخداع الذي يمارسه قادة الكفر من خلال التلاعب بالمصطلحات ليمثل تحديا كبيرا في فهم المسلمين لأسس العلاقات الدولية ولعل أكبر تطوير أدخله أساطين الكفر وقادته في هذا المجال هو وصم المجاهدين بالإرهاب وتحت تلك المظلة يشن القادة الصليبيون الجدد حربهم الشرسة والتفصيلية والعالمية على المسلمين عقيدة وشعوبا ومقدرات وهم يهدفون إلى إنجاز الحرب الصليبية الجديدة دون أن يستثيروا شعوب المسلمين حتى لا يدخلوا في المواجهة ويترك المجاهدون بلا سند من الأمة في الميدان وهذا يحتاج إلى خطة معاكسة في المجال الفكري والإعلامي والسياسي ثم الجهادي تهدف إلى تشتيت الحملة الأمريكية الصليبية بل واستثمارها لإدخال مفهوم الجهاد وتطبيقاته في كل بيت مسلم على وجه الأرض.
- إن التحول الذي تم في النظام الدولي والذي تقوده أمريكا واعتماد هذا النظام على ركائز مستجدة من أهمها حرب المسلمين واتخاذ أراضيهم وبلادهم المتنفس الرئيسي لتطبيق الهيمنة العالمية لأمريكا لتوجب على قادة المشروع الإسلامي رسم الأبعاد التي سوف يتعاملون بها مع هذا التحول.
- ويعتبر حادث 11 سبتمبر من عام 2001 من أهم المحطات التي يتوقف عندها الناس ويفصلوا بينها وبين ما جرى بعدها من تحولات في النظام الدولي ويحملوا المسلمين

تبعات ذلك التحول وهذا من البهتان والزور بمكان فإنه وبغض النظر عن مدى ثبوت مسؤولية فئة من المسلمين عن الحادث ومدى حلة أو حرمة ذلك فإن كل الدلائل تشير وبوضوح إلى أن أمريكا لم تكن بحاجة إلى 11 سبتمبر لكي تمضي في استراتيجيتها وتكوين الإمبراطورية العالمية الجديدة فقد تم الانتهاء من وضع تلك الاستراتيجية في نهاية عقد الثمانينيات وتم تدشينها بحرب الخليج المزورة الثانية عام 1991 ثم مضت أمريكا طوال عقد التسعينيات تعدل وتضيف على استراتيجيتها وتطبق مساراتها وتستثمر قضايا المسلمين أيما استغلال مثلما استغلت قضية البوسنة والهرسك لتركيع أوروبا وفرض إرادتها عليها وعلى العالم ثم ألقت بمسلمي البوسنة بعد أن انتهى دورهم في سلة القمامة وهكذا فعلت بالقضية الشيشانية، وكذا فعلت بالقضية الجزائرية متعاونة مع الفلول الجزائرية الفرنسية حتى لا يفكر المسلمون أبدا بالتقدم نحو حكم أنفسهم بأنفسهم، وقد كان التهديد الذي نفذته أمريكا تجاه أفغانستان وتجاه العراق وتجاه الحركات الإسلامية خاصة الجهادية منها قد تبلور في نفس عقد التسعينيات أي قبل 11سبتمبر وإنما تم تنفيذه بعد 11 سبتمبر أما الهجوم على الحركات الإسلامية في العالم وتجفيف منابعها فإنه بدأ مباشرة بعد انتهاء الجهاد في أفغانستان واستخدم لذلك التجفيف كل أجهزة الأمن والسياسة والأحزاب العلمانية واليسارية التي تحولت إلى الأمريكية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي مباشرة وعمل الجميع في إندونيسيا كما في مصر والأردن ودول الخليج وغيرها اعتمادا على نفس المرجع والمسطرة. وقد كنت أنوي أن أجعل لـ 11 سبتمبر فصلا مستقلا ولكني وبعد طول تأمل استيقنت أن الأمر لا يستأهل ذلك إذ أن المسارات السياسية والإعلامية العالمية والتي تم بموجبها معالجة موضوع 11سبتمبر لا تدع مجالا إلا لأمرين أحلاهما مر فإما أن يسلم المسلمون (العقلاء والمعتدلون!) بحق أمريكا في الدفاع عن نفسها وأنها لم تصمم الإمبراطورية العالمية إلا في ضوء معطيات 11 سبتمبر وفي هذا من الكذب والدجل ما فيه وإما أن يميلوا (بحكم ضيق عقلياتهم وإرهابيتهم!) إلى التعاطف مع بن لادن فيصنفوا كإرهابيين وتنتهي القصة عند هذا الحد وهكذا تم تصميم الرسالة الإعلامية والنفسية وفي معرض المناقشة السريعة للمسألة يمكن أن نكتفي باستعراض احتمالات تقدير الجهة المنفذة للحادث حتى تتبين لنا حدود التعاطي في فهم القضية.

إن الاحتمالات للمسؤولية عن الحادث تتجه إلى أربع احتمالات: أما الاحتمال الأول فهو أن يكون لجماعة القاعدة المسؤولية الكاملة والنهائية تجاه الحادث تخطيطا وتنفيذا، والاحتمال الثاني: أن يكون لجماعة القاعدة نسبة غالبة في التخطيط والتنفيذ تزيد على 70٪ وأن يكون

لأجهزة الاستخبارات الرئيسة في العالم كا لسي أي أيه والموساد الإسرائيلي بقية النسبة تسهيلا وغضا للطرف، وأما الاحتمال الثالث: فهو أن يكون للأجهزة الاستخبارية المذكورة آنفا نصيب الأسد في التخطيط والتنفيذ ولكن تم استخدام جماعة القاعدة من وراء ستار لتنفيذ المهمة غيلة وخديعة لزيادة الاستثمار للحدث، وأما الاحتمال الرابع والأخير: هو أن تكون الأجهزة الاستخباراتية المذكورة قد استفردت 100٪ بالتخطيط والتنفيذ للحدث وألصقته بجماعة القاعدة. ومن خلال استعراض الاحتمالات الأربعة يتبين أن إمكانية استفراد جماعة القاعدة بالتنفيذ هو احتمال واحد مقابل ثلاث احتمالات لتدخل الأجهزة الأمنية الغربية بصناعته وهذا ليس بجديد عليها فقد صنعت أمثاله كموضوع غزو الكويت عام 1990م وعليه وفي ضوء عدم ثبات البراهين الساطعة على ذلك فليس للمسلمين إلا أن يركزوا على أفعال أمريكا لا على أقوالها وأن ينظروا للمستقبل والتعامل مع الصراع الذي تفرضه أمريكا على ساحات المسلمين لا أن يتجمدوا عند 11 سبتمبر.

● سادسا: تحديات الواقع الاقتصادي

إن الواقع الاقتصادي في العالم الإسلامي وكذا في العالم أجمع إنما هو أحد أهم إفرازات الوضع السياسي العالمي وتأثيراته على الوضع المحلي في دول العالم ونتيجة للنمطية السائدة في النظام السياسي العالمي والنابعة من أثر الصراع العقائدي والآيدلوجي فإن تلك النمطية منسحبة على الأوضاع الاقتصادية في واقع المسلمين في كل مكان على الأرض ولعل من أهم النتائج المتعلقة بهذه الحقيقة هو استحالة عزل وعلاج الأوضاع الاقتصادية بعيدا وبمعزل عن الأوضاع السياسية، وللوصول إلى مقاربة في تصور التحديات في مجال الأوضاع الاقتصادية ومآلاتها وفق الرؤية الإسلامية المتعلقة بالمشروع الإسلامي أعرض النقاط التالية:

- يعتبر التحدي المتمثل في ما اصطلح عليه بالعولمة أحد أهم أبرز أشكال التحدي المستجدة والمتطورة من أصل سابق وهو هيمنة الغرب المسيحي على الشرق بما فيه الشرق المسلم، ومع ما في العولمة من تحدي ثقافي وعقدي فإن نصفه الآخر هو تحد اقتصادي ولعل أهم سمات هذا التحدي تكمن في ما يلي:

1- السيطرة على أسواق العالم من خلال فرض السلع المتمتعة بالحماية والاعتراف الغربي خاصة الأمريكية منها ثم الأوروبية ومنع الدول الأخرى من الإنتاج الاقتصادي والإبداع والتطوير بدعوى منع التقليد وبذلك لا تجد السلع الغربية أية منافسة فتفرض أسعارها عل العالم.

2- تقييد الدول بالاتفاقيات الاقتصادية والتي صممت لصالح الغرب المسيحي وفي حال مخالفتها فإن أمريكا جاهزة لاستخدام كل ما أوتيت من قوة لإيقاف تلك المخالفات.
3- استخدام التفوق المسيحي المتفوق سياسيا وعسكريا واقتصاديا خاصة الأمريكي لفرض الأسعار المتدنية والمناسبة للغرب للمواد الخام المنتجة في دول المشرق كالبترول وغيرها من المواد في مجال الزراعة والإنتاج الحيواني وذلك من خلال الهيمنة السياسية على نظم الحكم كما هو الحال في دول الخليج التي تعمل لصالح أمريكا بإغراق السوق العالمية بالبترول حتى لا ترتفع أسعاره فتؤذي الأسياد، كما أن هناك وسائل أخرى كثيرة تستخدمها أمريكا لفرض الأسعار التي تناسبها للمواد الخام أو للإنتاج الزراعي.

- وإن من أبرز التحديات في المجال الاقتصادي هو الحالة النمطية من الجمود وتعطل الأداء الاقتصادي التي أورثتها النماذج التنموية المطبقة والسائدة في العالم الإسلامي كالتأميم في عهد عبدالناصر والاشتراكية في الجزائر والبعثية في سوريا والعراق وغيرها حيث قامت الحكومات والأحزاب المساندة لها بتطبيق سياسات متخبطة في مجال الاقتصاد واستوردت نماذج تنموية لا علاقة لها البتة بحلم الأمة المسلمة ولا بموقعها بين الأمم فكانت تلك النماذج خليطا من السياسات والرؤى لا تتمتع بالتكامل ولا علاقة لها بالقواعد الإسلامية في مجال الاقتصاد ثم أضافت على ذلك ظلما فادحا واحتكارا للسوق لصالح طوائف محددة وبدلا من النظر إلى البشر وكثرتهم على أنهم أحد أهم العوامل المحفزة للإنتاج ودوران الاقتصاد نظر إليهم كتبعة وانفجار سكاني ولم يخطط أبدا لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الأيدي العاملة في الإنتاج الاقتصادي ولا في إعادة تأهيل هؤلاء لاستثمارهم الاستثمار المناسب فتلكأ الإنتاج وضعف وهيمن البؤس على العمال إلى غير ذلك من الآثار السلبية للنماذج التنموية الخاطئة التي لم تسلم منها بلاد الثروات الواعدة كالبترول ولا غيرها.
- إن وقوع الشعوب المسلمة في حالة من الانتظار والأمل والتعويل على التطورات الاقتصادية عند غيرها من الأمم قد أورثتها قيما فردية وجماعية خطيرة تتمثل في انتظار البرامج الحكومية والأمل في التحول إلى الأجواء المترفة حتى ترك الزراع والحرفيون مهامهم ومصدر رزقهم لكي يملئوا المدن وينتظروا الوظائف في المؤسسات والشركات والرغبة العارمة في الهجرة إلى الخارج إلى غير ذلك من القيم المدمرة للأداء الاقتصادي والانتاجي.
- ومن التحديات في المجال الاقتصادي أن الحكومات في العالم الإسلامي لم تسع البتة في

استثمار التكامل والتنوع في المجال الاقتصادي بين شعوب الأمة المسلمة لا على المستوى الإقليمي فضلا عن المستوى العالمي اللهم إلا محاولة لم يكتب لها النجاح سعى إليها السياسي المخضرم نجم الدين أربكان عندما تنفسا تنفسا محدودا في الوضع الحكومي في تركيا وسرعان ما قضي على تجربته في الداخل والخارج، وعليه فقد بقيت آسيا الوسطى سوقا مبعثرة يلعب فيها كل اللاعبون الدوليون إلا المسلمون وكذا جنوب شرق آسيا المسلم وغيرها من المناطق الواعدة في مستقبل الاقتصاد العالمي.

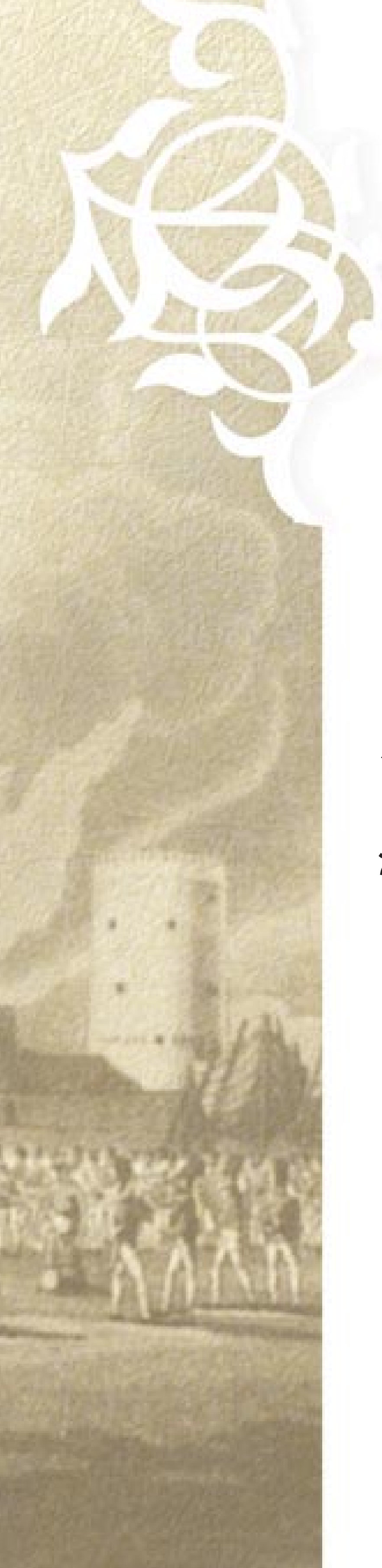
- ومن أخطر التحديات في المجال الاقتصادي بالنسبة للأمة المسلمة هو اعتماد النظام المالي العالمي على معطيات النظام السياسي العالمي الذي هو محض الكفر ولا يمكن عزل الاقتصاد عن العقائد بأي حال من الأحوال وعليه فإن محاولات الترقيع لن تمكن المسلمين من الهمينة على اقتصادهم فإن من صمم النظام الاقتصادي والمالي ضمنه مستلزمات رؤاه وعقيدته وحاول أن يضمن هيمنته ومن أوضح الأمثلة على ذلك هو اعتماد النظام المالي العالمي على الربا بدءا من القروض الدولية التي تخدم السيطرة المسيحية واليهودية وانتهاء بالقروض الشخصية التي عبدت المسلمين للبنوك، ذلك الربا الذي يعده علماء الاقتصاد العالميون أحد أهم أسباب التضخم وتعطل الإنتاج، ويتبع ذلك اعتماد النظام المالي على منظومة البنوك كمرجعية نهائية لكل أشكال العمليات الاقتصادية والتبادل التجاري وارتباط سلسلة البنوك في العالم بحفنة من البنوك الأساسية في العالم التي أصبحت مرجعية لكل العمليات الاقتصادية بدورها مما وضع مقدرات الأمم في مهب الريح ولم يعد أحد لا من الحكومات ولا من الأفراد يملك ثروته ملكا حقيقيا فهي مملوكة ورقيا فقط وبإمكان مرجعيات محدودة في العالم من بينها أمريكا والتي تسيطر على البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وسلسلة البنوك الكبار أن تعلن إفلاس بنك ما أو تجميد أصول حكومة ما أو انهيار عملية دولة ما لكي يتحقق ذلك في غمضة عين، ويتبع ذلك في النظام المالي اعتماده على الزيف الكبير الذي حدث إبان صعود نجم اليهود وقيادتهم للفكر الاقتصادي المعاصر عندما تم استبدال الذهب والفضة بالنقود الورقية وهي بدورها تقيم بسلسلة معقدة من العمليات تنتهي بيد الاقتصاديين الكبار من يهود ونصارى ومع ارتباط العملات العالمية بحفنة من العملات التي تسمى قوية أو صعبة وليست هناك عملات صعبة في الدنيا إلا ما يتبع أمم النصارى أما بقية الأمم فمحرم عليهم اعتبار عملاتهم عملة صعبة، ولم يخرج مستعمر فرنسي أو انجليزي من بلاد المسلمين إلا بعد أن أشرف على تصيمم عملة ذلك البلد وبعد أن أسس مجلسا للنقد والذي تحول بعد ذلك لما يسمى بالبنوك المركزية والتي لا بد وأن تتملك جزءا من أصول أي بنك في ذلك البلد وبدورها لا بد وأن تلتزم البنوك المركزية بوضع

جزءا من أصولها في بنوك أجنبية وهي البنوك العالمية المتينة وما متانتها إلا كونها يهودية أو نصرانية مرتبطة بأنظمة الحكم المتجبرة في العالم.

- أما التطورات اللاحقة والتي أضيفت على الميدان الاقتصادي والتي تهدف إلى الهيمنة النهائية على أسواق العالم فهو التطور الذي ارتبط بالعمليات الاقتصادية من خلال الفضاء الالكتروني وعولمة أسهم الشركات الكبرى والمضاربة فيها التي أصبحت قمارا ولم يبق تاجر من تجار المسلمين -إلا من رحم الله- إلا اكتوى بناره وتفننت عقول اليهود وكبار المرابين فأبدعوا ما يسمى بعمليات البيع والشراء في المستقبل الافتراضي وصمموا برامج الكمبيوتر المعقدة التي تتحكم في رفع وخفض الأسعار في ذلك المستقبل والناس يصدقون كل ذلك فيتبايعون ويشترون في سوق وهمية وغالبا ما أدت تلك المضاربات إلى انهيارات في السوق الفورية ولا أحد يعلم كيف يتم التحكم في المعادلات التي تحكم تلك العمليات يكفي أنها قد أتت من السادة الكبار القابعين في وول ستريت والذين يعلمون كل شيء وهم مرجع لكل الدنيا بل إنهم بطبعهم البشري يحكمهم العدل والإنصاف والمهنية العالية وصدق من أخبرنا عما سيكون من حالنا وحالهم فقد ورد عن أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ» رواه البخاري(3197). حتى بلغ من وهن النظم المالية في بلاد المسلمين أن يتمكن رجل يهودي واحد (چورچ سوروس) من ضرب اقتصاد بلد بأكمله كما حصل في ماليزيا إبان الانهيار المالي الشهير بنهاية عقد التسعينيات من القرن المنصرم.
- وأضيف على ذلك تحركات مشبوهة عمت أسواق المسلمين في كل مكان والعجيب أنه لم يخدع بها إلا المسلمون وهي عمليات سحب للسيولة النقدية من أسواق المسلمين عبر إعلانات وترتيبات لشركات كبار ومضاربات متقنة تعطي أرباحا في اليوم الثاني من الدفع فيها وتدفق المغفلون والأذكياء من المسلمين ودفعوا كل ما يملكون بل وجمعوا من صغار المدخرين وتستمر الحملة بضع سنوات لكي يسقط الجميع فيها وتتبخر الأموال وتبقى الديون بالملايين، بل أصبح من المألوف تماما في بلاد المسلمين أن يتفنن النصارى والهندوس والبوذ في القيام بعمليات نصب بالملايين على البنوك الرئيسة في تلك البلاد وسرعان من يغلق ملف السرقة ويمضي النظام الربوي لا يلوي على أحد.
- ازدياد حدة المكوس والضرائب في كل بلاد المسلمين وعلى كل شيء مما أدى بالمسلمين إلى العيش في بؤس شديد وانشغال بلقمة العيش ليل نهار وقد طال انتظار شعوب المسلمين للفرج والأمل في الوعود التي تطلق محليا وعالميا فلم يزدهم انتظارهم إلا شدة وضيقا حتى أصبح هذا الضيق هو الأصل في أغلب بلاد المسلمين إذا لم تكون كلها وما التنمية في

بعض بلادهم النادرة إلا تسلية لأنها لا تنتمي لواقع المسلمين وما هي إلا محطات لحركة السادة من الغرب إلى الشرق.

- تفشي الفساد والرشي على المستوى الحكومي حتى لا يستطيع أحد أن ينهي معاملة إلا بعد أن يدفع ولا يمكن لصفقة أن تتم في المؤسسات الرسمية إلا بدخول الفوائد إلى جيوب المتنفذين فيها.
- دخول كبار الساسة وأولادهم وأقاربهم في منافسة الشعوب في معاشهم وتجارتهم والسيطرة على كل منافذ التجارة والصناعة والزراعة فلم يبقوا للناس شيئا ومع تمتعهم بالحماية والإعفاء فمصير الآخرين الكساد والانكسار.
- لم تعد ثروات المسلمين بأيديهم البتة خاصة النقدية منها وذلك لعدة عوامل كلها بيد النصارى واليهود ومن أهمها هو عدم الأمان في بلاد المسلمين أو هكذا زعموا والأمان إنما في بلاد النصارى وبنوكهم وعليه فإن تلك البلاد والبنوك تستثمر ثروات المسلمين وتستغلها ويكفي من يملك المال أن يأكل ويلبس وينام على اعتقاد أنه يملك ثروته، وقد أضاف النظام العالمي الجديد حقا جديدا مقننا للنصارى والأمريكيين منهم على وجه الخصوص وهو حقهم في مصادرة أموال المسلمين حكومات كانوا أم مؤسسات أم أفراد وبدعاوى كثيرة وهي أي الدعاوى في ازدياد ولا تقف عند حد وعندما حاول بعض أثرياء السعودية أن يستعيدوا جزءا من أموالهم وضعتهم أمريكا على قائمة إرهابية خاصة بهم فقط.



الفصل السادس

مهددات المشروع الإسلامي ونقاط ضعفه

المفردات:

- ساحة التهديد الأولى: الاجتهادات والرؤى النظرية
- ساحة التهديد الثانية: الجماعات والحركات الإسلامية
- ساحة التهديد الثالثة: الوضع الداخلي في الأمة ككل
- ساحة التهديد الرابعة: الوضع الدولي وحراك الأمم



إن فصل مهددات المشروع الإسلامي يأتي لكي تتم به عملية وضع النقاط على الحروف ولكي يتمكن القارئ الكريم المتطلع لنصرة دينه من الوقوف على أهم الأخطار التي تحيق بمسار الأمة الإسلامية في عصرنا هذا وبهذا العرض للمهددات والأخطار تتضح الرؤية وتسهل عملية عرض الفرص المتاحة لإحداث أهم النقلات التالية في مسار المشروع الإسلامي المؤدي إلى الخلافة الإسلامية بإذن الواحد الجبار وبعد طول غياب عن وجه الأرض التي أفسدها المجرمون من الكفرة والذين تقاسموها شرقا وغربا وغدا المسلمون بينهم كخراف تائهة في ليلة شاتية بين ذئاب عاوية.

وسوف يتميز هذا الفصل بالتركيز والتلخيص دون الدخول في التفاصيل حيث سيتم تقسيم المهددات حسب ساحات و مواقع التهديد وهي أربع ساحات ومواقع:

ساحة التهديد الأولى: الاجتهادات والرؤى النظرية
ساحة التهديد الثانية: الجماعات والحركات الإسلامية
ساحة التهديد الثالثة: الوضع الداخلي في الأمة ككل
ساحة التهديد الرابعة: الوضع الدولي وحراك الأمم

ولعل القارئ الكريم يعجب معي كيف أن المهددات الداخلية في الأمة للمشروع الإسلامي تبلغ ثلاثة أرباع التهديد يقابل ذلك التهديد الخارجي من أعداء الأمة والذي تصل نسبته إلى الربع فقط وهذه المعادلة لها أصل في الكتاب والسنة إذ أن مرجع الشتات والهزيمة إنما ينبع من الخلاف والتنازع الذي يستشري في الأمة فيؤدي إلى الفشل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:46)، وقد أدرك الأعداء سر هذه المعادلة فهم لا يتجرءون على الأمة إلا إذا رأوا التنازع قد فشا فيها، ذلك التنازع الذي يتناول النظرية والرؤى ثم ينحدر إلى العاطفة فيبددها ويتحول إخوان العقيدة إلى أعداء ثم ينحدر العداء إلى الميدان فيكون البأس بين أهل العقيدة شديد.

وسأحاول أن أشير بتركيز شديد إلى تلك المهددات في كل ساحة من الساحات المذكورة أعلاه.

● ساحة التهديد الأولى: الاجتهادات والرؤى النظرية

ويتمثل التهديد في هذه الساحة بمجموعة من المعطيات وهي كما يلي:

- العدول عن المرجعين الذين لا يمكن أن يضلا أو تزيغ بهما الأفهام وهما القرآن والسنة واستبدالهما بالمقاييس العقلية المجردة والمنطق والتحليل السياسي وما يسود العالم من أوضاع، ومن نماذج الاستبدال هو الاستبدال الجزئي بأن يتم قبول بعض معطيات القرآن الكريم والسنة المطهرة والإعراض عن باقي المعطيات والأحكام ولعل من أهم أمثلة ذلك هو الإعراض عن الجهاد بحجج كثيرة من مثل أن الجهاد إنما هو وسيلة وليس غاية وإذا أمكن تحقيق أهداف الجهاد بغير الجهاد فهو أولى! ويتم تجاهل فرضية الجهاد ودوره في البناء الإسلامي والإحياء الحضاري بحجة الاستضعاف والتي لا يريد الكثير أن يخرج من دائرتها.
- أن تستمر عملية الغبش والتداخل والحيرة الشديدة في تصور المشروع الإسلامي ولا يتقدم حملة الأمانات بدورهم فيظهروا البينات وما استأمنهم الله عز وجل عليه من علم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة:159)
- أن يظل قادة المشروع الإسلامي مصرين على الإنجاز فقط من خلال الأداء القطري أي تحقيق تطور إسلامي في كل قطر إسلامي على حدة ومادام هذا الإنجاز غير ممكن وبالأساليب المتاحة فالنتيجة أن يقعد قادة المشروع عن تواصلهم العالمي ويتأصل الاعتقاد بأنه لا مخرج البتة فيعرضوا عن إعادة تصميم المسيرة بما توافر للمشروع من طاقات وما استجد من أحداث فيعزلوا أنفسهم عن الدنيا وصراعها.
- أن يكتفي الدعاة في مسيرة المشروع الإسلامي بما تم الوصول إليه من نتائج والقعود به بدعوى عدم ضياع تلك النتائج وتبدأ النظريات المساندة لهذا القول في دعمه والتفنن في إبرازه في أوساط المسلمين، وتكون النتيجة هي الرضا بهيمنة الكفر على الأرض والذي لو تواصل في نفس الاتجاه دون معوق فلن يترك أثرا للأداء الإسلامي ولا ساحة للتطبيق الإيماني فضلا عن الدعوي أو السياسي فما بالكم بالجهادي؟
- تماهي المشروع الإسلامي مع المشاريع الأخرى والقبول بهيمنتها سواء كان ذلك المشروع مشروعا كفريا بحتا كالمشروع الأمريكي أو مشروعا مخلطا كالمشروع القومي الوطني.
- المضي في المشروع الإسلامي في ناحيته النظرية نحو التعقيد الشديد والطرح الفلسفي الذي لا يمكن المرء أن يتبين في ظلاله أية إمكانية للنقلات العملية ولا للبرامج الميدانية التنفيذية، بحيث يكون منطوق تلك الفلسفة: أن الأمة لم تستكمل بعد ولم تستوف

متطلبات المشروع ولا شروطه كالوعي الحضاري والقيم الحضارية وما أشبه ذلك فتكون النتيجة الحتمية لتلك الفلسفة القعود عن مواصلة المشروع وعن استثمار الأعمال السابقة واستثمار الفرص المستجدة.

- حصر الإسلام والمشروع الإسلامي في الحالة الافتراضية العقلية والعاطفية والتمتع به حيث هو دون أن ينزل المشروع على الأرض فيبدأ بالتعامل مع الحياة فيؤثر فيها ويتأثر ومن أمثلة ذلك أن يحبس المشروع في المحاضرات الناعمة والمؤتمرات الفندقية والاكتفاء بالدعاء والبكاء والانغلاق على التربية العبادية والزهدية وتسمية ذلك جهادا.
- ويتبع النقطة السابقة أمر شبيه بها وهو أن يتم تخيل مراحل التحول الإسلامي عبر حالات افتراضية عقلية نموذجية لا علاقة لها بالتحولات والتغيرات والفرص التي تلوح للمسلمين في الميدان فيبقى قادة المشروع ينتظرون تلك الحالات الافتراضية التي لن تأتي فضلا عن أن يفكروا في استثمار الأحداث الكبرى وغير المتوقعة.
- عزل المسار النظري والاجتهادي كلية عن المسار العملي للأمة بأن يتم استحضار صور محددة من الماضي للمسلمين ويتم التلبس بتلك الصور وتنزّل أحكام تلك الفترة التاريخية على الواقع فيعيش المسلمون خارج عصرهم ومن أهم الأمثلة على ذلك قياس الواقع السياسي الحالي للأمة على الواقع السياسي الذي ساد في مراحل من الخلافة الإسلامية السابقة وتنزيل نفس الأحكام لتلك المرحلة على هذه المرحلة كتنزيل حكم ولاة الأمر على النظم السياسية الحالية في الأمة.
- عزل الاجتهادات الشرعية المعاصرة التي عالجت فترة تاريخية محددة ونزعها من بيئتها التي تأسست فيها ثم الحكم عليها بالفشل وعدم الصحة ومن ذلك ما يذهب إليه البعض من تخطئة الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى في مجمل ما ذهب إليه من رؤى ومقولاته بجاهلية المجتمع في الوقت الذي كاد فيه أساطين العلمانية العربية أن يجتثوا الدين وأسسه من واقع المجتمعات العربية وفق برامج ترعاها الدولة وأجهزتها المختلفة.
- عزل التجارب الكبرى المعاصرة للمسلمين كتجربة أفغانستان والجزائر وفلسطين وغيرها عن بعضها البعض فلا تدرس ولا تقوم ولا توضع في الخارطة العامة للمشروع فتضيع فرصة الاستثمار لتلك التجارب كما تضيع فرصة رؤية النقلات التالية في تلك التجارب.
- الالتهاء عن مسار المشروع الإسلامي بالثغرات الجديدة التي يحاول الأعداء أن يفتحوها في ساحات الأمة حتى يتم امتصاص الضغوط المباركة التي شكلتها مراحل المشروع ومن أهم أمثلة ذلك هو فتح مسارات جديدة في طريق الديموقراطية العاثرة في العالم الإسلامي عبر السماح للإسلاميين بالوصول للحكم لكن بعد خلع عباءاتهم وترك شعاراتهم والاستعداد الذي لا يخالطه ريب لخدمة السيد الجديد للعالم وهكذا يتم سرقة

نتاج العمل الإسلامي وجهاده كما سرق في أفغانستان وفي تركيا.

- تمزق المشروع بين اطروحات الجماعات الإسلامية ونظرياتها وسعي كل جماعة لفرض رؤاها على رؤى الآخرين.
- جمود اطروحات الجماعات الإسلامية دون أن تغير المستجدات التي تمت داخل الأمة وخارجها من تلك الاطروحات شيئا، بل ويصل الأمر بالبعض أن ينظر إلى اجتهاده ومقولاته نظرة تقديس.

● ساحة التهديد الثانية: الجماعات والحركات الإسلامية

ويتمثل التهديد في هذه الساحة بمجموعة من المعطيات وهي كما يلي:

- عجز الجماعات الإسلامية عن رسم وتطوير الآليات والهياكل التي يمكن للمشروع الإسلامي أن يسير عليها دورا بعد دور والتي تجيب على الأسئلة التي يعجز عموم المسلمين أن يجيبوا عليها شرط أن تكون الإجابة عملية وليست نظرية فقط وأن تكون الجماعات هي أول من يشق طريقها ويخضعها للتجربة.
- محاولة كل جماعة الاستفراد بقيادة المشروع الإسلامي والدفع باتجاه الإنجازات الكبرى دون استصحاب الآخرين أو الشعور بالحاجة إليهم والإصرار - بلسان الحال إذا لم يكن بلسان المقال- على أن النصر لا بد وأن يتنزل على الجماعة لاستحقاقها النصر أصلا! ولا يتخيل أحد من المتنافسين أن يتقدم عليه آخر من الجماعات الأخرى، وهذا يبطن خطرا كبيرا آخر هو سعي الإسلاميين لتأسيس دول تابعة لهم بالضرورة فهنا دولة سلفية وهناك دولة إخوان مسلمين وهناك دولة سرورية وهكذا، وقد كان لهذه الخلفية دور حقيقي في فشل التجارب الإسلامية المعاصرة في أفغانستان والصومال والجزائر.
- تقديم أغلب الجماعات إذا لم تكن كلها صفة الانتماء لها على صفة الإسلام مما يعطل استثمار طاقات المسلمين من غير المنتمين للجماعات نتيجة للحاجز المعنوي الذي يحول دون ذلك لدى الطرفين أي المنتمين وغير المنتمين وضرر ذلك باد للعيان على المشروع الإسلامي.
- احتكار مفردات الإسلام الأساسية كأن تحتكر جماعة ما التوحيد والعقيدة فتقع بقية الجماعات بل والأمة كلها خارج إطار العقيدة الصحيحة نتيجة لذلك الاحتكار، وأن تحتكر جماعة أخرى الجهاد فتقع بقية الجماعات بل والأمة كلها خارج إطار الجهاد، وأن تحتكر جماعة ما الفهم الصحيح فيمتنع هذا الفهم على الآخرين وهكذا.

- محدودية الإنتاج والإعداد القيادي داخل الجماعات الإسلامية والذي لا يتناسب وحاجة الأمة في هذه المرحلة حيث إن الإعداد يتجه غالبا لإعداد القادة لإدارة شؤون الجماعة المعنية ولا يتجه لإنتاج رجال دولة وإدارة شؤون الأمة.
- الإغراق في خصوصية كل جماعة على حساب الأخوة الإسلامية الجامعة مما أدى إلى انغلاق فروع الجماعات في أغلب البلدان وليس انغلاق الجماعة المعنية وحدها كما أدى ذلك إلى القول بالخصوصية الوطنية مما يهدد طاقات الدعاة واستثمارها الاستثمار الصحيح.
- تخلف الشعور بالمسؤولية العامة عن الأمة لدى الجماعات الإسلامية بحيث تبرر كل جماعة لنفسها الانسحاب من الميدان لأنه لا يوجد من يعينها من بقية الجماعات فضاعت المسؤولية بينهم.
- أن تقدم بعض الجماعات الإسلامية على اختزال مرحلة الجهاد من مراحل المشروع الإسلامي بحجج كثيرة، ويتم ذلك الاختزال بطرق كثيرة منها عدم الدخول في أي شكل من أشكال الإعداد التي أمر الله بها، وكذلك عدم تقديم أية آليات وبرامج لتطوير الأداء الجهادي الحالي إلى غير ذلك من أشكال.
- عجز الجماعات الإسلامية عن توليد مرجعية شرعية وسياسية وجهادية بديلة عن المرجعيات التقليدية والرسمية في الأمة فتضطر الأمة إلى أن ترجع لتلك المرجعيات المشلولة فتقعد عن نصرة المشروع الإسلامي بسبب ذلك.

● ساحة التهديد الثالثة: الوضع الداخلي في الأمة ككل

ويتمثل التهديد في هذه الساحة بمجموعة من المعطيات وهي كما يلي:

- أن تعاود الأمة التعلق بالمنافقين الجدد الذين يتجدد ظهورهم ويبدلون جلودهم ويورثون أبنائهم هذه الأيام على ساحة المسلمين سواء على مستوى النظم السياسية أو الأحزاب العلمانية وما ذلك إلا لليأس الذي يحيق بالأمة نتيجة فقد القيادات وفقد التوجه الواضح الذي يقوده الأبناء المخلصون منها نتيجة لانشغال أبناء كل قطر بوضعهم الداخلي وهمومهم القطرية ونتيجة لتفرق الأمة إلى اجتهادات لا يريد واضعوها أن يلتقوا على كلمة سواء ولا أن يعتصموا بحبل الله جميعا كما أمرهم رب العالمين.
- أن لا يتمكن قادة المشروع الإسلامي من استثمار الضغوط والحراك العام في الأمة باتجاه الدفع لكسر المرحلة الاستضعافية التي يقبع فيها المسلمون والانتقال إلى مرحلة التدافع

والمدافعة.

- أن يتم غلق الأمة من جديد في مشاعرها القومية العصبية وذلك إما بأداء قوى الكفر أو بأداء داخلي في الأمة ومن أمثلة الأداء الكفري في تعميق العصبية ما حدث في موضوع حرب الخليج الثانية عام 1990م التي دشن بها الأمريكان نظامهم العالمي الجديد وعندها أصبح جزء من الأمة يبحث عن الحق من خلال حلفاء أمريكا وجزء آخر يبحث عنه من خلال صدام فأصبح البعد العصبي هو الأساس في الحكم، وأما مثال الأداء داخل الأمة والذي يمكن أن يؤدي من جديد لانغلاق الأمة في عصبيتها فهو أن تتقدم بعض الجماعات الإسلامية بلون عصبي وانتماء عرقي أو انتماء مذهبي يرى في انتمائه فضلا وفهما وعلما لا يتوفر للآخرين فتتفرق الأمة على هذا الأساس.
- استمرار أجهزة وأحزاب النفاق في العالم الإسلامي في صياغة العقلية المسلمة من خلال أجهزة الإعلام والأجهزة التعليمية والأجهزة السياسية والأجهزة الأمنية فلا تتمكن الأمة من الانعتاق من قيودها العقلية والنفسية والتي هي أشد من قيود السجون، ومن عجب أن ترى نفس تلك الأجهزة تتباكى على البلاء الذي أصاب الأمة في العراق إبان حرب الخليج الثالثة وهي نفسها التي أوصلت المسلمين لذلك البلاء وتلك الفتنة عبر موالاتها للكفرة وعبر الفساد الذي مارسته في الأمة منذ أن استلمت الحكم ودفة التوجيه من الأسياد.
- أن يقع قادة المشروع الإسلامي في شرك الاقتتال الداخلي وما يسمى بالحروب الأهلية في الأمة فتسيل دماء المسلمين في غير ميادينها الصحيحة وينعكس ذلك تأخرا وشتاتا على المشروع.
- استمرار وقوع الأمة في عقدة العلاقة بين الشعوب والأنظمة وعدم انفكاكها منها فيستمر تقييد الأمة وحراكها العام ما دام كل شعب لا يفرق بين وجوده ووجود النظام السياسي الذي يحكمه.
- إغراء الأمة بمعطيات التنمية ووعود الرخاء فتقعد تنتظر تلك النتائج التي لن تأتي يوما فيكون من أثر ذلك أن لا يلتحق أبناء الأمة بمسيرة التغيير الكبرى.
- أن يتعمق تفرق الأمة على أساس الغنى والفقر بعد أن تفرقت على أساس العرق، ويعتبر نجاح الكفرة في إنشاء مناطق عازلة بين الأغنياء والفقراء أحد مؤشرات هذا التهديد كما نجحوا في تأسيس منظومات منزوعة من خارطتها العامة من قبل، وهكذا تتركب عقلية وعاطفة الأمة وعلاقة أبنائها بعضهم ببعض على أساس الغنى والفقر فالفلسطيني قد كتب عليه الفقر والشقاء أما الخليجي فأساس وجوده الغنى والنعيم! فتتحقق القطيعة والنفرة بناء على ذلك.
- أن ينجح الكفرة في هذا الوقت بالذات وخلال العشر سنين الأولى من القرن الواحد

والعشرين في إعادة بناء الدول الإسلامية وتشكيلها بناء على قواعد عرقية وقومية أكثر فتاتا وشتاتا فيسقط المسلمون في المصالح الضيقة ويقبلون بإعادة تركيب علاقاتهم بإخوانهم في الأمة على هذا الأساس بل ويكون البعض مستعدا لكي يقاتل في سبيل تشكيل دولته المجهرية كما هو حاصل الآن في كردستان العراق حيث نجح منافقوا الكرد العلمانيون من الدفع بقومهم في مقدمة الأمريكان لكي يقفوا ضد إخوانهم في الدين وما ذلك إلا للوعود بغنائم الدولة الكردية التي لن تكون أكثر من إحدى كانتونات البوسنة التي أنشأتها أمريكا (وقد كتبت هذه الكلمات بتاريخ 2003/3/6 أي قبل انتصار أمريكا الشكلي على البعث المتحطم أصلا) ، والأخطر في هذا الموضوع هو قبول بعض الإسلاميين بالالتحاق بهذا المسلسل النفاقي الجديد والمهدد للمشروع الإسلامي كحكام تركيا الجدد والذين تم تحريك أكثر من ملف جامد في عهدهم الجديد حتى تختبر قابليتهم للبلع فتم تعويم ملف قبرص لفرض السيطرة النصرانية عليها واستخدموا كطعم لقبول تركيا ضرب العراق والقادم أسوأ.

- أن ينجح منافقوا العالم الإسلامي من المفكرين والمحللين بإقناع الأمة أن ما يحدث من تطورات في المجتمع النصراني الغربي ما هو إلا سحابة صيف وسوف يعود الأمريكان والإنجليز إلى رشدهم وإنصافهم وهيئة أممهم يتحاكمون إلى ديموقراطيتها العتيدة، وأن الأصل في المجتمع الغربي الديموقراطية والقيم الحضارية وأن المتدينين من اليمين المسيحي ما هم إلا سحابة صيف وأن على المسلمين أن يعملوا للتأثير على القرار الأمريكي كما فعل اليهود!
- أن لا يحسن قادة المشروع الإسلامي قراءة المشروع الصليبي الجديد بقيادة أمريكا في بلاد المسلمين والحرب الطويلة المدى التي أعلنها بوش فلا يعدون لمواجهة هذا المشروع كما أمرهم ربهم ويختلفون حول إستراتيجية التعامل مع ذلك المشروع.
- انتشار القناعات الكبيرة في الأمة بتفسير وتأويل معين لأحاديث الفتن يسقط تلك الأحاديث حتما على أحوال الأمة الحالية أو يلغي أية نهضة مرتقبة في الأمة على أساس أن الزمن هو زمن فتن واقتراب الساعة وانتظار المهدي فيترك المسلمون الأرض للنصارى واليهود يلعبون فيها وهم يتفرجون، والعجيب أنه في الوقت الذي غادر فيه الشيعة انغلاقهم التاريخي وأعلن الخميني مقولته المشهورة وهي ولاية الفقيه فنبذوا انتظار المهدي وإمام الزمان وأقبلوا يصيغون دولتهم ويوسعون من أدوارهم في وسط بحر أهل السنة يأتي أهل السنة لكي ينتظروا المهدي؟ ولا يعني هذا والعياذ بالله إنكار الصحيح في باب الفتن لكننا مأمورون شرعا بالدعوة والجهاد حتى نلقى الله عز وجل.

● ساحة التهديد الرابعة: الوضع الدولي وحراك الأمم

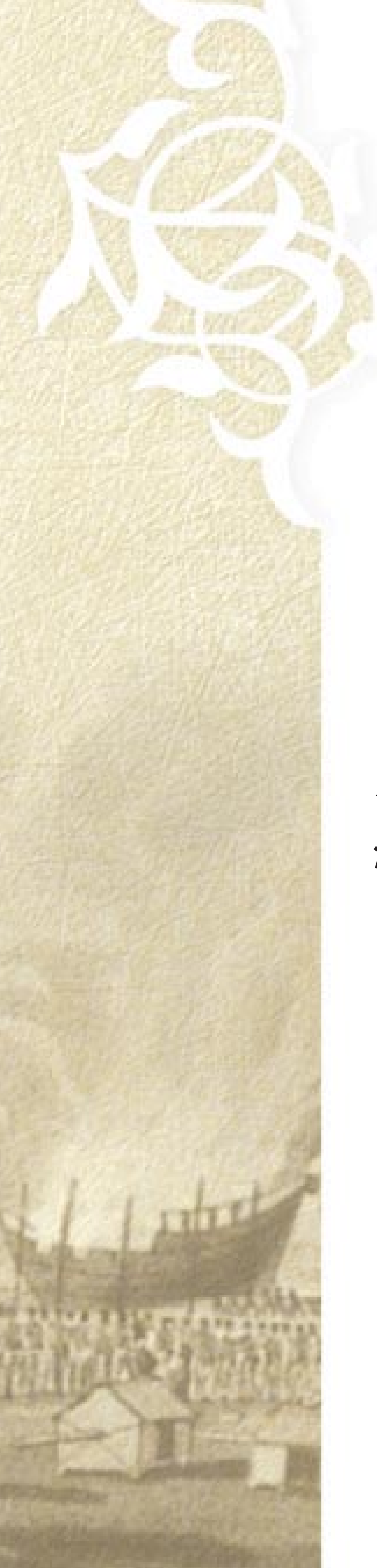
ويتمثل التهديد في هذه الساحة بمجموعة من المعطيات وهي كما يلي:

- أن ينجح الأمريكان في استثمار واستغلال ساحة الأمة الإسلامية واتخاذها ميدانا لتدشين إمبراطوريتهم العالمية فهم من جهة يؤدبون بقية الأمم بسحق هذه الأمة المسحوقة أصلا وهم من جهة أخرى يواصلون دور أجدادهم الروم الذين أوصوهم بعدم التوقف عن الغزوات الصليبية لديار المسلمين.
- أن ينجح الأمريكان في استغلال المعادلة المتشكلة في بلاد المسلمين والتي تتسم بالفوضى التي تعم بلادهم وقرب حدوث انهيارات نتيجة لسوء أداء النظم السياسية ولتخلف الأداء الاقتصادي فيها فيأتي الأمريكان كمحررين ورافعي لواء الديموقراطية فتنطلي هذه الدعاية على شعوب المسلمين، وعليه فإن الديموقراطية الأمريكية والمشروطة تصبح أكبر مهدد لنهضة الأمة المسلمة ولمسيرة المشروع الإسلامي حيث إنها في حال تطبيقها تصبح مرجعا لا بد أن يلتزم الجميع به ومنهم الإسلاميون فتحل الديموقراطية محل الشريعة والدين ويلتهي العرب والمسلمون بإعادة اختراع العجلة فكأنهم لم يعيشوا تجارب أربعة عقود أو يزيد من القرن العشرين.
- أن ينجح الأمريكان وباستغلال نظم العولمة في فرض شروطهم ونظمهم الاقتصادية على بلاد المسلمين وقد كانوا كذلك من قبل لكن الآتي أشد فتكا وهيمنة.
- أن يستثمر الأمريكان حاجة المسلمين لاستغلال ثرواتهم والتي لا يملكون الوسائل الحديثة ولا البنى التحتية لاستخراجها خاصة تلك التي اكتشفت حديثا في آسيا الوسطى وغيرها فيعطي المسلمون قيادهم لأمريكا وللنظم الموالية لها في بلادهم بتلك الحجة فتتم سرقة ثرواتهم برضاهم وبإقرارهم.
- أن ينجح الأمريكان والنصارى في تمرير الكذبة الكبرى في التاريخ والتي ملخصها شلل المجتمع الأمريكي أمام الهيمنة اليهودية وبالتالي تبرئة ذلك المجتمع من دماء المسلمين بل وفصل الحكومة الأمريكية عن المجتمع الأمريكي ثم تجزئة الاستراتيجية الأمريكية على حكومات متعاقبة متنافسة حتى إذا سقطت حكومة حملت أوزارها وذهبت وتهيأ المسلمون للحكومة الجديدة البريئة.
- أن ينجح أطراف ما يسمى بالمجتمع الدولي الذي بات كسيحا أمام الإمبراطورية الأمريكية في تسويق مقولات وكذب مرحلة الحرب الباردة عبر الأمم المتحدة والتي لا تسوق إلا في أسواق المسلمين الخائبة فتقعد وفود المسلمين على أبواب الأمم المتحدة تنتظر الحلول، بينما كل الأطراف والذين باتت أمريكا تسميهم (تجمع الراغبين) يودون أن

ينالوا نصيبا ما من ثروات المسلمين شرقا كانوا أم غربا.

- أن ينجح الإرهاب الأمريكي في الإيقاع النفسي بالمسلمين ويبلغ مداه في عقولهم ونفوسهم فيتخلوا عن المجاهدين من أبنائهم ثم يتخلوا عن أراضيهم وحرماتهم ثم يتخلوا حتى عن أعراضهم وأبنائهم وبناتهم بحجة أن أمريكا هي التي ينبغي أن تربيهم وتعلمهم حتى لا يقعوا فرائس في أيدي الإرهابيين من المسلمين.
- أن ينجح أساطين المشروع الصليبي في استثمار أدوات العولمة في التأثير الاجتماعي والتربوي على المسلمين فيعيدوا تصميم النظم التعليمية وفق رؤاهم وأن يهدموا أسس الأسرة المسلمة عبر القوانين وغيرها وأن ينشروا المجموعات والبرامج المفسدة في شباب الأمة من فتح باب اختلاط الرجال بالنساء ومن تشجيع الشواذ وعبدة الشيطان وإدمان المخدرات وغيرها.
- أن ينجح اليهود والأمريكان وعبر قنواتهم الاستخباراتية في العالم الإسلامي باتجاه خلط أوراق الجهاد الواضح الذي لا غبار عليه كالجهاد في فلسطين وغيرها بالممارسات المشتبهة والاستهداف الظاهري لوجود الكفرة في مجتمعات المسلمين أو استهداف المجتمعات المدنية في بلاد الكفرة مما يؤدي إلى استثمار مباشر لأعداء المسلمين وتوظيف هذا النوع من الأداء الذي يمكن أن تسهم فيه أجهزة الاستخبارات نفسها فيه أحيانا وتلصقه بالمسلمين فيؤدي ذلك إلى رفض كلي للمسيرة الجهادية كما حصل مؤخرا من تفجيرات في السعودية وفي المغرب في شهر مايو 2003م.
- أن ينجح أساطين المشروع الصليبي في إعادة صياغة وتشكيل جزيرة العرب مهد الإسلام وقلب المسلمين من خلال عدة محاور خطيرة أهمها التأثير الثقافي والأخلاقي واختراق قلب الجزيرة من أطرافها خاصة تلك التي مهد فيها المبشرون لهذا التأثير منذ منتصف القرن العشرين الميلادي حتى أحاط الصليبيون جزيرة العرب بالملاهي والخمور والمخدرات والزنا من أغلب جوانبها كما عملوا لإحداث تحول سكاني (ديموغرافي) في بعض أطرافها.
- أن ينجح أساطين المشروع الصليبي في استثمار الأقليات المذهبية والعرقية في تفجير المجتمعات المسلمة من الداخل عبر استخدام السياسات المختلفة من منح الحقوق ونزعها ومن إعادة تصميم الدول الإسلامية وبث الأيدي الاستخباراتية الخبيثة لإشعال الفتن وكما صممت أمريكا حكومتها العميلة الأخيرة في العراق بطريقة تجعل التركيبة الدينية والعرقية في ذلك البلد مستفزة على الدوام وكما هو الحال في إقليم آتشه في إندونيسيا والامثلة كثيرة.





الفصل السابع

فرص المشروع الإسلامي ونقاط قوته

المفردات:

- **أولا: مسار فرص المشروع ونقاط قوته في الأمة المسلمة**
- **ثانيا: مسار فرص المشروع ونقاط قوته في أمم الكفر وتدافعها**



إن الفرص المتاحة للمشروع الإسلامي ونقاط قوته لتتولد من عدة مسارات متقاطعة حتى تتشكل معادلة أو عدة معادلات يمكن تمييزها في الزمان والمكان والتي بدورها تتيح تحركا للمشروع وتقدما باتجاه التمكين الذي وعد الله به المؤمنين، وما تلك التقاطعات في المسارات المختلفة إلا تحقيقا لسنة الله تعالى في التدافع فمن خلال التدافع تتشكل الفرص التي لم تكن لتحدث لولاه: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:40) وأورد الطبري عن ابن جُرَيج في تفسير الآية قوله: وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ دفع المشركين بالمسلمين، كما نقل عن ابن زيد، في قوله: وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ قال: لولا القتال والجهاد. (انتهى)

ومن أهم المسارات التي تتقاطع لتشكل فرص التقدم في معادلة التدافع هي مسار الأمة المسلمة والتحولات التي تجري فيها ثم مسارات أمم الكفر والتحولات التي تجري فيها ومن أدلة ذلك الكثيرة والمبثوثة في القرآن الكريم قوله عز وجل: ﴿الم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم:1-5) وسنجد في هذه الآيات دلالة على ما تقدم ومنها أن تدافع الأمم الكافرة له علاقة بمسيرة التمكين في الأمة المسلمة ومن هنا ترتب الفرح بانتصار الروم في ذلك الوقت على فارس وهو الفرح الذي من ضمن وجوه تفسيره كما أورده القرطبي نقلا عن ابن عطية قوله: ويشبه أن يعلّل ذلك بما يقتضيه النظر من محبة أن يغلب العدوّ الأصغر لأنه أيسر مؤونة، ومتى غلب الأكبر كثر الخوف منه؛ فتأمل هذا المعنى، مع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجّاه من ظهور دينه وشَرْعِ الله الذي بعثه به وغلبته على الأمم، وإرادة كفار مكة أن يرميه الله بملِك يستأصله ويريحهم منه. (انتهى النقل من القرطبي)

إن المشروع الإسلامي المعاصر ومنذ أن بدأ يتحرك باتجاه التمكين قد انكسرت بين يديه دول عظمى وتحركت أمامه معادلة التدافع بين الأمم وكان من أوضح أشكال ذلك التدافع انكسار النظام الدولي عام 1990والذي أسهم فيه المسلمون إسهاما مباشرا عبر الجهاد في أفغانستان كما أن واقع الأمة المسلمة قد تزحزح عن مواقعه الأولى كثيرا منذ أن وُضعَ نصف الأمة تحت الوصاية النصرانية من جهة ووُضعَ النصف الآخر تحت الوصاية الشيوعية من جهة أخرى، وفي هذا الفصل سأحاول بإذن الله القدير أن أعرض للفرص ونقاط القوة في مسارين أما المسار الأول فهو مسار فرص المشروع ونقاط قوته في الأمة المسلمة وأما المسار الثاني فهو مسار فرص المشروع ونقاط قوته في أمم الكفر وتدافعها.

● أولا: مسار فرص المشروع ونقاط قوته في الأمة المسلمة

- إن من أول الفرص السانحة في الأمة المسلمة مستوى التحفز والقناعات التي ترسخت لدى أجيال الأمة الحالية بأنه لا يوجد من يرعى مصالح هذه الأمة أو يمثلها أو يدفع عنها الأذى وأن النظم السياسية لم تعد قادرة أبدا على تمثيل الأمة وطموحاتها كما أن النظام السياسي العالمي لا توجد فيه أية مساحة للمسلمين فهو من تفصيل الكفرة ويعمل لصالحهم على الدوام، وقد اختبرت الأمة المسلمة النظام السياسي العلماني بين ظهرانيها على اختلاف مسمياته وكذا اختبرت النظام السياسي الدولي بما فيه الكفاية، ومن أهم القناعات التي تولدت في الأمة ضرورة رفع راية الجهاد لاسترجاع ما ضاع ولكن الخلاف إنما يكمن في الكيفية لا في المبدأ.
- ومن الفرص أن التجارب السياسية والجهادية التي خاضها المسلمون خلال العقود الثلاثة من القرن المنصرم قد أسهمت في تشكيل الوعي والعقلية المشتركة للمسلمين خاصة وأن تلك التجارب قد جاءت في ظل العولمة التي أتاحت رؤية جماعية للأحداث وإن جرت في أطراف الأرض وبغض النظر عن النجاح والفشل الظاهري لتلك التجارب فهي قد صهرت العقلية والعاطفة المسلمة بشكل جيد.
- ومن الفرص سقوط كل الحواجز التي كانت تمنع من تواصل المسلمين في أنحاء الأرض فقد خرج أهل تركستان الشرقية بعد طول إغلاق وخرج الشيشان بعد أن تم تشتيتهم وراء الأفق وخرج أهل الصحراء الكبرى التي تشترك كثير من الدول الإفريقية فيها وخرج أهل إرتريا من أسر النصارى والشيوعية معا وخرج أهل مقدونيا وكوسوفا والبوسنة وغيرها من عالم منسي، خرجوا لكي يبصروا الحقائق بأم أعينهم ولكي يعاينوا حالهم وأحوال إخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها ومن عجيب صنع اللطيف الخبير أن شكل تفجّر قضايا المسلمين المعاصرة أعلاما مضيئة تعرّف بها المسلمون في المشارق والمغارب على أوصال أمتهم ومزَقها.
- ومن أهم الفرص ونقاط القوة التي يتغاير فيها المسلمون عن بقية الأمم هو فقرهم والتصاق أيديهم بالتراب! وكيف يكون الفقر قوة؟ هذا ما فهمناه عن رسولنا صلى الله عليه وسلم فقد ورد عنه في جزء من حديث عمرَو بن عوف قوله:..... فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسطَ عليكم الدُّنيا كما بُسِطَت على من كاَن قبلكم، فتَنافسوها كما تَنافسوها، وتُهلككم كما أهلكَتهم.رواه البخاري. فيفهم من الحديث أن الفقر لا يمكن أن يكون لوحده العقبة التي يمكن أن تعيق نهضة الأمة بل إن المعوق الحقيقي سوف يكون الغنى لخطورة آثاره وما يترتب عليه من ترف وترك للجهاد، كما

يمكن أن يكون الفقر قوة من وجوه كثيرة ومن أهم تلك الوجوه هو استعصاء البيئة الإسلامية على تطويع الكفرة وعبر آلياتهم القديمة والجديدة والتي منها العولمة التي تستهدف نشر الفساد والسيطرة على التعليم الحديث ونشر سلاسل مطاعم البيتزا والكنتاكي ونشر سلاسل السينمات وتخدير الشعوب بوهم التنمية الاقتصادية وما أشبه وبالنظر إلى واقع المسلمين فإن البيئات الفقيرة التي هم عليها وهي غالبية البيئات المسلمة فقد بقيت مستعصية على هذا النوع من التطويع بينما وجدنا العولمة والتغريب يعمل عمله في أبناء الأغنياء من المسلمين حتى غدا بعضهم مسخا في الروح والشكل.

- ومن الفرص بقاء أغلب إذا لم يكن كل الحركات والجماعات الإسلامية خارج نطاق منظومة الحكم في العالم الإسلامي مما يتيح لها أمرين إيجابيين أما الأول فهو خروجها من دائرة الضغوط الرسمية التي يمارسها النظام الدولي الصليبي ومفرداته على الأنظمة الذليلة وعليه فهي أي الجماعات الإسلامية ليست ملزمة بالنظام العالمي ولا بمخرجاته التي لم تراع المسلمين يوما كما أن الحركات الإسلامية بتموضعها الشعبي في الأمة تحرم العدو الأول وهم الأمريكان من تفوقهم الكاسح في مجال الهيمنة العسكرية، كما أنها حرة مرنة طليقة قد فتحت لها كل الخيارات وفي كل الاتجاهات وهي كذلك لا تتحمل نتائج الفساد الاقتصادي والسياسي الذي رعته النظم السياسية دهرا وبموافقة غربية وشرقية.
- ومن الفرص خضوع نسبة ليست بالهينة من المسلمين في العالم لمعطيات الهجرة التي يصنع الله عباده من خلالها صناعة خاصة فدور الهجرة أنها تحرر أولئك المهاجرين من ضغوط الأوطان وثقل الاستقرار والتعلق بالتنمية ويؤهلها لمتطلبات النهضة القادمة: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل:41) وقد أورد القرطبي في تفسير قوله تعالى (في الدنيا حسنة) قال: النصر على عدوّهم؛ قاله الضحاك.(انتهى)
- ومن الفرص تزايد أعداد البشر الذين يدخلون في دين الله أفواجا من الأمم الأخرى ودون استثناء بين الشعوب فمن جزر اليابان إلى الصين إلى قرى التاميل في الهند إلى أدغال إفريقيا إلى أوروبا إلى أمريكا الشمالية ثم الجنوبية فمن كل هذه المواقع والأمم هناك من يلتحق يوميا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم حتى ليكاد أقوى الجيوش كما يوصف في العالم وهو الجيش الأمريكي أن يرتعب من أبناء جلدته من الأمريكان المسلمين فلا يعرف ماذا يفعل بهم بل تشير بعض التقارير إلى دخول بعض الأفراد من الجيش الأمريكي إلى الإسلام في العراق بعد احتلاله وهذا ليس بغريب على الإسلام فكم تابعه من غزاة أرادوا محقه من الوجود.

- ومن الفرص احتفاظ المسلمين بأحسن وأجمل صور الترابط والتكامل الأسري والتي يكاد الكفرة يموتون منها حسدا حتى سعوا بكل ما أوتوا لاختراق هذا الحصن المتين فلم يتمكنوا بعد أن وظفوا في سبيل ذلك قوانين الأحوال الشخصية والتي قبلت أغلب نظم المسلمين السياسية باختراقها كما استخدموا المنظمات الدولية لكن دون جدوى.
- ومن الفرص تميز المسلمين بأفضل نمو سكاني بين الأمم سواء من حيث ارتفاع نسبة الإنجاب فلا توجد أسرة تشابه أسر المسلمين وكذلك من حيث نسبة الفتوة والشباب في مجتمعات المسلمين.
- ومن الفرص تمتع أراضي المسلمين بأغنى المواقع في العالم من حيث الثروات بكل أنواعها وأشكالها ومستقبلها مما يجعل المسلمين في قلب الصراع الدولي ويتيح لهم أن يسهموا في صناعة التاريخ من أوسع أبوابه.
- ومن الفرص أن التنوع الجغرافي وحساسية المواقع العالمية التي تقع عليها بلاد المسلمين من حيث الاقتصاد والاستراتيجية وغيرها لتعطي أبناء الأمة قدرة على التحرك واستثمار هذا التنوع فجنوب شرق آسيا يعج بالمسلمين وبالمواقع الحساسة وكذلك شبه القارة الهندية ثم آسيا الوسطى ثم بلاد القوقاز ثم الجزيرة العربية والتي تتحكم أطرافها في ثلاث مضائق بحرية عالمية يمر بها وقود الدنيا يوميا إلى أن يصل إلى الغرب والشرق.
- ومن الفرص التنوع الشعوبي للأمة المسلمة وتنوع الطاقات والقدرات البشرية التي تتمتلكها تلك الشعوب والتي تعطي للمشروع الإسلامي فرص عالمية واستثنائية لخدمة مسارات المشروع ومرحلته الحالية التي تحتاج إلى نقلة نوعية في ظل التحديات العالمية والإقليمية التي يواجهها ولعل من أهم ما يحتاجه المشروع في بعده النظري استثمار الطاقات العلمية الرائدة في كل مواقع الأمة الجغرافية من الناحية الشرعية والناحية السياسية والناحية التخطيطية الاستراتيجية.
- ومن الفرص القوة التي تمثلها الحركات الإسلامية في الأمة من حيث منافستها على تمثيل المرجعية الشرعية للأمة وفرصة استحواذها على الفتيا في المستقبل خاصة بعد اهتزاز مصداقية المراجع الشرعية المربوطة بالنظم السياسية.
- ومن الفرص نمو أهم العوامل الموحدة للأمة المتمثلة في المرجعية السنية والتي كادت تتلاشى خلال القرن العشرين حيث أدركت الأمة أن أهم ما يربط بينها هي كون الأمة أغلبية سنية واعتبار ذلك أرضية مشتركة يقف عليها مسلموا العالم وتراجع عوامل التفريق السابقة بينهم كالمذاهب الفقهية والعوامل القومية وإن كان ذلك التراجع بدرجة محدودة مما يقتضي استمرار المعالجة، ومن عجب أن مما ساهم في خدمة عامل

المرجعية السنية في الأمة هو ظهور الشيعة الحديث وتمكنهم من الدولة ومحاولاتهم المستميتة لتصدير مذهبهم إلى السنة في العالم فخاب برنامجهم فكان لذلك أثره العكسي في أوساط المسلمين.

- ومن الفرص تموضع المسلمين في مجتمعات الكفر خاصة أوروبا وأمريكا مما أتاح اقترابا مباشرا من تلك المجتمعات وحرم قادة المشروع الصليبي المعاصر من ميزات النقاء والانغلاق فكان بحق غزو بلا سلاح ولا رصاص.
- ومن الفرص امتداد التجارب العسكرية في المسلمين وقرب أصابعهم من الزناد في مواضع مختلفة من العالم ففي الفلبين وفي الباكستان وفي أفغانستان وطاجيكستان والشيشان والبلقان واليمن والعراق وإيران وفلسطين والجزائر والسودان والصومال والتحق بتلك المناطق مزع من صعاليك الجزيرة العربية وعموم البلاد العربية وغيرها فتعلموا الصنعة وأتقنوها وعليه فإن علم هؤلاء وخبراتهم كلها رهن مستقبل المسلمين.
- ومن الفرص انتشار الجهود العلمية والدعوية والخيرية في الأمة المسلمة ومن ذلك ترجمة تفسير القرآن الكريم إلى لغات يترجم إليها للمرة الأولى كاللغة الروسية والتاميلية وغيرها، مما يبشر بوحدة فكرية وقدرة على التواصل والتفاهم بين أطراف الأمة وزيادة تأثير في الأمم المجاورة لها.
- ومن الفرص إمكانية تحول التنوع في الجماعات الإسلامية على مستوى الأمة إلى تعددية تكاملية تخدم المشروع الإسلامي وتدفع به إلى مراحله المتقدمة خاصة مع عدم تحقق اصطراع عسكري بين تلك الجماعات عدا بعض التنافس السياسي.
- ومن الفرص الأمل الكبير الذي مثلته حفنة محدودة من مجاهدي الأمة في فلسطين والتفاف الشعب الفلسطيني الأعزل حولهم برغم مواجهتهم لأحد أخطر الجيوش في العالم تجهيزا وعتادا والذي بذل النصارى الغالي والنفيس في سبيل تجهيزه وإعداده قديما وحديثا فتمكن المجاهدون من إسقاط الأسطورة التي عمرت قرابة نصف قرن، ولعل من أهم ما ترتب على قيام المجاهدين في فلسطين بهذه الخطوات المباركة هو إحياؤهم للطائفة المنصورة التي ورد ذكرها في الصحيح حيث يرتبط ذكرها ببيت المقدس.
- ومن الفرص انتشار حب الشهادة والجهاد في أوساط المسلمين وفي كل بقاعهم دون استثناء وبشكل لم يسبق له مثيل منذ سقوط الخلافة الإسلامية.

• ثانيا: مسار فرص المشروع ونقاط قوته في أمم الكفر وتدافعها

- إن من الفرص المتاحة للمشروع الإسلامي والكامنة في ساحات أمم الكفر العامل الاستفزازي الدائم الذي يمثله اليهود للمسلمين وبقاء المقدسات تحت أيديهم خاصة في ظل تقديم المجتمع الإسرائيلي للمتدينين اليهود لتولي زمام الحكم فيهم والذين لا يفترقون عن علمانييهم إلا في نقص المكر والدهاء حيث يتفوق العلمانيون من اليهود بمكرهم ودهائهم كمجرمهم شيمون بيريز، وفي ظل التوجه الدائم والمصر على عملية المساس بالمسجد الأقصى والمرشحة لوضعها قيد التنفيذ في ظل الهيمنة الأمريكية العسكرية على قلب المنطقة الإسلامية وهي الجزيرة العربية وأطرافها خاصة بعد غزو العراق.
- ومن الفرص العامل الاستفزازي الجديد والمتمثل في إقدام الأمريكان على تنصيب أنفسهم مرجعية للدنيا من خلال استضعاف المسلمين والسيطرة على خيرات بلادهم والقيام بذلك بشكل مباشر وعسكري وهو عامل أضيف للمعادلة الرمادية في عالم المسلمين فجعلها منيرة بينة.
- ومن الفرص التناقض الكبير الذي ظهر على سطح الأرض بين من يسمون بالقوى العظمى الكفرية والتي كانت تتقاسم الأرض فيما بينها ورغبة الأمريكان العارمة بالاستفراد بالقيادة دونهم وإملاء شروطهم عليهم وعدم الاكتفاء بكونهم إحدى القوى التي تملك حق النقض الفيتو في مجلس الأمن وما سوف يترتب على هذا التناقض من صراع وتدافع يمكن المسلمين من أن ينفذوا من خلاله خاصة وأن هذا التناقض مرشح لأن يستمر فترة طويلة من الزمن وسيشمل الصراع الحكومات والشعوب التي سيضيق عليها الخناق كثيرا في ظل خيار واحد هو الامبراطور الأمريكي. وقد يقول مسلم: أفلا تخشى أن يستثمر الكفرة هذا القول فيوحدوا صفوفهم من جديد؟ فأقول بأن اختلافهم واتفاقهم ليس بأيديهم بل هو بيد الذي خلقهم فهو الذي يخالف بين قلوبهم وأنهم محكومون بسننه عز وجل وهذا أوان تناطحهم خاصة وأنهم قد أفسدوا كثيرا في الأرض باتفاقهم ولفترة طويلة وهي مرحلة الحرب الباردة ولم تدع لهم أمريكا فرصة للاتفاق المتوازن: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة:251).
- ومن الفرص إمكانية انفراط الحلف غير المقدس بين اليهود والبروتستانت من النصارى على وجه الخصوص خاصة مع تزايد كلفة المشروع اليهودي على الأمريكان ولكن هذه

الكلفة تحتاج من المسلمين أن يرفعوا نسبتها حتى ينفرط الحلف.

- ومن الفرص صعود نجم المتدينين في مجتمعات الكفر خاصة النصارى واليهود والهندوس والصراع الذي سينجم بينهم وبين العلمانيين من تلك المجتمعات التي تلتقي في الخلفيات الاستراتيجية وتختلف حول خطورة الطرح الديني الواضح والذي سيشعل الحرب الدينية في الأرض كلها.
- ومن الفرص التحالف الأمريكي اليهودي ثم الإنجليزي ومحاولة هذا التحالف فرض الهيمنة المباشرة على بلاد المسلمين والجزيرة العربية خاصة دون دخول بقية الأمم الكافرة ضمن هذا التحالف مما يعطي المسلمين فرصة تاريخية لاستهداف الأمريكان واليهود والإنجليز مع إمكانية إبقاء الآخرين على الحياد أو التردد خاصة إذا أثبت المسلمون كفاءة في استثمار هذه الفرصة وفي ظل رغبة بقية النصارى والكفرة في إضعاف الأمريكان لعل ذلك يخفف من انفرادهم بالسلطة العالمية.
- ومن الفرص الرغبة العارمة التي تهيمن على الأمريكان لفرض خارطة سياسية جديدة على واقع المسلمين والعرب على وجه الخصوص وما سينتج عن ذلك من فوضى عارمة وانكسارات كثيرة.
- ومن الفرص محاولات الأمريكان المستميتة للهيمنة على الثروات في آسيا الوسطى مما يهدد بإشعال حرب إقليمية قد تتطور إلى عالمية مما سيمكن المسلمين من الانعتاق من كثير من النظم والهيمنة العالمية والإقليمية بشرط الاستعداد لتلك المتغيرات ودراسة اتجاهاتها وإعداد الجيل القادر على استيعابها والتعامل معها.
- ومن الفرص الهيمنة الأمريكية المتعاظمة على ثروات العالم من البترول على وجه الخصوص مما يهدد بحرب اقتصادية قد تعقبها حرب عسكرية بين دول العالم، ولعل هذا سوف يتضح من خلال هيمنة أمريكا على بترول العراق وسرقته والدنيا تشاهد بالإضافة إلى هيمنتها السابقة على بترول الخليج والجزيرة.
- ومن الفرص التهديد الشديد الذي تتعرض أمم الكفر إليه في المجال الصحي مع انتشار طاعون العصر وهو الإيدز والذي تشير التوقعات العلمية بأنه بات يهدد تلك الأمم تهديدا جذريا وهو مرشح لأن يضرب خلال العقد الأول والثاني من القرن الميلادي الجديد في كل من أوروبا الشرقية وروسيا ثم الصين البوذية الشيوعية ثم الهند الهندوسية والتي لن تجد ملاذا ولا منقذا إلا في الإسلام ونظامه الأخلاقي والاجتماعي مما يرشح المسلمين للعب دور دعوي عالمي أقوى من الدور الذي لعبوه من قبل.
- ومن الفرص التهديد الشديد الذي تمثله العنجهية الأمريكية للقيم التي سادت العالم في النصف الثاني من القرن العشرين أي مرحلة الحرب الباردة إذ تعودت البشرية على أداء

محدد من انفتاحها على بعضها البعض وتواصلها حيث استفادت شعوب العالم وبمقادير مختلفة من تلك المرحلة وعليه فإن القيم الجديدة التي تحاول أمريكا أن تسوقها في العالم والتي تنذر بالحروب وإلغاء القوانين المنفتحة إضافة إلى التهديد الاقتصادي الذي تمثله أمريكا لبقية الأمم سوف يؤدي بل هو متحقق حاليا إلى سعة مساحات العداء العالمية ضد أمريكا مما يجعل الفرصة مواتية للمسلمين لكي يتولوا مقدمة المقاومة لإمبراطورية الشر العالمية المستجدة والالتقاء مع بقية الأمم على ذلك.

- ومن الفرص صور التهديد المفروضة على المسلمين من قبل أنظمة الحكم الكافرة على مستوى الأرض كلها والتي أخذت شكلا نمطيا طوال القرن العشرين وختم القرن بأبشع صور ذلك التهديد لتعطي للمسلمين فرصة أمام شعوب العالم لتبيين مدى الظلم الذي تتعرض له الأمة المسلمة ومدى عدالة قضاياها في المشرق والمغرب ولعل مثال أفغانستان ثم العراق تعبر بوضوح عن هذا الأمر مما يقتضي تعاملا مع هذه التطورات ضمن استراتيجية شاملة لا ضمن معطيات الواقع الذي فرضه الأمريكان والذي يبحث البعض فيه عن فرص ضائعة.





الفصل الثامن

آفاق الرؤية التجديدية للمشروع الإسلامي

المفردات:

- أولا: نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري
- ثانيا: بين يدي الرؤية
- ثالثا: آفاق الرؤية في المشروع الإسلامي

ويأتي هذا الفصل كلباب للكتاب بل واسطة عقده التي أسأل الله عز وجل أن يهديني فيه إلى أحسن الأقوال والأعمال إنه لا يهدي لأحسنها إلا هو.

كما تأتي عملية استخلاص المؤشرات العامة هذه كأعقد المهام للتعامل مع تاريخ المسلمين المعاصر والذي تناوشته الأفهام والأحلام والتجارب الميدانية المعاصرة فذهبت به كل مذهب فمنهم من ذهب بالمشروع مذهب التبسيط المخل فجعل إمكانية تحقيق نهضة معاصرة للمسلمين إنما تكمن في ثنايا الذكر والعبادة وحدها أو في ثنايا علم بارد مهما كان فضل ذلك العلم وأدار أصحاب هذا التبسيط ظهورهم للحياة يعبث بها العابثون شرقا وغربا ومنهم من ذهب بالمشروع مذهب التعقيد المفضي للعجز والاستسلام ففكر وقدر وكان من مذاهب التقدير تلك واقعية ذليلة ودعوة مستسلمة لا ترى بعد هذه النقطة الزمنية من تاريخ المشروع الإسلامي المعاصر مجالا إلا أن يلتحق المسلمون ولو مرحليا بركب المهيمنين على الأرض من الكفرة علَّ سادة الحضارة الغربية أن يقبلوا بوجود المسلمين على موائدهم الديموقراطية فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإني لأرجو الله عز وجل أن لا يحيد هذا الطرح عن الوسطية التي جاء بها هذا الدين وأن يمكنني سبحانه من الإسهام في نصرة دعوة الحق المبين ولو بالكلمة وأن أبقى ملتحقا بركب تلك الدعوة التي سار بها الدعاة والمجاهدون عبر القرون حتى وصلتنا بيضاء مزهرة.

● أولا: نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري

إن استعراض نتائج الدعوة والجهاد لفاتحة القرن الخامس عشر الهجري والتي استغرقت ربعه الأول سوف تعتمد على الخلاصات التي انبثقت من مسارات البحث الأساسية تلك والتي بدأت - لتذكير القارئ الكريم- بتحديد أهداف هذا البحث في المقدمة ثم مناقشة إشكالية المصطلحات المهيمنة على الأداء الإسلامي المعاصر من خلال فصل التمهيد ثم التوقف عند محطات القرن العشرين الميلادي فيما يتعلق بالمشروع الإسلامي والمشاريع الأخرى المنافسة مع التركيز على المشروع الأشد خطورة وهو المشروع الغربي النصراني والذي أدى بدوره إلى غرس المشروع اليهودي في قلب الأمة ثم تأمل محطات المشروع الإسلامي الأهم منذ نشأته ونتائج القرن العشرين على مساره، ثم دراسة واقع الجماعات الإسلامية ومعوقات عملها النظرية والميدانية وتحديد الآمال في تعاونها وتحديد موقعها في المشروع ثم استعراض

النظريات التغيرية التي تم العمل بها في أوساط المسلمين وتقويم لتلك النظريات ثم بسط خارطة الموقف الكلي للمشروع الإسلامي أو ما يعرف بالفجوة في علم التخطيط الاستراتيجي ثم استنتاج أخطر المهددات للمشروع واستنتاج أهم الفرص المتاحة له وبذلك يكون البحث قد وصل إلى المرحلة التي تسمح بإذن الله تعالى باستخلاص نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري تمهيدا لتأمل آفاق الرؤية الإسلامية المتوقعة للمشروع الإسلامي ومن ثم تحديد ملامحه.

وسوف أستعرض تلك النتائج كما يلي:

1- من النتائج الأولى لفاتحة القرن الخامس عشر الهجري سقوط كثير من المسلمات المعتمدة في الرؤية الاستراتيجية لدى قادة المشروع الإسلامي والتي سادت خلال العقدين الأخيرين وهي:

- سقوط مقولة: إمكانية عزل المسار الدعوي عن المسار الجهادي عزلا كليا في واقع المسلمين، وقد نتج سقوط هذه المقولة عن التطور في أداء المشروع وولوجه في مرحلة التدافع كما نتج ذلك السقوط نتيجة لرؤية قادة المشاريع الأخرى من النصارى واليهود فهم يعتبرون المسار الدعوي مكملا للمسار الجهادي وداعما له معنويا وماديا ولذا فهم يسعون لإيقاف المسارين معا وهو الذي يفسر الحرب الشاملة التي أعلنها الأمريكان على الإرهاب ويعنون به نهضة المسلمين المعاصرة دعوية كانت أم جهادية.
- سقوط مقولة: إمكانية عزل وحدات المشروع الإسلامي الأساسية عزلا كليا وهي الوحدات المتشكلة في الأقطار المختلفة وأقصد بالعزل هو أن تسير الدعوة في كل قطر معزولة عن بقية الوحدات في الأقطار الأخرى فتعتمد كل وحدة على مقدراتها وعلى الظروف الداخلية للقطر اعتمادا كليا في محاولة إحداث التحولات الكبرى في مسار الدعوة، وقد نتج عن ذلك العزل تعويقا كبيرا للأداء الدعوي ولمسيرة التغيير الإسلامي فلا الوحدات تمكنت من تحقيق اكتفاء ذاتي في الرؤية أوفي التطبيق ولا هي استعانت بإمكانيات الوحدات الأخرى خاصة في مجال الطاقات البشرية وغيرها من المجالات.
- سقوط مقولة: أو القناعة التي سادت بإمكانية عزل المرجعيات الإسلامية وشتاتها في أوساط أهل السنة عن بعضها البعض والتي تم تنازعها بين مرجعيات شرعية ومرجعيات سياسية وبين مرجعيات قطرية وعالمية وبين مرجعيات خاصة بكل جماعة إسلامية ومرجعيات رسمية فأضحت المرجعية الموحدة أو شبه الموحدة شبحا لا يتوافر لها إجماع ولا آليات إدارية مما هدد المصلحة العليا للأمة تهديدا مباشرا

حيث تغلبت المصالح القطرية ومصالح التجمعات على المصلحة العليا فغدت نهبا للضياع وهذا الذي يفسر الحيرة الشاملة التي تلف الأمة في التعامل مع القضايا الكبرى قديمة كانت أو مستجدة.

- سقوط مقولة: إمكانية بناء المستقبل الدعوي واعتماده على الهامش الذي ينتظر أن تمنحه الأنظمة السياسية القائمة في العالم الإسلامي للحركات الإسلامية باعتبار الاستقلال النسبي والعقلانية في تلك النظم وإمكانية التحرك ضمن الهامش السياسي الذي يمكن أن يتسع ليشمل الجميع ومنهم الإسلاميين حيث ثبت بأن تلك الأنظمة لا تملك من أمرها شيئا من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي.
- سقوط مقولة: إمكانية قيام واستمرار الجماعات الإسلامية بأمر الدعوة حسب منهج كل جماعة دون النظر إلى تأثير وعلاقة عمل كل جماعة على الآخرين وإمكانية عزل مسارات بعض الجماعات عن بعض فضلا عن تعاونها وتقاربها، فقد أدى ذلك العزل إلى اصطراع الجماعات في الميدان الدعوي والتطبيقي كما أدى إلى تفرد الأعداء بكل جماعة متى ما أرادوا وفي أي مكان أرادوا.
- سقوط مقولة: إمكانية الاعتماد على ناتج النظام الدولي السياسي المعاصر من قوانين وحريات وحقوق إنسان وتسامح نسبي في دفع الدعوة الإسلامية إلى آفاقها الكلية سواء كان ذلك الدفع في بلاد الغرب أو في استثمار ميدان الغرب للتأثير على واقع الشرق، فقد ثبت بأن سادة الغرب قد سارعوا إلى إغلاق نوافذ القوانين لما رأوا استفادة الدعوة الإسلامية الواسعة منها وقد خصوا بذلك الإغلاق المسلمين وحدهم.
- سقوط مقولة: انتظار نضج المواقع الأساسية والأقطار الكبرى والتي تشكل ثقلا استراتيجيا بالمعايير السياسية والسكانية والاقتصادية، ومع أهمية هذه المقولة ولكن لا يمكن أخذها بإطلاقها فقد ثبت بأن الانتظار لم يجد نفعا إذ أهملت نتيجة لذلك بقية الفرص الدعوية منها والجهادية وكان قادة الكفر العالمي قد أحكموا إغلاق أبواب تلك المناطق منذ الإطاحة بالخلافة العثمانية، ثم إن سعة الأرض وانفتاح أهلها بعضهم على بعض وكثرة البدائل الجغرافية في العالم الإسلامي لتوجب على الدعاة استثمار هذه الفرص.
- سقوط مقولة: الانتظار المطلق في مسار الدعوة الإسلامية المعاصرة وانتظار الفتح من خارج الدائرة الإسلامية فإن هذه المقولة قد قتلت روح المبادرة في إدارة شؤون الدعوة والجهاد وتركت المبادرات للكفرة والمنافقين.
- سقوط مقولة: ضرورة انتظار قيام دولة إسلامية أو أكثر حتى يمكن البدء بمسار

الجهاد وحتى تكون تلك الدولة ظهرا ومنطلقا للمجاهدين، ومع أهمية هذه المقولة لكن ثبت بأن الكفر لن يسمح بتكرار تجربة صلاح الدين الأيوبي حيث تمكن من اتخاذ مصر مركزا ومنطلقا، كما ثبت بأن كلفة حيازة النظم السياسية كبيرة جدا في ظل الوضع الدولي الحالي وأولى بالدعاة أن يتخففوا من تلك الأحمال ويستثمروا قوتهم في اتجاهات جديدة ومن جهة أخرى فقد أثبت المجاهدون أنه بالإمكان فتح باب الجهاد حتى لو لم تكن هناك دولة.

- سقوط مقولة: انتظار الغرب وضغوطه على حكومات الدول الإسلامية لإجبارها على تطبيق الديموقراطية باعتبار الديموقراطية قدر الدنيا الذي لا مفر منه، فقد ثبت بأن الديموقراطية الغربية لن تسمح بأي حال من الأحوال لنمو إسلامي باتجاه التغيير ولدى أرباب الديموقراطية من الوسائل ما يكفل منع الإسلاميين من تحقيق طموحاتهم والجزائر وتركيا خير دليل فما بالك ببقية مفاحص القطا؟
- سقوط مقولة: المستقبل الوردي ووعود التنمية التي يزخر بها الخطاب الإسلامي تجاه شعوب المسلمين والتأكيد على قدرتهم بحل معضلات الاقتصاد والتنمية والعلاقات الدولية، فإن المعطيات الواقعية وتحكم الكفرة في شؤون العالم تجعل إمكانية القفز إلى هذه الأحلام أمرا مستحيلا وهكذا هي سنن الله عز وجل في تحول المستضعفين فهي مراحل من الشدة والمجاهدة والصبر المتين حتى يفتح الله عز وجل وقد حان الوقت لوضع الأمة أمام الصورة الحقيقية التي تنتظرها وتنتظر الدعاة وهي صورة صعبة وقاسية في ظل متطلبات المنهج الإسلامي باتجاه التمكين وفي ظل العداوة المستحكمة من قبل أمم الكفر للمسلمين.

2- ومن نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري في مسار المشروع الإسلامي تحقق حاجة قادة المشروع إلى تجديد النظر لمعطيات المشروع ومستجداته من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة واستقراء التاريخ الإسلامي لا من خلال مناهج وأدوات التحليل السياسي السائدة والملغمة برؤى الانهزاميين من فلول اليسار والقومية والمتابعين للأمريكان ولا من خلال الموقف الاستضعافي الذي حُبس فيه المشروع ذلك أن الله عز وجل أمر عباده بالبحث عن المخارج: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت:56) فقد أورد الطبري عن مجاهد في قول الله عز وجل (فاعبدون) قال: فهاجروا وجاهدوا.

3- ومن نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري في مسار المشروع الإسلامي تشكل معادلة

تاريخية قد انعقدت شواهدها في هذه اللحظة من تاريخ الأمة المسلمة والعالم وأن مفردات تلك المعادلة هي كالتالي:

- الأمة المسلمة مغيبة تغييبا كاملا عن التوازنات الدولية وما ذلك إلا بما أصابها من انحطاط داخلي وتفرقها وبمكر الأعداء بها وعلى ضوء ذلك فقد تم انتهاك محرماتها على كل الأصعدة.
- المشروع الإسلامي يندفع إلى مواقع هامة من أجندته ومن أدق تلك المواقع تجديد جيل المجاهدين وتجسير العلاقة بين الأمة وقادة المشروع.
- يدرك أساطين الكفر في العالم وعلى رأسهم اليهود بأن التحولات في واقع المسلمين يمكن أن تكون خطيرة على مستقبلهم فقاموا بدمج أهداف مواجهة الخطر الإسلامي في معادلة التحولات العالمية تلك التي تقودها الإمبراطورية الأمريكية.
- ينفرط النظام الدولي وبانفراطه تنفرط عقد النظم التابعة له ومنها النظم السياسية في العالم الإسلامي وتترشح ساحة المسلمين لفوضى عارمة يستثمرها الأمريكان لتوجيه ضربات استباقية خوفا من استثمار الإسلاميين لتلك الفوضى وسعيا لإعادة تشكيل النظم وبسط السيطرة.
- تتأكد شعوب المسلمين بأن إمكاناتها في التعامل مع الأوضاع المستجدة أكبر بكثير من إمكانات النظم السياسية وقد تأكد ذلك من خلال التجربة الفلسطينية والتجربة الصومالية والتجربة الإندونيسية والتجربة العراقية وغيرها، ولكن ينقص الموقف رؤية وقيادة.

4- ومن نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري في مسار المشروع الإسلامي والتي لا تحتاج إلى بحث كثير أن الأمريكان ومستشاريهم من اليهود قد تولوا كبر الاستهداف الكلي والنهائي للدعاة ولقادة التأثير الإسلامي بين المسلمين وإعلان الحرب عليهم، وقد وصفوا تلك الحرب بأنها ستكون طويلة وقاسية وقذرة، وقد أجاز الأمريكان واليهود لأنفسهم في هذه الحرب استخدام كل ما يمكن استخدامه من سلاح مادي أو معنوي في المواجهة حيث يمني الأمريكان أنفسهم ومن خلال الحرب النفسية بالتمكن من تحييد سواد المسلمين الأعظم في هذه الحرب، وتتمثل الاستراتيجية الأمريكية اليهودية المشتركة في العالم الإسلامي بالنقاط التالية:

- القضاء الكلي على بؤر الجهاد والروح الجهادية الصاعدة في العالم الإسلامي تحت مسمى محاربة الإرهاب.
- تضييق الخناق على الدعوة الإسلامية وإلغاء الهوامش التي تشكلت لها في العالم

الإسلامي وفي العالم أجمع تحت مسمى محاربة التطرف.

- كسر بؤرة الجهاد في فلسطين نهائيا.
- توسيع دائرة التحكم اليهودي في العالم الإسلامي خاصة الدول العربية وذلك في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية وغيرها.
- تسويق الإسلام الأمريكي بغية التحكم في مخرجات الأجيال الجديدة.
- التحكم المباشر في التعليم ومدخلاته في العالم الإسلامي.
- تسويق الديموقراطية الأمريكية المشروطة.
- إعادة تشكيل الأوضاع السياسية بما يناسب تلك الاستراتيجية.
- استخدام الوجود العسكري المباشر لتنفيذ تلك الاستراتيجية.
- القضاء النهائي على الاستقلال النسبي في تحكم العرب والمسلمين بثروة البترول.
- استخدام العمليات الأمنية الخفية وتوسيع دائرة العملاء لتحقيق تلك الاستراتيجية.

5- ومن نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري في مسار المشروع الإسلامي الخلل والانكسار الذي لحق بالنظام العالمي واختلاف أركانه وكثرة الفراغات الناجمة عن ذلك الانكسار والتغير الهائل في اتجاهات الصراع ورغبة الأمريكان في كسر كل مخالف لهم وكل متحد لإرادتهم وهذا بدوره قد أدخل الأرض في شبكة جديدة من الصراعات ومنها الصراع المفروض على الأمة المسلمة، ولعل من أهم فوائد هذا التغير في الأرض هو كسر فترة الجمود التي كان يمر بها المشروع الإسلامي.

6- ومن نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري في مسار المشروع الإسلامي أنه قد ثبت بأن كل مسارات الجهاد المعاصرة ومحاولات التمكين في مختلف البلدان قد أسهمت في تشكيل الصورة الكلية التي عليها الدعوة والأمة في وقتنا هذا كالجهاد الأفغاني والتحول الإسلامي في السودان وغيره وأنه لا يمكن الهروب من هذه الصورة أو تزييفها أو تلافي آثارها.

7- ومن نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري في مسار المشروع الإسلامي أن معادلة الصراع في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين قد أوضحت بجلاء أنواع وطبيعة الكتل والتجمعات البشرية الأساسية المتمثلة في ميدان المسلمين ووحدة بواعثها ومحركاتها وهي: كتلة الشعوب وكتلة الحكومات وكتلة الجماعات الإسلامية وكتلة العلمانيين وكتلة الأقليات المناقضة لأغلبية الأمة السنية، وأن أوان الخلط والتماهي بين

هذه الكتل قد ولى إلا ما ينبغي أن يعتمده قادة المشروع لصالح النهضة الإسلامية المعاصرة وعلى أساس شرعي واضح.

8- ومن نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري في مسار المشروع الإسلامي وضوح العزلة والاعتزال لنسبة كبيرة من الدعاة والجماعات الإسلامية عن المشاركة المباشرة في صناعة واقع المسلمين بحجة عدم التدخل في السياسة وبحجة ترك الأمر لأولي الأمر – والذين لم يترك لهم الأمريكان واليهود أمر– مما هدد مسار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير والنصيحة للمسلمين.

9- ومن نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري في مسار المشروع الإسلامي وضوح الموقف الجهادي في فلسطين من حيث حاجته الماسة والملحة إلى فتح أبواب ومسارات جهادية جديدة وقد يكون ذلك في مواقع أخرى مساندة للجهاد في فلسطين خاصة في ظل اعتماد اليهود في المواجهة على معادلة استراتيجية أهم أركانها ضمان النصارى الأمريكان لبقاء دولتهم المسخ مما يجعل المجاهدين في فلسطين يواجهون قوة مباشرة وقوة غير مباشرة ولا يعقل في ظل هذه المعادلة أن تترك الأمة المسلمة المجاهدين وحدهم في الميدان.

10- ومن نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري في مسار المشروع الإسلامي قابلية الدعوة الإسلامية لاستثمار العولمة من ناحية انفتاح الأمم وسهولة تواصلها مما أسهم في انتشار الدعوة وكسرها احتكار الكفرة لأجزاء من الأرض والذي كان متحققا لقرون متطاولة، ولا تزال تلك القابلية في أوج عنفوانها وأثرها ولو جمعت الأمة المسلمة قوة المنهج الذي تحمله إلى طموح دعاتها لتداعت الأمم ودخلت في دين الله أفواجا.

11- ومن نتائج فاتحة القرن الخامس عشر الهجري وضوح عدالة قضايا المسلمين وإدراك نسبة كبيرة من أمم الكفر على اختلافها أن ممارسات قادة تلك الأمم على المسلمين تنطوي على قدر كبير من التجني وعدم الإنصاف ولعل قضية العراق وقبلها فلسطين قد أثبتت هذا التطور العالمي الهام والذي يمكن أن يستثمره المسلمون على أكثر من صعيد.

• ثانيا: بين يدي الرؤية

إن الأمل أو مجموعة الآمال التي ترتسم في أحلام علماء الأمم وأصحاب الرؤى فيها لتحدد شكل المستقبل لتلك الأمم حيث تقوم الأحلام بمهمة رسم معالم الصعود فإذا أبصرت الأجيال تلك المعالم أصرت على المضي مهما كانت التضحيات فيتحقق الحلم ولو بعد حين وقد رزقت الأمة المسلمة في القرن الرابع عشر الهجري من العلماء الذين عملوا على تجديد أحلام الأمة وآمالها وقدموا أرواحهم فداء لذلك التجديد وهم أكثر من أن يحصوا وكان من أجمل ما تحقق من تلك الرؤى صناعة جيل النهضة وسيره الجاد نحو الآمال حتى تمكن من تتويج تلك المسيرة بأداء علمي ودعوي وجهادي غطى جنبات الأمة كلها وما على الجيل الحالي إلا أن يترسم الخطى ثم يضيف من إبداعاته وبصماته ما يقرب الحلم ويجعله واقعا ملموسا، ويحتفظ المسلمون بأقوى الآمال بين الأمم - على ضعفهم الظاهري- وذلك لثلاثة أمور أولها قيام هذا الدين على الأمل ودعوته لأتباعه لكي يطلبوا أجمل وأعلى المنازل في الدنيا والآخرة أما منازل الدنيا فإنها النصر والتمكين وأما منازل الآخرة فإنها الشهادة والفردوس الأعلى وصحبة النبيين، أما الأمر الثاني الذي يخول المسلمين طلب الأمل أكثر من غيرهم فهو أن تاريخ المسلمين منذ بعثة نبيهم صلى الله عليه وسلم ملئ بشواهد نهضة وصمود لم تتحقق لأمة أخرى من حيث الأداء الحضاري والقيمي، وأما الأمر الثالث الذي يخول المسلمين طلب الأمل أكثر من غيرهم فهو أن الله عز وجل أمر المسلمين بمباشرة تغيير الواقع إذا انحرف ذلك الواقع عن مسطرة التمكين حتى يرجعوا إليه لا أن يعدلوا دينهم حتى يتناسب مع الواقع وعليه فإن الأمل عند المسلمين ليس مجرد حلم بل هو واقع يسعون لصناعته مرحلة بعد مرحلة وهو الذي تحقق في تاريخ المسلمين المعاصر فلم تعد رؤية المستقبل للأمة المسلمة طلاسم غير مفهومة وإنما هي آمال يدعمها واقع صنعه المسلمون بأيديهم بعد أن وفقهم الله وأعانهم حتى ظهرت المعجزات في ثنايا مسيرتهم خاصة وأنهم لا يسعون إلى ملك دنيوي كما تسعى الأمم الأخرى بل هي الرحمة الكامنة في الفتح والعدل الكامن في الملك والتواضع الجم الكامن في الظهور: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:83).

ولعلي لا أكثر من ذكر الشواهد في هذا المجال ولكني أركز على توضيح مسألة طالما راودت عقول الدعاة ونفوسهم وشغلت المسلمين في عصرنا هذا وهي: هل مستقبل الأمة مقبل على فتح وتمكين وظهور وخلافة راشدة أم أن المستقبل مقبل على فتن واختلاط وانتظار لعلامات الساعة الكبرى كظهور المهدي وظهور الدجال؟

ويدرك القارئ المسلم بأن الإجابة على هذا السؤال لا تكمن في التنجيم والخزعبلات كما هي عند بعض الأمم وإنما تكمن في ثلاث مساحات للبحث العلمي وهذه المساحات هي:

المساحة الأولى في محاولة فهم مستقبل المسلمين:

من خلال الموجهات الأساسية في القرآن والسنة والتي ترشد المسلمين إلى كيفية التعاطي مع الحياة على أي شكل كانت تلك الحياة نصرا كانت أو هزيمة غلبة أو استضعاف.

المساحة الثانية في محاولة فهم مستقبل المسلمين:

من خلال الأنباء التي وردت عن المستقبل ولم تتحقق بعد في القرآن وما ثبت في صحيح السنة.

المساحة الثالثة في محاولة فهم مستقبل المسلمين:

من خلال مسيرة الدعوة الإسلامية المعاصرة وكيف تعاطى قادة المسلمين الحقيقيون مع الصراع وما الذي تمكنوا من فعله على أرض الواقع.

وسأعرض للمساحات الثلاث بشيء من التلخيص الذي يهدف إلى تقريب الرؤية دون تشتيت وضياع في أودية الظنون.

أما المساحة الأولى وهي الموجهات الأساسية في القرآن والسنة التي ترشد المسلمين إلى المنهج الذي ينبغي عليهم أن يسلكوه في التعاطي مع الحياة وبغض النظر عن شكل تلك الحياة التي هم عليها نصرا كانت أو هزيمة غلبة أو استضعافا فإن المنهج المبثوث في القرآن والسنة من توجيه وعمل منه صلى الله عليه وسلم وممن تابعوه من أعلام الأمة يدل على أنه يحرم على المسلمين أن يوقفوا مسيرة التطبيق الإسلامي والدعوة الإسلامية ومجاهدة الأمم الكافرة ويحرم عليهم التردد في السعي لتثبيت أركان الدين في الأرض مهما كانت معطيات الواقع فإن كانوا غالبين وجب عليهم أن يسلكوا كل المسالك العملية ويستخدموا كل ما تقع عليه أيديهم من آلات البناء والعمل والجهاد لبلوغ الدعوة والدين ما بلغ الليل والنهار وإن كانوا مهزومين مستضعفين وجب عليهم أن يسعوا بكل ما أوتوا من قوة وحيلة شرعية لكي يتجاوزا موقع الاستضعاف الذي هم فيه ساعين نحو التمكين وهو الذي حدث في تاريخ المسلمين منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فكم تقلب المسلمون بين القوة والضعف ولكنهم لم يركنوا أبدا إلى انتظار مهدي ولا يئسوا من إمكانية مصاولة عدو مهما كان شأنه وقوته وكم تعاقبت

شعوب المسلمين على الخلافة فلم يقعد شعب عن فهم هذا المنهج وتطبيقه بل إنهم استلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجهات الإستراتيجية التي وجه إليها الأمة فسعوا إلى فتح فارس والروم بناء على إشاراته صلى الله عليه وسلم ثم سعوا إلى فتح ما وراء النهرين والهند والسند وشمال إفريقيا ثم الأندلس ثم تعاقبت الأجيال فتنافست على فتح القسطنطينية حتى مكن الله محمد الفاتح وجيشه الذي مدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا هدد العثمانيون بعد ذلك أوروبا في عقر دارها، أفيجوز لأمة هذا دينها وهذا شأنها وهذا تاريخها أن تتساءل بعد ذلك ما هو مستقبلها القريب والبعيد وهل يحق لها أن تنتظر المهدي - مع الإيمان به- وقد كتب الله لها عهدا نافذا إلى يوم القيامة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة:21) كما كتب لدينه الظهور على أديان الكفرة كلها: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة:33) أو يليق بأمة هذا دينها أن تقبل وبعد ظهور الكفر في الأرض كنموذج الإمبراطورية البريطانية ونموذج الدولة السوفيتية الهالكة ونموذج الإمبراطورية الأمريكية المتفسخة أن تغلق باب أحلامها ولا تحلم بدولة إسلامية تتجاوز في ظهورها وتمكنها تلك النماذج؟؟

وأما المساحة الثانية في محاولة فهم مستقبل المسلمين: وهي تلك الأنباء التي وردت عن المستقبل ولم تتحقق بعد في القرآن الكريم وما ثبت في صحيح السنة فإنها تنقسم إلى قسمين رئيسين أما القسم الأول فهي الوعود الواردة في القرآن والسنة والتي تحفز المسلمين للعمل والمقاومة وتعد بالظهور ولو بعد حين ومن ذلك الوعد بظهور يهود ثم بهزيمتهم ويلحق بذلك الوعد الوارد في السنة بالظهور على أمم كالروم وفتح بلادهم خاصة روما فإن كل تلك الوعود تصب في اتجاه العمل والجهاد لا الانتظار والقعود، وأما القسم الثاني من تلك الوعود التي يعتقد المسلمون أنها ناجزة بإذن الله تعالى فهي تلك التي تحذر من الفتن وتحذر من قرب يوم القيامة سواء في علاماتها الصغرى أو الكبرى كظهور الدجال وظهور المهدي ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وكل تلك الوعود إنما تدفع بالمسلمين إلى العمل أيضا ولا تعطيهم العذر للقعود والانتظار ولا تبيح لهم ترك الأرض يعيث فيها الكفرة فسادا ولعل من أهم السلبيات التي وقع فيها بعض المعاصرين في التعامل مع علامات الساعة هو تنزيلها على الواقع والجزم بأنها سوف تتحقق في هذا الزمان حتى ذهب بعضهم إلى تحديد الوقت الذي سوف تتحقق فيه وهذا أمر التكلف فيه لا يحتاج إلى إثبات وتكمن خطورته في اقتناع بعض المسلمين بأن الزمان زمان فتنة وأن الواجب هو ترك الميدان والانفضاض من حول الدعاة والمجاهدين والبحث عن المهدي وهذا يتعارض مع ما أوضحناه من حق لا خلاف عليه في المساحة الأولى.

وأما المساحة الثالثة في محاولة فهم مستقبل المسلمين: فهي مسيرة الدعوة الإسلامية المعاصرة وكيف تعاطى قادة المسلمين الحقيقيون مع الصراع وما الذي تمكنوا من فعله على أرض الواقع؟ فإن التاريخ القريب للدعوة الإسلامية المعاصرة والذي تبلور من ناحية الاجتهاد في القرن الرابع عشر الهجري وما تلاه من تطبيقات ميدانية يثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن النصر قادم وأن الأرضية التي تمكن الدعاة - على اختلاف اجتهاداتهم ومواقعهم- من تمهيدها في مختلف بلاد الدنيا وحتى في عقر ديار الكفر لن تضيع هباء وأن الجيل الذي تم إعداده وتربيته والممارسات التي خاضها المسلمون دعوية كانت أو سياسية أو جهادية فإن موعد إثمارها قريب بإذن الواحد القهار ومن تلك الثمار المرتقبة تطور الجهاد ضد اليهود وإجبار الأمريكان على الدخول في ساحات الجهاد ومنها انكشاف النفاق الذي أفسد ساحات الأمة كثيرا ولعقود خلت وتصدع المرحلة الجبرية ومنها توحد القضية الإسلامية حول بيت المقدس وأكناف بيت المقدس بعد أن تفرقت في الاجتهادات والمواقع إلى غير ذلك من الثمار المباركة.

ومن خلال الاستعراض السابق يمكننا أن نقول أن معطيات الدين الإسلامي العظيم العقدية منها والعملية والتاريخ الدعوي المعاصر ليدل دلالة لا تدع مجالا للشك بأن الخلافة الإسلامية الراشدة قادمة بإذن الله تعالى في المدى المنظور وهو فيما تبقى من القرن الخامس عشر الهجري ولعلي أكتفي هنا لدعم ما ذهبت إليه بالإشارة إلى هذين النصين الثابتين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول في صحيح مسلم الذي ورد فيه حدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِك بْنِ عُمَيْر. عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّه فِي غَزْوَة. قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِب. عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوف. فَوَافَوهُ عِنْدَ أَكَمَة. فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللّه قَاعِدٌ، قَال: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ. لاَ يَغْتَا ا لُونَهُ. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ. فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ. قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَات. أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي. قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَب، فَيَفْتَحُهَا اللّهُ. ثُمَّ فَارِسَ، فَيَفْتَحُهَا اللّهُ. ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ، فَيَفْتَحُهَا اللّهُ. وَتَغْزُونَ الدَّجَّالَ، فَيَفْتَحُهُ اللّهُ». قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ لاَ نُرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ (7233) (انتهى) وقد أشار نافع رضي الله عنه إلى أن خروج الدجال لا يكون إلا بعد فتح روما آخر معاقل الصليبية ودلالة الحديث على ذلك واضحة من خلال العطف بثم، ومعلوم بأن من أهم معالم اكتمال فتح الروم هو فتح روما وهو ما لم يتحقق بعد فلا مجال إذن لدفع المسلمين لكي يعتقدوا بأن هذا الزمان زمان ظهور المهدي وخروج الدجال وعلم ذلك عند الله عز وجل.

وأما الشاهد الثاني فهو ما ورد في المسند عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت.

وفي هذا الحديث ما يوضح بجلاء المراحل الأساسية التي مرت على أمة الإسلام منذ بعثته صلى الله عليه وسلم إلى الآن فإن النبوة أتبعت بالخلافة الراشدة ثم إن الخلافة أتبعت بالملك العضوض أو العاض الذي لم تتبدل فيه مرجعية المسلمين الشرعية ولم يخفض فيه لواء الجهاد حتى سقط الملك العاض بسقوط بني عثمان وبدأت بعد ذلك مرحلة الملك الجبري التي هي منعقدة إلى وقتنا هذا وهي آيلة للسقوط بإذن القوي الجبار وإن من أهم ما يميز هذه المرحلة هو سقوط المرجعية الشرعية للمسلمين وسقوط المرجعية السياسية كذلك بدليل أن الأمة ومنذ أن نشأ هذا الملك لم تتمكن من حفظ ذمام ولا استرجاع ضائع ومن أعجب ما وجدته من معنى لغوي في وصف الجبرية معنيين أما المعنى الأول فهو أن هناك من يجبر المسلمين على قبول هذا الملك فالجبر ناتج من خارج إطار الملك وهو الذي حدث بالفعل بعد انهيار الخلافة العثمانية فلم يجلس ملك على كرسيه في العالم الإسلامي إلا من تحت يد المستعمر وأما المعنى الثاني الذي يلتقي بالأول فهو كون الجبرية أنها مجبورة بغيرها كما يجبر كسر العظم فلا قيام لتلك المرحلة بدون الجبر الخارجي وهو دعم وإسناد الأعداء لهذا النوع من الملك في واقع المسلمين فإذا سُحب الإسناد انهار الحكم الجبري فلا قيام له بذاته البتة ولا لجبروته وهو ملاحظ بوضوح في واقع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وهذا ما شاهدته الأمة بسقوط عدد من أنظمة الحكم بعد أن سحب الكفار تأييدهم لها كنظام الشاه ونظام سوهارتو ونظام سياد بري وأحدث النماذج هو سقوط ديكتاتور العراق صدام الذي صنعته أمريكا ثم قلبت له ظهر المجن والذي أمّلت الأمة أن يتمكن من صد الأمريكان ولو لشهر واحد فلم يفلح وتبخر النظام وأعوانه كما يتبخر الماء وصدق قول الله عز وجل فيهم: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً﴾ (الأحزاب:14)

فإذا استوعبت تلك المقدمة تبين لنا أن الأمة المسلمة قد تلبست بمرحلة جديدة بالكلية وأن الله عز وجل قد ساقها إلى ساحة فقدت الكثير من معطيات المراحل السابقة وأن الكثير من معالم المرحلة الجديدة قد اتضحت لكن طول العهد بالمراحل السابقة لا يسمح للعقول

والنفوس باستيعاب الجديد والتغيير فوقع الناس في السنن: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ، يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (الأنفال:5–6)

ويمكن تلمس معالم المرحلة الجديدة تلمسا دقيقا من خلال الأدوات المنهجية التالية:

- الأداة المنهجية الأولى: ما قضاه الرب تباركت أسماؤه في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقد قضى بظهور دينه وإعلاء كلمته: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة:33) وقضى عز وجل بالتمكين لحملة لوائه وجنده: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور:55).
- الأداة المنهجية الثانية: ما قرره الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة فقد أوضح للمسلمين ما سيكون إلى قيام الساعة ثم إنه أوضح صلى الله عليه وسلم مراحل الضعف التي سيؤول لها أمر الأمة وبالتالي طرق التوبة والتحول في معادلة الغثائية التي ستحكم أوضاع المسلمين وحدد مسارات المواجهة والتي تتمحور حول الشام ومواجهة الروم الصليبيين.
- الأداة المنهجية الثالثة: قراءة التاريخ البعيد والقريب سواء في تقلب أحوال المسلمين أو في علاقاتهم ببقية الأمم وما آلت إليه أحوال المسلمين في كل مرة طغى فيها الكفر وتجبر وكيف تكررت سنن الثبات لدى المسلمين كثيرا حتى ثبت ثلاثمائة مجاهد في معركة جنين (ابريل 2002) أمام ثلاثة آلاف يهودي مدجج.
- الأداة المنهجية الرابعة: ما تحقق من واقع معاصر للمسلمين على أيدي الدعاة والعاملين للإسلام من كل الجماعات والحركات والمستقلين وعلاقة ذلك الواقع المحقق برؤى المشروع الإسلامي منذ أن تأسس حيث حدد سقف المشروع بالخلافة وأساسه بالجيل المؤمن الملتزم ثم فهم وتحديد لموقع المشروع الحالي على مسطرة التمكين من خلال إنجازات الدعاة وجهادهم والتحولات الجذرية في مجتمعات المسلمين.
- الأداة المنهجية الخامسة: ما ترتب على رؤى وحركة الأعداء الميدانية من نصارى ويهود ومشركين في بلاد المسلمين من هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية وما يطورونه من رؤى واستراتيجيات جديدة تتجاوز في سعتها وعالميتها ومكرها من الناحية الظاهرية قدرات المسلمين وواقعهم المبعثر: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ

مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (ابراهيم:46) ومن ثم ما ينبغي وضعه من استراتيجيات في الجانب المسلم للتعامل مع استراتيجيات الكفرة: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص:6) إذ لا يجوز أن تبتعد حركة المؤمنين عن حركة الكفرة: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال:30).

- الأداة المنهجية السادسة: ما أفرزته المناهج العلمية المعاصرة من فنون التخطيط الاستراتيجي وفنون الإدارة خاصة إدارة الأزمات وإدارة الصراع وفنون التحليل السياسي خاصة اتجاهات الموازين الدولية والانكسار في النظام الدولي والفراغات التي ترتبت عليه ومستقبل الصراع على الثروات الاقتصادية إلى غير ذلك من الفنون التي ينبغي توظيفها في الرؤية الجديدة للمشروع الإسلامي العالمي.

● ثالثا: آفاق الرؤية في المشروع الإسلامي

إنها رؤيـــــة:

- **توصل**

ما انقطع وتجمع ما تبعثر من رؤى المجتهدين وجهود العاملين المبتغين وجه الله رب العالمين.

- **وتستثمر**

الأداء المعاصر للمسلمين وما بذلوه من دماء وهجرة وصبر وثبات.

- **وتدفع**

بالأمة لتخرجها من حلقات الاستضعاف إلى مرحلة التدافع والمدافعة.

- **وتعتقد**

أن تحول المسلمين من معادلة الغثائية إلى معادلة التمكين إنما يكون عبر إلغاء معادلة الوهن وذلك بحب الشهادة وكراهية الدنيا.

- **وتعتمد**
  الجهاد ومتطلباته مسارا أساسيا للتمكين لدين الله تعالى.

- **وتوظف**
  السياسة الشرعية لحفظ مسار الدعوة والجهاد في الأمة لا مطلق السياسة.

- **وتدعو**
  الجماعات الإسلامية وعموم الدعاة للاعتصام بحبل الله المتين.

- **وتؤكد**
  على ضرورة بناء الأجيال الجديدة في الأمة على الكتاب والسنة.

- **وتستوعب**
  الفروق في الأمة بكل ألوانها العلمية والعملية ضمن تعددية شاملة تجمع ولا تفرق.

- **وتقبل**
  تعدد ميادين الدعوة والجهاد بشرط أن تعمل في ظل رؤية موحدة.

- **وتتعجل**
  ظهور قيادة ومرجعية للمسلمين يقذفها الميدان العلمي والجهادي.

- **وتحافظ**
  على مسار الدعوة وتبليغها بالتي هي أحسن حتى يبلغ الدين ما بلغ الليل والنهار.

- **وتقاوم**
  ضغوط الأعداء بما يكفل صد اعتداءهم ووقف فسادهم.

- **وتجعل**
  استنقاذ المسجد الأقصى أوضح أهدافها العملية.

- **وتحرم**

دماء المسلمين بينهم بتحريم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لها.

- **وتطلب**

من المذبذبين من أبناء الأمة أن يراجعوا مواقفهم وأن يخلصوا ولاءهم لله ولرسوله وللمؤمنين.

- **وترفض**

العصبية الجاهلية والبعد الوطني أساسا لتحديد مصالح الأمة ورسم مسار المشروع الإسلامي.

- **وتؤسس**

لبناء أركان الأمة المسلمة عبادة وحقوقا وأخوة وعالمية وحفظا للذمام.

- **وتقدم**

الحل الإسلامي لأزمات البشرية كلها في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها.

- **وترقب**

انفراط النظام الدولي واتجاهات الصراع فيه وتستثمره ولا تخشاه.

- **وتستخلص**

من أجيال المسلمين المعاصرة أفضل إبداعاتها وتنافسها في نيل رضى الرحمن وخدمة الدين.

وسوف تتضح هذه الرؤية عند بسط الملامح التي ستلي في الفصل التاسع.





الفصل التاسع

ملامح المشروع الإسلامي
في الربع الثاني من القرن الخامس عشر الهجري

المفردات:

• أولا: الملامح الاستراتيجية والجهادية

المقصود بالملامح الاستراتيجية والجهادية تحديد الموجهات الرئيسة في خطة المشروع الإسلامي والتي ستؤدي بإذن الله تعالى إلى كسر الجمود المهيمن على مسيرة المشروع ودفعه إلى مواقع جديدة في حال التزم بها المعنيون من قيادات الحركات الإسلامية ومن الدعاة والعلماء المستقلين وكذلك من عموم أبناء الأمة المسلمة مع العلم بأن هذه الموجهات لا بد وأن تكون مهيمنة على بقية الموجهات والملامح.

وسيكون استعراض الملامح الجهادية والاستراتيجية عبر نظريات محددة تلخص وتختصر التصور وتعين على تركيز الأفكار وهي أربع نظريات كما يلي:

النظرية الأولى: نظرية ألوان الطيف

النظرية الثانية: نظرية اختراق الدرع والقلب لاستنقاذ المسجد الأقصى

النظرية الثالثة: نظرية الظهور والعولمة الإسلامية

النظرية الرابعة: نظرية التغيير الشاملة

النظرية الأولى: نظرية ألوان الطيف

منطوق النظرية:

أن تلتقي الاجتهادات الإسلامية المعاصرة على القبول بتنوع ألوان طيف تلك الاجتهادات وسعة الساحات وتكامل المراحل وأن تسعى لتوظيف ذلك التنوع في النهضة الإسلامية المرتقبة خاصة في مساحات ثلاث وبالألوان التالية:

مساحة اللون الأخضر أو الفضاء الأخضر: وفيه مسارات الدعوة بتفاصيلها من تربية وتزكية وتعليم ودعوة وإعلام وغيره وهو فضاء الأصل فيه الاستقرار والرسوخ والتفرغ.

مساحة اللون البرتقالي أو الفضاء البرتقالي: وفيه مسارات السياسة الشرعية بتفاصيلها من إدارة المجتمع المسلم والنظر في مصالحه الشرعية المختلفة وهو فضاء الأصل فيه الدهاء والدقة والمرونة.

مساحة اللون الأحمر أو الفضاء الأحمر: وفيه مسارات الجهاد بتفاصيله من وضع الاستراتيجيات والإعداد وإدارة المعارك بفنونها وهو فضاء الأصل فيه النكاية بالعدو وتشتيته وإرهابه.

المرتكزات الشرعية للنظرية:

وهي مرتكزات كثيرة من أهمها ما أمر به الله عز وجل من عدم التفريق بين مبادئ الدين: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران:105) ومن المرتكزات الشرعية لهذه النظرية التحذير الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم من افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة فيخشى أن تتحول ظاهرة الاجتهادات المعاصرة إلى ذلك التفرق والشتات، ومن المرتكزات الشرعية لهذه النظرية أمر الرب تباركت أسماؤه للمؤمنين أن ينفروا لطلب العلم: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:122) ومن الواضح أن أمر النفرة لطلب العلم قد جاء في معرض ذكر الجهاد فدل على تكامل ساحة العلم وساحة الجهاد والأمثلة أكثر من أن تحصى في هذا المجال.

جوانب النظرية:

جانب الولاء والبراء: وهو أن يلتقي المسلمون على هذا الأصل العقدي فلا يسمحوا بأن تفرق مصلحة الكفار بينهم ولا يسمحوا للحن المنافقين ولا للفتاوى الرسمية أن تبدد إجماعهم ورؤيتهم وأن ساحات الدعوة والجهاد في أمة الإسلام أصل يوحد ولا يفرق.

الجانب التعددي: أن يلتقي الفهم على أن الأصل في الجماعات والاجتهادات الإسلامية هو التعدد وليس العكس كما أن الأصل في مساحات العمل الإسلامي التعدد وبالألوان التي وردت في مقدمة النظرية وعلى قادة الحركات الإسلامية أن يسعوا لبث هذا الفهم في المسلمين وفي أتباعهم.

الجانب التكاملي: أن يلتقي الفهم على أن الخطوة التالية بعد التعدد هي التكامل والتعاون وتقاطع الدوائر وأن يكون الفصل بين الميادين والجماعات إنما هو فصل تكتيكي وليس فصلا استراتيجيا وأن يسعى الدعاة لتجاوز عقد الأوطان والقوميات وجوازات السفر حتى يستثمروا كل طاقات الأمة وفي كل الاتجاهات دون قيود.

الجانب الإصلاحي: وهو إقرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الجماعات والنصيحة

دون التشهير والمصادرة مع أهمية أن تقوم كل الجماعات الإسلامية بإدخال التعديلات الضرورية على بعض اجتهاداتها والتي تؤثر سلبا على التكامل والتعاون دون أن يمس ذلك التعديل بأصل شرعي مجمع عليه.

جانب الرشد: وهو أن يعلم كل العاملين للإسلام أن المرحلة مرحلة رشد بإذن الله تعالى أو مقدمة لها والتي هي سمة من سمات الخلافة ومن مقتضيات مرحلة الرشد أن لا يطمع أحد بتكرار الملك العاض ولا الملك الجبري وعليه فإنه لا مكان لإعلاء قبيلة على أخرى ولا قوم على قوم ولا جماعة على جماعة مهما ادعت الصفاء والنقاء أو العلم الخاص أو قدسية المكان وإنما هو الاجتماع والتناصر لكي تكون كلمة الله هي العليا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال:1) وسوف يختار الله تعالى لأمته رجالا يهبهم القيادة دون أن يطلبوها: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة:251) حيث أهَّلَ الله تعالى داود عليه السلام للقيادة بقتله لرأس الكفر جالوت.

الجانب الاختياري: وهو حق الجماعات وأبناء الأمة في الاختيار بين الاجتهادات وحق الاختيار والتنقل بين ساحات العمل من دعوة وسياسة وجهاد دون أن يؤثر ذلك على المسيرة العامة للمشروع الإسلامي كأن يميل الجميع إلى اختيار واحد وكأن تهجر الأكثرية ميدانا له الأولوية في وقت معين كأولوية الجهاد في ميادين محددة وفي أوقات معينة ومن مقتضيات هذا الجانب إنزال كل الاجتهادات من موقع الحرمة والقدسية إلى موقعها الحقيقي فكل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى.

الجانب الواقعي: وهو الإقرار بما عليه الجماعات من واقع عملي واستثمار ذلك الواقع لخدمة المشروع الإسلامي كما ينبغي أن تؤثر المساحات التي تشغلها الجماعات والمبادرات الميدانية لها في موقعها الريادي بين الآخرين.

النظرية الثانية: نظرية اختراق الدرع والقلب لاستنقاذ المسجد الأقصى

منطوق النظرية:

أن تكون أولوية المصادمة الجهادية موجهة ضد اليهود الذين يمثلون قلب المشروع الصليبي المعاصر ثم ضد الأمريكان الذين يمثلون الدرع الواقي لذلك القلب وإلا فلن يمكن للمسلمين حماية مسجدهم وقبلتهم الأولى ولن يتمكنوا من حماية مكتسباتهم في النهضة التي تحققت مع بداية القرن الخامس عشر الهجري.

المرتكزات الشرعية للنظرية:

وهي مرتكزات كثيرة من أهمها إجماع علماء الأمة على أنه إذا دخل العدو أرض المسلمين كان الجهاد فرض عين.

ومنها بيان الرب عز وجل بأنه لولا المدافعة لما أمكن حماية المساجد من الهدم: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:40) ومن المرتكزات الشرعية أمر الله تعالى للمسلمين أنه في حال مواجهة العدو في أرض المعركة فلا يحق لهم تركهم وشأنهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ (الأنفال: 15).

وبيان الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الطائفة المنصورة إنما تتعلق دائما بالجهاد في بيت المقدس. ومن المرتكزات الشرعية هو حق المؤمنين في الرد على العقوبة والظلم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج:39)

المرتكزات العملية والواقعية للنظرية:

أول المرتكزات العملية لهذه النظرية هو إعلان أمريكا الحرب على المسلمين تحت مسمى الإرهاب والتهديد العالمي الذي فرضته ضد كل مسلم في الأرض حيث يمكن اتهامه بالإرهاب دون أن يتمكن أي قانون في الأرض من حماية المسلمين من هذه التهمة فهي تهمة ملتصقة بهوية المسلم وعقيدته وأنه لا بد لقادة الحركات الإسلامية في ظل هذه الهجمة الصليبية أن يحددوا استراتيجية التعامل معها ومن المرتكزات العملية لهذه النظرية الإكراه الذي مارسه النصارى طوال القرن العشرين الميلادي لغرس اليهود بين ظهراني المسلمين واستمرار هذه الاستراتيجية على يد الأمريكان وبضغوط أكبر وأشد والإصرار الأمريكي اللانهائي لضمان تفوق اليهود فيما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط ومن المرتكزات العملية للنظرية الغطرسة

الأمريكية وحلم التفوق العالمي والذي لم يجد الأمريكان مكانا في العالم لممارسته إلا على ظهور المسلمين مما يعطي المسلمين الحق في الرد المباشر على تلك الغطرسة والظلم.

جوانب النظرية:

الجانب الأول: حق مواجهة الاحتلال العسكري: وفيه

- حق المسلمين في مقاومة كل المجرمين المشاركين والداعمين لاحتلال المسجد الأقصى.
- حق المسلمين في كل مكان في العالم في مقاومة الاحتلال العسكري والتدخل العسكري في بلدانهم.
- حق المسلمين في استخدام كل ما يمكنهم من وسائل لرفع الاحتلال.
- حق المسلمين في كل مكان في إعداد المجاهدين لحماية المسجد الأقصى.
- حق المسلمين في رفع سقف التهديد الجهادي ضد اليهود والأمريكان وذلك حسب تصرفات الأعداء الميدانية فكلما رفع الأعداء تهديدهم جاز للمسلمين أن يواجهوهم بما يتناسب مع تصرفاتهم.
- حق المسلمين في الانتقال من المقاومة العسكرية إلى التهديد المدني والاقتصادي للأعداء حسب التهديد المدني الذي يفرضه الأعداء على المسلمين في أي مكان في العالم.
- حق المسلمين في مقاومة كل من يوفر للأعداء دعما مباشرا في المرحلة الأولى أو غير مباشر في المرحلة التالية وذلك حسب أولوية الصراع وتدرجه ورفع سقوفه.

الجانب الثاني: عالمية الصراع: وفيه

- حق الأمة المسلمة في كل العالم أن تشترك في الصراع حسب هذه النظرية لأن حقوقها موحدة ودمها واحد.
- حق المسلمين في أن يصنعوا السلم لأمتهم من خلال الحرب والجهاد فقد جرب أغلب المسلمين السلم المهين طوال القرن العشرين وبقية الأمم تدفع بأبنائها إلى ساحة الحروب شرقا وغربا.
- يمكن تقسيم العالم إلى مناطق باردة ومناطق نصف ساخنة ومناطق ساخنة في ظل الصراع الذي يفرضه الأمريكان على المسلمين ومن أمثلة المناطق الساخنة التي فرضها الأمريكان فلسطين وأفغانستان والعراق وأي منطقة يتم غزوها عسكريا.
- حق المسلمين في تشكيل الجماعات الجهادية صغيرة كانت أو كبيرة وفي كل مكان في العالم ودون انتظار الأوامر من أحد.
- الأصل في المرحلة الجهادية الأولى استقلال المجموعات الجهادية وتعدد راياتها وذلك

طلبا للمرونة العالية.

- فتح الساحات الجهادية أمام المجاهدين في كل الدنيا بحيث يتعاملون معها وفق المستجدات العالمية والظروف المحلية في توازن وإصرار وتكامل على أن يراعى في تفعيل تلك الساحات أولويات كثيرة تفهم من خلال تكامل النظريات الأربع المطروحة في هذه الملامح.
- يتم توظيف السياسة دائما لخدمة الجهاد وليس العكس ومن مفاهيم هذا المبدأ أن السياسة يمكن أن تنغلق لبعض الوقت لكن الجهاد لا ينبغي أن ينغلق أبدا.
- يجوز للمسلمين في ظل المرحلة الاستضعافية التي يمرون بها أن يهادن بعضهم العدو مؤقتا ويضرب البعض الآخر نفس العدو دون هوادة تأسيسا على الواقعة التاريخية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية وبقاء بعض المسلمين خارج إطار الصلح كأبي بصير وأبي جندل وهو واقع ساهم الكفار في إنشائه كما هو واقع المسلمين اليوم عندما ألغى الصليبيون مرجعية المسلمين الأساسية وهي الخلافة وفرضوا مرجعيات لا تعبر عن هذه الأمة العظيمة ولا عن مستقبلها.
- يتم التركيز في الخطاب السياسي والثقافي الموجه للأمم الكافرة على مدى الظلم الذي يمارسه ساستها على المسلمين ومدى ما يترتب من التعدي على حقوق المسلمين من الإخلال بالأمن في الأرض.
- تتحدد الخطوط الحمراء والتي تجيز للمسلمين التعامل الجهادي ورفع أو خفض حدة الصراع مع أعدائهم بما يلي:
  - **الخط الأحمر الأول:** التجاوز والمساس بمقدسات المسلمين بدء من المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى وانتهاء بكل مساجد المسلمين في الدنيا.
  - **الخط الأحمر الثاني:** المواقف الداعمة لليهود عسكريا وعدم الوقوف على الحياد في معركة المسلمين ضد اليهود أو ضد أي أعداء آخرين كنصارى الفلبين وغيرهم.
  - **الخط الأحمر الثالث:** غزو بلاد المسلمين العسكري وفرض الوجود العسكري.
  - **الخط الأحمر الرابع:** التدخل السياسي وممارسة الضغوط المختلفة على بلاد المسلمين لفرض الواقع السياسي الموالي للصليبيين واستمراره وعدم ترك المسلمين أحرارا في تحديد خياراتهم ونظمهم السياسية.
  - **الخط الأحمر الخامس:** إثارة الفتن بين المسلمين والتدخل لفرض الحروب على بلاد المسلمين من قبل العملاء كما هو حاصل في السودان وإندونيسيا وغيرهما.
  - **الخط الأحمر السادس:** استخدام الضغوط والآليات المختلفة لفرض التأثير الديني والتعليمي والثقافي والقيمي الغربي على شعوب المسلمين وعدم تركهم أحرارا لتحديد ممارساتهم العقدية والثقافية.

النظرية الثالثة: نظرية الظهور والعولمة الإسلامية

منطوق النظرية:

أن وعد الله المتجدد بإظهار هذا الدين على الدين كله يقتضي سلسلة من السنن التدافعية التي أنبأنا بها العليم الخبير والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وقد بدأت تلك السنن بانهيار النظام العالمي القائم على التوازن الدولي ومشاركة المسلمين المتدرجة في صناعة الواقع الجديد للكون وإدراك كل أمم الكفر للوجود المتميز للمسلمين على وجه الأرض.

المرتكزات الشرعية للنظرية:

ومن أهم المرتكزات الشرعية لهذه النظرية هو وعد الله بظهور دين الإسلام: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة:33) ومن مقتضيا ذلك الظهور تدرج انتقال المسلمين من حال الذلة إلى حال العزة ومن الانغلاق الشعوبي إلى الانفتاح الأممي، ومن المرتكزات الشرعية لهذه النظرية إذن الله عز وجل ببدء قتال اليهود في فلسطين كما وعد عباده بذلك: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً﴾ (الاسراء:5) بغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف حول تنزيل هذه الآية على الواقع فثم يهود وقد علو علوا كبيرا وأفسدوا واقع المسلمين بتدخلهم في صناعة ذلك الواقع وثم مسجد تحت أيديهم (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) ومن المقتضيات الربانية لذلك العلو والفساد تدميرهم والقضاء على فسادهم مع العلم بأن فساد يهود لم يقف عند ساحات الأمة المسلمة بل تعداها إلى ساحات الأمم كلها في المجال الاقتصادي والأخلاقي مما يجعل مهمة إزاحة اليهود مصلحة دولية، ، ومن المرتكزات الشرعية إذن الله عز وجل بانهيار النظام الدولي بسقوط الاتحاد السوفيتي وبمساهمة إسلامية مباشرة وما نتج عن ذلك السقوط من انهيار الأمم المتحدة والتوازن الدولي الكفري والذي أضر بالمسلمين كثيرا وفي ذلك السقوط تكرار لسنة قضاها الرب عز وجل حيث العلاقة وثيقة بين التحولات في النظام الدولي وبين وراثة المسلمين للأرض.

جوانب النظرية:

الجانب القانوني: وفيه

- إن أي قانون دولي لا بد أن ينشأ في ظل احترام متبادل بين الأمم ووقوف الأمم عند حدود ذلك القانون وقد مر تاريخ المسلمين المعاصر بمرحلتين المرحلة الأولى هي مرحلة القانون الدولي وتشكل عصبة الأمم ثم الأمم المتحدة وقد أهدرت في تلك المرحلة كل حقوق المسلمين السياسية والاقتصادية واتفقت الأمم النصرانية واليهودية والشيوعية على أن

المسلمين ما هم إلا (تركة رجل مريض) يجوز لهم أن يفعلوا بها ما شاءوا ثم جاءت المرحلة الثانية وهي المرحلة الحالية التي تشهد قيام الولايات المتحدة بتجاوز الأمم المتحدة وقوانينها وسقوط هيبة القانون الدولي وإن للمسلمين الحق كل الحق في أن يفرضوا وجودهم العالمي كأمة وبكل الوسائل التي تجيزها قوانين الدنيا وأن يسترجعوا كل حقوقهم المغتصبة وإذا أرادت الأمم أن تقر أي مواثيق دولية فإن المسلمين لن يتأخروا عنها بشرط احترام إرادتهم ووجودهم الدولي.

- المسلمون يرفضون رفضا كليا الواقع الذي أوجده النصارى في بلاد المسلمين ويرفضون محاولة النصارى تجديد شعار تركة الرجل المريض الذي طبقوه في بداية القرن العشرين والمعاهدات التي استهدفت تمزيق بلادهم وتسخير ثرواتهم كمعاهدة (سيفر) وغيرها وإذا أمعن النصارى في غيهم فللمسلمين الحق في مقاومتهم بكل الأساليب.
- إن من أهم ما يبطل الاتفاقيات السياسية التي يفرضها أعداء المسلمين على بلدان المسلمين ويضع تلك الاتفاقيات في مهب الريح هو وقوعها تحت الإذعان المبطل لها فكيف يتوقع النصارى واليهود أن تحترم الشعوب المسلمة ما وقعته نظمهم السياسية مذعنة ووقعت تحت دائرته بلا اختيار! ومما يزيد الأمر تعقيدا ويجعل ممثلي المسلمين الرسميين لا يمثلون الأمة المسلمة حقيقة التصعيد الأمريكي بتعيين حكام المسلمين مباشرة كأبي مازن وقرضاي والقائمة طويلة وقد كان المسلمون يرفضون العملية وهي تتم من وراء ستار فكيف وقد هتكت كل الأستار.
- لقد أعذر المسلمون إذ ذهبوا في التجاوب مع الأوضاع القانونية كل مذهب ولعل أفضل مثال على ذلك التجربة الإسلامية في تركيا حيث تابع قادة الحركة الإسلامية هناك كل مسلك قانوني ولمدة تزيد على ثلاثة عقود دون أدنى فائدة فتركيا الأتاتوركيه لا تطبق قانونا حقيقيا مستقلا وإنما تطبق رؤية نصرانية ويهودية في المقام الأول.
- وبانهيار الأمم المتحدة سقط الوهم الذي عشعش كثيرا بين المسلمين بإمكانية استخدام قوانين الأمم المتحدة طريقا وحيدا لاسترجاع حقوق الأمة المسلمة فوجب عليهم أن يبحثوا عن الطرق البديلة.
- لقد داس السلام والتفاهم الدوليان طويلا على جثث المسلمين طوال القرن العشرين ولم يعد هناك من عذر للدول العظمى فقد نقضت بيديها نظامها وسلمها ولم يعد يُسمع إلا لقعقعة السلاح الأمريكي في كل مكان.

الجانب السياسي: وفيه

- كشف انهيار المرجعية الدولية عن زيف استقلال النظم السياسية في العالم الإسلامي

وكشف عن مستوى العجز الذي وصلت إليه تلك الأنظمة في الحفاظ على حقوق المسلمين مما يضطر الشعوب المسلمة أن تعمل بما هو متاح لها لا أن تنتظر الوعود الرسمية.

- كشف انهيار المرجعية الدولية عن مدى استناد النظم السياسية إلى تلك المرجعية وعدم رسوخها بذاتها ومدى خوائها العقدي مما يبشر بقرب سقوط المرحلة الجبرية التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم في تاريخ الأمة المسلمة.
- كشف انهيار المرجعية الدولية عن مدى الانهيارات القادمة والمنتظرة في واقع البلدان الإسلامية مما يحتاج معه إلى رؤية واستراتيجية لدى الجماعات الإسلامية وعقلاء المسلمين للتعامل مع هذه الانهيارات ومنها ضرورة التقدم لملء الفراغ والاستعداد لمراحل صعبة وطويلة وفتح الباب لكل الخيارات.
- كشف انهيار المرجعية الدولية عن مدى تأثير العقائد في العلاقات الدولية ورجوع الأمم إلى منطلقاتها الدينية مما ينبغي أن يعجل بسقوط الشعارات الخادعة التي تسود المسلمين بتأثير العلمانيين والعمل على تعبئة الأمة المسلمة لمواجهة متطلبات التحولات الدولية انطلاقا من دينها وعقيدتها وكتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم.
- كشف انهيار المرجعية الدولية عن مدى النفاق والدعاية الكاذبة التي تمارسها الأمم النصرانية خاصة أمريكا ضد الأمة المسلمة وذلك بتحميل المسلمين أسباب الصراع الدولي بينما هم في الحقيقة أضعف الأطراف في جميع النواحي وبلغ من أثر تلك الدعاية أن يقف العالم متفرجا عندما قامت أقوى دول العالم بصب حممها على أضعف دولة في الدنيا وهي أفغانستان.

الجانب الوطني والقومي: وفيه

- حقوق الشعوب المسلمة الثابتة تاريخيا وجغرافيا في بلادها وحدودها واستقلالها وممارسة ذلك الاستقلال بلا وصاية ولا انتداب ناهيك عن الاحتلال العسكري والسيطرة المباشرة.
- حقوق الشعوب المسلمة في استرداد حقوقها المغتصبة من البلاد والثروات واستخدام كافة الأساليب المقررة عالميا في استرداد ما ضاع ونهب.
- حقوق الأقليات المسلمة في أوساط غيرهم من الديانات والقوميات بالتمتع بحقوق المواطنة الكاملة وإقرار الحقوق الدولية لهم في حال نشوب النزاعات كحق تقرير المصير وغيره.
- يحق لكافة الشعوب الإسلامية أن تتظافر وتتناصر بكل أشكال التظافر والتناصر لتحصيل الحقوق كما تظافرت الشعوب النصرانية لفصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا وكما تتظافر الآن لفصل إقليم آتشيه طمعا في الاستفراد بثروته البترولية.

النظرية الرابعة: نظرية التغيير الشاملة

منطوق النظرية:

أن يستصحب المسلمون في هذه المرحلة من تاريخ المشروع الإسلامي كل آليات التغيير قديمها وجديدها بحيث يفتح ذلك أمامهم كل الخيارات وحسب التطورات الميدانية وأن يكون الدفع باتجاه التغيير لا باتجاه التراجع أو الوقوف.

المرتكزات الشرعية للنظرية:

والمرتكزات الشرعية لهذه النظرية كثيرة ومنها أن من مقتضيات استجابة المؤمنين لسنن التدافع أن يتجاوبوا مع مقتضيات تلك السنن وأن يسلكوا كل سبلها المتاحة حتى يصلوا للتمكين فقد جاء وصف التدافع في القرآن الكريم بعد وصف مراحل الصراع التي خاضها المؤمنون والسبل التي سلكوها كما قال الله عز وجل: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة:251) وإن حصول النتائج التي وردت في هذه الآية للمؤمنين إنما جاء بعد أن عزم المجتمع الممثل للتوحيد في ذلك الوقت على التحول عن الحال التي كانوا عليها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:246).

ومن أهم المرتكزات الشرعية لهذه النظرية أن قعود المسلمين عن مداخلة سنن التدافع سيؤدي إلى فساد كامل لمعيشتهم وذهاب عقيدتهم ولهذا نعى الله عز وجل على المؤمنين رغبتهم في القعود والهدوء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة:38) ومنها إخبار الرب تباركت أسماؤه بأن الهدوء التام لن يقود إلا إلى زيادة استضعاف ووهن: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾ (النساء:75).

جوانب النظرية: وهي:

الجانب الأول: الخيارات المفتوحة في نظريات التغيير

وهو أن تبقى أبواب النظريات التغيرية التي سادت في العقود الماضية مفتوحة على مصراعيها وتلك النظريات هي:

- نظرية الانقلاب العسكري: وتبقى هذه النظرية كأحد الخيارات الدقيقة والمشروطة بتوفر ظروف محددة لكي يتم تجنب الفساد الكبير الناجم عنها ولكن لا ينبغي منعها منعا كليا ويمكن للجماعات الإسلامية أن تتجنب حساسية التعامل مع هذه النظرية من خلال ترك المسألة للقيادات العسكرية المستقلة من عموم المسلمين والتي يمكنها أن تستثمر أي ظرف سانح وفي ظل تطورات محلية أو إقليمية أو دولية خاصة في ظل الفوضى والانكسارات التي يمكن أن تعم دول العالم الإسلامي وسيكون من أولى مهام هذه النظرية مهمة تحييد الجنرالات المشبوهين المكلفين من قبل الكفار بمنع أي تحول نحو النظام الإسلامي ثم مهمة استخدام الجيوش المسلمة في عمليات التغيير الكبرى أو استخدامها في منع الانهيارات والحروب الأهلية.
- نظرية الديموقراطية والمشاركة السياسية: وبالرغم من التاريخ الأسود لهذه النظرية في العالم الإسلامي لكن ينبغي عدم إقفال الباب تماما أمامها فهي إما أن تثمر ثمرا حقيقيا وإما أن تموت موتا طبيعيا ولكن من أهم شروط العمل بهذه النظرية الاستقلال التام وفرض الشروط الوافرة والمطالبة بالضمانات الكافية للأداء الديموقراطي لكي تعمل النظرية بشكل صحيح وإلا ففي الساحة وفي الزمن سعة للانتظار الإيجابي ولعل الاستخدام العكسي للنظرية أولى في ظل الأوضاع السائدة وهو أن يمضي المسلمون نحو التموضع في النظام الديموقراطي الحزبي وفي حالة عدم الوفاء بالتعهدات يتم استخدام سلاح المقاطعة وترك النظم تلعب وحيدة وتتحمل تبعات ومسؤوليات الفساد السياسي والاقتصادي وما يلي ذلك من فوضى عارمة، كما ينبغي الحذر من الاستخدام الأمريكي الجديد للديموقراطية في العالم الإسلامي والذي يهدف إلى استخدام بعض الوجوه الإسلامية لتمرير غزوها وسيطرتها.
- نظرية الجهاد المباشر لكل أنواع الكفرة في الأرض حسب ضغوطهم واعتداءاتهم على المسلمين وتكون الأولوية في هذه النظرية لتوجيه الجهاد نحو الأعداء الأشد إفسادا في بلاد المسلمين وهم اليهود والأمريكان ثم دعم وإسناد بؤر الجهاد المستمرة أصلا والتي ينبغي أن لا تتوقف إلا بتحقيق استقلال وافر للمسلمين كجهاد الفلبين وكشمير والشيشان ثم وفي حال تجدد أية اعتداءات أخرى في نواحي الأرض فإن المسلمين ينبغي أن يواجهوها بما تستحقه كما أن إعداد المجاهدين وتربيتهم واجب لا ينبغي أن يتوقف في أي موقع فيه

المسلمون وأول مقدمات الإعداد هو الإعداد الإيماني العقدي والإعداد العلمي ثم الإعداد العملي ويتوجب الإعداد العملي بشكل كبير على من وهبهم الله عز وجل البيئة المناسبة للإعداد كالجبال والصحاري والبحار المفتوحة والجزر والغابات فمن يتأخر عن هذا الإعداد يكون آثما. كما يتوجب في هذه النظرية على المسلمين أن يتوصلوا إلى أفضل وأقوى الطرائق والفنون لحروب العصابات المعاصرة وفي كل البيئات تقليدية كانت أو غير تقليدية كما فعل الشيخ المجاهد أحمد ياسين في فلسطين وكما أدام مسيرة الجهاد في الفلبين الشيخ المجاهد سلامات هاشم رحمه الله تعالى.

- نظرية إدارة الأزمات والتي سيكون المسلمون في أشد الحاجة إليها في المرحلة الحالية نتيجة لترنح النظام الجبري في بلاد المسلمين وامكانية تتابع السقوط الذي سوف يشبه سقوط أحجار الدومينو وما سينتج عنه من فوضى وخلل وفراغ سياسي كبير الأمر الذي أدركه الغرب الصليبي فحدد رؤيته للتعامل مع هذا الخلل بتجديد الاستعمار المباشر وتجديد النظم السياسية وإيجاد دول جديدة بعد بعثرة الدول الكبيرة ولكن هيهات أن يتمكن الصليبيون من ترتيب الأمر كما فعلوا في بداية القرن العشرين فقد بدل الله عز وجل الأحوال وأخرج رجالا يحبون الموت كما يعشق الصليبيون الحياة، وعليه فإن الحاجة لفهم معطيات هذه النظرية وإجادة فنونها وتوقع المفاجآت في كل الاتجاهات وعدم التذبذب عند حصول الفتن وإجادة التعامل مع المستجدات والمرونة العالية أصبح كل ذلك ضرورة لجيل الدعاة في هذه المرحلة.
- نظرية الثورة الشاملة واستخدام الغليان الشعبي لتجميد مفاصل النظم السياسية والتدخلات الخارجية وفرض التحولات الإسلامية خاصة في ظل توقع التحولات الكبرى التي يمكن أن تقع إما بإقدام اليهود على المساس بالمسجد الأقصى أو بارتكاب الأمريكان المذابح تجاه الشعوب المسلمة أو غيرهم من الكفار كالحكومة الهندوسية المتطرفة في شبه القارة الهندية ومن التحولات الكبرى حصول الأزمات الاقتصادية الشديدة والمجاعات نتيجة لسوء إدارة النظم السياسية في العالم الإسلامي وغيرها من الأحداث، وعلى قيادات المسلمين أن تضع الخطط المناسبة للتعامل مع كل تلك الاحتمالات واستثمارها وإن من أهم ما على الدعاة أن يفقهوه في ظل اشتعال الثورات ضرورة أن يوحدوا موقفهم العام وبكل اتجاهاتهم وأن يدفعوا باتجاه التحول الكامل وإلا فسوف يتكرر درس الجزائر الدامي.

الجانب الثاني: خيارات الانكسار والفوضى

وتأتي أهمية عرض ودراسة هذه الخيارات كأحد مستلزمات المرحلة التي قد بدأت فيها بوادر الانكسار والفوضى للنظم والمجتمعات في العالم الإسلامي وحتى لا يقع قادة العمل

الإسلامي تحت تأثير خيار واحد فقط أو تحت تأثير مرحلة قد انقضت وقوضت خيامها، مع العلم بأن بعض هذه الخيارات قد تم تطبيقها والبعض الآخر يعتبر إضافة إلى القائمة وتوسيعا لها وذلك حسب الظرف الواقعي والمستجدات، وهذه الخيارات هي كالتالي:

- خيار الانتظار: حتى تسفر الوقائع والتبدلات عن حال معينة وواضحة يمكن التعامل معها بدلا من خوض المعامع دون فوائد مضمونة وقد تم تجريب هذا الخيار في العراق بالنسبة للحركة الإسلامية قبيل الانهيار الكلي لنظام البعث وفي مواقع مختلفة من العالم.
- خيار التسريع بالانهيار: بحيث يكون لمشاركة الدعاة والمجاهدين أثرها الواضح والمؤثر في إسقاط النظم المتداعية أو الانتقال من مرحلة الهيمنة للنظم المتجبرة إلى مرحلة الحلحلة وتنفس الصعداء وفسح مجالات واسعة أمام الدعوة والعمل الإسلامي ولكن ينبغي أن لا تكون تلك المشاركة منفردة ووحيدة وقد تم تجريب هذا الخيار في اليمن عندما ساهم الدعاة في إسقاط النظام الشيوعي في بداية التسعينيات من القرن العشرين وكذلك عندما أسهم الدعاة في إندونيسيا بتسريع سقوط طاغيتها سوهارتو ولهذا الخيار شروطه ومنها التمكن والوضوح وعدم الانفراد.
- خيار فوائد الرمق الأخير: وهو أن يتقدم الدعاة بنوع من المقاربة الحذرة من النظم المتداعية بغية تحقيق بعض الفوائد والإيجابيات المحدودة في الميادين المختلفة وقد تتطور تلك المقاربة فترتفع نسبة الفوائد منها ومن أهم الفوائد التي يمكن التطلع إليها فسح المجال للدعوة والتأثير العام كما فعل الشيخ حسن الترابي بمصالحته مع نظام النميري في أواخر سبعينيات القرن العشرين.
- خيار البديل الإسلامي: وهو من أدق وأخطر البدائل لأنه يفرض على الدعاة حسابات دقيقة ومراعاة لظروف محلية ودولية ولكن ينبغي أن لا يغرق الدعاة في تلك الحسابات على حساب المسار الجهادي الذي قد يعتقد البعض أن بالإمكان اختزاله بالتحول السهل إلى البديل الإسلامي في مجال الحكم دون المرور بمرحلة المدافعة.
- خيار البديل المختلط: وهو أن يقبل الدعاة بمرحلة انتقالية في ظل الفوضى والانكسار للنظم السياسية تسمح بتعاون الدعاة مع ألوان طيف التشكل الاجتماعي والسياسي بشرط إعلاء رؤية إسلامية واضحة أو الحدود الدنيا منها على الأقل مع الحرص على الضمانات العامة لتوزان المرحلة وعدم تحولها إلى ملك جبري آخر.

ومما ينبغي فهمه في ظل استخدام تلك الخيارات في التعامل مع الانكسار والفوضى هو عدم البكاء على أطلال تلك النظم سياسية كانت أو عسكرية أو اقتصادية أو تعليمية أو غيرها فقد ارتبطت بمرحلة فساد أوصل المسلمين إلى ما هم عليه ثم إن المرحلة مرحلة هدم ولا ينبغي أن تختلط بمرحلة البناء فلكل وقته وسماته.

الجانب الثالث: الاستعداد لكل التحولات والاحتمالات في العالم الإسلامي:

فإن الأعداء قد فتحوا الخيارات على مصراعيها في التعامل مع العالم الإسلامي سواء فيما يخص الصراع العالمي على ثرواته أو منع التحولات الإسلامية فيه أو استخدامه كساحة مفتوحة لمختلف تجاربهم الثقافية والاستعمارية، وعليه فإن تحديد وفهم التحولات والاحتمالات وتصورها سوف يهيء أجيال المسلمين عقليا ونفسيا للتعامل العملي معها ، وإن كل احتمال ينبغي أن يقابله استعداد يلائمه كما يلي:

- الاستعداد للتعامل مع السياسة الأمريكية في استخدامها الغزو المسلح لأراضي المسلمين كمدخل للهيمنة الدولية وتحول الغزو إلى وجود عسكري دائم وهي مسألة مرشحة للازدياد لكي تشمل مواقع مختلفة في العالم الإسلامي خاصة بعد سقوط العراق.
- الاستعداد للتعامل مع زيادة معدلات الغزو الصليبي من بقية النصارى في العالم واستخدامهم القوة مجددا في إخضاع المسلمين تحت مبررات الصراع الدولي ومبررات التحولات الإسلامية وحفظ الاستقرار والسلم وذلك من قبل كل الدول الصليبية على اختلاف ما بينها ففرنسا يمكنها غزو الجزائر مجددا واستراليا تهدد إندونيسيا بالتدخل العسكري جهارا نهارا وقد حدث ذلك جزئيا عند فصل تيمور الشرقية وروسيا تقتل المسلمين ليلا ونهارا في الشيشان وهكذا.
- الاستعداد للتعامل مع الغزو الهندوكي لباكستان وزيادة الإيذاء الموجه للمسلمين الهنود مع إمكانية استخدام الصليبيين للهنادكة ضد أجزاء من الجزيرة العربية كما استخدمهم الإنجليز في القرون السابقة.
- الاستعداد لغزو صيني بوذي لآسيا الوسطى في حال استمرت وتيرة الصراع الدولي باتجاهاتها الحالية وفي ظل زيادة معدلات الانهيارات الاقتصادية في العالم حيث ستكون ثروات المسلمين في تلك البلاد محلا للصراع العسكري بين القوى الدولية.
- الاستعداد للتعامل مع سياسة استخدام المخالب الإقليمية لتخريب البيئات المهيأة للنمو الإسلامي كما حصل في السودان باستخدام إرتريا تارة وإثيوبيا تارة أخرى وكما حصل في الصومال باستخدام إثيوبيا مع توسيع رقعة الحرب والتدخل.
- الاستعداد للتعامل مع سياسة إغراق المجتمعات الإسلامية بالحركات الانفصالية والحروب الأهلية والحركات العرقية وتغذيتها عن كثب خاصة في البلاد الكبيرة والواسعة كإندونيسيا والجزائر ونيجريا وغيرها.
- الاستعداد للتعامل مع الحصار الاقتصادي الذي يمكن أن تفرضه أمم الكفر على الشعوب المسلمة كما حدث في العراق بما زاد عن عقد التسعينيات من القرن العشرين وأن لا ييتئس المسلمون من ضيق الحالة الاقتصادية فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لم يخش على أمته الفقر أبدا.

- الاستعداد لاستثمار أية تحولات إيجابية في واقع المجتمعات المسلمة والدفع بتلك التحولات إلى أقصى مواقع الاستثمار.
- الاستعداد لاستثمار أية تحولات في المعادلة العالمية لصالح المشروع الإسلامي كنشوب الحروب بين رؤوس الكفر.

الجانب الرابع: تطبيق أقصى ما في الوسع الإسلامي للتعامل مع الأخطار الكبرى المهددة لمسيرة المشروع الإسلامي ومنها

- استثمار واقع الهجرة التي عليها كثير من المسلمين لتفعيل طاقات المهاجرين ودفعها باتجاه الحرية والمشاركة الفاعلة في إسناد وحدات المشروع والحذر من الوقوع في أسر البيئات الجديدة التي التحق بها المهاجرون أو الذوبان خاصة بالنسبة للعلماء والمجاهدين والمبدعين في شتى العلوم والفنون.
- اعتماد مبدأ الهجرة الاختيارية والانتقائية للطاقات الفاعلة من العلماء والاستشاريين والفنيين والمجاهدين والذين تحتاجهم وحدات المشروع الإسلامي وأن يتم ذلك بمرونة عالية وأينما يتطلب الإسناد في العالم على أن تستصحب نية الذهاب بلا عودة والاستقرار في أي مكان ينفع الله بهم وإلا بقي المشروع حبيسا للحالات المجزأة والمنغلقة في الأمة.
- كسر كل الحدود التي تحول دون تواصل الأمة وتعاونها خاصة في القضايا الكبرى كأن يتعاون شعبان أو أكثر على قضية مشتركة ومتداخلة وألا تحول الحدود السياسية والجغرافية دون ذلك التعاون وكأن تندمج أو تتحد جماعتان أو أكثر من الحركات الإسلامية، ومن تطبيقات هذا المبدأ هو كسر الحدود الجغرافية والجوازات وكسر الالتزام بالنظم التعليمية للأجيال الصاعدة من أبناء الأمة عند الحاجة لذلك، وكسر التعلق بالوظائف والرواتب وتوفير جنود الاحتياط مهما اتسعت ساحات الجهاد ومتطلباته لمواجهة التهديدات وتوسيع قدرات الاحتواء والتعامل إلى غير ذلك من أشكال تطبيق هذا المبدأ.
- اعتماد مبدأ محاور الارتكاز الجغرافية وتكامل كل محور في أدائه الدعوي والجهادي بحيث يستوعب كل محور الجماعات الإسلامية المبثوثة في ساحته وطاقات المسلمين عموما وتتشكل المحاور الإرتكازية وفق الأقاليم التالية: محور جنوب شرق آسيا، محور آسيا الوسطى وإيران، محور شبه القارة الهندية، محور تركيا والقوقاز، محور دول البلقان وأوروبا الشرقية، محور الجزيرة العربية والعراق، محور مصر والشام، محور

شمال إفريقيا، محور السودان ووسط إفريقيا، محور غرب إفريقيا، محور القرن الإفريقي، محور أوروبا الغربية، محور أمريكا وكندا، محور أمريكا الجنوبية.

- اعتماد مبدأ المرونة الكلية في التعامل مع مستجدات المرحلة وشدتها من الاستعداد لتخفيض السقوف العامة للأداء الدعوي والسياسي ومن عزل بعض بؤر ووحدات العمل الإسلامي ومن حضانة بعض الأجنة الدعوية والجهادية بعيدا عن أعين الأعداء ومن القبول بظاهرية تناقض المواقف وتنوع الصور في الأداء التغيري ومن رصد الثغرات عند الأعداء لاستثمارها في الوقت المناسب إلى غير ذلك من أشكال المرونة دون أن تصل المرونة إلى فقد الاتجاه أو موافقة الكفار على نزع السلاح: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (النساء:102).
- اعتماد مبدأ تشتيت الأمم الغازية ومشاغلتها في حال بلغت التحديات والتهديد درجة كبيرة وواسعة وذلك من خلال تكثير وتوسيع جبهات المواجهات المسلحة في العالم كله.
- العمل الدائم على رفع روح الجهاد والمقاومة في كل الشعوب المسلمة أينما وجدت على وجه الأرض دون مواربة ولا إنقاص من مفردات المنهج الإسلامي في هذا المجال وحث المسلمين على السعي الدؤوب نحو امتلاك السلاح كبيره وصغيره قديمه وحديثه وتعلم فنونه كلها في القرى والمدن على حد سواء مع استثمار الصحاري والأرياف والغابات والجبال والجزر في زيادة معدل الأداء في هذا المبدأ.
- توسيع مجال استخدام القنبلة الذرية الإسلامية وهي العمليات الاستشهادية خاصة عند ارتفاع وتيرة التهديد من قبل أمم الكفر وانتهاك الحرمات أو الاقتراب من المسجد الأقصى، وفي هذا السبيل يقتضي الموقف أن يذهب المسلمون كل مذهب فرادى وجماعات في تعلم فنون صناعة الموت هذه والتي هي في الحقيقة صناعة للحياة ولمستقبل الأمة وأن لا ينتظروا أوامر من أحد سواء في التخطيط أو في التنفيذ وإنما وحده الموقف العام ومعطياته وفساد الكفرة الذي يحدد المؤشر العام للاستشهاديين كما هو الحال في فلسطين الآن.
- اعتماد مبدأ التكامل بين معطيات المشروع العالمي وقضاياه الرئيسة وبين الأوضاع القطرية والإقليمية بحيث تستثمر المعطيات العالمية لتسريع وتحسين أداء الوحدات القطرية والإقليمية كما ينبغي أن تشترك كل الوحدات القطرية والإقليمية في توفير

المتطلبات لمعطيات المشروع العالمي من طاقات بشرية ودعم معنوي ومادي وتحمل تبعات الدعم.

- اعتماد مبدأ التركيز على معارك كبرى وتوقيتها بحيث يكون الاهتمام والدعم منصبا في كل فترة من الزمن على معركة أو ثلاث معارك كبرى فقط ثم الانتقال إلى غيرها حسب التحول في الموقف العام مع إبقاء معركة فلسطين مشتعلة على الدوام.
- تطوير وترسيخ مبدأ الاحتجاج الشعبي العام في كل العالم الإسلامي وأينما وجد المسلمون وذلك مقابل أية ضغوط وتدخلات أو إفساد تجاه قضايا الأمة حتى يصل المسلمون إلى مستوى الإضراب العام العالمي والتظاهر العارم في بعض المراحل الحساسة.
- اعتماد مبدأ طول النفس في إدارة المرحلة ولو استهلك ذلك خمسين سنة قادمة أو قرنا كاملا فإن هذه المرحلة إنما تؤسس لنهضة عالمية وخلافة راشدة ولن يكون ذلك في يوم وليلة.
- اعتماد مبدأ استعادة وترسيخ المصطلحات الشرعية الإسلامية والتعامل بها في أوساط المسلمين وعدم الهروب منها كمصطلح الجهاد ومصطلح الإرهاب الذي أثبته الله عز وجل في كتابه إلى يوم القيامة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال:60).

● ثانيا: ملامح القيادة والمرجعية

إن الأمة قد طال انتظارها وشوقها وهي تقلب وجهها في السماء متأملة ومتطلعة للقيادة المسلمة التي ستتولى الإبحار بسفينة المسلمين في هذه المرحلة الدقيقة والحاسمة من تاريخها المعاصر للوصول بها إلى ما قضى به الرب تبارك وتعالى من ظهور لهذا الدين وتمكين وبلوغه ما بلغ الليل والنهار وعندها أي عند ظهور القيادة المؤهلة فسوف تهوي إليها قلوب أجيال المسلمين وتعطيها صفقة يدها وثمرة فؤادها وتضع الأرواح رهن إشارتها في المشرق والمغرب وإنه ليوم نصر وفتح فإن دور القيادة المسلمة أن تتابع أداء التكاليف الكبرى التي وكلت للأمة المسلمة في الأرض: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ (الفتح:28)

ولعل أخطر ما سوف تطلع به تلك القيادة والمرجعية أن تنظر في المصلحة العليا للمسلمين

فتحدد خياراتها الكبرى وفق ما حدده المنهج القرآني والسنة المطهرة فتنير واقع الأمة بتلك الخيارات وتفتح آفاق المستقبل وتتقدم المسلمين فترداد لهم الطريق وتعطي من نفسها ما أوجبه الله عز وجل على القيادة المؤمنة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة:128) وعندما تزدحم الخطوب تكون هي في مقدمة الصفوف لا في مؤخرتها وقد خرج الإمام مسلم في الصحيح عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ فَقَالَ أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ فَقَالَ أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا وَلَّى وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ فَانْكَشَفُوا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ قَالَ الْبَرَاءُ كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (رقم الحديث3326)

وفي هذه الملامح سوف لن أتوقف عند المرتكزات الشرعية التي توجب تنصيب القيادة والمرجعية عند المسلمين ففي المتون والبحوث ما يغني عن ذلك ولكني سأحاول أن أجيب على الأسئلة التالية:

هل حان الوقت للبحث العملي حول موضوع القيادة والمرجعية؟

هل من خطوط عريضة وبرنامج عملي لتحقيق هذا المطلب؟

كيف نوفق بين التناقضات الكثيرة التي تحول دون هذا المطلب؟

كيف ستعمل تلك القيادة في حال تمكن المسلمون من إيجادها؟

وسوف تكون الإجابة على تلك الأسئلة من خلال المفردات التالية:

أولا: المرتكزات العملية حول ضرورة القيادة والمرجعية

ثانيا: الصور والنماذج التي يمكن أن تبدو بها القيادة والمرجعية

ثالثا: الآفاق والواجبات التي سوف تقاربها القيادة والمرجعية

رابعا: المراحل الكبرى لتشكل القيادة والمرجعية

خامسا: الضوابط والسياسات لنجاح التشكيل القيادي والمرجعي

أولا: المرتكزات العملية حول ضرورة القيادة والمرجعية

وتبدو الحاجة ماسة للبدء في وضع اللمسات العملية الأولى والأسس النظرية التي سوف

تتبلور على ضوئها القيادة والمرجعية للمسلمين بإذن الله تعالى ومن أسباب ذلك إضافة إلى الفريضة الشرعية:

- خلو ساحة المسلمين من قيادة ومرجعية معتبرة يمكن أن تقوم بدور الموجه والراعي للأمة المسلمة وما ترتب على ذلك من مفاسد وتنازع بين الاجتهادات المختلفة.
- استقطاب الكفرة للمرجعيات الرسمية والسيطرة عليها ووضعها في الساحة الخلفية لمشاريعهم ورؤاهم وتوظيفها التوظيف الاستسلامي الذي يحول دون قيام المسلمين بأي خطوة لحماية دينهم ومقدساتهم وتطوير مشروعهم الإسلامي مما أوضح بجلاء مستوى التفريط الرسمي في مصالح الأمة.
- بلوغ مشاريع الكفر مرحلة تهدد أصل الإسلام ووجود المسلمين ومقدساتهم ورغبة أمم الكفر العارمة وعلى رأسهم اليهود والنصارى في تبديل أصول الدين وإجبار المسلمين ببرامج عالمية على القبول بكل ما يرغب به أولئك الكفرة.
- النضج العلمي والعملي الذي بلغه المسلمون من خلال المدارس الدعوية المختلفة والتجارب التي خاضوها والتي تؤهلهم لدفع شريحة واسعة ومباركة من العلماء والمجاهدين والخبراء من جميع الدول المسلمة لتشكيل أرضية صلبة وصولا إلى القيادة والمرجعية العالمية.
- الخبرات والرموز التي قذفتها الساحة الجهادية في واقع الأمة خاصة في فلسطين ومستوى التأهيل العالي الذي يميز قيادات هذه الساحة وما سوف يخرج من رجال وقادة في ساحات جهادية مستجدة بإذن العلي القدير.

ثانيا: الصور والنماذج التي يمكن أن تبدو عليها القيادة والمرجعية

وتعتبر الصور والنماذج التي يمكن أن تبدو بها القيادة والمرجعية مدخلا أساسيا لفهم أشكال التطبيق القيادي والمرجعي التي يمكن أن تتاح للمسلمين سعيا لتطابق تلك الصور والنماذج مع الحاجة العملية للأمة في هذه المرحلة ودفعا لتشكل طبيعي ومتدرج للصور والنماذج المثالية وحتى تخضع الخلايا القيادية الأولية لممارسة ميدانية تكشف إمكاناتها وتزيد من خبراتها وتعدها للمراحل التالية.

ويمكن تقسيم الصور والنماذج القيادية والمرجعية إلى عدة مسارات حسب العامل الرئيس الذي يتحكم في تشكيلها وبلورتها كما يلي:

النموذج الأول: النموذج القطري

وهو أن تتشكل نواة ومرجعية على مستوى القطر المحدد وهي إما أن تكون على أساس

الجماعات والحركات أو المؤسسات الإسلامية أو تكون على أساس العلماء والخبراء المستقلين أو تكون خليطا من الأساسين السابقين كما أنها إما أن تكون سرية أو تكون معلنة حسب تقدير وظروف كل قطر وتتولى هذه النواة النظر في مصالح الدعوة والأمة معا في القطر المحدد.

ومن نماذجه المطبقة ما تم اعتماده من لقاء للعلماء وقادة الحركات الإسلامية في الجزائر إبان الانهيار الشيوعي في بداية التسعينيات من القرن العشرين ولكن انفراط عقد ذلك اللقاء حال دون استثماره استثمارا جيدا ومنه ما دعت إليه الجماعة الإسلامية من تجمع في باكستان إبان الهجمة الصليبية الأمريكية على أفغانستان عام 2001م.

النموذج الثاني: النموذج الإقليمي

وهو نفس النموذج السابق ولكنه يتسع لكي يشمل إقليما كاملا ويضاف إلى أسس تشكيله الأساس القطري أي أن يتشكل من مجموعة من العلماء والخبراء من دول الإقليم.

ومن نماذجه اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا.

النموذج الثالث: النموذج العالمي

وهو أيضا يشابه النموذج الإقليمي ويتسع لكي يشمل دول العالم الإسلامي والأقليات الإسلامية ويمكن أن يكون فيه التمثيل على أساس جماعات وحركات أو مؤسسات إسلامية أو على أساس علماء وخبراء مستقلين أو على الأساسين معا.

ومن نماذجه المطبقة التنظيم العالمي للإخوان المسلمين والذي يضم قيادات الإخوان في العالم ومنه ما دعا إليه الدكتور حسن الترابي من لقاء عالمي للحركات الإسلامية إبان التغيير السياسي الإسلامي في السودان في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين ومنه ما دعا إليه الإخوان المسلمون من إعلان أو بيان عالمي للعلماء وقيادات الحركات الإسلامية صدر في أكثر من مناسبة ومن نماذجه ما دعا إليه بعض قيادات الحركات الإسلامية والمستقلون في المملكة العربية السعودية من إعلان عالمي لتجمع بعيد الغزو الصليبي الأمريكي للعراق عام 2003م.

النموذج الرابع: النموذج التنسيقي

وهو أن يكون التنسيق والاتفاق العام المفتوح هو الأساس الذي تلتقي عليه الجهات المكونة لهذا اللقاء فلا إلزام إلا الإلزام الأدبي والمعنوي وتحت مستوى معين من التفاهم والأهداف المشتركة.

ومن نماذجه ما دعت إليه حركة حماس المجاهدة في فلسطين من لقاء فصائل الجهاد إبان الانتفاضة المباركة خاصة بعيد الاختراق اليهودي للصف الفلسطيني وإعلان أوسلو عام 1992م.

ومن نماذجه ما دعا إليه الإخوان المسلمون من تنسيق وتفاهم بين كبرى الحركات الإسلامية في العالم وهي الإخوان المسلمين وحزب الرفاه التركي والجماعة الإسلامية في باكستان.

النموذج الخامس: النموذج الاندماجي

وهو أن يكون الاندماج الكلي أساس اللقاء بين الجهات المكونة له وولادة تجمع جديد بخصائص جديدة أو مكملة لما كانت عليه الأطراف المشاركة من قبل.

النموذج السادس: النموذج الجهادي:

وهو أن تكون ساحة الجهاد أساسا لتشكل القيادة والمرجعية حيث يتوافر لهذا النوع من المرجعية من الخبرات والالتفاف الجماهيري ما لا يتوافر لغيرها من المرجعيات.

وقد شهدت ساحة أفغانستان من قبل ولادة هذا النوع من القيادات كالشيخ عبدالله عزام رحمه الله تعالى وغيره.

النموذج السابع: النموذج الشرعي

وهو أن يضم هذا النموذج كوكبة من العلماء الشرعيين ذوي الإمكانات العالية في التخصصات الشرعية المختلفة بشرط الاستقلال والقدرة على التصدي للقضايا الكبرى في الأمة سواء كان هذا التجمع من خلال مؤسسات شرعية كالجامعات والمعاهد أو كان بشكل فردي، وهو نموذج يمكن تطبيقه على المستوى القطري أو الإقليمي أو العالمي.

ومن نماذجه رابطة الدفاع عن المسجد الأقصى وغيرها.

النموذج الثامن: النموذج التخصصي والاستشاري

وهو أن يضم هذا النموذج كوكبة من المتخصصين في علم واحد أو مجال خبرة محددة كالسياسة أو الاقتصاد أو القضاء وحتى الشعر والآداب بحيث يلعب هذا النموذج دورا مساندا للأداء القيادي والمرجعي كالدور الاستشاري وأن يدفع بالقدرات الفردية إلى مجال القيادة

والبروز العالمي، وهو نموذج يمكن تطبيقه على المستوى القطري أو الإقليمي أو العالمي.

ومن نماذج تطبيقه مراكز البحوث والدراسات والمراكز الإعلامية والروابط العلمية والتخصصية الاستشارية.

النموذج التاسع: النموذج القيادي والمرجعي الرمزي

وهو النموذج الذي يعتمد على القيادات الفذة السياسية والجهادية والعلمية التي تتبوأ مواقعها من خلال أدائها المتميز وتفوقها الذي يشهد به الجميع حيث يمكن استثمار الإجماع والالتفاف الذي يتوافر لهذه القيادات في إصدار الفتاوى وتحديد المواقف من القضايا الكبرى والمستجدات كما يمكن تكوين مرجعية دولية مصغرة من هؤلاء في الحالات العالمية الخطيرة والتي تمس مقدسات المسلمين ومصالحهم الكبرى.

ومن القيادات العالمية الفذة ما تمثل في الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى والشيخ يوسف القرضاوي والشيخ المجاهد أحمد ياسين والشيخ عبدالمجيد الزنداني والشيخ قاضي حسين في باكستان والمهندس نجم الدين أربكان في تركيا وغيرهم.

النموذج العاشر: نموذج الإعلان العالمي:

وهو أن تتفق كل فعاليات المسلمين من جماعات وعلماء وهيئات ومؤسسات على كلمة سواء تجاه أي قضية كبرى تمس كيان الأمة المسلمة فإما أن تعطي فتوى أو تزيد عليها بدعوة عملية لكل أبناء المسلمين لكي يتحركوا باتجاه محدد.

ومع وجود بعض المحاولات باتجاه هذا النموذج لكنه لم يلق التجاوب التام من المسلمين وعلى الفعاليات المسلمة أن تسعى نحو وضع البنية التحتية التي تسمح بممارسة هذا الموقف وأن لا تنتظر وقوع التحولات الكبرى لتفعيله خاصة عند المساس بالمسجد الأقصى أو ما شابه من اعتداء على حرمات المسلمين.

وعلى القيادات الإسلامية والمنظرون أن يبقوا الباب مفتوحا أمام الإضافات والإبداع في قائمة النماذج والصور وكذلك دمج بعض النماذج حسب الحاجة الميدانية والتطورات.

ثالثا: الآفاق والواجبات التي سوف تقاربها القيادة والمرجعية

نظرا لحساسية وشدة المرحلة التي تمر بها الأمة المسلمة فإن الآفاق والواجبات التي سوف

تقاربها القيادة والمرجعية المفترضة لن تكون مجرد قائمة بالواجبات المعروفة والتقليدية المنوطة بأي قيادة شرعية للمسلمين بل هي آفاق وواجبات دقيقة متعلقة بطبيعة المرحلة في المقام الأول ومن أعجب ما في هذه الآفاق هو حاجة القيادة والمرجعية ذاتها لمرحلة من الحضانة والنماذج التجريبية وزرع لمنظومة من القيم في الساحات القيادية تسمح بولادة قيادة حية فاعلة وغير معوقة يمكنها من التعاطي مع واقع المسلمين وآمالهم بتميز وفاعلية تليق بظهور الدين وانتصار الحق.

وتتمثل الآفاق والواجبات التي سوف تقاربها القيادة والمرجعية بما يلي:

- أن يجتهد عموم القادة من الدعاة والعلماء وقيادات الحركات الإسلامية والمستقلون في بذل الجهود العلمية والعملية لبث وغرس منظومة القيم الشرعية الجديدة في الساحة القيادية وعلى كل المستويات القطرية والإقليمية والعالمية وفي حال نجاح عملية غرس تلك المنظومة فإنها ستلعب بإذن الله تعالى دورا في فتح الباب للدفع بالقيادات العالمية والمرجعية الإسلامية دون أن تعوقها القيم القديمة، وفيما يلي بعض مفردات المنظومة الجديدة:
  - فرضية التعاون والتواصل بين الجماعات الإسلامية والعلماء.
  - لا تناقض البتة بين التعددية الإسلامية في الاجتهادات والانتماءات وبين ضرورة التوحد والاعتصام فكل مبدأ يمكن تطبيقه في ظل المبدأ الآخر.
  - لا يمكن للمشروع الإسلامي أن يتقدم بلا إقرار للتعددية السياسية في المسلمين والتي تقر بمصالح الفئات التي نذرت نفسها لخدمة الدين كالجماعات والأعراق دون خدش للأخوة الإسلامية ولا تقديم للمصلحة المحدودة على المصلحة العامة للأمة كما كان ذلك في المهاجرين والأنصار وقبائل العرب.
  - المبادرة وعدم الانتظار لتحقيق التعاون والتواصل.
  - تخفيف حدة الشارات والرايات والانتماءات عند مباشرة التعاون.
  - تقديم الأكبر والأعلم والأسبق والمجاهد لإدارة وقيادة التعاون.
  - التسابق والتنافس على الفوز برضا الخالق لا على الوجاهة والصدارة.
  - الأصل عند المسلم الزهد في القيادة والإعراض عن الرئاسة ودفعها ما أمكن ثم أخذها بحقها إذا تعينت.
  - لا بد من التمييز بين الإدارة والقيادة والمرجعية فقد تجتمع في شخص وقد تفترق والأفضل في المراحل الأولى تفريقها.
  - اعتماد مبدأ التداول القيادي في كل المستويات.
  - لا بد من التمييز بين قيادة التمهيد والإعداد وقيادة الميدان الحقيقية التي تنبع من

مباشرة الخطوب وتفتق العقول عن خطط كخطط عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد رضي الله عنهم ففي المرحلة الأولى يقبل كل ملتحق وفي الثانية ينزّل الرب تباركت أسماؤه النصر على من يشاء من عباده.

- القيادة ليست قاصرة على الانتماءات الحزبية على فضلها ففي أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الطاقات والقدرات ما لا يعلمه إلا الله سبحانه.
- ضرورة التمييز بين فضل العلم والعلماء وبين من يصلح من بينهم للريادة والقيادة واتخاذ القرارات الحاسمة.
- إدارة الخلاف هي القضية المتعينة في المستوى القيادي لا منع الخلاف ولا الهروب من ساحته.
- لا يشترط على الدوام الإجماع على القضايا الاجتهادية وإن كان ذلك أفضل فقد يتبين الخير بعد حين كما حدث في خلاف بعث جيش أسامة رضي الله عنه في أول عهد الصديق رضي الله عنه.
- تحصيل الخير للمسلمين مقدم على تحصيله للفئات والتجمعات الخاصة.

■ ومن الآفاق والواجبات التي سوف تقاربها القيادة والمرجعية في المراحل الأولى الدور التقعيدي والتنظيري للأداء القيادي والمرجعي محدودا كان أو عالميا إذ لا بد من بذل الجهود العلمية والمتخصصة الوافرة والتي ستجعل الأداء القيادي والمرجعي يعتمد على خلفية جزلة من النظر والتقعيد في المجال الشرعي والسياسي والجهادي والإداري والقانوني وغيره حتى يصل الأمر إلى مستوى من الرسوخ الذي تستقر به الممارسة العملية ولا تهتز لأدنى خلاف داخلي أو ضغط خارجي أو اشتعال المعارك الكبرى مع العدو.

■ ومن الآفاق والواجبات التي سوف تقاربها القيادة والمرجعية في المراحل الأولى تشجيع التخطيط الاستراتيجي العالمي واستخراج أفضل ما عند المسلمين من عقول وخبرات عالمية والتي يمكنها أن تخرج من أسر الوحدات المكونة للمشروع العالمي لكي تنظر النظرة العالمية وتكتشف معادلة العلاقة الدولية بين تلك الوحدات وتوظف طاقات المسلمين وجهادهم المعاصر في منظومة فريدة وخطة محكمة يصاول بها المسلمون مكر اليهود والنصارى والمشركين في الأرض ويعبرون بها المرحلة الجبرية إلى مرحلة الرشد والخلافة.

■ ومن الآفاق والواجبات التي سوف تقاربها القيادة والمرجعية البدء في تبني الاستراتيجية العالمية للتعامل مع الوضع الدولي الذي يمر به المسلمون ودفع القناعات بها في أوساط الأمة عبر إخضاعها للحوار الخاص والعام.

- ومن الآفاق والواجبات التي سوف تقاربها القيادة والمرجعية تحديد الخيارات المتاحة أمام المسلمين فيما يخص أنساق الهياكل التعبوية والقيادية والتخصصية التي سينتظم فيها الأداء الدعوي والسياسي والجهادي على جميع المستويات المحلية والإقليمية والعالمية وعلاقة تلك الهياكل بشعوب العالم الإسلامي والجماعات الإسلامية فيه وغيرها من الطاقات والمؤسسات.
- ومن الآفاق والواجبات التي سوف تقاربها القيادة والمرجعية تحديد خيارات الممارسة الشورية ومستوياتها وهياكلها وتشكل دوائر أهل الحل والعقد وفرز مواقع الإلزام الشوري من مواقع الإعلام الشوري وتطوير قيم الممارسة الشورية والنقابية في أوساط المسلمين في العالم.
- ومن الآفاق والواجبات التي سوف تقاربها القيادة والمرجعية دراسة البدائل الفنية لتأسيس البنية التحتية للتواصل القيادي والتخصصي الدولي وتوصيل الرسالة الإعلامية للأمة المسلمة نقية دون شوائب وكسر واختراق الاحتكار النصراني واليهودي للوسائل الإعلامية والفنية والتقنية.
- ومن الآفاق والواجبات التي سوف تقاربها القيادة والمرجعية دراسة البدائل المتاحة في مجال الرسالة الدولية والنظام الدولي الذي يتقدم به المسلمون لبقية الأمم وتكثيف الدراسات والبحوث في هذا المجال.
- ومن الآفاق والواجبات التي سوف تقاربها القيادة والمرجعية دراسة الشروط الواجب توافرها في التشكيلات القيادية المختلفة وتعميق الوعي بها في الساحة الإسلامية ومن تلك الشروط: العلم والتخصص والخلق النبيل والممارسة الميدانية والخبرة القيادية وتزكية الميدان الذي ينتمي له المرشح والمساهمة في إدارة الأزمات والمعارك ولعب الأدوار الاستشارية والدهاء والقدرة على التعامل مع المستقبل وغيرها من الشروط.
- ومن الآفاق والواجبات التي سوف تقاربها القيادة والمرجعية البدء بممارسة وتجريب الأداء القيادي والتوجيهي في الأمة بدعم مسارات الجهاد وتحديد ساحاته الجديدة ورسم مسارات الدعم والإسناد وتنسيق الأداء الكلي للجماعات والمجتهدين في الأمة ووضع الفتيا العالمية في موقعها الصحيح ومقاربة القضايا والخلافات بغية حلها أو زحزحتها إلى غير ذلك من أشكال الأداء القيادي الميداني.

رابعا: المراحل الكبرى لتشكل القيادة والمرجعية

سوف تحتاج القيادة والمرجعية العالمية للمسلمين حتى تتشكل إلى ثلاث مراحل كبرى وعلم ذلك عند الله تعالى وهي كالتالي:

المرحلة الأولى: مرحلة الأداء النظري والقيمي

وهي مرحلة تتشكل فيها الأسس النظرية والقيمية والدستورية التي ستمهد لولادة القيادة والمرجعية العالمية للمسلمين دون أن تضر هذه المرحلة النظرية بمسيرة الأداء الدعوي والسياسي والجهادي في الأمة بل ستكون شدة الصراع دافعا لإنضاج هذه المرحلة وتشكل قيمها في أوساط الدعاة والمسلمين عموما وقد تحتاج هذه الفترة من خمس إلى سبع سنين.

المرحلة الثانية: المرحلة المختلطة بين الأداء النظري والعملي

وهي مرحلة سوف تبدأ بإخراج بواكير التشكيل القيادي العالمي في مجاله الرمزي والتنفيذي والشوروي والتخصصي كما أنها سوف تستكمل الأداء النظري إضافة إلى الأداء العملي وهي مرحلة قد تستغرق سبع سنين أخرى كحد أقصى حتى تدفع بالمرحلة الأخيرة.

المرحلة الثالثة: مرحلة النضج والرسوخ القيادي والمرجعي

وفي هذه المرحلة سوف تتبلور المرجعية القيادية للمسلمين ودوائرها الشورية والتنفيذية والقضائية وستمارس أدوارها العالمية بإذن الله تعالى وذلك حسب نضج الواقع الميداني لمسيرة الأمة والتحولات الكبرى التي تكون قد تمت فيها والتي أسهم التشكيل القيادي العالمي في مسيرتها فهو نضج مشترك بين الأمة والقيادة والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

خامسا: الضوابط والسياسات لنجاح التشكيل القيادي والمرجعي

إن تشكل القيادة في أي أمة ليرتبط بعدة عوامل ومؤثرات ولعل أهم تلك العوامل والمؤثرات التي تؤخر أو تفشل أي تشكيل قيادي هو عامل التناقضات والتجاذبات الاجتهادية والعصبية والرغبة في السيطرة والتي تؤدي بدورها إلى التنازع ومن ثم الفشل، وعليه فإن إدراك تلك العوامل وتفهمها وتوقع تفاعلها لتعتبر من المتطلبات الهامة لحسن إدارة المرحلة القادمة من المشروع الإسلامي وفي هذه الفقرة سوف أنبه إلى بعض أهم الضوابط والسياسات التي ينبغي التنبه إليها والعناية بها لنجاح التشكيل القيادي والمرجعي.

- الحذر البالغ التي ينبغي أن توليه التشكيلات القيادية الأولية باتجاه عدم زرع أسس التناقضات بين الكتل الإسلامية الكبرى التي تشكل الأرضية الدعوية بين المسلمين وإلا فإن هذا الزرع المبكر سوف ينعكس انعكاسا خطيرا على مستقبل التشكيل القيادي.
- الحذر الذي ينبغي أن توليها التشكيلات القيادية تجاه عدم التقوقع والانكفاء في دائرة

واحدة من دوائر الممارسة الإسلامية وهي دائرة الدعوة الكلامية الخضراء ورد الاجتهادات الأخرى في الدائرة البرتقالية والحمراء وهما دائرة السياسة ودائرة الجهاد فإذا لم يمكن لأي تشكيل قيادي أن يعطي رأيا مؤيدا للاجتهادات الأخرى فالأولى أن يسكت لا أن يربك ساحة المسلمين بالتراشقات والتهم.

- الأولى أن يتطور الوضع القيادي والمرجعي بتطور الوضع الإسلامي الكلي فكلما سنحت الظروف لدفع الموقف نحو تبلور أكبر للقيادة ينبغي على الدعاة أن لا يتأخروا عنه وكلما تعقدت الظروف كان الأولى الاحتفاظ بخطوط متوازية مع المسيرة الإسلامية.
- ينبغي إقرار القيادات والأمراء للجماعات الإسلامية والتجمعات على ما هم عليه من خيارات وتشكيلات إدارية وعدم منازعتها فيما ارتضته لنفسها.
- للعلماء والمجاهدين الموقع المتقدم دائما في أي تشكيل قيادي ومرجعي للمسلمين خاصة من هم في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.
- لا ينبغي التعجل في الانتقال من مرحلة التنسيق والتفاهم ومرحلة التنظير وإرساء القيم إلى المراحل التالية في مسيرة التشكيل القيادي والمرجعي حتى لا تنتكس المسيرة.
- على الأمة ممثلة في الدعاة والمجاهدين والعاملين للإسلام أن يعتنوا بأمن القيادات والدفاع عنهم في كل المراحل حتى يمكنوهم من أداء رسالتهم.
- على أبناء الأمة أن يوفروا للقيادات الاحترام والعناية المعنوية والمادية التي أوجبتها الشريعة لهم حتى يتمكنوا من أداء رسالتهم.
- ينبغي عدم الخلط بين الأداء العلمي والفقهي والوعظي -على فضله- والأداء القيادي والمرجعي فقد يجتمعان وقد لا يجتمعان في واحد.
- من الضروري أن يعتمد مبدأ التدرج لبناء القيادة والمرجعية العالمية فإن نضج هذه القيادة مرتبط بمؤشرات نضج عامة في المشروع الإسلامي ومراحله القادمة.
- من الضروري أن يتم قبول الصور والنماذج المتعددة للقيادة والمرجعية العالمية للمسلمين على أن تسعى قيادات تلك النماذج للتكامل وخدمة الأهداف المشتركة.
- الحذر من صراع التخصصات والمراجع والتجاذبات بين التخصص الشرعي مثلا والتخصص السياسي أو غيره وينبغي أداء الدور القيادي والمرجعي بتكامل وفسح المجال لكل أنوع التخصصات لكي تدلي بدلوها.
- الحذر من الخلط والتنازع بين الأحكام الشرعية النهائية الواضحة وبين عملية تقدير المصالح والمفاسد في المواقف المختلفة فإن للشرعيين أن يكون لهم الحق في تبيان الأحكام الشرعية وأن يراقبوا مسيرة اتخاذ القرار ومسوغاتها حتى لا تقع في أية مخالفة شرعية ولكنهم بعد ذلك يستوون في عملية الموازنة بين المصالح والمفاسد مع باقي التخصصات

والعقول القيادية وإلا وقعت المسيرة القيادية المأمولة فيما وقع فيه الشيعة المعاصرون من صراع بين المرجعيات الدينية التي أضفيت عليها نوع من العصمة وأوصلت الموقف إلى تعقيد لا مخرج منه إلا أن ينتصر الطرف الديني أو الطرف الدنيوي.

- لا يجوز لأي تشكيل قيادي ومرجعي أن يمس المفردات الأساسية التي تشكل الخلفية الضامنة لتمكن تلك المرجعيات من النظر في المصلحة العليا للمسلمين وهي: الولاء والبراء ومرجعية الكتاب والسنة ووحدة الصف المسلم والاستقلال عن تأثير الكفرة.
- على أي تشكيل قيادي ومرجعي أن لا يرجع بالمسلمين إلى الوراء فيما يتعلق بالوقوع ثانية تحت تأثير المكر النصراني واليهودي العالمي بقبول مصطلحات التعايش السلمي والتسليم بمرجعية الكفرة في القضايا الإسلامية مهما كانت المسميات والألفاظ ومهما استخدمت الواجهات الإسلامية الشكلية لتحقيق ذلك التراجع.
- على أي تشكيل قيادي ومرجعي في الأمة أن لا يقع في أسر البيروقراطية وظاهرية النظم الإدارية وإلا تقطعت أشرعته سريعا في ظل الصراع الكبير الذي يواجهه المسلمون وعليه أن يبحث عن قوة الأداء مع بساطة الشكل وتخفيض الكلفة المادية.
- على التشكلات القيادية والمرجعية ن تحذر من الوقوع في أسر المواقف الجزئية أو أسر المرحلة الرمادية التي تسود الموقف الكلي للمسلمين الآن ومن أمثلة ذلك أن تؤسس تلك التشكيلات مواقفها كليا على الوضع السياسي في بلد ما أو تقع في أسر ما بات يعرف بالوضع الوطني والمصلحة الوطنية تلك التي ارتبطت بمصلحة الكفار أكثر من ارتباطها بمصلحة حقيقية للمسلمين.
- على كل التشكيلات القيادية والمرجعية التي تتشكل في هذه المرحلة ومهما كبر حجمها أن تعي أنها إنما تؤسس لتشكيل جيل واسع من المسلمين من أهل الحل والعقد وأنه لم يحن الوقت بعد للتشكيل النهائي أو الصور النهائية للمرجعية الإسلامية وعليه فلا ينبغي إغلاق الأبواب أمام الانسياب الطبيعي لتأسيس ذلك الجيل بادعاء امتلاك زمام الأمور والتفرد بالقيادة.
- على أجيال الأمة المعاصرة أن تدرك أن الترشح للقيادة في الأمة المسلمة إنما قد تم من خلال باب واحد هو الجهاد وحمل رايته وذلك على مسار التاريخ منذ أن استلم الراية أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعليه فلا يمكن أن تنضج المسيرة القيادية والمرجعية إلا من خلال مراحل من الجهاد المتواصل التي لا يعلم مداها إلا الله الواحد القهار.

● ثالثا: ملامح السياسات الشرعية

تأتي أهمية السياسة الشرعية للدور الخطير الذي تضطلع به في تحريك الواقع الإسلامي والدفع به أو تأخيره باتجاه الأهداف الكبرى للإسلام والمسلمين كما تأتي أهميتها في معالجة الأزمات الكبرى والخروج من حالة الاستقطاب أو الذهول الشديد الذي يصاحب الأزمات وباستخدام النظريات السياسية المحكومة بالمبادئ الشرعية والتي يتم توظيفها لعلاج الأزمات ومهما يكن من تلون في مساحات السياسة الشرعية المستخدمة حاليا في واقع المسلمين وغموضها في أحيان كثيرة خاصة في التعاطي مع الأزمات المعاصرة فإن من واجب علماء المسلمين اليوم أن يعيدوا رسم معالم تلك الساحة وأن يكونوا أكثر جرأة في إعادة صهر وقولبة معايير السياسة الشرعية والتي يمكن أن يستخدمها المسلمون في وزن وقياس وسبر أغوار المواقف السياسية والجهادية المختلفة مهما اختلفت الأماكن والأزمان ودون أن يخرجوا عن المرتكزات الشرعية، وفي هذه المفردة من ملامح المشروع الإسلامي سوف أبذل جهدي للوصول إلى بعض تلك المعايير والأوزان علها تسهم في سد بعض الفراغ في هذا المجال.

وقد قسمت المعايير إلى دوائر خمس تكون مهمتها شد شراع السياسة الشرعية في واقع المسلمين فينتصب عند ذاك الشراع لرياح التغيير المبارك وسنن التدافع فيكون إقلاع سفينة المسلمين المعاصرة متزنا وفاعلا ومستمرا في آن واحد بإذن العلي القدير.

والدوائر الأربع هي كالتالي:

الدائرة الأولى: دائرة الوضوح

الدائرة الثانية: دائرة التوازن

الدائرة الثالثة: دائرة التكامل

الدائرة الرابعة: دائرة المرونة

الدائرة الخامسة: دائرة النظام السياسي

وفي كل دائرة من تلك الدوائر سوف أقترح اعتماد بعض المبادئ الأساسية والتي تشكل بمجموعها ضوابط للأداء في مجال السياسة الشرعية.

الدائرة الأولى: دائرة الوضوح

■ إن من متطلبات الوضوح في السياسة الشرعية أن يعتمد المنهج الإسلامي بكل معطياته عند التعامل السياسي واستحضار مرتكزاته دون انتقائية ولا وصاية فمن الواضح بأن

الانتقائية هي سبب التفرق في الحكم على الموقف الواحد حيث تميل بعض المدارس الإسلامية إلى التركيز على وجه واحد من أحكام المنهج الإسلامي أو كأن تميل إلى رؤية جزء من الحقيقة وإغفال بعضها الآخر، ودون وصاية فإن ربط الأحكام بالوضع العالمي مثلا أو بالوضع الوطني واستخراج تلك الأحكام بناء عليها يعرض المنهج إلى الوصاية الدائمة التي لا تتبين معها الحقيقة أبدا ولا يعني هذا عدم أخذ الوضع العالمي أو الوطني في الحسبان ولكن دون أن يكون لهذا الأخذ المرجعية الكاملة في تقدير الموقف.

- وإن من متطلبات الوضوح في السياسة الشرعية أن تنضبط كل معطيات ومفردات الأداء في تلك السياسة بأساسيات المنهج وحدوده لا أن تنفلت من كل الحدود ومن أمثلة ذلك مفردة المرونة فهي منضبطة بمجموعة من الضوابط بحيث لا تؤدي المرونة إلى تضييع أساسيات المنهج كأن يعتبر البعض تعاطي الحكومة التركية الأخيرة مع ضغوط الإدارة الأمريكية من المرونة الواجبة ولو أدى ذلك التجاوب إلى خدمة الأهداف الأمريكية واليهودية في المنطقة.
- وإن من متطلبات الوضوح في السياسة الشرعية أن تسهم تلك السياسة في كشف الأوهام والظنون لا أن تكرسها في واقع المسلمين فقد دأب البعض ونتيجة للوضع الاستضعافي على تأكيد مرجعية الكفرة وانتظار الإنصاف منهم والعدل ويوشك بعض قادة العمل الإسلامي أن يقعوا في تكريس هذا الأداء دون انتباه كما يحصل الآن في العراق حيث ينتظر البعض أن ينصف الأمريكان العراقيين ويردوا بعض الحقوق وما على المسلمين إلا أن ينتظروا قيام الأمريكان بهذه المهمة بغض النظر عن نسبة ما سيحصل عليه المسلمون مقارنة بفساد الأمريكان في العراق واستخدامهم له لزيادة معدل الفساد في بقية بلاد المسلمين وبغض النظر عن مترتبات استقرار الأمريكان النهائي في بلاد الرافدين.
- وإن من متطلبات الوضوح في السياسة الشرعية أن تمثل تلك السياسة انعكاسا للمنهج الإسلامي وتكريسا لمبادئه ومن أمثلة ذلك التعاطي مع القضية النفاقية في المجتمع المسلم حيث ضبط الإسلام إدارة هذه القضية بمعادلة دقيقة مبثوثة في القرآن والسنة حيث تبدأ تلك المعادلة من قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:8) ولأن أخطر ما تباشره القضية النفاقية هو التأثير على التعاطي السياسي في القضايا المختلفة فإن استخدام المنهج القرآني والسني في كشف ملابسات النفاق تعد من أهم ما ينبغي للسياسة الشرعية أن تعتني به لا أن تهرب من مقتضياته، وهكذا ينسحب هذا المبدأ على بقية المبادئ التي ينبغي أن تكرسها السياسة الشرعية ولعل من أوضح تلك المبادئ هو التعاطي مع المعادلة الكفرية والأسس القرآنية والسنية المعتمدة في التعامل مع تلك المعادلة.

- وإن من متطلبات الوضوح في السياسة الشرعية مراعاة الحقوق والواجبات الكبرى التي رتبها المنهج الإسلامي في إطار المصلحة العليا للأمة المسلمة ومنها واجب الحفاظ على الدين والملة والذي لا يمكن تحقيقه عند استحضار عامل واحد أو بعض العوامل وإنما الواجب أن يتم استحضار كل العوامل المؤثرة في الموقف العام لمسيرة الدعوة الإسلامية المعاصرة وموقف الأمم الكافرة منها وفي حال التحقق من الواجب الذي ينبغي على المسلمين أن يتقدموا إليه ويحملوه فإن استنهاض طاقة المسلمين الكلية يصبح واجبا آخر متعلقا بالأول وما لا يتم الواجب إلا به فإنه واجب كما قرر الأصولويون، وقد رأينا تطبيق هذه القاعدة ماثلا للعيان عند بدء التدخل الاستخباراتي ثم العسكري السوفيتي للأفغانستان في منتصف سبعينيات القرن العشرين فقد قرر العلماء والدعاة واجب الجهاد والمقاومة وتقرر على إثر ذلك واجب النصرة الذي اتسع حتى شمل المسلمين في الأرض كل بما يستطيع.
- وإن من متطلبات الوضوح في السياسة الشرعية أن تراعي تلك السياسة أولويات التطبيق الشرعي في معادلة التدافع وتحقيق مصلحة المسلمين فلا يعقل أن تتقدم أولوية الحوار والعلاقات مع الكفرة والمنافقين مثلا على أولوية الحوار والعلاقات والبحث عن القواسم المشتركة بين المسلمين أنفسهم خاصة بين قيادات الجماعات الإسلامية والتجمعات القبلية وأصحاب الانتماءات السياسية من المسلمين المعلنين الولاء لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.
- وإن من متطلبات الوضوح في السياسة الشرعية أن تعتمد وتستحضر تلك السياسة أهداف المنهج الإسلامي العليا في التدافع وهي تحقيق الغلبة على الكفار وإزاحة سيطرتهم من على الأرض لا أن تستخدم السياسة لتكريس الهيمنة والسيطرة للكفرة والتسليم لهم وهذا لا يتناقض البتة مع سنة التدرج والخداع في الحرب فالحرب خدعة كما تقرر في الصحيح ولكنها تبقى حربا لا تواصلا مائعا.
- و إن من متطلبات الوضوح في السياسة الشرعية أن يحذر العلماء والدعاة من توظيف المنهج الإسلامي لخدمة الكفرة والمنافقين بالذهاب مذهب التبرير والتزيين أحيانا والبحث عن المخارج عند حدوث الوقائع الكبرى والتي يشترك الكفر والنفاق في حصولها كما حدث عند البعض إبان التحول الدولي عند سقوط الاتحاد السوفيتي ووقوع حادثة الغزو البعثي للكويت.
- وإن من متطلبات الوضوح في السياسة الشرعية البت في القضايا الرئيسة والتي تسبب اختلافا وتباينا في المواقف الإسلامية خاصة عند تجدد الظروف والمعطيات الميدانية كقضية الموقف من حكام المسلمين خاصة في ظل التجدد في الظروف العالمية وتقدم

أمريكا نحو التحكم الكبير والمباشر في أوضاع المسلمين والانكشاف الكبير الذي تتعرض له النظم السياسية ومن القضايا اختلاط وتقاطع الأوضاع الداخلية في مجتمعات المسلمين حيث تحكم مثل هذه القضايا رؤية دقيقة تحرم نسف الساحة الداخلية التي يرتكز عليها الدعاة والمجاهدون والصبر على أذى المنافقين إلى أقصى الحدود وتوجيه الطاقات إلى العدو الأصيل الواضح.

- وإن من متطلبات الوضوح في السياسة الشرعية أن لا يفقد المسلمون اتجاه البوصلة العام مهما كثر الاختلاط وزاد معدل الفتنة وشدتها وأن لا تؤدي بهم الضغوط الشديدة إلى الغفلة عن الاتجاه العام ولعل أفضل من يؤدي هذه المهمة في أيامنا هذه قيادة المجاهدين في بيت المقدس فلله درهم من رجال يذكرون بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
- وإن من متطلبات الوضوح في السياسة الشرعية عدم تفريق المسلمين وتقسيمهم على الأساس الجاهلي العصبي بحيث يؤدي ذلك التفريق إلى ضياع حقوقهم واعتبار بعضهم أحق من بعض بالنصرة فهم كما وصفهم في الصحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُرَدُّ عَلَى أَقْصَاهُمْ (2673 رواه ابن ماجه)

الدائرة الثانية: دائرة التوازن

- إن من متطلبات التوازن في السياسة الشرعية استمرار الأعمال الكبرى التي يمارسها الدعاة في كل مكان من الأرض وأن يحافظوا على مسيرة العمل الإسلامي ويتم إدخال الإضافات المستجدة في الرؤى الاستراتيجية تدريجيا لا أن يتم نسف الساحات مرة واحدة وذلك لحاجة البشر لمرور الوقت ووضوح الرؤية حتى يستوعبوا طبيعة المتغيرات ويستجيبوا لها.
- وإن من متطلبات التوازن في السياسة الشرعية أن لا يتم استخدام الأحكام المطلقة في التعامل مع الوقائع المحددة فيؤدي ذلك إلى ضياع المسلمين في أودية تلك الأحكام كأن يقال مثلا: لا طاقة للمسلمين اليوم بمواجهة الأعداء حيث لا تتكافأ طاقات المسلمين بطاقات الكفار وعليه فالأولى الصبر والاحتمال. إن هذا الحكم المطلق لا يراعي أبدا الواقع ولا الصورة الكلية لموقف المسلمين بل يتجاهله فإن الواقع الذي فرضه الأمريكان في أفغانستان والعراق يجعل إمكانية المقاومة واردة تماما وفي متناول يد المسلمين وما عليهم إلا أن يسلكوا سبيل من سبقهم في فلسطين والفلبين والشيشان وغيرها.
- وإن من متطلبات التوازن في السياسة الشرعية أن لا يطلب من كل أقاليم المسلمين أن تلتزم بنفس الرؤى والتقدير للموقف العام فما يمكن تنفيذه في الصومال لا يمكن تنفيذه

في بلاد أخرى والعكس صحيح ولكن ينبغي أن لا تضر هذه السياسة بسياسة التكامل والدعم للقضايا المركزية للمسلمين والاستجابة لمعادلة التحرك الشامل عند وقوع الأزمات الكبرى في الأمة إما لتخفيف الضغوط عن بقعة ما من بقاع المشروع أو لزيادة معدل الضغط على العدو المستهدف.

- وإن من متطلبات التوازن في السياسة الشرعية رؤية النتائج الكلية لعمل الكفار والمنافقين وتقدير آثارهم على المدى البعيد لا أن يغمض بعض الدعاة والعلماء أعينهم عن هذه الحقيقة ويركزوا على بعض الآثار الإيجابية والمؤقتة ويحكموا الموقف بهذه الآثار فقد أطلق صدام وفي ظل مبادئ البعث التي كفرت بالإسلام حملته الإيمانية ورصع علم العراق بالله أكبر -والله أكبر من كل كبير- فكادت تخدع كثيرا من علماء المسلمين الذين طالبوا بالجهاد تحت رايته وكذا يفعل اليوم كثير من المنافقين من أمثال صدام في العالم الإسلامي حيث أجادوا هذا الفن الخداعي.
- وإن من متطلبات التوازن في السياسة الشرعية أن تبقى أعين علماء المسلمين على دوائر الأداء الكلي للعمل الإسلامي وهي دائرة الدعوة ودائرة السياسة ودائرة الجهاد تلك التي تقدم وصفها في فصول سابقة فلا ينبغي التركيز على دائرة واحدة من تلك الدوائر وإهمال الباقي مع العلم بأن كل دائرة تمد الأخرى بحاجتها في تكامل وتوازن.
- وإن من متطلبات التوازن في السياسة الشرعية أن يتم العمل وتقدير المواقف بمنظومة الناتج العقلي والعاطفي بمجملها وبتوازن فيما بينها لا أن تغلب بعض مفردات تلك المنظومة بعضها الآخر كأن يغلب الحذر أو يغلب الخوف أو تغلب الشجاعة والاندفاع فكل ذلك مطلوب ولكن بتوازن وباستخدام صحيح وحاسم وفي الوقت المناسب فمثلا يغلب على البعض الخوف والحذر من دخول أية تجارب جديدة بدعوى فشل أغلب التجارب السابقة ويلغي هذا الحذر حاجة المسلمين للتعامل مع التطورات وحاجتهم لكثرة التجارب التي تثري الموقف العام في مسيرة نهضتهم المعاصرة وقد يقع البعض في أسر بعض المقولات كمقولة: نريد بالمكث ما تريد بالحث. بينما يحتاج الموقف إلى قرار حاسم ودقيق واستثمار للظرف فلا مكث مطلق ولا حث مطلق.
- وإن من متطلبات التوازن في السياسة الشرعية الاستخدام الدقيق والمتوازن لمصطلحات الأداء السياسي وتقدير المواقف دون الوقوع في دائرة الاستقطاب الحاد كأن يطرح مصطلح المحافظة على المكتسبات مقابل مصطلح الاستجابة للتطورات فالأصل أن يتم فرز العوامل التي تشكل الأرضية الأصيلة للموقف والتي على ضوئها يتم استخدام السياسة المناسبة.
- إن من متطلبات التوازن في السياسة الشرعية أن يتم فرز مستويات المصلحة العليا

للمسلمين المتعينة في هذا العصر والتي ينبغي أن تتم استجابات الأمة والدعاة على ضوئها فهناك مصلحة مدافعة ومصاولة المشاريع الكفرية المختلفة وهناك مصلحة وأولوية مدافعة أخطر أنواع الكفرة وهم الأمريكان واليهود وهناك مصلحة الدفاع عن المقدسات وهناك مصلحة الدفع بمسيرة الدعوة في المواقع المختلفة من العالم وهناك مصلحة الحفاظ على البناء التراكمي لتربية وإعداد الجيل المسلم في مجتمعات المسلمين وهكذا.

- وإن من متطلبات التوازن في السياسة الشرعية تحديد مسطرة ومعايير الحساسية والأولوية في الثغور والأقطار المختلفة فيمكن تقسيم الثغور إلى أكثر من مسار فهناك الثغر الجهادي والذي يقتضي حسب الموازين المرحلية أن يترك العدو لكي يفرض فيه ممارساته المستفزة للأمة وعندها يمكن للأمة أن تتعامل مع العدو بشكل طبيعي وتدريجي كما يشترط للثغر العمق الجغرافي والاستراتيجي والعمق السكاني، وهناك الثغر السياسي والثغر الدعوي واللذان يمكن أن يتداخلا أو يفترقا حسب الظروف والمعطيات الميدانية وللثغرين أدوارهما الدقيقة والحاسمة في مسيرة الأمة العامة والتفصيلية.
- وإن من متطلبات التوازن في السياسة الشرعية أن تتناسب ساحات الجهاد والمواجهة العسكرية مع ساحات الدعوة والاستقرار بحيث ينبغي أن تكون الساحة الأوسع للأداء الدعوي ولا تقود الممارسات الجهادية إلى إقلاق وإرباك كل ساحات المسلمين إلا إذا اقتضت ضرورات المعركة ذلك.
- وإن من متطلبات التوازن في السياسة الشرعية أن يحذر القادة من الخلط بين المسائل المرجعية المطلقة أي المسائل الاستراتيجية وبين المسائل النسبية المتغيرة أي المسائل التكتيكية في إدارة المعارك السياسية والجهادية فإن الخلط في هذا المستوى من شؤون الإدارة العليا يوقع في المهالك وما درس الجزائر البليغ إلا انعكاس لهذه القضية فإن تطبيق الإسلام ومسيرة الدعوة الثابتة مسألة مطلقة واستراتيجية ومسألة الحكم والوصول إليه مسألة نسبية ومتغيرة وتحكمها الظروف المختلفة فكان ينبغي التضحية بالثانوي والتكتيكي في سبيل المطلق والثابت.

الدائرة الثالثة: دائرة التكامل

- إن من متطلبات التكامل في السياسة الشرعية أن تفقه الأجيال القيادية المستجدة والمتجددة في ساحات المسلمين أهمية جانب التكامل في السياسة الشرعية والموجه لخدمة المشروع الإسلامي والخروج بالمسلمين من دائرة الاستضعاف وأن من لا يعمل بهذه السياسة فإنه يسهم في إضعاف المسلمين وبالتالي يقع في دائرة الإثم.

- وإن من متطلبات التكامل في السياسة الشرعية أن تتقبل الجماعات الإسلامية على اختلاف اجتهاداتها تكامل أدوارها سواء قامت بهذا التكامل بخطة وتفاهم أو بدونه والشرط الأساسي لنجاح التكامل هو هدم أو تخفيف التناقضات إلى أدنى درجة ممكنة بين تلك الجماعات وإشاعة روح الأخوة الإسلامية الجامعة.
- وإن من متطلبات التكامل في السياسة الشرعية إدراك وتفعيل تكامل الأدوار بين أقطار المسلمين المختلفة سواء على المستوى الإقليمي أو العالمي فالقضايا الإقليمية ينبغي أن تخدم من قبل كل أجزاء الإقليم وبكل أنواع الخدمة المتطلبة والدعم ويتم تقدير القطر أو القضية الإقليمية الواجبة الدعم بعدة معايير منها المعيار الاستراتيجي والذي يجعل القطر المعني واجب الدعم بسبب وضعه الاستراتيجي حتى تتكامل نذر التحول الإسلامي فيه ومنها المعيار الجهادي فعند اشتعال ثغر ما بالمعطيات الجهادية وجب تداعي بقية الأجزاء له ومنها معيار الأزمات فعند وقوع القطر المحدد في أزمة حادة وجب التداعي لنجدته ونفس المعايير تطبق بالمستوى العالمي مع تميز في أهمية المواقع الجهادية التي توجب أعلى مستوى من التداعي والدعم التعبوي (اللوجستي) والتي تسقط عندها كل معاذير التخلف والقعود إلا ما كان تدرجا ولبثا وتربصا وخطة وحفظا لبقية الثغور.
- وإن من متطلبات التكامل في السياسة الشرعية أن يتحمل كافة المسلمون في الأرض تبعات مراحل المدافعة التي توشك أن تبين معالمها وترفع راياتها ومن أهم أشكال تحمل التبعات أن يبادر المجاهدون بفتح الثغور اللازمة لامتصاص الضغط وتشتيت العدو الكافر خاصة عند حاجة الثغور المركزية لهذه السياسة ويقتضي تطبيق هذه السياسة التبكير في دراسة بلدان المسلمين كافة دراسة جغرافية دقيقة ومسح كل زاوية فيها.
- وإن من متطلبات التكامل في السياسة الشرعية أن تقوم كل جماعة إسلامية وكل قطر أو أقلية مسلمة في العالم بتوفير الملاذات الآمنة للدعاة والمجاهدين في حال الحاجة إلى ذلك وأن تدخل هذه المهمة ضمن النصرة التي أوجبها الله عز وجل بين المؤمنين.
- وإن من متطلبات التكامل في السياسة الشرعية أن تتعدد وجوه المدافعة والأداء وفي جميع الأطر الشرعية والسياسية والقانونية والفكرية والتعليمية والاقتصادية وغيرها وعلى كل المستويات العالمية والإقليمية والقطرية.

الدائرة الرابعة: دائرة المرونة

- إن من متطلبات المرونة في السياسة الشرعية أن يتهيأ المسلمون لامتصاص ضغوط المراحل المختلفة دون أن يفقدوا صبرهم ورؤيتهم العامة وأن يستعدوا للتطورات والمفاجآت المتتابعة ويتأكد ذلك في حق الدعاة والعلماء والمجاهدين.

- وإن من متطلبات المرونة في السياسة الشرعية أن يستوعب قادة الجماعات الإسلامية والعلماء وقيادات المجاهدين كل دروس الدهاء والمكر والاستيعاب في إدارة المعركة.
- وإن من متطلبات المرونة في السياسة الشرعية خفة الحركة والتجاوب السريع مع متطلبات التدافع وإدراك حاجة أجزاء المشروع لأنواع الدعم المختلفة.
- وإن من متطلبات المرونة في السياسة الشرعية أن تستنفد كل الجهود في مسارات العمل وممارسة الضغوط في الجانب السياسي والقانوني والفكري وغيره وذلك حسب ظروف المجتمعات والبيئات المختلفة.
- وإن من متطلبات المرونة في السياسة الشرعية القبول بتعددية الرايات الإسلامية لاستخراج أفضل ما عند المسلمين من فنون الأداء والتنافس لخدمة مستقبل الأمة سواء استندت تلك الرايات إلى الاجتهادات الإسلامية المعاصرة والتي تعرف بالجماعات الإسلامية أو استندت إلى انتماءات قومية أو تجمعات مستقلة أو ممن ثاب إلى ثوابت الأمة بشرط أن تكون وجهتها واضحة في خدمة النهضة الإسلامية واعتماد مبادئ الإسلام كمظلة أساسية لها كما يشترط لقبول دخول أمثال هذه الرايات إلى ساحة التعددية الإسلامية أن لا تعمل كطابور خامس وأن لا ينخدع بها المسلمون.
- وإن من متطلبات المرونة في السياسة الشرعية أن يتعامل المسلمون مع أي ظرف إيجابي أو استثنائي في ساحات غير المسلمين بشرط أن لا يفقدهم ذلك استقلال قراراتهم ولا يؤثر على مسيرتهم العامة تأثيرا سلبيا وبشرط أن لا يؤدي ذلك التعامل إلى التماهي مع مشاريع الكفر في العالم.
- وإن من متطلبات المرونة في السياسة الشرعية ترك تقدير الموقف العام في كل بلد من بلاد المسلمين لقيادات تلك البلاد من الدعاة والعلماء والمجاهدين دون أن يؤدي ذلك إلى انغلاق كلي في إطار البلد المعني خاصة عندما يتعلق وضع أي بلد بظرف كلي للمسلمين كما هو الحال عليه الآن في العراق.
- وإن من متطلبات المرونة في السياسة الشرعية أن يستوعب المسلمون مفردات ومبادئ الإدارة الجهادية بكل أبعادها ومنها مسائل الصلح والهدنة بشروطها الشرعية التي تؤدي في مجملها إلى تقوية الموقف الجهادي ودفعه في مساراته دون أن يؤدي ذلك إلى كسر شوكة المجاهدين وإغلاق طريق الجهاد.

الدائرة الخامسة: دائرة النظام السياسي

والمقصود بهذه الدائرة أن يتم فيها تطوير واستيعاب المبادئ التي ستعمل في حال تطبيقها على تأسيس بنية تحتية للأداء السياسي في المجتمعات المسلمة على المدى البعيد تتناسب ونمو

المشروع الإسلامي كما يقصد بهذه الدائرة تحديد بعض المبادئ التي يتم من خلالها التعامل مع الأزمات الضاربة في عمق المجتمعات المسلمة وعلى رأسها علاقة المسلمين بنظمهم السياسية.

وعليه فإن فيما يلي من نقاط رسم لبعض أهم ملامح ومبادئ النظام السياسي:

- من المبادئ الأساسية في بناء النظام السياسي أن يسارع العلماء وقادة العمل الإسلامي إلى تطبيق مقدمات النظام السياسي فيما بينهم حتى يمكنهم من كسر حدة الجمود التي تسيطر على المسلمين فيما لحق بهم من فصل وعزل تام بين الدين والسياسة.
- ومن المبادئ الأساسية في بناء النظام السياسي أن مسألة الإمارة والقيادة وما يتعلق بها من سياسات ونظم إنما هي من صميم مسائل الدين الإسلامي سواء قُصد بتلك الإمارة الإمامة العظمى وهي الخلافة أو كانت أقل منها من التأمير السياسي وتقديم رجالات الأمة لقيادة المراحل الدقيقة المقبلة أو قيادة الأحلاف والتجمعات الكبرى في المسلمين أو إمارة الولايات الإسلامية المختلفة أو تأمير قادة الجهاد وغيرهم ولأن يمهد الطريق لتطبيق المبادئ والأسس أفضل من أن تترك هذه القضايا الشائكة فيؤدي ذلك التأخير إلى تدمير جهود المسلمين لعقود ولربما لقرون.
- ومن المبادئ الأساسية في بناء النظام السياسي أن الإمارة ينبغي أن تنبع من أعماق الأمة المسلمة الشرعية والعلمية والجهادية وأن الحديث في هذه الساحة لا يعني شطب النظم السياسية القائمة بجرة قلم ولكن التاريخ يتحول وحراك الأمة المسلمة يزداد وعيون المسلمين مشدودة إلى مقدساتهم وحرماتهم والعدو قد أوغل في فساده ولا يمكن لمراكز القيادة في الأمة أن تظل مشدودة بخارطة سايكس بيكو أبد الآبدين ولا برغبات الأمريكان واليهود ومن أراد أن يعرف المستقبل فلينظر إلى آخر النظم السياسية اصطناعا في تاريخ المسلمين الحديث فسوف يدرك القصة كاملة.
- ومن المبادئ الأساسية في بناء النظام السياسي الحديث للمسلمين مبدأ التدرج في البناء وأن الأمر يبدأ من قواعده وهي قواعد شرعية في المقام الأول وإن تلونت بألوان الاجتهادات المختلفة وأنه كلما أحسن وضع الأساس كلما ضمنت النتائج العالية في البناء.
- ومن المبادئ الأساسية في بناء النظام السياسي الحديث للمسلمين اعتبار البعد الجغرافي والقومي بعدا أصيلا في التنظيم و التأمير وذلك أخذا من فعله صلى الله عليه وسلم بإقرار قبائل العرب على ما كانت عليه بشرط أن يعتمد هذا البعد على البعد الإسلامي الشرعي خدمة وجهادا وتضحية لا أن يقذف بالبعد الإسلامي وراء الظهور كما فعل القوميون العرب المحدثون وعليه فإن الإيقاع الإسلامي التزاما وثباتا وتضحية في أي

وسط قومي هو الذي سوف يحكم المشاركة والاصطفاف.

- ومن المبادئ الأساسية في بناء النظام السياسي اعتبار التطور التاريخي المعاصر في تطبيقات الحركات والجماعات الإسلامية التي استقر أداؤها في مجتمعات المسلمين دعوة وسياسة وجهادا اعتبار ذلك محورا منظما للحياة الإسلامية المعاصرة وقناة رئيسة للأداء السياسي فهي قد أسهمت في صناعة واقع المسلمين على المستوين العالمي والقطري وبهذا فهي تمهد لاستيعاب المسلمين للتعددية المباركة في واقعهم سواء من رضي من تلك الجماعات أن يلتحق بالكتل السياسية أو اكتفى بالكتل العلمية والتربوية أو تطلع إلى الذرى الجهادية مؤثرا الأخرى على الفانية.
- ومن المبادئ الأساسية في بناء النظام السياسي ضرورة الفصل وتحديد الأسس التي سوف يبنى عليها النظام السياسي فيما يخص الخيارات الشوروية بين الإلزام والإعلام وفيما يخص شكل المشاركة الواسعة في اختيار الممثلين أو انتخاب الأمراء بين التمثيل الفئوي أو القبلي أو السكاني أو الجغرافي وغيره وفيما يخص حقوق مشاركة الفرد المسلم أو المواطن في بلاد المسلمين وفيما يخص النظم والدساتير واللوائح وغيرها.
- ومن المبادئ الأساسية في بناء النظام السياسي إقرار حق المواطنة في أوسع صورها التي أقرها الرسول صلى الله عليه وسلم عندما منح غير المسلمين ذلك الحق في المدينة المنورة بشرط التلاقي التام مع مصالح الأمة العليا.
- ومن المبادئ الأساسية في بناء النظام السياسي إقرار شرعية الأداء السياسي بعد إقرار التعددية السياسية وشرعية العمل على بث وتسويق الرؤى والبرامج المكرسة لخدمة المسلمين وشرعية الدعاية للأحزاب وقادتها بشرط عدم الوقوع في المخالفات الشرعية من تقديم المرشح لنفسه وغير ذلك من المخالفات وبشرط أن تبرز هذه الأحزاب وتلك القيادات من خلال مسارات الدعوة والعلم والتضحية والجهاد.
- ومن المبادئ الأساسية في بناء النظام السياسي إقرار مبدأ محاسبة القادة وتثبيتهم أو عزلهم ومبدأ التداول السلمي للقيادة في أي مركز قيادي في الأمة حتى يبلغ الأمر موقع الإمامة العظمى.

• رابعا: ملامح الإعداد التربوي والاجتماعي

وتأتي ملامح الإعداد التربوي والاجتماعي لتشكل الأرضية الصلبة للبناء الإسلامي المعاصر والمهيأ للتجاوب مع التحديات الكبرى التي يواجهها المسلمون وسوف تعتمد هذه الملامح على نظرية واحدة شاملة وهي عبارة عن عدة تربوية متكاملة وجاهزة للاستخدام حيث يستطيع أي مسلم أن يستخدمها في أي زمان ومكان بغض النظر عما يتوافر لديه من إمكانات كما أنها تعفي المربين من تعقيد الفلسفات المعاصرة وضغوط المناهج المسماة بالحديثة وهذه النظرية يمكن أن تُعنون بالتالي:

نظرية إحياء المعادلات القرآنية والسُّنّية في الإعداد والتربية

منطوق النظرية: أن يعتمد المربون والمعلمون والموجهون والوعاظ وكل من يتعاطى تربية الجيل المسلم على التوظيف المباشر للكتاب والسنة في إعداد وتربية الجيل المسلم وذلك من خلال المعادلات التربوية المتوازنة والمبثوثة في الكتاب والسنة والتي تتناول الإعداد العقلي والعلمي والإعداد النفسي والعاطفي والإعداد العملي والميداني مستفيدين من الخدمة العلمية الأمينة من قبل علماء المسلمين الموثوقين في القديم والحديث.

مميزات النظرية ومقوماتها الرئيسة:

وتتميز هذه النظرية بالمقومات التالية:

1- البعد عن الفلسفات وعن التعقيد الذي أضر كثيرا بتربية الجيل المسلم وأخضع العملية التربوية لتأثير الحضارات الوافدة والمؤسسة على العقائد الفاسدة والإعجاب الشديد بفنون الغرب ولغته دون أن تخل هذه الميزة في المعادلة باستفادة المسلم من علوم الآخرين.

2- التأثير المباشر للنظرية وذلك لتعلق هذا الأداء التربوي بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتعلقه بالهدي النبوي الكريم.

3- السرعة في الإنجاز والإعداد خاصة في مواجهة عوامل التغيير والاستقطاب النفسي والعقلي الذي باتت تفرضه العولمة ومعطياتها.

4- بث القاموس القيمي الموحد بين أبناء الأمة والذي عادة ما تتميز به أجيال النهضة الإسلامية المتجددة وقدرة أبناء الأمة على استيعاب وفهم مفردات هذا القاموس بيسر وسهولة ولتعلقه مرة أخرى بالكتاب العظيم وبسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام.

5- الذاتية والمبادرة التي تترتب على هذا النوع من الأداء التربوي في الأجيال المسلمة والتي

سوف تؤهلها للتعامل مع أشد البيئات قسوة وشدة.

6- التوازن التربوي الذي تفرضه المعادلات القرآنية والسنية في التعاطي مع جوانب الحياة وعدم الانجذاب مع التضخم والخلل في جوانب محددة.

7- التخفيف من ضغوط المناهج المتعارضة والتي تولدت في ظل اجتهادات وتنافس الجماعات الإسلامية المعاصرة حيث كان لتركيز كل جماعة على اجتهاد محدد وجانب من العلم والعمل أثره في تباين الأداء الإسلامي المعاصر مع العلم بأن الجميع يأخذ من نفس المعين المبارك ويعتمد نفس الأصول، وفي حال اعتماد هذه النظرية فإن الأمل أن يحقق ذلك تخفيفا من حالة الاستقطاب المنهجي المتحققة في الميدان الدعوي ويؤدي بدوره إلى تقارب وتكامل الأجيال في الأمة.

8- إنصاف العملية التربوية من العملية التعليمية وتقديم العملية التربوية عليها وإنجاز الأداء التربوي في وقت محدد وبشكل قاعدي يسمح للمسلم أن ينطلق في الحياة وقد استوفى عدته للتعامل مع الحياة ويبقى المسار العلمي وتحصيل العلم مفتوحا يطلب المسلم المزيد منه دائما: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه:114).

قائمة المعادلات:

1- المعادلة العقدية والإيمانية
2- المعادلة الجهاديـــــة
3- المعادلة السياسيـــة
4- المعادلة النفاقية والأمنية
5- معادلة الاستضعاف والتمكين
6- معادلة إعداد المرأة المسلمة والجيل المسلم
7- معادلة الإبداع الجماعي والفردي
8- معادلة أهل الكتاب والمشركين
9- معادلة التأهيل القيـــادي

كما يمكن استخراج معادلات أخرى غير المذكورة آنفا من القرآن والسنة.

الدليل التربوي لتطبيق النظرية:

وحتى يمكننا تفهم عمل تلك المعدلات ومن ثم توظيفها التوظيف الدقيق والحاسم في معادلة النهوض الحضاري للأمة المسلمة فإنه ينبغي علينا التوقف عند الدليل التربوي

المختصر التالي:

1- لكل معادلة من المعادلات المذكورة أو أي معادلة أخرى يمكن استخراجها من القرآن والسنة عواملها الدقيقة والمتكاملة والتي تشكل عناصرها الرئيسة تماما كالمعادلة في علم الرياضيات وعليه فإن أهم ما في جوانب التوظيف في هذه النظرية هو أخذ عوامل أية معادلة أخذا كاملا ووافرا فهي تشبه العملية التعليمية المتكاملة والتي لا بد أن تستوفي وحداتها التعليمية التي تشكل مسارا قائما بذاته ومن أمثلة ذلك المعادلة النفاقية والأمنية فلا بد من تتبع كل ما ورد في موضوع النفاق وأثره على المجتمع المسلم وطرائق التعامل معه وذلك في الكتاب والسنة وحينئذ يمكن ضمان استلام الجيل الذي تلقى هذا النوع من الإعداد المعادلة وافرة وكاملة.

2- يعتمد التوقف المتأني والمستوفي للتفاصيل مع كل وحدة في المعادلة عند القيام بالعملية التربوية وتستخرج تلك التفاصيل من مظانها الرئيسة في المتون سواء في التفسير أو في السيرة وعلم الحديث والعلوم الخادمة قدر المستطاع على أن يستوفى مراجعة أكثر من متن حتى تستخرج الكنوز التربوية من باطن تلك المتون.

3- على المربيين أن يلاحظوا ويتتبعوا العوامل السننية أي المتكررة في المعادلات المختلفة والتي تساعد على فهم الحالات المشابهة في كل زمان ومكان والتي يمكن من خلالها قراءة المستقبل وليس الواقع فقط وهذا جانب من جوانب الحكمة المبثوثة في القرآن والسنة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة:269)

4- على المربين أن يتوقفوا عند الظروف المحيطة بالمواقف المختلفة المتعلقة بالمعادلة قيد الدرس والمتعلقة بأسباب التنزيل وغيرها وأن يدفعوا بالجيل المتلقي لكي يعايش أحداث السيرة أو مفردات المعادلة فكأنه جزء منها.

5- لا يوجد هناك تقسيم للمستويات التربوية المعهودة في تعليم المعادلات لتميز الوحدات بالاستقلال والتكامل في آن واحد ويمكن أن يقاس مستوى المتلقي نسبة إلى استيفاء تلقيه لوحدات ومفردات المعادلة كلها ونسبة إلى قدرته على الاستيعاب والفهم الكلي ثم مدى انعكاس العملية التعليمية على واقع المتلقي وتأثره بها وتطبيقه لها.

6- ينفتح باب الإبداع التربوي في تعليم هذه المعادلات على مصراعيه فيمكن للمربين أن يتفننوا في توصيل المادة وأن يستخدموا بعضا من الفنون الحديثة والوسائل التعليمية في تعميق الفهم وزيادة الاستيعاب كمن يستخدم الخرائط الرملية في استيعاب غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن المعادلة الجهادية وكمن يستخدم الهندسة العصبية أو لغة الجسد لفهم الحالات النفاقية المختلفة ضمن المعادلة النفاقية والأمنية وهكذا.

7- على المربين أن يستخدموا المعادلات استخداما معاصرا وأن يوظفوها توظيفا عمليا لرؤية واقع المسلمين من خلالها وأن يعلّموا المتلقين فنون تلك الرؤية والمقايسة كتقييم المواقف السياسية في الأمة وكرؤية الأثر النفاقي على ساحات المسلمين المختلفة وكتقييم علاقة الأمة بالأمم الكافرة وغير ذلك.

8- لا تتناقض العملية التربوية باستخدام هذه المعادلات مع المناهج التربوية المعاصرة والمتبناه من قبل الجماعات الإسلامية والحركات الإسلامية المختلفة بل تتكامل معها كما تخفف من تباينها وتقرب بينها.

نماذج وحدات ومفردات المعادلات ومجالات التوظيف:

النموذج الأول: المعادلة العقدية والإيمانية

وفي هذه المعادلة يمكن التوقف عند الوحدات والمفردات التالية (للمثال لا للحصر):

- وحدة الإيمان بالله عز وجل والخضوع له والتعلق به والتوكل عليه ومحبته وإخلاص العبودية له وغير ذلك من جوانب عبادة الله تعالى وتوحيده.
- وحدة بناء أركان العقيدة الإسلامية الستة في عقول ونفوس المسلمين حتى يستقر ذلك البناء ويؤتي أكله وآثاره المباركة في تغيير الأحوال والتعامل مع التحديات.
- وحدة بناء العقيدة على الأسس التي ارتضاها أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية والألوهية والرجوع في ذلك إلى ما كان عليه سلف الأمة من وسطية وفهم.
- وحدة نبذ مظاهر الشرك والتصرفات التي تناقض التوحيد وتناقض إفراد الخالق بالعبودية مما وقع فيه بعض المسلمين جهلا وتقليدا وتعصبا.
- وحدة الدعوة إلى الإسلام في أوساط غير المسلمين من أصحاب الديانات الكبرى والمذاهب المادية التي تسود العالم وبيان فساد تلك الأديان والمذاهب والرد على الشبهات التي تصاحبها.
- وحدة الدعوة إلى دين الحق في أوساط المذاهب التي انحرفت عن الإسلام والرد على شبهاتهم خاصة ممن سعوا في العقود الأخيرة إلى تقديم مذاهبهم كتعبير عن الوجود الإسلامي في العالم وممن سعوا إلى غزو أهل السنة بمذاهبهم المنحرفة.

أما مجالات التوظيف الميداني لوحدات ومفردات هذه المعادلة فهي بينة قد تأسست على عظمة الإسلام وقوة تأثيره في نفوس أتباعه باستقرار العقيدة الحقة في نفوسهم والتي بها يتغير كل شيء ويصطلح حال المسلمين في كل مكان وزمان.

النموذج الثاني: المعادلة الجهادية

وفي هذه المعادلة يمكن التوقف عند الوحدات والمفردات التالية (للمثال لا للحصر):

- وحدة المعادلة الجهادية المتكاملة في القرآن والسنة وفيها: استعراض كل المواقف الجهادية في القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة بتفاصيلها وأجوائها خاصة الغزوات والمعارك الكبرى في صدر الإسلام وتاريخ الفتوحات.
- وحدة مضي واستمرار الجهاد إلى قيام الساعة وفيها: تفسير وشرح الآيات والأحاديث الواردة في هذا الشأن، كيف طبق المسلمون هذا المبدأ في تاريخهم القديم والحديث، كيف ارتبطت إشارات النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المبدأ في فتح القسطنطينية وغير ذلك من الإشارات.
- وحدة أثر عداوة الكفار العملية ومواصلة اعتداءاتهم على المسلمين وعلاقة ذلك بالمسار الجهادي، فاعتداؤهم يحدد الاستجابة الواجبة على المسلمين: ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (التوبة:13) وبأس الكفرة الموصول لا يصده إلا ثبات المؤمنين وقتالهم: (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ (النساء:84).
- وحدة الإعداد للجهاد وفيها: الإعداد النفسي واستصحاب نية الجهاد دائما والتطلع لخوض الجهاد كأعلى ذروة في الإسلام التطبيقي، الإعداد الفني والمهاري وضرورة تعلم كل الفنون المتعلقة بالجهاد، الإعداد البدني الشاق والتركيز على نماذج السيرة في ذلك.
- وحدة خطورة ترك المسلمين للجهاد وفيها: تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، الآثار العملية على الأمة المسلمة لترك الجهاد، ارتباط الجهاد ببقية مبادئ الإسلام وتكامله معها، كيف عمل الكفار على هدم الجهاد في نفوس المسلمين.
- وحدة أثر الجهاد المعاصر على واقع المسلمين ومستقبلهم وفيها: آثار الجهاد في أفغانستان على هدم النظام الكفري الدولي، آثار الجهاد في فلسطين على الأمة المسلمة، علاقة بؤر الجهاد بعضها ببعض.
- وحدة تكامل الأداء الجهادي والأداء الدعوي وعدم انفصامهما وفيها: استعراض الآيات والأحاديث التي تتعلق بهذه الوحدة والوقوف على دقائق الأحكام فيها، استعراض آراء العلماء المعتمدين في تاريخ المسلمين في هذه المسألة.
- وحدة توظيف الواقع والمعاناة لصالح الأداء الجهادي وفيها: يعتمد كسر معادلة الغثائية في الأمة على توظيف الفقر وبساطة البيئات لا على البيئات الغنية والتنمية المستقرة التي خدع بها المسلمون كثيرا وجعلت قلوبهم تتعلق بالدنيا، استصحاب أمثلة ذلك من السيرة

وتاريخ المسلمين القديم والحديث وكيف خرّجت بيوت الصفيح والأزقة الضيقة والقرى النائية المبنية بالطين المجاهدين المعاصرين في فلسطين ومن قبل في أفغانستان، ورؤية الصورة الحقيقية في رغبة الكفار وادعاؤهم بتحديث المسلمين فهم يعنون بذلك القضاء على إمكانات المقاومة لديهم ولذا لم يعمل سحرهم في بيئات المسلمين البسيطة كالصومال واليمن وغيرها.

وتتسع رقعة التوظيف لهذه المعادلة حتى تشمل الأمة كلها وهو توظيف معنوي ومادي أما المعنوي فهو زرع روح المقاومة والصبر والثبات وإعداد الأجيال لمتطلبات المسيرة الجهادية المعاصرة والتي هي في نمو وتزايد وليست في انحسار وانكسار كما يظن البعض وأما التوظيف المادي والعملي لهذه المعادلة فهي في التجاوب مع التطورات وإمداد الجبهات الساخنة بالمجاهدين والعلماء والفنيين في كل التخصصات.

النموذج الثالث: المعادلة السياسية

وفي هذه المعادلة يمكن التوقف عند الوحدات والمفردات التالية (للمثال لا للحصر):

- وحدة دراسة أسس الأداء السياسي الواردة في القرآن والسنة ومن خلال الآيات والمواقف المختلفة في السيرة.
- وحدة تبعية الأداء السياسي التكتيكي وعموم الأداء السياسي للتصور الاستراتيجي في الأمة.
- وحدة مراعاة الأداء السياسي وعنايته بالمصالح العليا للأمة.
- وحدة التحذير من التوظيف الاصطلاحي السياسي لدى الكفار في تعاملهم مع المسلمين.
- وحدة دراسة الأسس الثابتة لدى الكفار في تعاملهم مع المسلمين من خلال القرآن والسنة.
- وحدة العلاقة الاستراتيجية الثابتة بين عقائد الأمم المختلفة وأدائها السياسي.
- وحدة إمكانية فرز مصالح الأقاليم الإسلامية المختلفة في المستوى القاعدي واستحالة تناقضها في المستوى الأعلى وذلك عند نقطة المصالح العليا للأمة.
- وحدة دراسة المرونة السياسية وحدودها واستخداماتها الميدانية.
- وحدة تأصيل المفاهيم السياسية الكبرى في الأمة والتي تتعلق بالأداء الكلي فيها كمفهوم الأمة ومفهوم المصالح العليا ومفهوم المواطنة والجنسية ومفهوم المقدسات ومفهوم الجهاد ومفهوم الأقاليم الإسلامية ومفهوم ثروات المسلمين ومفهوم محاسبة المسؤولين والأمراء...الخ.

وتتنوع مجالات التوظيف لهذه المعادلة وإن كانت تتركز في المقام الأول إلى صناعة رأي عام في الأمة يلتقي حول المسارات الاستراتيجية لها ولا يختلف عند شدة الأزمات كما يشمل التوظيف الإعداد المبدئي للطواقم السياسية ودفعها للمواقع المتقدمة في الأمة.

النموذج الرابع: المعادلة النفاقية والأمنية

وفي هذه المعادلة يمكن التوقف عند الوحدات والمفردات التالية (للمثال لا للحصر):

- وحدة دراسة واستيعاب مكونات الأداء النفاقي من خلال استيفاء المواقف الأساسية للنفاق المذكورة في القرآن والسنة بالتفصيل الكامل.
- وحدة دراسة واستيعاب السنن التي تحكم الأداء النفاقي ورؤية تكرارها الميداني الحالي والمستقبلي في الأمة وفيها: موقف المنافقين في الحروب حيث يمكن أن يبلغ أداؤهم النفاقي الظاهري درجة التلبس بحالة الحرب لصالح المؤمنين ولكن انكفاءهم سريع وقريب: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً﴾ (الأحزاب:14) فهم سريعا من يعطون الخيانة أو يأتون إليها خفافا، ومن ذلك موقفهم من حالة النصر والهزيمة التي تصيب المؤمنين: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة:50) ومن ذلك موقفهم من القيادة المؤمنة: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾ (الأحزاب:12) وموقفهم من الكفار: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الحشر:11)، وغير ذلك من السنن التي تحكم الأداء النفاقي.
- وحدة دراسة واستيعاب أسس التعامل النبوي مع النفاق ومن تلك الأسس: كشف وهتك أستارهم وفضحهم على رؤوس الأشهاد: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:64) ومنها متابعة أسرارهم لمنع فسادهم في الأمة ودور حذيفة رضي الله عنه واضح في ذلك ومنها مجاهدتهم والغلظة عليهم ومنها رؤية وإدراك طبيعة علاقتهم بالكفار ومنها الامتناع عن قتلهم والصبر على أذيتهم لما يترتب على قتلهم من فساد داخل المجتمع المسلم إلى غير ذلك من أسس التعامل النبوي معهم.
- وحدة تعلم لغة الجسد المنافق وإشاعتها بين المؤمنين وتطبيقها ميدانيا للتعرف على النفاق المستجد في الأمة ومن ذلك: لحن القول ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد:30)، ومنها: دوران العين وعدم

استقرارها ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ (الأحزاب:19)، ومنها: تيبس الأجساد وذهاب العاطفة والروح وجفلتهم من كل صوت ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون:4)، ومنها: كثرة الحلف ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة:96)، ومنها: التهديد الخفي والدائم للمؤمنين ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون:8)

- وحدة عدم السماح بتفرق الصف المؤمن بسبب الأداء الأمني المتقدم للمنافقين في الأمة ووجوب مقاومة ذلك معنويا وماديا: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ (النساء:88) وضرورة عدم توقع الدعم والتأييد من صفوف النفاق: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:47).
- وحدة ضرورة تأمين الصف المؤمن داخليا من خلال الأداء الإيماني العالي الذي لا يطيقه أهل النفاق ولا المندسون لصالح العدو من صيام للنوافل وقيام الليل وأنواع المجاهدات التي ينبغي أن تسود في الصف المؤمن.
- وحدة إجادة فنون الأداء الأمني المتقدم كأحد متطلبات الإعداد لجيل الدعاة والمجاهدين.
- وحدة قائمة الشروط المشددة للاطلاع على الأسرار في الصف المؤمن وأن لا يؤمن للملتحقين الجدد إلا بعد أن يطمئن إلى أدائهم الإيماني والتزامهم كما يمكن اشتراط حفظ بعض السور من القرآن الكريم وهي تسميع سورة البقرة أو تسميع سورة آل عمران أو تسميع سورتي الأنفال والتوبة معا كإحدى الطرق المبتكرة للتعرف المبدئي بين العاملين المخلصين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما توظيف هذه المعادلة فميدانه واسع ولكن صيانة وتحصين الصف المؤمن له أولويته وهو مقدم في أوقات الراحة قبل أوقات الشدة حتى إذا أقبلت الشدة تمكن المؤمنون من التعامل الدقيق معها وفهم معطياتها وأحسنوا قراءة أدوار النفاق وتوقع مفاجآتهم لان النفاق يطل بكل رؤوسه وألوانه في أوقات الشدة.

النموذج الخامس: معادلة الاستضعاف والتمكين

وفي هذه المعادلة يمكن التوقف عند الوحدات والمفردات التالية (للمثال لا للحصر):

- وحدة دراسة واستيعاب نماذج حالات الاستضعاف التاريخية الواردة في القرآن والسنة ومآلات تلك الحالات وما صاحب تلك الحالات من نماذج التجبر والبطش والإرهاب ودراسة السنن المرتبطة بالاستضعاف والتجبر.
- وحدة الاطمئنان على عقيدة المستضعفين من المؤمنين في الأمة المسلمة اليوم فهل هم على مستوى ما وعد الله عباده بالنصر في القرآن الكريم وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ، وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات171-173)
- وحدة فقه طبيعة مرحلة الاستضعاف الحالية والسعي لكسر آخر أطواقها والتلبس بمرحلة المدافعة.
- وحدة فحص وزرع منظومة القيم العليا للمستضعفين من حب الشهادة وتفضيل الآخرة على الدنيا والاستعداد للموت وتحمل تبعات الهجرة بنفوس راضية إلى غير ذلك من القيم العليا وقلع القيم الهابطة من نفوس المستضعفين كالجزع على فوات الراحة والطعام: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة:61) وكخوفهم من ملاقاة الكماة: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة:22) إلى غير ذلك من القيم الهابطة والمعطلة.
- وحدة تنويع الفئات الداعمة للمشروع الإسلامي داخل صفوف المستضعفين فمن فئة الصعاليك المشردين في الآفاق الذين يبحثون عن الموت في مظانه إلى فئة الساسة الدهاة إلى المشايخ العاكفين في المساجد يعدون الجيل الجديد إلى فئة الأمهات اللواتي ينجبن الشهداء كالمرأة الأفغانية والمرأة الفلسطينية وغيرها إلى فئة التجار المستخفين بدعمهم إلى الفقراء الذين يكثرون من الدعاء.

وإن توظيف هذه المعادلة لصالح التغيير الإسلامي من الأهمية بمكان وإلا قعد المسلمون يتكففون الكفرة من شرق وغرب.

النموذج السادس: معادلة إعداد المرأة المسلمة والجيل المسلم

وفي هذه المعادلة يمكن التوقف عند الوحدات والمفردات التالية (للمثال لا للحصر):

- وحدة دراسة وتتبع ما ورد حول المرأة المسلمة في القرآن والسنة خاصة أدوار الدعم والمساندة للتحولات الكبرى في تاريخ فجر الإسلام.
- وحدة تأمل المواقف الدقيقة التي خاضتها المرأة المسلمة في صدر الإسلام وفي مسيرة التوحيد عموما خاصة في ظل السير التي حجبتها سير الرجال دون قصد أو هكذا بدت الصورة العامة لأول وهلة ومنها: سيرة السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها التي شرفها الله عز وجل أن كانت ثاني البشر الذين أعلموا ببشارة السماء وكانت أول من آمن بالرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم فتناسب عطاؤها وجهادها مع ذلك الشرف وهذا الاصطفاء إذ كان لها فضل تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم بعد تثبيت الله له وتطمينه بإذن من رب السموات والأرض ولنا أن نتخيل عظم اهتمامها برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قامت بدورها العاطفي والنفسي خير قيام بحنوها وعنايتها برسول الله صلى الله عليه وسلم وقامت بدورها العلمي الحكيم عندما أبلغته أنه لن يخزيه الله أبدا وأن هذا الاصطفاء إنما هو تتويج لسيرة مباركة كتبها له ربه من قبل وقامت بدورها العملي عندما ذهبت برسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمها ورقة وهذا مشهور في الصحيح.
ومن تلك المواقف سيرة أم موسى عليه السلام وسيرة زوجته أيضا إذ شاركته منذ اللحظة الأولى ثقل التكاليف السماوية ثم إنها مضت لتلك المهمة الخطيرة المهلكة دون تردد منها إذ لو كانت قد ترددت لرجعت إلى بيتها فهو أقرب إليها من مصر في تلك اللحظة وما أدراك ما مصر؟ وبقيت تقوم بأدوارها الداعمة لموسى عليه السلام طوال الرحلة النبوية الصعبة والحاسمة مع العلم بأن ذلك النوع من الأداء كان يتطلب بالضرورة استيعاب المرأة المسلمة لمفردات دينها استيعابا يتناسب والتحديات كما أن إعدادها لم يكن إعدادا استثنائيا أو هامشيا فقد شمل الإعداد الجانب الإيماني كما شمل الجانب الجهادي وفهم المراحل والمستقبل وكما يعد الرجال وإلا لما أمكن للمرأة المسلمة أن تقوم بتلك الأدوار الخطيرة في مراحل التاريخ المختلفة، ومن تلك الأدوار أدوار الصحابيات الجليلات وهن يتابعن ويشاركن في صناعة أخطر السير في تاريخ البشر ويشكلن ظلالها وألوانها من الصبر والثبات.
- وحدة دراسة مداخل الكفار والمنافقين لإفساد المجتمعات المسلمة من خلال التركيز على المرأة المسلمة والبيت المسلم كحبهم لإشاعة الفاحشة في أوساط المسلمين وكرغبتهم الجامحة في إلغاء الحجاب وشطبه من واقع الأمة المسلمة وتركيزهم على منظومة التعليم والسيطرة عليها وعلى تسويق الترف وأسبابه والسعي لإخراج المرأة المسلمة من

بيتها وتعلقها بالكسب المادي على حساب تربية الأجيال وبأساليب خبيثة ومنوعة إلى غير ذلك من المداخل والخطط الماكرة.

- وحدة بناء الجيل المسلم وإعادة تصميم أحلامه وآماله ومنها: تتبع ما ورد في الكتاب والسنة حول صناعة الأجيال وكيف استبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلام الإسلام وآماله الكبرى بأحلام الجاهلية وعبادة الأوثان والأوطان لدى ذلك الجيل من الشباب.
- وحدة التدرج في بناء الجيل من الوضوء إلى أن يبلغ أعلى المراتب وذرى الإسلام وهو حب الشهادة وطلب الجهاد وإلا كان في الإعداد والتربية دخن إذ يعطل الجيل عن تلك الذرى.

ولعل من أهم مجالات التوظيف لهذه المعادلة العمل على تحويل أنهار الشباب والفتوة من البنين والبنات لكي تصب في صالح التغيير الإسلامي ولن يتم ذلك إلا إذا تم استبدال أحلام النصر والشهادة وعزة الإسلام والمسلمين وطلب العلم وحفظ القرآن الكريم لدى ذلك الجيل بأحلام الكوكا كولا والمايكروسوفت والسيارات الفخمة والوظائف العليا وغيرها.

النموذج السابع: معادلة الإبداع الجماعي والفردي

وفي هذه المعادلة يمكن التوقف عند الوحدات والمفردات التالية (للمثال لا للحصر):

- وحدة الإبداع الجماعي في الأداء الدعوي والسياسي والجهادي في القرآن والسنة ومنها:
  - الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة وتكامل الأداء بين الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم جميعا
  - الإبداع الدعوي في المرحلة المكية بين الصحابة رضي الله عنهم
  - قصة أصحاب الكهف وهجرتهم التاريخية
  - حفر الخندق الذي أعجز الآلة الحربية للكفار مع تفوقها
  - السرايا وفنون الإبداع الجماعي فيها
  - الغزوات وفنون الإبداع الجماعي فيها

  والأمثلة أكثر من أن تحصى في هذه العجالة.
- وحدة الإبداع الفردي في الأداء الدعوي والسياسي والجهادي في القرآن والسنة ومنها:
  - قصة ذي القرنين وإبداعاته الدعوية والفنية في بناء السد
  - إبداع نبي الله يوسف في إدارة الأزمة الاقتصادية بمصر
  - إبداعات الصحابة والصحابيات في هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم كأسماء رضي الله عنها وغيرها
  - إبداع كثير من الصحابة في الجانب الدعوي ودخول قبائل كاملة على أيديهم في

الإسلام كمصعب بن عمير وغيره

- قصة الغلام والراهب وإبداعات الغلام الدعوية وتضحيته
- إبداع كثير من الصحابة في الفتوح الإسلامية كخالد بن الوليد وغيره
- إبداع أبي بكر الصديق رضي الله عنه في إدارة حروب الردة
- وإبداعه وعمر رضي الله عنهما في إدارة الفتوح الإسلامية
- إبداع كثير من الصحابة في الأداء الأمني كدور نعيم بن مسعود رضي الله عنه ودور غيره في الاغتيال الناجح لرؤوس الكفر.

والأمثلة أكثر من أن تحصى في هذه العجالة.

وهكذا يوفر تتبع هذا النوع من الأداء الإبداعي في القرآن والسنة مصدر إلهام عظيم للمسلمين المعاصرين حتى يتمكنوا من تجاوز المحن الهائلة التي يتعرضون لها وحتى لا يغلقوا باب العجز على نفوسهم.

النموذج الثامن: معادلة أهل الكتاب والمشركين

وفي هذه المعادلة يمكن التوقف عند الوحدات والمفردات التالية في المعادلة (للمثال لا للحصر):

- وحدة الأصل الذي يحكم علاقة المؤمنين بالمشركين وبأهل الكتاب وهو أن رضاهم عن المؤمنين مرتبط باتباع المؤمنين لملتهم كما أخبرنا الرب تباركت أسماؤه بذلك: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ (البقرة:120) وأن ظهور المشركين وأهل الكتاب بغير هذا المظهر وهو العداوة إنما يكون من باب المكر والخداع فهم يوصي بعضهم بعضا بما أخبرنا الله تعالى به: ﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران:73)
- وحدة ترتب القتال والأذى الدائم من المشركين وأهل الكتاب تجاه المؤمنين بناء على تلك العداوة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:217) ومع القتال الأذى الدائم: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران:186)

- وحدة مقتضيات ظهور دين التوحيد ووراثة الأرض على كره من المشركين وأهل الكتاب لذلك الظهور: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة:33) وأن ذلك الكره سيؤدي حتما إلى مقاومتهم لظهور دين التوحيد وتغلبه.
- وحدة الاستثناء المشروط والمعلق في العلاقة بين المؤمنين وأهل الكتاب: فهناك استثناء من قاعدة العداء المتأصل ولكن بشروطها ومن الاستثناءات أن يكون الجدال بالحسنى في حال عدم الظلم منهم: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت:46) ومن الاستثناءات قوله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة:82) ومن الاستثناءات أن تعامل المؤمنين مع الكفار مشروط بامتناع الكفار عن قتل وإخراج المؤمنين من ديارهم: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:8) ولا أدري أي كفار أو نصارى يخرجون اليوم من قاعدة القتل والإخراج للمؤمنين اليوم أهم البرتغاليون والإسبان قديما أم الفرنسيون والإنجليز والأمريكان والهندوس واليهود والروس والبوذيون والصرب حديثا؟

ومن الاستثناءات في تلك القاعدة رعاية العهود والمواثيق ما دام المعنيون من أهل الكتاب والمشركين يراعونها فإذا نقضوا وظاهروا على إخراج المسلمين لا يحق للمسلمين أن يبقوا على عهد من طرف واحد: ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:4) فكيف والمظاهرة اليوم باللسان والسنان وعلى رؤوس الأشهاد.

- وحدة أصل العلاقة بين النصارى واليهود وبين أهل الكتاب والمشركين وتحالفهم ضد المسلمين وهذا مشاهد طوال التاريخ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة:135) وما تحالف كفار قريش واليهود في غزوة الأحزاب بخاف على أحد وما تحالف الهندوس واليهود اليوم بخاف على أحد وهكذا ولذلك فقد جمعهم الله عز وجل في نار جهنم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة:6).

وأما توظيف هذه المعادلة فيكون في تكتيل الأمة لكي تخوض صراع البقاء وصراع حمل الرسالة وإلا تلاشت تحت أقدام الكفرة من المشركين وأهل الكتاب.

النموذج التاسع: معادلة التأهيل القيادي

وفي هذه المعادلة يمكن التوقف عند الوحدات والمفردات التالية في المعادلة (للمثال لا للحصر):

- وحدة التأهيل والإعداد للأنبياء والرسل عليهم السلام: وقد استغرق ذلك التأهيل الرباني للرسل عليهم السلام الجانب العقدي والإيماني وجانب الحكمة والعلم وجانب الخلق والنفس وجانب الهيئة والجسم والتحمل والجهاد وجوانب لا يعلمها إلا الله اللطيف الخبير ومن ذلك قوله عز وجل بشأن إعداد موسى عليه السلام: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه:39) ومنه قوله عز وجل عن داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الانبياء:80) ومنه قوله عز وجل في تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم الحكمة: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ (النساء:113) وهذا في القرآن والسنة واضح وكثير.
- وحدة التأهيل والإعداد لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: حيث أعدهم وأهلهم الرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا كما وصفهم الله عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران:110) وقد شمل ذلك الإعداد كل جوانب الشخصية القيادية والمسؤولة مما أهلهم ليكونوا القدوة للمؤمنين إلى قيام الساعة وعليه فإن تتبع جوانب الإعجاز في التأهيل النبوي القيادي مما تحتاجه أجيال المسلمين حتى يتحملوا تبعات النهضة العالمية لهذه الأمة.

وأما توظيف هذه المعادلة في واقع المسلمين فهو الإكثار من التأهيل للصفوف القيادية بين المسلمين والأجيال الناهضة حتى تقذف الأمة بكل أبطالها ورجالها في المعمعة وتستثمر العقول النابهة أفضل استثمار وحتى يكثر في صفوف المسلمين الأقوياء الأمناء الذين تحتاجهم الأمة في هذه المرحلة الدقيقة من النهضة وظهور الخلافة.

• خامسا: الملامح التنظيمية والتعبوية

إن الملامح التي تشكل الأداء التنظيمي والتعبوي لتمثل في الخطة الاستراتيجية البيئة العامة أو الوسط الحيوي التي يمكن لبقية الملامح أن تعمل من خلاله وبشكل صحيح كما تمثل هذه الملامح الهمزات الواصلة بين الكتل الكبرى في المشروع الإسلامي، وإذا كان العمل في بعض الملامح الأخرى يقتصر على فئات وشرائح محددة من المسلمين كالقادة والعلماء والمجاهدين والجماعات فإن الملامح التنظيمية والتعبوية يمكنها أن تستوعب كل من يريد أن يضع قدراته الفردية والجماعية في خدمة المشروع الإسلامي من أفراد الأمة دون أن يكون هناك حاجة لمتطلبات دقيقة من التنظيم والإدارة والتمويل مع مردود شامل وطويل المدى على واقع المسلمين.

وسوف يكون استعراض الملامح التنظيمية والتعبوية من خلال المفردات التالية:

- ساحة التعليم الشرعي
- ساحة الإعلام والمعلومات
- ساحة العلوم والفنون التطبيقية
- ساحة التطوع والريادة
- ساحة الشعارات والشارات الإسلامية

ساحة التعليم الشرعي:

وهي ساحة أصيلة من ساحات البنية التحتية للأداء الإسلامي على مختلف العصور والتي لا يغني عنها أي أداء تعليمي أو تخصصي آخر، كما أن التعليم الشرعي يعد سمة أساسية من سمات الحضارة الإسلامية ونهضتها ومقاومتها للآفات التي عادة ما تلحق بالحضارات وتهزمها، ومن المعلوم أن بث العلم الشرعي في الأمة قد نجح عندما تحققت فيه الشروط التالية:

- وفرة العلماء الشرعيين وتنافسهم على طلب العلم
- توفير البيئة العلمية واستقرار الأداء فيها
- مجانية التعليم الشرعي وكفالة أهله عبر عدة وسائل

وعليه فإن أي نقص في الشروط الثلاثة يعرض التعليم الشرعي إلى التذبذب والضعف.

وفيما يلي أهم مستلزمات وأشكال الأداء التي تكفل بإذن الله تعالى التأثير الشامل

والمستقر للتعليم الشرعي:

1- تأمين العلماء الشرعيين من الضغوط السياسية والتهجير وغير ذلك عبر الالتفاف الجماهيري والشعبي حتى يبلغ الأمر كل أشكال التعبير والضغوط عند تعرض العلماء للأذى من تظاهر وتجمهر وإضراب ومسيرات ومطالبات وبث إعلامي وغيره.

2- تأمين المؤسسات الشرعية العاملة من جامعات ومعاهد مستقلة ضد الضغوط السياسية والإلغاء وذلك عبر الالتفاف الجماهيري حولها واليقظة لكل التطورات بشكل مبكر والتحريك الشعبي الكامل إن اقتضى الأمر.

3- التأمين المالي والاقتصادي للعلماء وطلبة العلم والمعاهد والجامعات الشرعية عبر كل وسائل الدعم وجمع التبرعات والاستقطاعات الشهرية والسنوية والأوقاف التي يخصص ريعها لهذه المهمة وبث قيمة الإنفاق على العلماء وطلبة العلم بين تجار المسلمين باعتبار العلماء خط الدفاع الأول في معركة المسلمين المعاصرة.

4- إحياء القيم العلمية والعملية في أبناء الأمة والأجيال المستجدة من التفرغ في طلب العلم والتزاحم على العلماء وإجلالهم والفرح الشديد بالتحصيل العلمي والرحلة في طلب العلم وتطوير آليات الحفظ والزهد في الدنيا وإنفاق المال والعمر في طلب العلم واقتناء الكتب والسهر في طلب العلم إلى غير ذلك من القيم المباركة.

5- على العلماء أن يحيوا الممارسات العلمية المتقدمة فيما بينهم وفي بيئات العلم كالتآخي والتواصل بينهم ونصرة بعضهم البعض وإحياء المعايير التي تحدد مستوى العلماء وتخصصاتهم وإحياء نظام الإجازة العلمي حتى يعم العالم كله وفي مختلف العلوم واستخدام التطور الفني والعلمي لخدمة هذا النظام والاهتمام بنوابغ طالبي العلم ورعايتهم وإحياء المساجد وكثرة المكث فيها إلى غير ذلك من الأدوار التي يمكن للعلماء أن يباشروها.

6- على العلماء أن يشقوا المسار المستقل في طلب العلم في الأمة والذي لا يرتبط بالأداء الرسمي ولا يحرص على الشهادات ولا على الوظائف العامة وأن يحرروا الأداء العلمي الشرعي من ربقة الهيمنة الرسمية التي أضعفت العلم الشرعي وكادت أن تقتله وعلى العلماء أن يعتنوا بالقيم التي تؤسس لهذا المسار وخاصة موضوع طلب الرزق بين طلاب العلم وأن يكونوا قدوة في هذا السبيل حتى يصل الأمر إلى الاعتراف الكامل بهذا المسار المستقل وبكل معطياته ومعاييره في أوساط الأمة المسلمة.

7- على العلماء المعاصرين أن يحيوا البيئات العلمية القديمة وطرائق التعليم فيها وأن يستنسخوها في بيئات جديدة وبسيطة وأن يركزوا على مفردات النظام التعليمي القديم كالعناية بالحفظ والإتقان فيه واستخدام الكتابة والنسخ وغير ذلك من المفردات ومن

التجارب التي يمكن تقليدها من جديد مع التعديلات اللازمة تجربة الزوايا السنوسية في شمال إفريقيا كأحد التجارب الناجحة في إعداد العلماء والمجاهدين في آن واحد.

8- على العلماء والمسلمين أن يواصلوا الإنجازات التي تحققت في مؤسسات التعليم الشرعي الرسمية كالجامعات والمعاهد وأن يسعوا إلى فك العقد التي تعوق الأداء العلمي المتقدم فيها.

9- على العلماء أن يعيدوا شرف طلب العلم وتعليمه للمرأة المسلمة ومن ثم تتقدم نوابغ النساء المسلمات في مراقي التعليم والإفتاء.

10- على العلماء أن يهيئوا البيئات العلمية البسيطة والسهلة في مظهرها ومبناها العميقة والمتينة في جوهرها ومعناها والتي تكون مأوى ومهجرا لطالبي العلم من أبناء المسلمين ممن لا يستطيعون الالتحاق بالجامعات ودفع الرسوم الباهضة وتأجير المساكن وغير ذلك وأن يوفروا تعليم اللغة العربية لمن لا يتكلم بها إلى غير ذلك ويمكن استخدام البيئات الفقيرة والبسيطة كصحاري إفريقيا وسهولها وقرى إندونيسيا لتنفيذ هذه المهمة في حال انغلاق البيئات الأخرى على أن يكون لدى العلماء وطلاب العلم المرونة الكافية للهجرة في أي وقت يتطلب فيه طلب العلم ذلك.

11- على العلماء أن لا يعزلوا التعليم الشرعي عن واقع المسلمين ومعاناتهم والقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن بتوسط وتوازن حتى لا يخل ذلك بالتحصيل العلمي الدقيق وأن يكون العلماء قدوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقدم صفوف المسلمين في معاركهم السياسية والجهادية.

12- على العلماء وقيادات الحركات الإسلامية أن يحفظوا العلم الشرعي من أن يستخدم كأحد أدوات الدعاية في تنافس الحركات والجماعات الإسلامية.

ساحة الإعلام والمعلومات:

وهي ساحة هامة أخرى تمكن اليهود والصليبيون بواسطتها أن يتسيدوا العالم وأن يخضعوه لرؤاهم وعلى المسلمين أن يسعوا لتحصيل كل فنون هذه الساحة وأن يزيدوا عليها من عبقريتهم وأن يستثمروا انتشارهم العالمي لتحقيق أعلى الإنجازات.

وفيما يلي أهم مستلزمات وأشكال الأداء في هذه الساحة:

1- على المسلمين أن يعملوا على تأسيس البنية التحتية العالمية للأداء الإعلامي والمعلوماتي ومنها مراكز البحوث والمستشارين في جميع المجالات ومنها طواقم المراسلين والصحفيين المنتشرين في كل بقاع الدنيا ومنها المؤسسات الصحفية والإعلامية ووكالات

الأنباء وغير ذلك.

2- على الإعلاميين المسلمين أن يعتمدوا مبدأ البساطة في الأداء مع السعي نحو الاحتراف والأداء المتقدم.

3- يحتاج الإعلاميون ومن يعتني بميدان المعلومات إلى منظومة خاصة من القيم تبدأ بالتضحية والفداء وربط هذا التخصص بالعبادة والجهاد وتحمل المشاق وتمر بالفضول الشديد لتحصيل الحقائق ومنافسة الأمم الأخرى وتنتهي بإرساء قواعد الشفافية والموضوعية في الأداء الفني والميداني إلى غير ذلك من مفردات منظومة القيم.

4- تبدأ دوائر العمل الإعلامي والمعلوماتي من مختلف أقطار المسلمين وتتوسط بالأقاليم وتنتهي بالمستوى العالمي حيث تتكامل تلك الدوائر وتتواصل وتعتني كل دائرة بقضاياها الرئيسة وتساند القضايا العالمية وتصقل كل دائرة محترفيها حتى تهيؤهم للأداء العالمي وهكذا.

5- تمثل المراكز الإعلامية والصحفية ومراكز البحوث الأنوية الصلبة في ساحة الإعلام والمعلومات ويمكنها أن تستخدم استراتيجيات منوعة في نشأتها وأدائها ومن تلك الاستراتيجيات بساطة الأداء وقلة كلفته واستراتيجية النفس الطويل في بناء المتخصصين والمحترفين واستراتيجية الطاقم البشري قبل البناء والآلات واستراتيجية الخفة وقابلية الحركة واستراتيجية التمويه في حال المحاصرة إلى غير ذلك من الاستراتيجيات.

6- ينبغي أن ينتشر الصحفيون والمراسلون والبحاثة الميدانيون كانتشار الجراد الجائع في مختلف المواقع في العالم الإسلامي ومن ثم في العالم أجمع حتى لا تغيب بقعة في العالم عن أعين المسلمين ومتخذي القرار فيهم وحتى يضمن المسلمون الأداء العادل والدقيق في المجال الإعلامي والمعلوماتي وحتى لا يعتمدوا اعتمادا نهائيا على وكالات الأنباء اليهودية والصليبية.

7- يعتمد منهج إعداد المستشارين في كل التخصصات في العالم الإسلامي عبر استخدام مراحل الأداء الإعلامي والمعلوماتي فيبدأ المستشار مراسلا وصحفيا ورحالة وباحثا مبتدءا في مراكز البحوث حتى يصل إلى مرحلة التخصص في قضية أو قضايا كقضية سياسية أو إقليما جغرافيا ثم يقترب من درجة المستشارية بعد ذلك إذا أثبت كفاءة ودربة عالية.

8- تعتمد كافة الفنون الحديثة في صناعة وإدارة وتسويق المعلومات وتوفير قواعد البيانات في كل الشؤون والتخصصات.

9- على الإعلاميين والباحثين أن يولوا اهتمامهم دائما بمسألة صناعة الرأي في العالم

الإسلامي والعالم أجمع ابتداء من الهموم اليومية وانتهاء بالقضايا المركزية للأمة المسلمة وقضايا العالم.

10- على العاملين في هذا الميدان أن يولوا اهتماما مباشرا لدورهم كأدوات إنذار مبكر للتغيرات في ساحة الأمة المسلمة وساحات العالم من خلال الرصد الدقيق للمتغيرات وفهم خطط الأعداء الميدانية وغير ذلك.

11- على المؤسسات والأفراد في هذه الساحة أن يعملوا على وضع سياسة الكفاف موقع التنفيذ في إدارة وإعاشة أنفسهم وأن يلغوا تماما أحلام الغنى والملاءة المالية ويمكنهم تنفيذ ذلك من خلال استراتيجية التمويل الذاتي بوضع جزء من فنونهم ومعلوماتهم للبيع والتسويق كما يمكنهم ذلك من اعتماد مصادر المعلومات غير المكلفة والمجانية وهكذا.

12- ينبغي توظيف الدراسات النفسية والسيطرة التي تفرضها وسائل الإعلام والاستراتيجيات المستخدمة في هذا الميدان كأساليب الإيحاء وغيرها لمواجهة الحرب التي يشنها الغرب الصليبي على الأمة المسلمة فلا يفل الحديد إلا الحديد.

ساحة العلوم والفنون التطبيقية:

وتعتبر هذه الساحة ساحة النهضة الحضارية والغلبة العلمية والتي تعطي للمهتمين بها فرصة منافسة الأمم بالرغم من محدودية البدايات وبساطة الأدوات كما تجرأ صعاليك الأوربيين من قبل وركبوا البحر بعد أن سجنت شعوبهم في القارة العجوز قرونا متطاولة فتأسست نهضتهم على تلك التجربة وكما تجرأ اليابانيون فأخذوا يقلدون كل سلعة تقع تحت أيديهم حتى هيمنوا على العالم بإنتاجهم المميز.

وفيما يلي أهم مستلزمات وأشكال الأداء في هذه الساحة:

1- على المسلمين أن يتجاوزوا اتجاهات التنمية السائدة في بلدانهم وفي العالم والتي تفرض على الأجيال اهتماما محدودا يحبسها في الخوف على الرزق والمستقبل فتستجيب لمسارات محددة من التعلم والبحث عن العمل والارتباط الشديد بالمدن المزدحمة والرغبة في الوصول إلى الغرب الغني وتقليده إلى غير ذلك من اتجاهات التنمية.

2- على المسلمين أن يبذلوا اهتمامهم الواسع بالعلوم التقليدية ويضيفوا على ذلك اهتماما مركزا على العلوم الجديدة التطبيقية والاكتشافات في كل الميادين.

3- على المسلمين أن لا يستهينوا بالبدايات المباركة في المجالات العلمية التطبيقية وإن كانت صغيرة ومحدودة وأن لا يتطلعوا للوصول إلى ذرى التطبيقات الموجودة في بلاد الغرب أو الشرق فلكل ظروفه وإنما بدأ الغرب والشرق بمثل هذه البدايات وعليه فإن الاهتمام

بنوابغ المسلمين وابتكاراتهم يصبح واجبا شرعيا برعايتهم وتشجيعهم وتوفير البيئات المعينة لهم خاصة في ظل الضغوط والشدة وساحات الجهاد فإنها أفضل مشجع لذلك.

4- ومن مجالات الاهتمام التي ينبغي أن تسيطر على قاطاعات واسعة من المسلمين خاصة الشباب والعاطلين عن العمل مجال الالكترونيات العملية وفتح الورش المتخصصة والبسيطة والتي تبدأ بالعبث والفك والتركيب سواء كانت تلك الورش في السوق أو في البيوت بحيث تتناول هذه الورش كل منظومة الالكترونيات المتوفرة في السوق ثم تزيد عليها النادرة منها كأجهزة الـ GPS والتي تستخدم في تحديد الأماكن على سطح الأرض بدقة بالغة وغيرها، كما يمكن أن يضيف المتخصصون والفنيون في هذا المجال عمقا وتأثيرا إيجابيا لهذا الاهتمام كالاهتمام بتقليد القطع المختلفة وصناعتها في تلك الورش أو تجميعها على أقل تقدير ثم يرتفعوا بالأداء حتى يصلوا إلى مستوى اختراق وتعطيل النظم الالكترونية والشبكات والأقمار الصناعية التي تتجسس على المسلمين ليل نهار.

5- ومن مجالات الاهتمام التي ينبغي أن تسيطر على قاطاعات واسعة من المسلمين خاصة الشباب والعاطلين عن العمل مجال الميكانيك بكل أنواعه وتفرعاته بدء من تصليح السيارات وفهم كل أسرار أجزائها ومرورا بالآلآت الميكانيكية المختلفة وانتهاء بأجهزة الهيدروليك والخراطة والحدادة المتقدمة إلى غير ذلك مما تحتاجه الأمة.

6- ومن مجالات الاهتمام التي ينبغي أن تسيطر على قاطاعات واسعة من المسلمين خاصة الشباب والعاطلين عن العمل مجال الطاقة الرخيصة وفنونها واكتشاف أسرارها من توليد الكهرباء بالرياح وصناعة المولدات وتوليد الكهرباء بطاقة البحر والمد والجزر وأهم من ذلك كله فهم أسرار الطاقة الشمسية وصناعتها حتى يصل الأمر أن يستغني بها البدو القابعين في أعماق صحاريهم دون الحاجة إلى منظومة التنمية المكلفة، وهكذا حتى يتمكن المسلمون من العودة إلى المواقع المتقدمة في الاكتشاف والارتياد سواء في مجال الطاقة الرخيصة أو غيرها.

7- ومن مجالات الاهتمام التي ينبغي أن تسيطر على قاطاعات واسعة من المسلمين خاصة الشباب والعاطلين عن العمل مجال الدراسات والبحث في الكيمياء والأحياء بكل فروعها وأن يلتهموا كل ما أخرجته الحضارة الغربية خلال القرن الأخير وأن يبقوا على اتصال وفهم دقيق ومحاولات تطبيقية بكل الفنون الجديدة في هذا المجال بدء من الاستخدام الصناعي المبسط للكيمياء والأحياء كصناعة الصابون في البيوت طلبا للاستغناء عن الماركات العالمية ومرورا بالتطبيقات الصناعية في مجال البلاستيك والكيمياء البترولية وما أشبه وانتهاء بتطبيقات الأسلحة والتجارب الكيميائية والبكتيرية التي أحلها

الصليبيون لأنفسهم وحرموها على المسلمين.

8- ومن مجالات العلوم التطبيقية دراسة كل العلوم الحديثة والجديدة التي تهتم بالبدائل عن منظومة الهيمنة الغربية وتلك التي تلغي أو تخفف من هيمنتها العالمية كدراسة الطب البديل الذي يعتني بطب الأعشاب مثلا ويخفف من اعتماد المسلمين على مخرجات مصانع الغرب ودوائه ومن النماذج استخدام الحمام الزاجل في التراسل بين المجاهدين مثلا وركوب الجمال في الصحاري وهكذا في كل الميادين، وعلى كل مسلم تعلم فن من هذه الفنون البديلة وأن يعلّم من يستطيع من المسلمين وأن لا يكتم علمه وإلا دخل تحت الوعيد المتحقق في من كتم علما.

9- ومن مجالات العلوم التطبيقية التي ينبغي الاهتمام بها فنون الملاحة البرية والبحرية والجوية بكل تفاصيلها والعلوم المرتبطة بها وركوب الأخطار والتي سوف تفتح الباب واسعا أمام أجيال الأمة للرزق والدعوة والجهاد معا.

10- ومن مجالات العلوم التطبيقية دراسة مسائل مقاومة السحر واستخدام الجن دون تعلمه فهو محرم بإجماع علماء الأمة ومقاومة التنويم المغناطيسي والإيحاء وما أشبه فإن الكفر لا يستغني البتة عن علوم السحر واستخداماته مهما تظاهر بالعلم والتكنلوجيا ويقتضي ذلك تعلم فنون مقاومة السحر بين المسلمين.

11- ومن الفنون التطبيقية الضرورية تعلم فنون التزوير والتهريب واجتياز الحدود والتنكر البالغ وتضييع العدو والتمويه عليه كما أجاد المجاهدون في فلسطين وغيرهم تلك الفنون فإن الحرب خدعة والعدو يستخدم كل ما تقع عليه يده للضغط على المسلمين فلا ينبغي التواني والكسل اعتمادا على رحمة قد تقع من النصارى واليهود.

ساحة التطوع والريادة:

وهي ساحة داعمة أخرى لمسارات المشروع الإسلامي وتنعكس إيجابا على قطاعات واسعة من الأمة بتشغيل الشباب والعاطلين عن العمل وتؤسس للأداء الحضاري فلم تنهض أمة في التاريخ إلا بعد أن فشت فيها هذه القيمة الحضارية فأصبحت تعمل دونما حوافز مادية ولا ضغوط رسمية.

وفيما يلي أهم مستلزمات وأشكال الأداء في هذه الساحة:

1- ينبغي اعتماد التطوع كمسار أساسي لإنجاح كل البرامج في المجالات الدعوية والسياسية والجهادية من خلال توفير الدعم المالي والفني والطاقات البشرية دون أن تؤثر الشارات والانتماءات أيا كان لونها في مسار التطوع بحيث تترك الأمة تستجيب استجابات طوعية

وبأي تشكيل ترتضيه وعلى المنتمين لمختلف الجماعات والمواقع أن يحذروا من إيذاء الأرضية التطوعية بأي شكل من أشكال الإيذاء.

2- يعتمد شعار دائم لمسار التطوع في الأمة وهو قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة:79) فقد كان في كف الحنطة أو عذق التمر الذي أحضره أحد الصحابة رضي الله عنهم لإسناد جيش العسرة خير عظيم، وعليه فإن أي جهد تطوعي مقبول مهما كان صغيرا أو محدودا.

3- يعتمد أسلوب التنظيمات الطيارة في دعم مسارات المشروع الإسلامي وملخصه أن يفسح المجال لأبناء المسلمين في أي مكان على الأرض وفي أي زمان بتشكيل تنظيمات صغيرة ومرنة تحدد هذه التنظيمات شكل الدعم وتختاره من قائمة الميادين الدعوية والسياسية والجهادية وذلك لسد الفراغات وللاستجابة للحاجات المستجدة في تلك الميادين بحيث تتخذ لها نظاما مختصرا وأميرا وعهدا وتحدد أهدافها ومكان وزمان تنفيذها دون أن تقيدها ظروف التجمعات الكبيرة وعقد المجتمعات الواسعة، ومن أمثلة ذلك التشكيلات الجهادية المتطوعة المختلفة والتشكيلات الخيرية المتطوعة والتشكيلات الدعوية المتطوعة والتشكيلات الإعلامية المتطوعة وغيرها.

4- يمكن اعتماد التطوع لتحقيق انتشار واسع للمسلمين واختلاط أكبر بين أبنائهم في العالم والاقتراب من واقعهم العملي في كل مكان عبر اعتماد الرحلة والاستكشاف الجغرافي التطوعي فإن ذلك يرفع من معدل التآخي والتفاهم ويهيئ المسلمين للتعاون في دعم المشروع الإسلامي وتفهم أبعاده، ويكمل ذلك الاهتمام بفنون العيش في البيئات الصعبة والقاسية وفنون مواجهة الحصار المتوقع ارتفاع وتيرته من الأمم الصليبية، كما ينبغي بناء الكشافة الإسلامية في قطاع الشباب وتوظيف ما وصلت إليه الحركة الكشفية المعاصرة وتضيف إليها الروح الإسلامية والشعارات الإسلامية التي تلغي الزنبقة الصليبية المثلثة وتستبدلها بالهلال.

5- يمكن اعتماد الهوايات كباب لتطوير الذات خاصة عند الشباب والبدء بإعداد النفس لمتطلبات الصراع في الأمة دون أن يعوق هذا الإعداد أية معوقات وفيما يلي قائمة من الهوايات النموذجية في هذا الباب:

- تسلق الجبال - الإبحار - اختراق الغابات - الفروسية - الطيران الشراعي - الغوص - الصيد بكل أنواعه - المصارعة وغيرها.

ساحة الشعارات والشارات الإسلامية:

وهي ساحة التميز والعودة للذات التي تعلي من شأن التميز الإسلامي مخبرا ومظهرا في العالم وتمهد لإلغاء الخضوع النفسي والذلة التي ألقت بالكثير من أبناء المسلمين تحت سطوة اليهود والنصارى، وأهم مصدر لهذه الشعارات والشارات هو القرآن الكريم ثم السنة النبوية المطهرة ثم تاريخ المسلمين المجيد قديمه وحديثه.

وفيما يلي أهم مستلزمات وأشكال الأداء في هذه الساحة:

1- أن تستحضر الإشارات القرآنية المناسبة للمواقف المختلفة خاصة المتجددة منها فتقطع تلك الإشارات قول كل خطيب وفي حال انتشار هذه المعاني بين المؤمنين فإن ذلك كفيل بإذن الله تعالى بسرعة الفهم والتجاوب مع الحالات والمواقف، وفيما يلي قائمة بالمواقف وما يقابلها من توجيه رباني:

- ادعاء المنافقين الصلاح: (ألا إنهم هم المفسدون)
- سلام اليهود: (ويقتلون النبيين بغيرالحق)
- وقوع المسلمين في التردد: (إن البقر تشابه علينا)
- قسوة القلوب: (فهي كالحجارة أو أشد قسوة)
- الخلاف حول كليات الدين: (أفتؤمنون ببعض الكتاب)
- الخوف على الأجل: (ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة)
- تأثير المصطلحات: (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا)
- اتفاق اليهود والنصارى الأزلي: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى)
- التعدي على المساجد وتكميمها: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها)
- شعار المهاجرين في سبيل الله: (ولله المشرق والمغرب)
- شرط رضى اليهود والنصارى: (ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم)
- دعاء الخائفين: (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم)
- مقاومة الألوان والنحل: (صبغة الله)
- مقاومة الغفلة: (فاذكروني أذكركم)
- رد وسواس كثرة الشهداء: (بل أحياء)
- مواجهة الشدائد: (وبشر الصابرين)

- الخضوع للطواغيت: (والذين آمنوا أشد حبا لله)
- عند استعراض الطواغيت لقوتهم: (أن القوة لله جميعا)
- عند اتهام العلماء بالزنا: (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)
- عند شدة الحصار: (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا)
- مسألة إنقاذ الأقصى: (فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا)
- عند الرغبة في الغنائم: (قل الأنفال لله والرسول)
- عند تكاثر الأعداء: (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا)
- عند تزاحف الصفوف: (فلا تولوهم الأدبار)
- عند اتهام المجاهدين بالفتنة: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)
- عند مفاجأة المعارك: (ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد)
- عند الاختلاف: (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا)
- عند تبدل الحال: (حتى يغيروا ما بأنفسهم)
- توقع أعمال الكفرة: (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة)
- عند الإعراض عن الجهاد ببناء المساجد: (أجعلتم سقاية الحاج)
- عند الإعجاب بالكثرة: (ويوم حنين)
- عند الاختلاف على أهداف الجهاد: (حتى يعطوا الجزية)
- مستقبل الإسلام والمسلمين: (ليظهره على الدين كله)
- عند التراجع عن الجهاد: (إلا تنصروه)
- عند الاختلاف على المنافقين: (فما لكم في المنافقين فئتين)
- وصف رؤوس النفاق: (الأعراب أشد كفرا ونفاقا)
- عند اجتماع أحزاب الكفر: (ولما رأى المؤمنون الأحزاب)
- عند ظهور مودة الكفار بين المسلمين: (لا تجد قوما)

2- أن تستحضر الشعارات والإشارات في السيرة النبوية لإعادة صياغة الشخصية والعقلية المسلمة وذلك من خلال:

- الحرص على الهيئة السنية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشكل والملبس من إعفاء للحية وقص للشارب واستبدال للهيئة النصرانية في الملبس بإلغاء ما يسمى بالبنطلون الضيق واستبدال السروال الواسع به وبإلغاء ربطة العنق واستبدال العمامة بها كما يمكن إحياء ما انتشر سابقا في تاريخ المسلمين من أغطية للرأس

عند الرجال حسب البيئات المختلفة، ومن باب أولى الحرص على حجاب ولباس المرأة المسلمة.

- الحرص على نشر الرياضات النافعة في أجواء المسلمين خاصة في أوساط الأجيال المستجدة كإحياء رياضة الخيل والفروسية والرماية والسباحة وكل أنواع الرياضة التي تتعلق بإعداد الجيل إعدادا جهاديا جادا والتي ينبغي أن تعم والسعي الجاد والحثيث نحو إلغاء الرياضات المفسدة والمشغلة كرياضة كرة القدم خاصة في ظل استخدامها كساحة للهو واستقطاب أجيال المسلمين بعيدا عن واجباتهم وأدوارهم الحقيقية.
- اتخاذ الإعلام والرايات التي وردت صفاتها وألوانها في السيرة وفي التاريخ الإسلامي وهجر الرايات التي ارتبطت بالإمبراطورية البريطانية والفرنسية في العالم العربي والإسلامي والتي ولدتها اتفاقية سايكس بيكو وغيرها من الاتفاقيات التي ارتبطت بتاريخ مقيت من التفرق والشتات وخدمة العدو في المشرق والمغرب.
- التمسك بعيدي الفطر والأضحى كعيدين وحيدين للمسلمين والتخلي عن كل الأعياد التي أدخلت زورا وبهتانا في تاريخ المسلمين الحديث والتي ارتبطت بتحرر مزور خاصة ما يسمى بالوطنية ومقاطعتها حتى تتلاشى.
- إحياء مواقف أعلام الصحابة والتابعين وبطولاتهم وفتوحاتهم ودراسة المعارك الكبرى في الإسلام وإطلاق أسمائهم على الشارات والرايات والتجمعات والمعارك.

● سادسا: الملامح الدعوية والحضارية

وتأتي دائرة الملامح الدعوية والحضارية لكي تحدد الخلفية العالمية لعلاقة المسلمين بغيرهم من الأمم والتي يؤمّل أن يتمكن المسلمون فيها من تغيير اتجاه العلاقات التي أرساها النصارى واليهود في العلاقات الدولية تلك التي قامت على المكر والخديعة كما قامت على عنصرية بغيضة ودوائر عرقية مغلقة تنتهي إلى جمع خيوط الهيمنة العالمية في أيدي أعراق وعوائل محددة من اليهود والنصارى مع تغليف هذه الصورة بمنظومة من المقولات الكاذبة في مجال الفكر والسياسة والدين واستخدام المصطلحات المسمومة كالعالم الحر والعالم الغربي وحرية الأديان وحقوق الإنسان والمجتمع الدولي وما أشبه، والأمثلة على العنصرية كثيرة وهائلة ومنها مثال أمريكا الجنوبية ونظام الهيمنة والتبعية الذي أرسته أوروبا فيها وطورته أمريكا في مرحلة تالية فمع كون دول أمريكا اللاتينية نصرانية الدين لكنها من حيث

الأعراق تأتي متخلفة عن العرق الأوروبي والأمريكي والعنصر الأوروبي فيها يأتي متقدما على الأعراق الأخرى كما تبين هذا في المكسيك التي تتضح فيها هذه الممارسة العنصرية بشكل صارخ وكذا ما يشهده مجتمع اليهود الذي يموج بالتفرقة العنصرية والشعوبية القبلية، ولعل المثال الأكبر والأكثر وضوحا فيما ذهبت إليه إنما يتمثل في الفلسفة المستجدة التي تسمى بالعولمة والتي يحاول سدنة البيت الأبيض أن يفرضوها على العالم فيرهنوا بذلك مستقبل كل شعوب العالم السياسي والاقتصادي والثقافي بيد اليهود والنصارى من أصحاب الدم الأزرق النقي.

ودائرة الملامح الدعوية والحضارية دائرة تتكامل وتتناسق مع الدوائر الأولى فلا تتناقض ولا تتقاطع معها ولعل من أوضح مرتكزات هذه الملامح أن الوصول إليها وتطبيق آمالها لا يمكن أن يحدث في فراغ الفكر والآمال كما هو حاصل عند بعض من منظري الرؤية الإسلامية اليوم وإنما ستتم مقاربة هذه الملامح بناء على الإنجازات الميدانية للمسلمين وبناء على التحولات التي سيصنعها أبناء الأمة في مواقع المسلمين الأصيلة والتاريخية والمعارك الكبرى التي سوف يخوضها المجاهدون ضد الغطرسة الأمريكية واليهودية كما تعتمد على مسيرة الدعوة العالمية والتلامس الحضاري الذي أحدثته الدعوة الإسلامية وما سوف تحدثه في قابل الأيام بإذن الذي وعد بظهور هذا الدين وبلوغه ما بلغ الليل والنهار.

ويمكننا أن نرى الملامح الدعوية والحضارية في الرسائل المحددة التالية:

الرسالة الأولى: الرسالة الدعوية العالمية

الرسالة الثانية: الرسالة الحضارية الإسلامية

الرسالة الثالثة: رسالة العلاقات الدولية

الرسالة الأولى: الرسالة الدعوية العالمية

وفي هذه الرسالة يمكن اعتبار وملاحظة النقاط التالية:

- الدعوة الإسلامية رسالة عالمية يعتقد حاملوها أن حاجة البشرية إليها لا توازيها أي حاجة أخرى مما يحتاجه البشر وأن تبليغها للناس مهمة أملاها عليهم الرب تباركت أسماؤه بعد أن ختمت الرسالات للبشرية برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتحولت تلك المهمة إلى المسلمين وهي مهمة الشهادة الحضارية والتي يقول عنها رب العالمين: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام:19) والآيات في هذا الشأن كثيرة ومنها قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ

كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (الاحقاف:12).

- ويعتقد المسلمون أن حمل هذه الرسالة لا علاقة لها البتة بأي بعد عنصري أو شعوبي فكل من يؤمن بها ويعتقدها يستطيع أن يقوم بمهمة إبلاغها بشرط حفظها وصيانتها من الزيادة والنقص حيث ورد في الحديث الصحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قَال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ.رواه الترمذي. 2581
- ويعتقد المسلمون أن رسالتهم رسالة واضحة وضوح الشمس لا يعتريها الإبهام فهي دعوة لتوحيد الخالق عز وجل والعمل بمقتضيات الرسالة التي أنزلها على قلب رسوله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:64)

  فهي ليست رسالة حضارية مبهمة تُعنى بمجرد تواصل الشعوب أو تضيع بين مفردات الحوار الحضاري أو حوار الأديان.
- ويعتقد المسلمون أن الفساد والبلاء والشرور المهيمنة على البشرية في الأرض في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية إنما تنبع من عدم إيمان البشر بهذه الرسالة ووقوعهم في الإشراك بالله رب العالمين والتوجه بالعبادة إلى كل أنواع الآلهة القديمة منها والمستحدثة من أصنام ومادة وتكنلوجيا والعبودية الخفية المتمثلة في مرجعية طواغيت الأرض من أمريكان ويهود، ومن تلك الشرور مثلا انتشار وباء الإيدز الذي بات يهدد نسبة هائلة من البشر ولا علاج لهذا النوع من الوباء إلا بالإيمان بالله وحده والرجوع إليه ونبذ كل الآلهة الأخرى.
- ويعتقد المسلمون بأن من واجبهم إبلاغ هذه الرسالة للبشرية جمعاء وفي أي زمان ومكان وجد فيه الناس وتركهم أحرارا في اختيارها دون تسليط أي نوع من الضغط أو الإكراه لاتباعها وذلك وفق أمر الله عز وجل في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:125).
- ويعتقد المسلمون بحقهم في حماية مسار الدعوة الإسلامية العالمية من التعدي والمنع الذي يسلطه ملوك الأرض من الكفرة على الدعاة ومن تعديهم على مظاهر العبادة والطاعة لله عز وجل: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً

وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:40).

الرسالة الثانية: الرسالة الحضارية الإسلامية

وفي هذه الرسالة يمكن اعتبار وملاحظة النقاط التالية:

- يعتمد المسلمون في إثبات حضارة رسالتهم ورسالة حضارتهم على تاريخهم لا على مجرد النظريات التي يطرحونها فقد أثبتت الحضارة الإسلامية سموها وعدالتها في كل المواقع التي عمرتها حيث لم تستأصل شأفة أي دين ولا عرق فأين أندلس المسلمين وحضارتها وعدالتها وتعايشها مع بقية الأديان من محاكم التفتيش والروح الاستئصالية القمعية التي هيمن فيها النصارى على الأندلس؟ وأين شبه القارة الهندية التي رسخت فيها الحضارة الإسلامية وأدت إلى تحضر الهنود من الهند التي حكمها الإنجليز النصارى ثم أسلموها للهندوس وكيف عاش المسلمون بعد ذلك في ظل الحقد الهندوسي والنصراني المشترك، وأين تاريخ آسيا الوسطى والقوقاز الحضاري والتجاري وطريق الحرير من ممارسات البلشفية الملحدة وفنون القتل والتدمير وإلغاء الإنسانية؟ وأين وأين.
- يقر المسلمون بسنة التداول والتنوع الحضاري الإنساني الذي لولاه لما تبين الحق من الزيغ والتوحيد من الشرك ولولاه لتوقف الأداء الحضاري الإنساني عند نقطة محددة من تاريخ البشرية ولكنهم يدعون إلى صيانة الحقوق الإنسانية وعدم نشر الفساد الذي يترتب على انتصار أمة على أمة ويدعون إلى عدم محق كل ما يتعلق بهوية الآخر.
- ينظر المسلمون إلى أنفسهم كأمة عالمية دينها واحد وأعراقها مختلفة ويترتب على هذا أن يعترف العالم لهم بحق تواصلهم وتناصرهم وحفظ حقوقهم وثرواتهم وهويتهم، ويحذرون من أن سلام العالم وأمنه لن يتأسس على تجاهل هذه الحقوق تلك السياسة التي سعى النصارى واليهود إلى تطبيقها طوال القرن العشرين وفي كل مكان في العالم من إندونيسيا إلى طنجة.
- يحلم المسلمون ويأملون بعالم جديد تسود فيه منظومة من القيم غير تلك التي سوقها نصارى القرن العشرين ويهوده فأهلكوا الحرث والنسل ونشروا الفساد في الأرض في مجال الاقتصاد والسياسة والثقافة حتى أصبح غاية ما يأمل به منظروا النصارى واليهود بنهاية القرن العشرين أن يهلكوا العالم كل العالم ولا يبقى بزعمهم من يستحق الحياة غير الجنس الأبيض ومن شاء فليرجع إلى مقولات القادة الأمريكان المهووسين بتفوقهم وعنصريتهم.
- يأمل المسلمون بنشر منظومة أخلاقية وحضارية تعتمد على إعلاء الأخلاق والعلم لا

إعلاء الجنس واللون ومن مفردات تلك المنظومة الأخلاقية: العدل وإعمار الأرض واحترام الفطرة البشرية وحفظ الجنس البشري واحترام الإنجاز العلمي وحق الإنسانية بالتمتع بالإنجازات العلمية دون أن يحتكرها أحد وحق الشعوب بالتمتع بخيراتها وثرواتها وحق تقرير المصير للشعوب وإنصاف الأقليات وعدم جواز نشر الفساد أيا كان لونه وأسبابه بل ومحاربته عالميا كالربا الذي ركز ثروة العالم في يد الأقليات اليهودية وبعضا من نصارى أوروربا وأمريكا.

- ينظر المسلمون إلى الإنجازات العلمية والتقنية والإدارية للحضارة الغربية بعين الإعجاب والحرص على استمرار الإنجازات لخير البشرية وتواصلها ويتطلعون إلى آفاق من المساهمة الفاعلة للشعوب المسلمة في الإضافات العلمية والتقنية على أساس من دينهم العظيم وتاريخهم المجيد.
- يحارب المسلمون استهداف شعب محدد بلونه أو بعرقه أو بدينه كما فعل نصارى أوروبا عندما استهدفوا اليهود في القرون الماضية وفي القرن العشرين وكما استهدف الهندوس في القارة الهندية المسلمين بتشجيع ودعم من النصارى الأوربيين خاصة الإنجليز وكما استهدف نصارى أمريكا الهنود الحمر أصحاب البلاد الأصليين.
- يحارب المسلمون المنظومة الأخلاقية السلبية المصاحبة لفلسفة العولمة والمدعومة من أمريكا تلك التي تهدف إلى هدم الأسرة البشرية ونشر الشذوذ الجنسي الذي ورثته أمريكا عن قرية سدوم الهالكة ونشر استغلال الأطفال الجنسي والرقيق الأبيض وغير ذلك من المنظومة الأخلاقية الأمريكية.
- يحارب المسلمون روح السيطرة الطاغوتية وروح الدعاية الكاذبة التي تهيمن على قادة الولايات المتحدة الأمريكية والتي أدت بهم إلى تهديد البشرية كلها وإلى السعي لعسكرة الفضاء ونشر أسلحة الدمار الشامل واستحلال إبادة كل الشعوب الأخرى ما دامت لا تقر لأمريكا بهذه الفوضى العالمية.
- يشارك المسلمون شعوب العالم التخوف الشديد على مستقبل استقلال شعوب العالم السياسي والاقتصادي خاصة في ظل برامج الاحتكار والسيطرة الاقتصادية التي تتبعها أمريكا بدعوى العولمة وحرية الاقتصاد.

الرسالة الثالثة: رسالة العلاقات الدولية

وفي هذه الرسالة يمكن اعتبار وملاحظة النقاط التالية:

- يأمل المسلمون بإعادة ترتيب وإرساء قواعد العلاقات الدولية بما يتناسب مع آمال البشرية بالعدالة والمساواة وحفظ الحقوق خاصة في ظل الانهيار الذي يشهده العالم في

النظام الدولي والذي شهد على مستوى الظلم والانحياز الذي قاده الأعضاء الكبار في مجلس الأمن حتى أذن الله عز وجل بزوال واحد من أكبر تلك الرؤوس وهو الاتحاد السوفيتي الملحد وفي ظل نظام الهيمنة الكلي الذي تحاول الولايات المتحدة أن تفرضه على البشرية.

- يسعى المسلمون لنشر منظومة قانونية في العلاقات الدولية تعيد الأمن والاطمئنان إلى البشرية بعد أن هددتها نظم الهيمنة الاقتصادية والعسكرية والسياسية ومن مفردات تلك المنظومة: حقوق الجوار بين الشعوب والأقاليم المختلفة وحقوق التعاون على المنافع العامة وحقوق تقاسم الثروات المشتركة وحقوق رفع الظلم وردع الظالم وحقوق منع الاستخدام السيئ للموارد الناضبة إلى غير ذلك من المفردات.
- يدعوا المسلمون إلى ضرورة رفع وإنهاء معاناة شعوب العالم جراء استمرار مظلة النظام الاستعماري البائد والذي هيمن على العالم في القرن العشرين كنظام الإمبراطورية الفرنسية والبريطانية وغيرهما وما يتبعه من تدخل في صناعة واقع الشعوب السياسي والاقتصادي فضلا عن منع النظام الاستعماري الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة.
- يلاحظ المسلمون بقلق بالغ المحاولات المستمرة من قبل الولايات المتحدة وحلفائها لحرمان المسلمين من حقوق شعوبهم في تقرير مصيرهم كما هو حاصل في كشمير والفلبين وفلسطين وغيرها وحرمانهم من التعامل وفق أبسط قواعد الحرب والسلم كحق المقاومة للمحتل العسكري وحقوق الأسرى وما تقوم به الولايات المتحدة من منح نفسها حقوقا عالمية مطلقة في بلاد المسلمين بتعيين حكامهم وتغيير مناهجهم وفرض شروط تعسفية عليهم كما حصل في أفغانستان والعراق وغيرها والوصول بهم إلى حالة من الإذعان الكامل والعبودية المطلقة.
- يلاحظ المسلمون بقلق بالغ محاولات الولايات المتحدة المستميتة والمستمرة لرفض أي تقدم في التطبيق الإسلامي في بلاد المسلمين ولعب دور الوصاية المستمر على كل شعوب المسلمين وإصدار قوانين لها قوة التنفيذ فيما وراء البحار كقانون السودان والذي يخول الولايات المتحدة استخدام كل الطرق لكسر ومحق التقدم التطبيقي الإسلامي في السودان.
- يأمل المسلمون بتطوير نظام الضغوط الدولية والمطالبة بالحقوق حتى تسود العالم حركة حرة غير مرتبطة بأي قوة استعمارية لا تخالف أفعالها أقوالها ويستبشر المسلمون خيرا بحركة الاحتجاجات العالمية التي سادت شعوب العالم إبان سعي الولايات المتحدة لضرب العراق الذي لم يبق فيه عرق ينبض أصلا.
- يطالب المسلمون بتحرير المنابر الدولية من نظام الهيمنة والسيطرة الذي تمارسه الولايات المتحدة.

- يقر المسلمون بحق شعوب العالم برد الاعتداءات والظلم الذي يقع عليها من قبل أي قوى غاشمة.
- يسعى المسلمون إلى جعل الأرض خالية من نظم التهديد للحياة البشرية كتلك التي تملكها الولايات المتحدة وإسرائيل وغيرها من الدول.
- يدعو المسلمون العالم إلى تحميل الولايات المتحدة المسؤولية الكاملة على ما يترتب في العالم من فوضى وانكسار جراء سعيها الدؤوب لفرض إرادتها على الشعوب.
- يقدر المسلمون الأسباب الإنسانية التي تؤثر في اتجاهات الهجرة لدى شعوب العالم ويقرون بحقوق المهاجرين في تيسير أسباب الحياة لهم ودعم الوجود وتطبيع الانتماء لمواقعهم الجديدة بغض النظر عن الانتماءات الدينية والعرقية للمهاجرين.
- يدعم المسلمون رسالة حقوق الإنسان العالمية ويضيفون عليها من حضارتهم ما يقوي موقفها ويدعم أداءها والتي تمكن الإنسان من العيش الكريم وممارسة حياته بشكل طبيعي وحصوله على حقوقه دون استخدام هذه الرسالة الاستخدام العقائدي والسياسي الموجه.

● سابعا: الملامح الاقتصادية والتنموية

إن ارتباط الأداء الاقتصادي والتنموي بالأسس النظرية والعقائدية في أي أمة يعد مظهرا دقيقا ومعبرا عن الوجود الحضاري للأمم ومع ما يملكه المسلمون من نظام اقتصادي متين يمثل أحد مظاهر قوة الدين الإسلامي وغلبته لكل عقائد البشر لكن التخلف العقائدي والحضاري الذي تعاني منه أمة الإسلام قد أدى إلى محدودية التطبيق والتسويق للنظرية الاقتصادية الإسلامية ولم يرتبط التطبيق الاقتصادي بين المسلمين بالأبعاد العقائدية لهم بقدر ارتباطه بعقائد الآخرين شرقية كانت أو غربية فقد جاء الأداء التنموي لكل بقاع المسلمين متقلبا بين اشتراكية شيوعية ملحدة ورأسمالية نصرانية مشركة ثم لما انهار جناح المادة الشرقي بنهاية القرن العشرين تحول شتات الأمة بكل أطرافه فأصبح لقمة سائغة من جديد لفك الرأسمالية اليهودية والنصرانية الغربية، ولم تخرج النظريات الاقتصادية والتنموية في العالم الإسلامي إلا قليلا عن الارتهان لرحى الهيمنة الغربية ومنظومتها التنموية في العالم.

وتأتي هذه الملامح لكي تضع بعض أهم الأسس الاقتصادية والتنموية المعتمدة على روح

المشروع الإسلامي ومرجعيته الإسلامية الشرعية حتى تبدأ عملية بناء منظومة الأداء الاقتصادي التنموي الهادف إلى تحرير العقل المسلم ورؤاه الاقتصادية من هيمنة الرأسمالية المجحفة والتي لن تنتهي إلا بعبودية ورق جديد يستولي على العالم من أطرافه، وليس هناك من مرشح لوقف هذا المسلسل النكد إلا الأداء الإسلامي المتحرر والمعتمد على أداء علمي يراعي الفطرة ويقدر الإنسان من حيث كينونته الإنسانية وحاجته للعيش الكريم والعدالة في التعامل بين البشر في تجارة أو سياسة أو حرب بغض النظر عن دينه وعقيدته وهذا الأمر لن يوجد إلا في كتاب المسلمين وعقيدتهم: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ،هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك 14-15)

وسوف أستعرض ملامح الأداء الاقتصادي والتنموي في المشروع الإسلامي عبر ثلاث نظريات تلم الموقف من أطرافه وهي:

النظرية الأولى: نظرية العقيدة الاقتصادية الإسلامية

النظرية الثانية: نظرية الاقتصاد العالمي الجديد

النظرية الثالثة: نظرية أنماط التنمية المتكاملة

النظرية الأولى: نظرية العقيدة الاقتصادية الإسلامية

منطوق النظرية:

أن يتم النظر والتعامل مع موضوع الاقتصاد والتنمية في العالم وعلى الأخص في واقع المسلمين من منطلق الثوابت القرآنية والسنية والتي ترتكز على سبب الوجود البشري في الكون وتنظم علائق ذلك الوجود وتحدد أطر تعاطيه الاقتصادي وتعامله مع الموارد بكل أنواعها بشرية كانت أم مادية.

جوانب النظرية:

الجانب الأول: سبب الوجود البشري الأصيل وما يترتب عليه من آثار فأما السبب الأصيل فهو كما أخبر الرب تباركت أسماؤه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات 56-58) وللبشرية كلها أن تعجب وتتوقف عند هذه الآيات الثلاث فهي توضح أن أهم أسباب انصراف البشر عن عبادة الله هو خوفهم على الرزق وانشغالهم به وأن ما يقلق البشرية عادة في هذا المجال من الخوف على المستقبل والأرزاق قد ضمنه الله ضمانة كلية ونهائية فمن صفاته عز وجل أنه

الرزاق فلا ينبغي الانصراف عنه إلى آلهة لا تملك شيئًا من هذا الكون: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (النحل:73)

وأن على البشر أن ينصرفوا إلى عبادة الخالق القوي المتين ثم يسعوا لتحصيل الأرزاق كمهمة داخلة في منظومة العبادة لا منفصلة عنها ولا متعارضة معها.

الجانب الثاني: تعلق الأرزاق وسعتها وضيقها بالحالة التعبدية للبشر وعلاقتهم بالله وتنفيذ أوامره وارتكاز الحالة الاقتصادية على مدى استجابة العباد لربهم وفيها تتضح عدة صور فمنها صورة كثرة النعم التي تترتب على طاعة العباد وضيق تلك النعم وزوالها عند تحقق المعاصي ووقوع التكذيب البشري بمنهج التوحيد: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف:96)، ومن الصور استدراج العباد بالنعم من قبل الخالق في فترة الإعراض وكثرة الفساد حتى إذا استنفذوا الفرص حل بهم العذاب: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (الأنعام:44) ومن الصور وجود معادلة سننية تربط بين كثرة النعم والترف وبين المعاصي والذنوب وأن الأولى والأنجى التخفف من مظاهر الدنيا والنعيم فيها طلبا للنعيم الأوفى في الجنة: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ كما يتضح ذلك في قوله عز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة:212)

الجانب الثالث: واجب السعي في طلب الرزق والاجتهاد في تحصيله على المستوى الفردي وواجب التعاون الجماعي لتحقيق الأداء الاقتصادي الأمثل وواجب قيام المسلمين بمهمة إعمار الأرض واستخراج كنوزها واستثمار ذلك في نفع البشرية: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك:15).

الجانب الرابع: سعة الأرزاق وضيقها مسألة ربانية يقدرها الخالق عز وجل ابتلاء وامتحانا ومع ما أودع الله عز وجل في أسباب السعي من آثار على الرزق لكن نتائج السعي النهائية مرتبطة بأقدار الرزاق ذو القوة المتين وهي مسألة ينبغي التعامل معها بحمد المنعم

وشكره في حالة السعة وبالصبر والرضى بما قسم الله تعالى في حالة الضيق والشدة: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (الرعد:26)

الجانب الخامس: الأصل في التعامل مع المسألة الاقتصادية أن يُستخدم الاقتصاد استخداما متكاملا مع الوجود الإنساني ومصلحة ذلك الوجود لا أن يستخدم الاقتصاد في إرهاق البشر وزيادة معدلات الفساد والفقر في الأرض والهيمنة الاستعبادية التي انتهت إليها مناهج البشر القاصرة سواء في جناحها الشيوعي السابق أو في جناحها الإمبريالي النكد وعليه فإن المنهج الإسلامي لا يقر استخدام الاقتصاد الاستخدام الجبروتي كالذي تسعى إليه الولايات المتحدة الأمريكية هذه الأيام حتى وصلت إلى مستوى خنق الشعوب من خلال العامل الاقتصادي: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:83) ومما يخدم هذا الجانب في نظرية العقيدة الاقتصادية الإسلامية وجود منظومة أخلاقية في المجال الاقتصادي سواء على المستوى الفردي أو الجماعي ومنها الصدق في البيع والشراء والسماحة ومنها القناعة بالنتائج وتحريم متابعة متطلبات الترف الفردي والجماعي إلى حد الفساد والأنانية: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (هود:116) ومنها عدم الإسراف فلا يحل للمسلمين مثلا أن يغرقوا أو يحرقوا فائض إنتاجهم من القمح أو غيره كما تفعل الولايات المتحدة للتحكم في سعر القمح العالمي إلى غير ذلك من مفردات المنظومة الأخلاقية في المجال الاقتصادي.

النظرية الثانية: النظرية الإسلامية للاقتصاد العالمي الجديد

منطوق النظرية:

أن مخرجات النظام الاقتصادي والذي تأسس على العقيدة المادية بجناحيها الشرقي والغربي ستؤدي وبلا شك إلى انهيار الأداء الاقتصادي العالمي وأن باستمرار العمل بتلك النظرية فإن البشرية سوف تصل إلى حالة من الفوضى والانهيار الاقتصادي الكلي والذي لم تشهد له البشرية مثالا في تاريخها كله، وأن لدى المسلمين نظرية اقتصادية تنقذ الموقف وتؤسس لنهضة عالمية حقيقية يعم خيرها كل شعوب العالم سواء كانت تلك الشعوب من المسلمين أم من غيرهم.

وسوف أستعرض هذه النظرية من خلال عدة جوانب وهي:

الجانب الأول: المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية.

الجانب الثاني: مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية المهددة للنمو.
الجانب الثالث: مرتكزات النظرية الإسلامية للاقتصاد العالمي الجديد.

الجانب الأول: المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية

وإن المتابع لمسيرة الأداء الاقتصادي في العالم خلال القرن العشرين يمكنه وبكل بساطة أن يلاحظ المخرجات الكلية للنظرية الاقتصادية المادية بغض النظر عن التفرع في أصول تلك النظرية سواء في بعدها الاشتراكي أو الرأسمالي أو في بعدها الحديث والذي يسمى بالاتجاه الثالث أو التلفيقي، وتلك المخرجات كالتالي:

- أول المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية الفارق الفاحش في توزيع الثروات في العالم فأغلب الثروات تتمتع بها أقلية من البشر وهي الشعوب التي اصطلح على تسميتها بدول الشمال الغني وهي أوروبا وأمريكا واليابان وتوابعها بينما يُلقى بالفتات من تلك الثروات إلى الأغلبية من البشر وهي الشعوب التي اصطلح على تسميتها بدول الجنوب الفقير.
- ومن المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية كون دول الجنوب الفقيرة هي التي تنتج أغلب الثروات الهامة في العالم كالبترول ولكنها لا تحصل من هذا التميز على شيء نتيجة لفرض دول الشمال الأسعار التي تروق لها فإذا أدت أوضاع السوق العالمية إلى صعود للأسعار تلقائي فإن لدول الشمال من الهيمنة والتحكم ما يجعل الدول المنتجة تلجم نفسها بنفسها.
- ومن المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية خضوع عمليات التنمية المدعومة من دول الشمال والموجه لدول الجنوب إلى المماطلة والوعود البراقة واستخدام ما ينزل على الأرض من برامج تنموية في زيادة الهيمنة سواء تمت تلك البرامج عبر الأمم المتحدة المهيمن عليها من دول الشمال أو تمت عبر الصناديق والمؤسسات التابعة مباشرة لدول الشمال خاصة الولايات المتحدة.
- ومن المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية سعي دول الجنوب الفقيرة إلى تقليد واستيراد الأنماط التنموية المطبقة في دول الشمال وهي أنماط ذات كلفة عالية فأدى ذلك إلى سقوط دول الجنوب في أفخاخ التجارب الفاشلة والتي لا تنتهي.
- ومن المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية سعي دول الشمال إلى استغلال انخفاض تكلفة الإنتاج في دول الجنوب فأنشأت المصانع واستقطبت الأيدي العاملة الرخيصة ولكن بشروط مجحفة وتم عزل هذا المسار الصناعي والاستثماري عن المسار التنموي الكلي في بلاد الجنوب.

- ومن المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية وصول الصراع الاقتصادي والخاضع بدوره للصراع العقائدي والسياسي إلى مستوى يهدد بتدمير البشرية سواء في نوعية السلاح الذي تمكنت الدول الكبرى من تصنيعه أو في الناتج الكلي من الدورات الاقتصادية في العالم ومنها خطورة النفايات الصناعية والتي تسعى دول الشمال إلى التخلص منها برميها في دول الجنوب حتى وصل الأمر إلى مستوى رشوة بعض حكومات تلك الدول لدفن النفايات فيها بل وصل الأمر إلى دفن النفايات الخطرة في بحار دول الجنوب دون الرجوع إليها أصلا، ومن ناتج الدورات الاقتصادية الخطير تهديد الموارد للمواد الخام باستخدام تلك الموارد استخداما سيئا سوف يفضي حتما إلى نضوبها بل والتعجيل بنضوبها ومن الآثار السلبية الخطيرة الناتجة عن الدورات الاقتصادية التوجه المسعور لدى بعض المنتجين لإنتاج المواد المدمرة للجنس البشري كالمخدرات وكالتجارب التي ستفضي إلى تعويق الجنس البشري عن دوره الفطري الذي خلقه الله تعالى عليه كتجارب الاستنساخ وكالتدخل الكيميائي والحيوي في الإنتاج الزراعي والحيواني وفرضه على العالم وغير ذلك: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً﴾ (النساء:119).
- ومن المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية التطور الذي أدخلته أمم النصارى المنتمية لدول الشمال بحقها في التدخل وفرض السيطرة على الموارد الرئيسة في دول الجنوب خاصة البترول وما سينتج عن هذه التطبيقات من صراع دولي وانتهاك لحرمات الأمم المختلفة مما يعني إلغاء كل الآمال التي رسمها الناس في نهاية القرن العشرين بعالم متوازن وآمن.
- ومن المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية خضوع دول الجنوب لنظام الإقراض المجحف والذي انتهى بمديونيات هائلة عجزت كل دول الجنوب عن الوفاء بها إضافة إلى دخول دول الجنوب في دائرة مفرغة من محاولات السداد أو الوفاء بمتطلبات التنمية فيها مما هدد العمليات التنموية في دول الجنوب وزادها ضعفا على ضعفها.
- ومن المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية استثمار دول الشمال لاتجاهات الهيمنة العالمية والتي يدخل فيها النظام النقدي والمرتبط بما يسمى بالعملات الصعبة لكي تفرض شروطها ولكي تؤدي المعادلة النقدية العالمية إلى تضعضع دائم ومستمر لعملات دول الجنوب الفقيرة مهما امتلكت تلك الدول من ثروات حتى خرجت الأمور عن السيطرة في دول الجنوب بالكلية وبات الأمر يعتمد على معادلات سرية ووهمية في تقييم العملات العالمية والتي تنتهي خيوطها بيد اليهود والنصارى في دول الشمال.

- ومن المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية استمرار الهيمنة الاقتصادية لدول الشمال عبر إعادة توزيع الأدوار العالمية بين الدول الصناعية الكبرى وتصميم اتفاقيات عالمية جديدة تخدم بدورها وتعزز تلك الاتجاهات في الهيمنة سواء اتفاقية التجارة الدولية المسماة بالجات أو اتفاقية النافتا والتي تربط دول أمريكا اللاتينية بالولايات المتحدة أو قمة الثمانية الكبار فكلها تتجه بالوضع العالمي نحو تكريس تلك الهيمنة ولا تعطي أي فرصة للتنفس الاقتصادي لدول الجنوب.
- ومن المخرجات النكدة للنظرية الاقتصادية المادية التصميم الجهنمي لسلسلة البنوك العالمية والتي تنتهي خيوط العمليات الاقتصادية في العالم إليها حيث لا يعتد البتة ببقية البنوك الثانوية مهما كان موقفها المالي متينا فهي معرضة لإشهار إفلاسها في أي لحظة كما حصل لبنك الاعتماد والتجارة الدولي والذي تمكن من استقطاب مدخرات الكبار والصغار في منطقة شبه الجزيرة الهندية والخليج وفي وقت قياسي وفي نقطة ما أصبح ذلك البنك في مهب الريح ولكن دون أن تفقد البنوك المرجعية فلسا واحدا فنظام الهيمنة البنكية الدولي يجعلها في منأى عن ذلك إضافة إلى قدرتها الفائقة في إدارة البنوك النافقة حول العالم.

الجانب الثاني: مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية المهددة للنمو

وسوف أستعرض مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية المهددة للنمو في النقاط التالية:

- إن من أول مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية عدم المسؤولية الإنسانية أي أن الاهتمام ينصب في تلك النظرية نحو شعب محدد ولدين معين ولا يضر بعد ذلك انتهاك حقوق العالمين وهي فكرة يهودية الأساس كما قال الله عنهم: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:75) وقد نتج عن هذه العقيدة كل الفساد الاقتصادي المشاهد في العالم اليوم من احتكار وربا وغيره.
- ومن مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية تجويزها السعي للإفساد في الأرض بحجة المصلحة سواء في المجال الاقتصادي أو غيره وهي صفة لليهود أساسية وذلك كما عرفنا الله من أخبارهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة:64) والشاهد في الآية

أخرها.

- ومن مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية عدم الاعتراف بالخالق واليوم الآخر والتوجه بالعبادة إلى آلهة أخرى تلك التي لا ترزق ولا تعطي فزاد نكد البشرية بذلك وكثر خوفها على الآجال والأرزاق وهو الذي تحقق في التطبيق المادي الإلحادي سواء كان ذلك عند الشيوعيين أو اليهود أو النصارى وغيرهم: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت:17).
- ومن أخطر مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية سوء وفسادا قيامها على النظام البنكي والذي احتوى عدة نظريات فاسدة وأول تلك النظريات الربا حيث يقوم البنك بدور الوسيط بين المقرض والمقترض فتكون نسبة المقترض المأخوذة منه أعلى من نسبة المقرض المعطاة له وجزء من هذه النسبة يذهب للبنك وعليه فإن الفساد يتركز في الأساس على المقترض والذي إذا وقع في براثن الربا دولة كان أو فردا فقد تودع منه، والنظرية الفاسدة الثانية في النظام البنكي هي القمار بعينه وذلك للمقولة التي سميت زورا وبهتانا بالاقتصادية والتي تعتمد على فرضية استحالة قيام كل المودعين بسحب مبالغهم دفعة واحدة مما يسمح لإدارة البنك أن تلعب بتلك الأموال كيفما شاءت وبحكم القانون ومهما قيل عن الضمانات في هذه النظرية فإن الفاسد أصلا لا يمكن أن يصلحه الترقيع والواقع خير دليل، وثالث تلك النظريات الفاسدة قيام البنك بعمليات استثمارية وهو الكذب بعينه فإن كل ما يقوم به البنك من تمويل المشاريع إنما هو إقراض ربوي بحت ولكن بمبالغ طائلة فقط والمرابي لا يمكن أن يخدم اقتصاد أي دولة بل يلقي به بين الركام لأنه لا يدخل في تحمل أي نوع من المخاطرة التي هي أس المشاركة في الاستثمار والتجارة.
- ومن مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية قيامها على أصل الربا الأمر الذي أوصل البشرية إلى الارتهان للمرابين على مستوى العالم وجعل الثروة تتركز في أيديهم وقد ثبت أن أكثر ما يحطم الاقتصاد بكل أنواعه دخول الربا فيه حيث لا يتحمل المرابون أية مسؤولية تجاه العملية الاقتصادية كما أن المقترضين الكبار غالبا ما يلجأون إلى الهروب من التزاماتهم وطرق الهروب كثيرة فيكون صغار المودعين هم الخاسرين الحقيقيين مما يجعل عدم المسؤولية وعدم وجود الشراكة الحقيقية تدمر العملية الاقتصادية برمتها.
- ومن مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية التحول الذي تم من النقود المتعارف عليها بشريا والتي تحمل قيمة شرائية حقيقية من الذهب والفضة إلى العملات الورقية وخضوع هذا النظام لعمليات معقدة من التقويم والاعتماد على مقولة قوة الاقتصاد في البلد المعني واعتماده على موقف العملات الصعبة في العالم وهو أمر لا يقف على أسراره إلا

كبار اليهود في نيويورك والعواصم الأوروبية وعليه فقد أصبحت دول العالم رهينة لهذا النظام والذي أدى إلى انهيارات هائلة وهو مرشح لانهيارات قادمة تعم العالم.

- ومن مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية التحكم الكبير في احتياطات الذهب في العالم والتي تقع بيد اليهود وبعضا من النصارى مما حرم العالم من الأداء الاقتصادي الطبيعي نتيجة لهذا الاحتكار والاكتناز والسعي المحموم للسيطرة على احتياطات الذهب العالمية.
- ومن مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية الاحتكار والذي تسخره دول الشمال للتحكم في بقية العالم خاصة ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية في هذا السبيل والذي أتاح لها التحكم في أسعار كثير من البضائع خاصة البضائع الاستراتيجية والسلع فبعد التحكم في سلع كالقمح والبترول دخلت الولايات المتحدة على خطوط الإنتاج الإلكتروني ففرضت قوانينها تحت ذريعة حماية الملكية الفكرية والمصنفات حتى تمكنت من تأسيس الشركات العالمية كمايكروسفت وغيرها والتي يشك في كونها تأسست أصلاً على استلاب حقوق الآخرين في الإنتاج الفني ناهيك عن جيوش العاملين فيها من دول الجنوب.
- ومن مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية المستجدة ما أبدعته عقول الغرب الجشعة في سعيها للهيمنة من خلال فنون الأداء الاقتصادي عبر التحكم في أسعار الفائدة وعبر فرض الحصار الاقتصادي ومنع التكنلوجيا عن الدول المارقة كما تعبر عنها أمريكا وعبر البورصات والتلاعب في أسعارها وأسعار الأسهم وعبر البيع الآجل والبيع في المستقبل حتى أصبحت العمليات الاقتصادية في ظل فنون الأداء الاقتصادي ذلك أشبه بالقمار منه إلى العمل الاقتصادي المعتمد على ما تعارفت عليه البشرية من ثقة وتوثيق وضمانات فأدى ذلك إلى السيطرة على رؤوس الأموال النقدية حول العالم والتي خضعت بدورها لعمليات من النهب المنظم والانهيارات الفجائية سواء في نيويورك أو في كوالالامبور فالأمر سواء.
- ومن مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية ما اصطلح عليه بالتجارة الحرة أو الأسواق المفتوحة والتي تتجه فيها المعادلة باتجاه فائدة دول الشمال على الدوام فالدول الفقيرة وبالوضع الاقتصادي المحدود أو المنهار لا يمكنها أن تحمي أسواقها من العمالقة وبالمقابل يتمكن العمالقة من حماية أسواقهم بحجج كثيرة.
- ومن مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية السيطرة على خطوط الإنتاج في كل مجالات الأداء الاقتصادي عبر المؤسسات الضخمة والشركات العابرة للقارات التي ورثت السيطرة الحكومية تحت حجة الخصخصة مما حرم صغار المنتجين من كل الميزات التي كانوا يتمتعون بها فبيئاتهم إما أن تكون متحكم فيها بالكامل أو قد دمرت تماما.

■ ومن مرتكزات النظرية الاقتصادية المادية وضع الحروب في خدمة الاقتصاد أو وضع الاقتصاد في خدمة الحروب خاصة في ظل التنافس المميت الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية مما هدد الأداء الاقتصادي العالمي ورفع معدل الأخطار وجعل من المستحيل على الاقتصاديين توقع المستقبل الاقتصادي أو اتجاهات النمو الاقتصادي.

الجانب الثالث: مرتكزات النظرية الإسلامية للاقتصاد العالمي الجديد.

وهي المرتكزات التي ستؤدي عند تطبيقها إلى نتائج متعددة سواء كان ذلك في واقع المسلمين أو عند غيرهم أما بالنسبة للمسلمين فسيؤدي تطبيق النظرية إلى الانعتاق من ربقة المادية العالمية وهيمنة أمم الكفر على مقدرات المسلمين وإن كان الأصل أن يتم ذلك بتدرج يتناسب مع التطورات في مسارات المشروع الإسلامي الأخرى كما سيؤدي التطبيق عند المسلمين إلى تقديم نموذج عالمي مقاوم وبديل لنظرية الهيمنة الدولية في مجال الاقتصاد والتي تفرض هيمنة مطلقة للولايات المتحدة الأمريكية مما سيمكن أمم العالم المكتوية بنار تلك الهيمنة أن تسلك سبيل المسلمين وإن لم تؤمن بدينهم ولكنها سوف تؤمن بعدالة قضيتهم وإنصاف معتقدهم.

وسوف أستعرض مرتكزات النظرية الإسلامية للاقتصاد العالمي الجديد في النقاط التالية:

■ إن من أول مرتكزات نظرية الاقتصاد العالمي الجديد أن يتقدم الناس بكل إرادتهم لهدم النظام الربوي العالمي المسيطر في كل مكان على الأرض ويتم ذلك بهدم كل أسسه التي يقوم عليها وأخطر تلك الأسس النظام البنكي ولئن يبدأ الناس بهدم هذا الأساس أولى لهم من أن ينتظروا حتى يشاهدوا انهياره قطعة قطعة وهم لا يملكون قدرة على فعل شيء وهذا التوقع ليس خيالا بل لقد شاهده الناس في عدة أماكن من العالم، وتقوم عملية الهدم هذه على عدة وسائل ومنها: المقاطعة الشعبية للبنوك خاصة من قبل من يسمون بصغار المدخرين فهم أول الضحايا عادة ثم بقيام أصحاب الملايين من المسلمين بسحب أموالهم تدريجيا من البنوك الربوية وعلى الشعوب أن تتدبر أمرها بمعالجة آثار المقاطعة والهدم فالأساليب كثيرة لحفظ الأموال وأقدمها وأضمنها شراء الذهب والفضة، وتوظيف الأموال في المشاريع الاستثمارية المختلفة خاصة تلك التي تعيد توظيف طاقات المسلمين المتنوعة ويكون لإنتاجها أثر إيجابي وداعم لأداء المسلمين الكلي ومن وسائل هدم النظام البنكي إنشاء المؤسسات الائتمانية البديلة والتي يلزمها نظامها الأساسي بأن لا تعمل أبدا في مجال الاستثمار النقدي ربا كان أو استثمارا حلالا أما منع الربا فلأن النقد

لا يلد نقدا بل هي سرقة خفية وأما منع الاستثمار المباح على تلك المؤسسات فحتى لا تتداخل هذه الفكرة الصحيحة بالأداء البنكي الربوي وحتى تنتفي شبهة الربا وحتى يتركز عمل تلك المؤسسات في مجال إدارة أموال الناس وحفظها فقط، ومن الوسائل لهدم النظام البنكي أن يتم الفصل التام بين المؤسسات الائتمانية والمؤسسات الاستثمارية وأن تقوم المؤسسات الاستثمارية على عمليات استثمارية حقيقية تحدد فيها نسبة العائد من الاستثمار ولا تحدد فيها نسبة الربح من رأس المال وإلا وقع الناس في الربا مجددا.

- وإن من مرتكزات نظرية الاقتصاد العالمي الجديد أن يتقدم الناس بكل إرادتهم لهدم النظام النقدي المرتكز على العملات الورقية والتي لا تساوي الورق المطبوع عليها سواء كانت تلك النقود دولارا أمريكيا أو روبية هندية فهي سواء غير أن السحر الأمريكي أقوى، وأن يسعى الناس لاستبدال النظام النقدي الورقي بالنظام العتيد وهي النقود الذهبية والفضية وإن تَحمّل الناس مشقة حملها وتداولها فهو أولى من خسارة كل شيء وفي كل بقاع العالم فلو احتفظ أهل العراق بأموالهم ذهبا وفي بيوتهم لما خسروا تلك الخسارة الثقيلة إبان الغزو الأمريكي لبلادهم عام 2003م، كما يتعين على عباقرة العالم من المسلمين وغيرهم أن يعملوا للتوصل إلى وسائل تسهل على الناس العودة لنظام الذهب والفضة النقدي كما يمكن أن يعود الناس إلى نظام المقايضة سواء في العمليات التجارية الكبرى أو في عمليات البيع الاعتيادية إلى حين استواء النظام الجديد وحينئذ يمكن أن يطمئن فقراء إفريقيا وأمريكا الجنوبية وغيرها على شقاء السنين فبين أيديهم مدخراتهم ذهبا وليس مجرد ورق من سحر اليهود.(وقد استفدت هذه الفكرة من مؤسسة الدعوة المتمركزة في بريطانيا)
- وإن من مرتكزات نظرية الاقتصاد العالمي الجديد أن يتم هدم الجانب الرسمي من الربا المتمثل في السندات الحكومية والتي لا تقوم في الحقيقة إلا بإسناد النظام الربوي الكلي فهي لا تفعل أكثر من توسيط البنوك في عملية إصدار السندات فتشترك وهي الأمينة على أموال الناس في نهبها.
- وإن من مرتكزات نظرية الاقتصاد العالمي الجديد أن يتم تأسيس النظام الاقتصادي الإسلامي من القاعدة بدء بالقيم والإنتاج الفردي والأسري والقروي والأداء المهني حتى يصل الأمر إلى تكامل النظام وبلوغه الذرى العالمية لا أن يتم البناء على ما أسسه الكفرة من نظام وترقيعه برقع إسلامية ولئن يصبر المسلمون حتى تتكامل نذر ذلك النظام خير لهم من بناء يمكن أن يتزلزل في أي لحظة: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:109).

- وإن من مرتكزات نظرية الاقتصاد العالمي الجديد اعتماد عزل الوظائف العامة عن الأداء الاقتصادي عزلا كاملا بدء من أكبر الرؤوس المسؤولة كالحكام حتى مسؤولي الشرطة وطوال فترة تولي المسؤولية العامة على أن يسبق تولي المسؤوليات العامة تطبيق الشروط المتشددة للمرشحين لشغل الوظائف العامة فإذا خشي من تأثير علاقاتهم السابقة في المجال الاقتصادي فلا يحق لهم تولي الوظائف العامة.
- وإن من مرتكزات نظرية الاقتصاد العالمي الجديد أن تقوم المؤسسة الحكومية بدورها في تنظيم وحراسة الحقوق العامة في الممارسة الاقتصادية دون أن تخل بمبادئ الأداء الاقتصادي الإسلامي وذلك وفق القواعد الشرعية الإسلامية ومن ذلك أن تحارب الاحتكار والنجش والقمار والغش والإثراء الفاحش وتراقب تكافؤ الفرص وأن تقوم بدورها الاجتماعي الداعم لشرائح الفقراء والمعوزين وضمانة الحد الأدنى من العيش الكريم لهم دون أن تتحول عن وظيفتها في ضمانة الحقوق إلى التحكم في عمليات السوق والانتاج.
- وإن من مرتكزات نظرية الاقتصاد العالمي الجديد إشراف المؤسسة الحكومية على إدارة وتنظيم شؤون الثروات التي أودعها الله عز وجل باطن الأرض أو تلك التي تتميز بالسعة والشمول كالثروة البحرية والغابات فتضمن حقوق العامة فيها وحسن وعدالة توزيع الثروات واستخراجها دون أن تضر بمصادر تلك الثروات وتؤدي بنضوبها ودون أن تتركها نهبا لكبار المستثمرين.
- وإن من مرتكزات نظرية الاقتصاد العالمي الجديد تكامل الأداء الاقتصادي بين المسلمين شعوبا وأقاليم وبين من يرغب من الأمم الأخرى بالتعامل مع المسلمين بشرط احترام الأمة المسلمة وحقوقها ويمكن تأسيس ذلك التكامل من خلال كسر الحدود المصطنعة بين الأقاليم الإسلامية ومن خلال إعادة بناء منظومة الولاء والثقة بين إخوان العقيدة ومن خلال الصبر على محدودية الأداء الاقتصادي في المجتمعات المسلمة وعدم العدول عنها بأمم الكفر خاصة المعادين والمحاربين.
- وإن من مرتكزات نظرية الاقتصاد العالمي الجديد إعادة تصميم العلاقات الدولية الاقتصادية بما يضمن حقوق الفقراء وحقوق الدول التي لا تملك أسباب الهيمنة والسيطرة وأن يتم إلغاء نظام الإقراض الربوي بالكامل وإلغاء المساعدات التي تهدف إلى الهيمنة وأن يستبدل ذلك بالشراكة الحقيقية ونظام المقايضة المباشر وأن يتم إلغاء نظام الأسواق المفتوحة بالمفهوم الأمريكي الذي يهدف إلى اكتساح أسواق العالم مقابل حماية السوق الأمريكية.

- وإن من مرتكزات نظرية الاقتصاد العالمي الجديد أن يعاد تصميم نظام التجارة الدولي بمقاطعة الإملاءات الأمريكية وعدم الاستجابة لها وبالسعي لتشكيل مسارات جديدة للأسواق العالمية وخطوط النقل ومقاطعة البورصات العالمية ومقاطعة الإنتاج الأمريكي أو أي إنتاج يدعم الظلم والاستبداد الذي يتعرض له المسلمون في العالم حتى يصل الأمر عند المسلمين إلى اعتبار إنتاج الأعداء كلحم الخنزير.
- وإن من مرتكزات نظرية الاقتصاد العالمي الجديد العمل بنظام الزكاة الإسلامي تلك النسبة الثابتة حسب المادة الاقتصادية المعنية والتي تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء بحيث يتم التدرج في بناء نظام الزكاة حتى تتكامل صور التطبيق في ظل الحكم الإسلامي، ويمكن للمسلمين أن يبدءوا من وحدة الحي الواحد في مجتمعاتهم فيتكفل الأمناء بجمع الزكاة من الأغنياء فيردوها على الفقراء ثم ببناء مؤسسات الزكاة الشعبية والأهلية والمؤسسات العابرة للقارات وهكذا، ويمكن للمسلمين أن يسوقوا هذا النظام حتى بين أمم الكفر فلن يكون أمام فقراء العالم والمنصفين إلا أن يعملوا به خاصة إذا عمت الكوارث واستمر النظام الاقتصادي الدولي في الانكسار والفوضى.
- وإن من مرتكزات نظرية الاقتصاد العالمي الجديد إعادة تقويم موقف الثروات الإستراتيجية كالبترول وغيره في العالم الإسلامي وما يسمى بالعالم الثالث لتغيير الرؤية الاستراتيجية تجاه تلك الثروات ومنها إعادة تقويم الأسعار العالمية المفروضة على تلك الثروات ومنها حقوق الأجيال القادمة في الثروات ووقف الاستنزاف المهدد بنضوبها وإعادة النظر في سياسة استثمار الثروات والتي تقف عند عتبات التصدير بفرض شروط على الموردين بالمشاركة في إعادة تدوير الإنتاج وتأسيس بنية تحتية تسمح بإبقاء أغلب آثار الإنتاج في البلد المنتج ودراسة الثروات الواعدة وكيفية استثمارها لصالح النهضة الإسلامية العالمية.

النظرية الثالثة: نظرية أنماط التنمية المتكاملة

منطوق النظرية:

أن يؤسس الأداء الاقتصادي في بيئات المسلمين على تكامل وتوازن الدورة الاقتصادية وأنماط التنمية في تلك البيئات سواء كانت بيئات بسيطة وأولية أو كانت بيئات اقتصادية وسطى أو بيئات مدنية وصناعية دون أن تطغى بيئة على أخرى.

جوانب النظرية:

الجانب الأول: جانب إحياء البيئات الفطرية الأصيلة: وفيها

- أن يتوجه اهتمام المسلمين إلى إعادة بناء البيئات الإنسانية الفطرية والتي تعتبر من أهم مرتكزات الأداء الحضاري في الأمم والتي تمثل أساس الانتاج الاقتصادي وذلك من خلال البيئات الحرفية والزراعية وبيئات الثروة الحيوانية والثروة البحرية وثروة الغابات وغيرها.
- ويُعتمد في عملية إعادة بناء تلك البيئات على تأهيل الشعوب المسلمة لكي تفقه دورها الحضاري في تكامل أدائها وعلاقة ذلك الأداء بالدورة الاقتصادية الكلية للأمة المسلمة وحتى تمتلك الشعوب المسلمة العقلية والنفسية التي تجعلها تتوكل على الله تعالى وتعمل وتبدع في عملها.
- ويُعتمد في عملية إعادة بناء تلك البيئات على استقرارها ودوام أدائها وعدم تعلق أهلها بتقليد البيئات الصناعية والمدنية وضرورة عكس اتجاهات الهجرة التي دمرت البيئات الفطرية وأن يتم ذلك بإحياء وتجديد القيم التي تؤدي إلى استقرار الناس في بيئاتهم واعتزازهم بدورهم الحضاري فيها.
- ويُعتمد في عملية إعادة بناء تلك البيئات على منظومة مبتكرة من التطوير العلمي والفني والإداري الذي يضمن جودة الإنتاج وتوفيرا للجهود عبر التعاون والتنظيم وحسن استغلال الموارد وما أشبه وهو مجال مفتوح للمسلمين لكي يبدعوا فيه ويقدموا النماذج المتطورة.
- ويُعتمد في عملية إعادة بناء تلك البيئات على تدوير الانتاج وتداوله وتكامله داخل البيئة الواحدة وبين البيئات المختلفة.
- ويُعتمد في عملية إعادة بناء تلك البيئات على الموازنة بين دور البسطاء والأفراد في الانتاج وبين الأداء التجاري والاستثماري الذي تمثله الحكومات والشركات لصالح الحفاظ على البيئات الفطرية بحيث يتم تقليص أو توقيف النشاط التجاري والصناعي في حال طغيانه وتجاوزه على الفقراء.
- ويُعتمد في عملية إعادة بناء تلك البيئات على منح المجتمعات الفطرية المتعلقة بها والواقعة في دوائرها حق الانتفاع والارتزاق دون أن يطغى أحد على أحد خاصة طغيان الكبار الذين يطوقون الأراضي ويفسدون البيئات الفطرية بجشعهم وحبهم للسيطرة.
- ويُعتمد في عملية إعادة بناء تلك البيئات على مراقبة الموارد الفطرية ومنع تهديدها أو إفسادها.
- ويُعتمد في عملية إعادة بناء تلك البيئات على السعي لاستقرار الأداء فيها ورسوخه

واعتباره قيمة حضارية وتعبدية بين المسلمين وهذا يقتضي بدوره نزع القيم المهددة لهذه البيئات والتي انتشرت في العالم بانتشار المدنية الغربية المادية تلك التي تقدس الترف والنعيم وتعلي من قيمة الأداء المدني على حساب الأداء الفطري.

الجانب الثاني: جانب إحياء البيئات الوسيطة: وفيها

- يتم إحياء البيئات الوسيطة عبر إحياء الأسواق الإسلامية القديمة منها والجديدة وفتح العلاقات التجارية بين الأقاليم الإسلامية المختلفة في العالم وإلغاء القيود والحدود التي تحول دون ذلك الإحياء.
- ويتم إحياء البيئات الوسيطة عبر فتح خطوط النقل بين بلدان العالم الإسلامي وإلغاء اتجاهات خطوط النقل المرتبطة بالكفرة في أغلبها على أن يُدفع أبناء الأمة لتجربة كل أنواع خطوط ووسائل النقل خاصة البحرية منها والبرية ولو أدى بهم ذلك إلى بدء التجارب عبر الوسائط القديمة والفطرية وغير المكلفة وإحياء بناء الأساطيل البحرية الخشبية واقتحام المخاطر حتى يفتح الله عز وجل عليهم.
- ويتم إحياء البيئات الوسيطة عبر تطبيق وسائل التخزين والحفظ للمنتوجات المختلفة سواء عبر الوسائل الحديثة أو الوسائل التقليدية والقديمة كتجفيف الفواكه والسمك واللحوم وحفظ الحبوب وعدم الخوف على محدودية التسويق وبُعد الأسواق فبتطور الأداء يفتح الله عز وجل من الأسواق ما لم يكن في الحسبان.
- ويتم إحياء البيئات الوسيطة عبر تأسيس وإحياء شبكات العلاقات الإقليمية والدولية بين التجار المسلمين وتجاوز وإلغاء الشبكات الاحتكارية الوسيطة من ملل الكفر شرقا وغربا.
- ويتم إحياء البيئات الوسيطة عبر تشجيع الهجرة بين الشعوب الإسلامية سواء كان ذلك طلبا للرزق أو للاستقرار وعدم الخوف من المهاجرين فهم أحد مصادر الإحياء الاقتصادي بشرط أن لا تؤدي الهجرة إلى هجر مواقع الانتاج والعمل ولا تؤدي إلى بطالة وتكدس للمحتاجين.

الجانب الثالث: جانب إعادة تصميم البيئات المدنية والصناعية: وفيها

- وتتم عملية إعادة تصميم البيئات المدنية والصناعية عبر صياغة منظومة القيم المعتمدة على الأسس العقيدية للاقتصاد الإسلامي وبثها في المجتمعات المدنية والصناعية حتى تقوم تلك المنظومة بدورها في اتجاهين في آن واحد أما الاتجاه الأول فهو هدم قيم الحضارة الغربية القائمة على الجشع وسحق الفقراء وانتشار الخوف على الرزق والمستقبل وقيم الاستهلاك والبذخ وغيرها من القيم المدمرة وأما الاتجاه الثاني فهو

اتجاه إعلاء قيم السلام النفسي والتوكل على الرزاق ذو القوة المتين والتعاون وغير ذلك من القيم المباركة.

- وتتم عملية إعادة تصميم البيئات المدنية والصناعية عبر التخفيف من ضغط وتكدس المدن الكبرى بفتح مدن جديدة صغيرة وإعادة هيكلة المدن الكبرى وتوقيف التوسعات فيها حتى يمكن تلافي الآثار السلبية المترتبة على ذلك التكدس.
- وتتم عملية إعادة تصميم البيئات المدنية والصناعية عبر إحياء قيم الاستقلال والإدارة الذاتية والتخفيف من التدخل الحكومي في كل شيء في تلك البيئات.
- وتتم عملية إعادة تصميم البيئات المدنية والصناعية عبر تفريق وتوزيع مراكز الخدمات والتخفيف من السيطرة على تلك المراكز.
- وتتم عملية إعادة تصميم البيئات المدنية والصناعية عبر كسر المنظومات المغلقة في مجال الخدمات كخدمات الماء والكهرباء والصحة تلك التي رفعت من كلفة إدارتها وضغطت على كاهل الشعوب ويتم كسر المنظومات بعدة اتجاهات كتوظيف مخرجات الطاقة البديلة والرخيصة وكإعادة تصميم المنازل حتى تخفف أو تستغني عن تلك الخدمات وكالعودة إلى الممارسات القديمة في توفير هذه الخدمات وكالعمل بنظام التجمعات التعاونية والتي تشرف فيها تلك التجمعات على توفير كل أو بعض الخدمات دون الوقوع في شرك السيطرة الشاملة للشركات ومؤسسات الخدمات.
- وتتم عملية إعادة تصميم البيئات المدنية والصناعية عبر إغراء بعض شرائح تلك البيئات بالهجرة العكسية إلى البيئات الفطرية خاصة الشرائح العاطلة عن العمل سواء كانت تلك الهجرة دائمة أو موسمية فيحدث بذلك تخفيف من الضغوط في البيئات المدنية كما يتحقق بذلك عمليات إحياء للبيئات الفطرية.
- وتتم عملية إعادة تصميم البيئات المدنية والصناعية عبر توظيف نماذج الانهيارات الاقتصادية الحديثة وإعادة دراستها وتحديد مواقع الانهيارات الجديدة وتسويق البدائل الاسلامية للتعامل مع الانهيارات واستغلال الفرصة في ذلك للقضاء وتدمير مرتكزات الأداء الاقتصادي الغربي كالنظام الربوي وغيره.
- وتتم عملية إعادة تصميم البيئات المدنية والصناعية عبر تنويع وتكثير أنماط التأهيل والتعليم في تلك البيئات وكسر احتكار ومحدودية الأنماط التقليدية والتي تعطل الأجيال عن الانتاج والعمل لمدد طويلة بما تفرضه من إغلاق منهجي وزمني.
- وتتم عملية إعادة تصميم البيئات المدنية والصناعية عبر كسر احتكار الطبقات الغنية واستحواذها على الأداء الاقتصادي من خلال عدة مسارات ومنها مسار دمج الطبقات الاجتماعية ببعضها عبر تداخل أحياء الأغنياء والفقراء وعبر نظم التكافل الإسلامية

والعمل بنظام الزكاة ومنها مسار فرض الرقابة الصارمة على أداء الأغنياء ومنع استغلال صغار المدخرين من قبل الكبار وعبر تشجيع الفقراء وتعليمهم طرق المطالبة بحقوقهم بمختلف الوسائل التي تقرها الشريعة الإسلامية.

- وتتم عملية إعادة تصميم البيئات المدنية والصناعية عبر كسر نظم الاكتناز السائدة لرؤوس الأموال وإجبار الأغنياء على الانتاج والاستثمار ولن يتم ذلك إلا بإلغاء النظام الاقتصادي والمالي الربوي والتحول عن النظام النقدي الورقي وبإقرار الزكاة التي سوف تجبر أصحاب رؤوس الأموال على تشغيلها وإلا أكلتها الزكاة.
- وتتم عملية إعادة تصميم البيئات المدنية والصناعية عبر تحويل مسارات بعض البرامج الاقتصادية من أدائها الهادم إلى مسار البناء كالبرامج السياحية والمصممة للإفساد لارتباطها بالمحرمات كالخمر والزنا واللهو الباطل والتي تأسست في ظلها بنية تحتية وقيم أوصلت بعض مجتمعات المسلمين إلى هوان لا تخطئه العين في المشرق والمغرب.

الخاتمة

إنه لخليق بالمؤمن أن يحمد الله وحده على كل حال وفي كل حين فكيف وقد أتم الله عز وجل على المؤمنين نعمته وثبتهم بالكتاب والسنة وألهمهم شكره والاعتراف بفضله: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس:10)، وفي ختام هذا البحث المتواضع والبضاعة المزجاة فإني أتقدم إلى إخواني المسلمين في كل العالم أن يستلموا هذا الجهد بيد المتلطف المتأني فما وجدوا فيه من سداد فقد وجب عليهم أن يضموه إلى مجمل ساحة الاجتهاد المعاصر لعله يسهم في إصلاح ذات بين المؤمنين ولعله يلقي بقبس من نور على الإبهام والإغلاق الذي تعاني منه مسيرة الدعوة الإسلامية في تعاملها مع المستجدات وتعاطيها مع الوقائع المختلفة ولعله يرفع منارة لأجيال الأمة فتقتفي إشارتها وتصيخ إلى نبضها، وأما إن وجدوا في ثناياه الخلل فقد وجب عليهم أن يصلحوه ويردوه إلى حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأما إن وجدوا فيه الشطط والزلل والخروج عن إجماع الأمة فليلقوه في وجه صاحبه وإني لعائذ بوجه الله الكريم أن أكون صاحب بدعة وواضع في الدين ما ليس منه.

فإلى علماء المسلمين الأمناء أوجه ندائي ورسالتي مذكرا بما استأمنهم عليه رب السموات والأرض من أمانة التبليغ والدعوة وإظهار البينات: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران:187) حيث اتضحت الحاجة إلى الاجتهاد الحي والتصدي للواقع ومدى أهمية تنزيل الأحكام على ذلك الواقع ومعالجة ما تواجهه الأمة المسلمة من بلاء وفتنة لا أن يكتفي العلماء بمجرد استعراض جمال الدين وكماله، كما يجب على العلماء أن يسعوا إلى الانعتاق من الهيمنة التي يفرضها الكفار على بلاد المسلمين وإلا وقعوا في تزيين فعل الكفار وفسادهم بحجج دينية وضرورات دنيوية فالله الله في الأمة وفي الموقف غدا بين يدي جبار السموات والأرض.

وإلى قيادات العمل الإسلامي والواقفين على رؤوس الاجتهادات الإسلامية المعاصرة تلك التي أسهمت في صناعة تاريخ المسلمين وتجديد ما اندرس من دين الحق أتقدم بدعوة خالصة لتأمل التحولات الكبرى التي تلف الدنيا والعالم الإسلامي وتوظيفها في تجديد الاجتهاد باتجاه استكمال النقص وسد الخلل وباتجاه استيفاء شروط النهضة والقوة التي أمرنا بها رب

العباد ومن أهمها الاعتصام والوحدة وجمع الكلمة وعدم التفرق ونبذ الحسد المانع من التكامل والتواصل والتعاون ولعل من أهم الأدوار المنتظرة من قيادات العمل الإسلامي تقدمهم للأمة برؤية جامعة وبذل جهودهم لإخراج قيادة راشدة للمسلمين ولو في ملامحها الأولى وأخيرا قيادتهم للأجيال إلى ساحات البذل والفداء، وإذا لم تدل الأحداث الجسام وتكامل النذر العظام على تقدم المشروع الإسلامي إلى مرحلة جديدة من عمره وعمر الأمة المسلمة فما الذي يمكن أن يحرك سواكن خواطر قادة العمل الإسلامي وشوارد فكرهم نحو النهضة والتجديد والنفرة من جديد؟

وإلى من يعتقد بأن رسالة الإسلام للدنيا إنما تكمن في مجرد تبيان جمال الرسالة وعدالة الدين وحوار الحضارات أتقدم إليه بمسطرة القرآن الكريم في وصفها لعلائق البشر ودعوتها لأتباع دين الحق لكي يحملوا الرسالة بعلم وقوة فإذا تجرأ الكفار على الدعاة وهذا ديدنهم. كان جواب الدعاة ميدانيا لا بحثيا ولاصحفيا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:217) فلا يزال الكفرة يقاتلون المسلمين بلا هوادة كما وصف الحكيم العليم، وليعلم من يقلقه موضوع حوار الحضارات بأن الدعوة إلى تطبيق كل مفردات الإسلام في التعامل مع الحضارة الغربية لا يعني إهدار فوائد وإنجازات تلك الحضارة وإنما هي مواجهة مع الاستراتيجيات التي توجه تلك الحضارة والتي يصنعها رؤوس الكفر أولئك الذين باتوا يستنهضون أممهم ويوجهون طاقاتهم لمنع الأمة المسلمة من تجديد مسيرتها وتحديد طرائق نهضتها وتطبيق دينها مع العلم بأن ما يحدث ليس خارجا عن المألوف فقد استمر النصارى على هذا الحال لقرون خلت ولا يعني ذلك أن شعوب النصارى مبرأة فقد واطأت قادتها على ما ذهبوا إليه وإلا فكيف تمكن جورج بوش من رصد الميزانيات التاريخية الهائلة في حربه الوهمية ضد ما يسميه إرهاب المسلمين ثم كيف تمكن بعد ذلك من مضاعفة تلك الميزانيات في حرب العراق لولا الدعم الذي يجده من مؤسسات الحكم الصليبي في أمريكا والرأي العام، ورغم تمريغ الحكومة الأمريكية لأنف الأمم المتحدة في التراب فقد نجحت بعد ذلك في جلب رايات الصليبية العالمية لكي تدعم موقفها في العراق واحتلالها المباشر لها.

وإلى شباب الإسلام في كل مكان أتقدم بهذه المنظومة من الرصد التاريخي المعاصر لموقف

الأمم من الأمة المسلمة خاصة الأمة النصرانية واليهودية ومن التقويم للأداء الإسلامي المعاصر الذي نجح في أعلى قمم الأداء عنده من إسقاط أعتى القوى الكفرية والاستبدادية في العالم وهو الاتحاد السوفيتي، كما أتقدم إليهم بمسطرة في الإعداد والعمل وطلب الحرية والاستقلال الحقيقي فيا شباب الإسلام لا تلهكم الترهات والعيش على الآمال الكاذبة عن الإعداد والتجهيز وبناء الذات وإن أردتم اللهو فليكن لهوا حلالا على ظهور الخيل ولهو بالسلاح والرصاص وتعلم فنون القتال وإن أردتم السفر فليكن إلى الجبهات وساحات الجهاد وطلب العلم لا إلى الأغاني والخمارات ـ حاشا وجوه الكرام ـ فإذا تقدم إخوة القردة والخنازير إلى مقدساتكم والجرأة على هدمها -وهم لا شك عازمون- كان الجواب عندكم حاضرا وقريبا فلا تنتظروا أمما متحدة قد أجمعت على سلب حقوقكم ولا تعتمدوا على مؤتمرات الذل والتسليم بل توجهوا للعزة ولو أدى ذلك بكم إلى التصعلك والتشرد وتمردوا على نظم وإمبراطوريات الكفر شرقا وغربا ولكن بنظام وتصميم ودقة وتوقيت وطول نفس.

وإلى العائدين التائبين من شطط وانحراف المذاهب المادية من علمانية وقومية وشيوعية ممن اكتشفوا دينهم وتابعوا نبيهم صلى الله عليه وسلم أتقدم بهذه الرؤية الشاملة والمؤسسة على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فكونوا يدا مع إخوانكم المسلمين والتحقوا بالركب فالحاجة إليكم ماسة وإياكم من مكر الأعداء الذين يسعون إلى إعادة توظيفكم كطابور خامس بين المسلمين.

وإلى الأقليات من مذاهب شيعية وإباضية وبقية باطنية أتقدم بدعوة صادقة لاستثمار هذه الفرصة التاريخية من التحول في تاريخ المسلمين لتصحيح رؤاهم والعدول عن الشطط المؤسس على العنصرية والقومية وإياكم واتباع أحباركم ورهبانكم وما يزينونه لكم من باطل فإن الدين الذي ارتضاه الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم قد تأسس على اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة قدوة ونموذجا إلى قيام الساعة: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف:157) فكيف يُتعبّد الله تعالى بكسر ذلك النموذج والطعن فيه وتشويهه وهو نموذج مترابط متكامل متمثل في النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه؟ كما تأسس هذا الدين على الظهور ومن معاني الظهور أن يكون المتابعون له بالحق أكثرية على الدوام فلو كانوا أقلية لما سمي ذلك ظهورا، كما تأسس هذا الدين على الوضوح

الذي لا لبس فيه فإذا خالطته سرية مشبوهة وظاهر وباطن فاعلم أن ذلك مما ليس منه فيا أيها الشيعة والإباض ارتضوا ما ارتضاه الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوا النبي صلى الله عليه وسلم والصحب الكرام رضي الله عنهم أجمعين تفلحوا.

وإلى المذبذبين في الأمة المسلمة ممن أجسامهم على أرض الإسلام وعقولهم وقلوبهم واجفة وخائفة من قوة الكفروصولته أتقدم إليهم بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (المائدة:51-52) فلا يصلح في الدين التذبذب وإنما هو الثبات والاعتماد على القوي العزيز الذي يوشك أن نقف جميعا أمامه عز شأنه، فلا تشتروا بآيات الله ثمنا قليلا واحذروا أن تعيشوا مع المسلمين وتحشروا غدا مع فرعون وهامان ولا يتخذنكم الكفار جسرا يعبرون عليه إلى انتهاك مقدسات المسلمين وحرماتهم ودمائهم.

وإني لأستودع الله الحفيظ العليم هذه الأمانة الذي له ملك السموات والأرض واسأله أن ييسر وصولها إلى مستقرها من قلوب وعقول الأجيال المسلمة فيورق ويثمر منها العلم الصحيح المتين ويسقط عنها السقيم العليل.

والله أكبر ولله الحمد

تم بحمد الله